



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى
عليه
وآله
وسلم

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من هدى القرآن

كاتب:

آيت الله سيد محمد تقى مدرسى

نشرت فى الطباعة:

دار محبى الحسين (عليه السلام)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٢٧	من هدى القرآن المجلد ١
٢٧	اشاره
٢٨	اشاره
٤٠	مقدمات
٤٠	الفصل الاول:
٤٠	اشاره
٤٢	القرآن فى آيات الذكر
٤٧	القرآن فى السنه
٥٠	لماذا ندعوا الى القرآن
٥٦	الفصل الثانى:
٥٦	اشاره
٥٨	ضروره التدبر فى القرآن
٦١	القرآن و التفسير بالرأى
٦٥	القرآن بين التزكيه و التعليم
٧٠	القرآن الحكيم بين الظاهر و الباطن
٧٢	القرآن الحكيم
٧٤	القرآن الحكيم و الأحرف السبعه
٧٦	القرآن الحكيم و إثباتات معانيه
٨٢	الفصل الثالث:
٨٢	اشاره
٨٤	التدبر و الصفات النفسيه
٨٧	التدبر و الصفات العقليه
٨٩	التدبر و السياق القرآنى

٨٩	اشاره
٨٩	١-العلاقه العلميه:
٩١	٢-العلاقه التربويه:
٩٣	التدبير و الواقع الخارجى
٩٥	التدبير و التطبيق القرآنى
٩٧	موجز لمنهج التدبير فى القرآن
١٠٢	سوره الحمد
١٠٢	اشاره
١٠٤	فضل السوره:
١٠٦	[سوره الفاتحه (١): الآيات ١ الى ٧]
١٠٦	اشاره
١٠٧	الحمد مجمل معارف القرآن
١٠٧	تفسير البسملة:
١٠٨	موارد الحمد
١١٤	سوره البقره
١١٤	اشاره
١١٦	فضل السوره:
١١٨	الإطار العام
١١٨	الاسم أولاً:
١١٩	الإطار العام للسوره:
١٢٠	[سوره البقره (٢): الآيات ١ الى ٢٠]
١٢٠	اشاره
١٢٠	اللغه
١٢٥	كيف يقسم القرآن البشرى؟
١٢٥	هدى من الآيات:
١٢٦	بينات من الآيات:

١٢٩ القرآن هدى:

١٣٩ [سوره البقره (٢): الآيات ٢١ الى ٢٥]

١٣٩ اشاره

١٣٩ اللغة

١٤١ أركان الايمان

١٤١ هدى من الآيات:

١٤١ بينات من الآيات:

١٤٥ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

١٤٥ اشاره

١٤٥ اللغة

١٤٧ الشخصيه الانسانيه

١٤٧ اشاره

١٤٧ هدى من الآيات:

١٤٧ قصه الخلق الأول:

١٤٧ اشاره

١٤٨ بينات من الآيات:

١٥٣ [سوره البقره (٢): الآيات ٣٠ الى ٣٩]

١٥٣ اشاره

١٥٣ اللغة

١٥٦ كيف خضعت الطبيعه للإنسان؟

١٥٦ هدى من الآيات:

١٥٦ بينات من الآيات:

١٦٤ [سوره البقره (٢): الآيات ٤٠ الى ٤٨]

١٦٤ اشاره

١٦٤ اللغة

١٦٦ هل نكون من الشاكرين؟

١٦٦ هدى من الآيات:

١٦٧ بينات من الآيات:

١٧٣ [سوره البقره (٢): الآيات ٤٩ الى ٦٢]

١٧٣ اشاره

١٧٣ اللغه

١٧٨ دور رسالات الله في بناء الحضارات

١٧٨ هدى من الآيات:

١٧٩ بينات من الآيات:

١٨٦ و كلمه اخيره:

١٨٨ [سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦]

١٨٨ اشاره

١٨٨ اللغه

١٩٠ الميوعه في تطبيق الأحكام

١٩٠ هدى من الآيات:

١٩١ بينات من الآيات:

١٩٣ [سوره البقره (٢): الآيات ٦٧ الى ٧٣]

١٩٣ اشاره

١٩٣ اللغه

١٩٥ قصه البقره دروس و عبر

١٩٥ هدى من الآيات:

١٩٦ بينات من الآيات:

١٩٩ الخلاصه:

٢٠٠ [سوره البقره (٢): الآيات ٧٤ الى ٧٩]

٢٠٠ اشاره

٢٠٠ اللغه

٢٠٣ اليهود بين

٢٠٣ اشارة

٢٠٣ هدى من الآيات:

٢٠٤ بينات من الآيات:

٢٠٤ قسوه القلب:

٢٠٧ الكتاب بين الحلم و التقليد:

٢٠٩ بين الامانى و الظنون:

٢١٠ الظن:

٢١٣ [سوره البقره (٢): الآيات ٨٠ الى ٨٦]

٢١٣ اشارة

٢١٣ اللغه

٢١٦ تقديس الذات

٢١٦ هدى من الآيات:

٢١٧ بينات من الآيات:

٢١٧ اشارة

٢١٨ ميثاق الله لبنى إسرائيل:

٢٢٣ [سوره البقره (٢): الآيات ٨٧ الى ٩٣]

٢٢٣ اشارة

٢٢٣ اللغه

٢٢٦ العنصريه و الانغلاق الفكرى

٢٢٦ هدى من الآيات:

٢٢٧ بينات من الآيات:

٢٢٧ اشارة

٢٢٨ سبب التكذيب:

٢٣٤ [سوره البقره (٢): الآيات ٩٤ الى ١٠٠]

٢٣٤ اشارة

٢٣٤ اللغه

العنصريه و الكفر بالملائكه ٢٣٦

هدى من الآيات: ٢٣٦

بينات من الآيات: ٢٣٦

[سوره البقره (٢): الآيات ١٠١ الى ١٠٣] ٢٤١

اشاره ٢٤١

اللغه ٢٤١

السحر و الشعوذه..نهايه المطاف ٢٤٣

هدى من الآيات: ٢٤٣

بينات من الآيات: ٢٤٤

[سوره البقره (٢): الآيات ١٠٤ الى ١١٠] ٢٤٨

اشاره ٢٤٨

اللغه ٢٤٨

نحن و الثقافات الدخيله ٢٥١

هدى من الآيات: ٢٥١

بينات من الآيات: ٢٥٢

راعنا و انظرنا: ٢٥٢

رسالات الله و تطور الزمن: ٢٥٦

[سوره البقره (٢): الآيات ١١١ الى ١٢٣] ٢٦٠

اشاره ٢٦٠

اللغه ٢٦٠

التسليم لله هو الميزان ٢٦٤

هدى من الآيات: ٢٦٤

بينات من الآيات: ٢٦٥

تضخيم الاختلافات: ٢٦٧

مصدر الإلهام: ٢٧٠

[سوره البقره (٢): الآيات ١٢٤ الى ١٤٠] ٢٧٤

٢٧٤ اشارة

٢٧٤ اللغة

٢٧٩ إبراهيم رمز الوحدہ

٢٧٩ هدى من الآيات:

٢٨٠ بينات من الآيات:

٢٨٠ كيف يختار الله رسله:

٢٨٤ الآثار الايجابية للعمل الصالح:

٢٨٤ السبيل الى فض الخلاف:

٢٨٧ مله إبراهيم:

٢٩١ التوحيد جوهر الوحدہ:

٢٩٤ [سوره البقره (٢): الآيات ١٤١ الى ١٥٠]

٢٩٤ اشارة

٢٩٤ اللغة

٢٩٨ القبلة رمز وحده الأمة

٢٩٨ هدى من الآيات:

٣٠٠ بينات من الآيات:

٣٠٠ الانفصال نقطه الانطلاق:

٣٠٣ لماذا لا تتوحد القبلة؟:

٣٠٥ كيف نضمن الفلاح؟:

٣٠٨ [سوره البقره (٢): الآيات ١٥١ الى ١٥٧]

٣٠٨ اشارة

٣٠٨ اللغة

٣١٠ و بشر الصابرين

٣١٠ هدى من الآيات:

٣١١ بينات من الآيات:

٣١١ اشارة

بماذا نستعين؟ ٣١٣

إذا أردت أن لا تموت: ٣١٤

[سوره البقره (٢): الآيات ١٥٨ الى ١٤٧] ٣١٧

اشاره ٣١٧

اللغه ٣١٧

كيف أخفى ٣٢٢

اشاره ٣٢٢

هدى من الآيات: ٣٢٢

بينات من الآيات: ٣٢٣

اشاره ٣٢٣

رساله العلم: ٣٢٤

جزاء علماء السوء: ٣٢٥

الثقافه التوحيديه: ٣٢٤

[سوره البقره (٢): الآيات ١٦٨ الى ١٧٧] ٣٣١

اشاره ٣٣١

اللغه ٣٣١

كيف نحطم أصنام الكفر؟ ٣٣٥

هدى من الآيات: ٣٣٥

بينات من الآيات: ٣٣٤

اشاره ٣٣٤

القوانين الشيطانيه: ٣٣٧

عبده الالباء: ٣٣٨

جزاء كتمان الحق: ٣٤٠

صفات علماء السوء ٣٤٢

[سوره البقره (٢): الآيات ١٧٨ الى ١٨٢] ٣٤٥

اشاره ٣٤٥

اللغه - ٣٤٥

فلسفه القصاص - ٣٤٧

هدى من الآيات: - ٣٤٧

بينات من الآيات: - ٣٤٨

اشاره - ٣٤٨

الوصيه و حق الأموال: - ٣٤٩

[سوره البقره (٢): الآيات ١٨٣ الى ١٨٩] - ٣٥٢

اشاره - ٣٥٢

اللغه - ٣٥٢

الصوم فلسفته و احكامه - ٣٥٥

هدى من الآيات: - ٣٥٥

بينات من الآيات: - ٣٥٦

اشاره - ٣٥٦

لماذا رمضان؟ - ٣٥٨

رمضان و الدعاء: - ٣٦٠

من أحكام الصوم: - ٣٦١

[سوره البقره (٢): الآيات ١٩٠ الى ١٩٥] - ٣٦٥

اشاره - ٣٦٥

اللغه - ٣٦٥

القتال فى الإسلام - ٣٦٧

اشاره - ٣٦٧

هدى من الآيات: - ٣٦٧

بينات من الآيات: - ٣٦٨

القتال لماذا و كيف؟ - ٣٦٨

الهدف الحضارى للقتال: - ٣٦٩

متى تحفظ الحرمات؟: - ٣٧٠

الإنفاق ضروره قتاليه: ٣٧١

[سوره البقره (٢): الآيات ١٩٦ الى ٢٠٣] ٣٧٢

اشاره ٣٧٢

اللغه ٣٧٢

الحج مدرسه التقوى ٣٧٥

هدى من الآيات: ٣٧٥

بينات من الآيات: ٣٧٦

اشاره ٣٧٦

الإحرام: ٣٧٨

ماذا بعد عمره التمتع؟: ٣٧٩

الإفاضه مسيره الإيمان: ٣٨١

كيف نربح الدنيا و الآخره؟: ٣٨٢

[سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢١٣] ٣٨٥

اشاره ٣٨٥

اللغه ٣٨٥

التقوى: ٣٨٨

اشاره ٣٨٨

هدى من الآيات: ٣٨٨

بينات من الآيات: ٣٨٩

اشاره ٣٨٩

الوحده ضروره جهاديه: ٣٩١

مسئوليه الحفاظ على الوحده: ٣٩٢

لماذا الاختلاف؟! ٣٩٣

[سوره البقره (٢): الآيات ٢١٤ الى ٢١٨] ٣٩٦

اشاره ٣٩٦

اللغه ٣٩٦

٣٩٩ أَلْفِتْنَةُ أَكْبَرَ مِنَ الْقَتْلِ -

٣٩٩ هدى من الآيات:

٤٠٠ بينات من الآيات:

٤٠٠ اشاره

٤٠١ الإنفاق سبيل التضحية:

٤٠٢ أَلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ :

٤٠٥ [سوره البقره (٢): الآيات ٢١٩ الى ٢٢٥]

٤٠٥ اشاره

٤٠٥ اللغه

٤٠٨ التقوى الاجتماعيه

٤٠٨ هدى من الآيات:

٤٠٩ بينات من الآيات:

٤٠٩ اشاره

٤١٠ التقوى و الحقوق الاجتماعيه:

٤١١ التقوى و حقوق المرأه:

٤١٣ حكم المقاربه فى الحيض:

٤١٦ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٦ الى ٢٣٢]

٤١٦ اشاره

٤١٦ اللغه

٤٢٠ واجبات العلاقه الزوجيه

٤٢٠ هدى من الآيات:

٤٢٢ بينات من الآيات:

٤٢٢ التقوى فى العلاقه الزوجيه:

٤٣٠ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٣٣ الى ٢٤٢]

٤٣٠ اشاره

٤٣٠ اللغه

٤٣٤ التقوى فى إداره البيت

٤٣٤ هدى من الآيات:

٤٣٤ بينات من الآيات:

٤٣٤ اشاره

٤٣٤ حق الزوج بعد الوفاء:

٤٣٧ كيف تختار زوجتك:

٤٤١ و قوموا لله قانتين:

٤٤٤ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٤٣ الى ٢٤٩]

٤٤٤ اشاره

٤٤٤ اللغه

٤٤٨ الحاكميه الالهيه

٤٤٨ هدى من الآيات:

٤٥٠ بينات من الآيات:

٤٥٠ اشاره

٤٥١ أمروا بالقتال فتولوا

٤٥٧ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٠ الى ٢٥٤]

٤٥٧ اشاره

٤٥٧ اللغه

٤٥٩ شروط الانتصار على العدو

٤٥٩ هدى من الآيات:

٤٥٩ بينات من الآيات:

٤٦٤ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٥ الى ٢٦٠]

٤٦٤ اشاره

٤٦٤ اللغه

٤٦٨ أسماء الله الحسنى

٤٦٨ هدى من الآيات:

٤٦٩ بينات من الآيات:

٤٧٨ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٦١ الى ٢٧٤]

٤٧٨ اشاره

٤٧٨ اللغه

٤٨٣ الإنفاق فى سبيل الله

٤٨٣ هدى من الآيات:

٤٨٤ بينات من الآيات:

٤٩٥ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٥ الى ٢٨١]

٤٩٥ اشاره

٤٩٥ اللغه

٤٩٧ الربا و الفساد الاقتصادى

٤٩٧ هدى من الآيات:

٤٩٨ بينات من الآيات:

٤٩٨ آثار الربا:

٥٠٠ ما هو العلاج؟

٥٠٢ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٨٢ الى ٢٨٣]

٥٠٢ اشاره

٥٠٤ العلاقة التكاملية بين

٥٠٤ اشاره

٥٠٤ هدى من الآيات:

٥٠٥ بينات من الآيات:

٥٠٥ كتابه الدين:

٥١٠ [سوره البقره (٢): الآيات ٢٨٤ الى ٢٨٦]

٥١٠ اشاره

٥١٠ اللغه

٥١٢ المسؤليه

٥١٢ اشارة

٥١٢ هدى من الآيات:

٥١٣ بينات من الآيات:

٥١٣ اشارة

٥١٥ إطار المسئوليات:

٥٢٠ سورة آل عمران

٥٢٠ اشارة

٥٢٢ فضل السوره:

٥٢٤ الإطار العام للسوره

٥٢٤ لما ذا الاسم؟

٥٢٥ ما هو الإطار العام؟

٥٢٨ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١ الى ٦]

٥٢٨ اشارة

٥٢٨ اللغه

٥٢٩ رسالات الله

٥٢٩ اشارة

٥٢٩ هدى من الآيات:

٥٢٩ بينات من الآيات:

٥٣٤ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٧ الى ١٣]

٥٣٤ اشارة

٥٣٤ اللغه

٥٣٦ حقائق القرآن

٥٣٦ اشارة

٥٣٦ هدى من الآيات:

٥٣٧ بينات من الآيات:

٥٣٧ كيف تكون الرساله عامه؟

- ٥٣٨ بين المحكم و المتشابه:
- ٥٣٨ لماذا الاختلاف فى الدين؟
- ٥٣٩ ما هو الزيغ؟:
- ٥٤٠ التأويل:
- ٥٤٠ الفتنة:
- ٥٤١ من يعلم التأويل؟:
- ٥٤١ الايمان قبل المعرفة
- ٥٤٣ الايمان باليوم الآخر..حجر الزاويه فى المعرفة:
- ٥٤٤ الاعتماد على الله فقط
- ٥٤٧ سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤ الى ٢٠
- ٥٤٧ اشاره
- ٥٤٧ اللغه
- ٥٤٩ الحياه
- ٥٤٩ اشاره
- ٥٤٩ هدى من الآيات:
- ٥٤٩ النفس البشريه بين العقل و الشهوه:
- ٥٥٢ معنى التقوى
- ٥٥٤ بين الوحده و التوحيد:
- ٥٥٨ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٥]
- ٥٥٨ اشاره
- ٥٥٩ نتائج ضعف الروح الدينيه
- ٥٥٩ هدى من الآيات:
- ٥٦٠ بينات من الآيات:
- ٥٦٠ كيف يتسافل الإنسان؟
- ٥٦١ تفسير الدين على الهوى:
- ٥٦٤ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٥٦٤ -..... اشارة

٥٦٤ -..... اللغة

٥٦٦ -..... القيادة الصحيحه

٥٦٦ -..... اشارة

٥٦٦ -..... هدى من الآيات:

٥٦٦ -..... بينات من الآيات:

٥٦٦ -..... لمن الملك؟لله

٥٦٧ -..... شموليه القدره الإلهيه:

٥٦٧ -..... بين مفهومى القدره و القيادة:

٥٦٩ -..... الجهاد وجه التوحيد البارز:

٥٧١ -..... [سوره آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٤١]

٥٧١ -..... اشارة

٥٧١ -..... اللغة

٥٧٤ -..... الجماهير تقديس الذوات

٥٧٤ -..... اشارة

٥٧٤ -..... هدى من الآيات:

٥٧٦ -..... بينات من الآيات:

٥٧٦ -..... كيف نحب الله؟:

٥٧٨ -..... فى رحاب الاختيار:

٥٧٩ -..... آثار التربيه على نمو الطفل:

٥٨٠ -..... كيف يختار الله الرسل؟:

٥٨٤ -..... [سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٥١]

٥٨٤ -..... اشارة

٥٨٤ -..... اللغة

٥٨٦ -..... رساله عيسى من ميزات

٥٨٦ -..... اشارة

- ٥٨٦ هدى من الآيات:
- ٥٨٧ بينات من الآيات:
- ٥٨٧ اشاره
- ٥٨٨ أسماء عيسى و خصائصه:
- ٥٩١ وحده الرسالات فى المبدأ و الهدف:
- ٥٩٣ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٢ الى ٥٩]
- ٥٩٣ اشاره
- ٥٩٥ بشريه الرسول
- ٥٩٥ اشاره
- ٥٩٥ هدى من الآيات
- ٥٩٦ بينات من الآيات:
- ٥٩٦ اشاره
- ٥٩٦ ميزان العاملين
- ٥٩٧ النهايه المعجزه
- ٥٩٩ فلتعتبروا يا أولى الألباب
- ٦٠١ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٠ الى ٦٨]
- ٦٠١ اشاره
- ٦٠١ اللغه
- ٦٠٣ الحق مقياس الصواب
- ٦٠٣ اشاره
- ٦٠٣ هدى من الآيات:
- ٦٠٤ بينات من الآيات:
- ٦٠٤ اشاره
- ٦٠٤ دلائل صدق الرساله
- ٦٠٥ المباهله وسيله لكشف الحق:
- ٦٠٧ تطبيق المبادئ وسيله الخلاص

٦١١ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٩ الى ٧٦]

٦١١ اشاره

٦١١ اللغة

٦١٣ مواقف أهل الكتاب

٦١٣ اشاره

٦١٣ هدى من الآيات:

٦١٤ بينات من الآيات:

٦١٤ نتائج التعصب:

٦١٩ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٧ الى ٨٥]

٦١٩ اشاره

٦١٩ اللغة

٦٢٢ العلماء بين

٦٢٢ اشاره

٦٢٢ هدى من الآيات:

٦٢٣ بينات من الآيات:

٦٢٣ الرسالة مسئوليات و واجبات:

٦٢٤ نتائج التحريف:

٦٢٨ الالتزام بالمسؤولية ضمان الاستقامه:

٦٣٢ [سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٦ الى ٩٢]

٦٣٢ اشاره

٦٣٢ اللغة

٦٣٤ الارتداد أقسامه و جزاؤه

٦٣٤ هدى من الآيات:

٦٣٥ بينات من الآيات:

٦٣٥ اشاره

٦٣٦ جزاء الارتداد:

- ٦٣٨ بين الرحمه و التوبه:
- ٦٤٠ سورة آل عمران (٣): الآيات ٩٣ الى ١٠٠
- ٦٤٠ اشاره
- ٦٤٠ اللغة
- ٦٤٢ العصبية عقبه الوحده
- ٦٤٢ اشاره
- ٦٤٢ هدى من الآيات:
- ٦٤٣ بينات من الآيات:
- ٦٤٣ تقديس الأشخاص يعرقل سبيل الوحده:
- ٦٤٤ من معانى الكفر:
- ٦٤٩ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠١ الى ١٠٨]
- ٦٤٩ اشاره
- ٦٤٩ اللغة
- ٦٥١ الوحده هاجس الامه الحضارى
- ٦٥١ هدى من الآيات:
- ٦٥٢ بينات من الآيات:
- ٦٥٢ الوحده بالاعتصام بالله:
- ٦٥٤ لا وحده الا بالعقيده:
- ٦٥٥ كيف نحافظ على الوحده:
- ٦٥٧ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٩ الى ١١٧]
- ٦٥٧ اشاره
- ٦٥٧ اللغة
- ٦٥٩ التزام القيم ضمانه الاستقامه
- ٦٥٩ هدى من الآيات:
- ٦٦٠ بينات من الآيات:
- ٦٦١ بين الفسق و الإيمان:

- ٦٦٧ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٨ الى ١٢٩]
- ٦٦٧ اشاره
- ٦٦٧ اللغة
- ٦٧٠ الموقف المبدئي من الكفار
- ٦٧٠ هدى من الآيات:
- ٦٧١ بينات من الآيات:
- ٦٧١ مبدئييه الوحده الإسلاميه:
- ٦٧٤ دروس من معركه بدر:
- ٦٧٩ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٠ الى ١٣٦]
- ٦٧٩ اشاره
- ٦٧٩ اللغة
- ٦٨١ السلوك الإيماني حصن الأمة
- ٦٨١ هدى من الآيات:
- ٦٨٢ بينات من الآيات:
- ٦٨٢ خطر الربا:
- ٦٨٤ كيف نفوز الجنة؟
- ٦٨٧ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٧ الى ١٤٨]
- ٦٨٧ اشاره
- ٦٨٧ اللغة
- ٦٩٠ لنعد الى..سنن التاريخ
- ٦٩٠ هدى من الآيات:
- ٦٩١ بينات من الآيات:
- ٦٩١ اشاره
- ٦٩٣ منافع الناس فى التضحيه:
- ٦٩٥ الجهاد و الأمانى الكاذبه:
- ٦٩٨ كيف قاتل الربيون:

٦٩٩ الدعاء سلاح المؤمن:

٧٠٠ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٩ الى ١٥٨]

٧٠٠ اشاره

٧٠٠ اللغة

٧٠٣ التضحيه

٧٠٣ اشاره

٧٠٣ هدى من الآيات:

٧٠٤ بينات من الآيات:

٧٠٤ التضحيه حصن المكاسب:

٧٠٧ عبر من الهزيمه:

٧١٠ دور الذنوب فى الهزيمه:

٧١٣ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٩ الى ١٦٤]

٧١٣ اشاره

٧١٣ اللغة

٧١٥ ظروف الهزيمه، و مسئوليات القيادة

٧١٥ هدى من الآيات:

٧٢١ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٥ الى ١٧٥]

٧٢١ اشاره

٧٢١ اللغة

٧٢٣ لماذا نخسر؟ و كيف نتنصر؟

٧٢٣ هدى من الآيات:

٧٣١ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٨٠]

٧٣١ اشاره

٧٣١ اللغة

٧٣٣ الرسالة الإلهيه

٧٣٣ اشاره

- ٧٣٣ هدى من الآيات:
- ٧٣٨ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨١ الى ١٨٩]
- ٧٣٨ اشاره
- ٧٣٨ اللغة
- ٧٤٠ صفات عبده العجل
- ٧٤٠ هدى من الآيات:
- ٧٤١ بينات من الآيات:
- ٧٤٧ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٠ الى ١٩٥]
- ٧٤٧ اشاره
- ٧٤٧ اللغة
- ٧٤٩ الرسائل بين التأمل الهادف
- ٧٤٩ اشاره
- ٧٤٩ هدى من الآيات:
- ٧٥٤ [سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٦ الى ٢٠٠]
- ٧٥٤ اشاره
- ٧٥٤ اللغة
- ٧٥٦ اصبروا و صابروا و رابطوا
- ٧٥٦ هدى من الآيات:
- ٧٥٧ بينات من الآيات:
- ٧٥٩ تعريف مركز

سرشناسه: مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور: من هدی القرآن / محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر: تهران: دار مجبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری: ج ۱۸

شابک: ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-۱۸؛ ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN ۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-۱۱۸۰۰۰۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

یادداشت: عربی

یادداشت: کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت: کتابنامه

موضوع: تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره: BP۹۸/م ۴م ۱۳۷۷۸

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص: ۱

اشاره

مقدمات

الفصل الاول:

اشاره

ما هو القرآن و لماذا ندعوا اليه -القرآن فى آيات الذكر -القرآن فى السنه -لما ذا ندعوا الى القرآن

ص: ١٣

قبل ان نبدأ تفسير القرآن الحكيم، لا بد من بحوث تمهيديه، نتناول عبرها كيفية التدبر فى آيات القرآن الحكيم، و التى تعتبر أيضا المنهج الذى اتبعته فى تفسير القرآن.

و قبل كل شىء نتساءل ما هو القرآن؟ و لماذا يعجز فهم البشر عن الاحاطه بأبعاد القرآن الحكيم؟ ان القرآن لم ينزل لجيل واحد أو لقرن، بل هو كلام الله العظيم الذى يمتد مع الزمن من يوم انشأه الله الى يوم يرث الأرض و من عليها. و يمتد مع البشريه من يوم نزل من السماء مكّملا لرسالات الله و حتى يوم البعث. لذلك فانه كتاب يسع الجميع و لا يسعه أحد.

و لأن البشر يتكامل فلا بد ان يبقى القرآن امامه دون ان يبلغه انى تقدم حضاريا أو توغل فى أفاق المعرفة، و إذا عجز العقل البشرى المحدود عن الاحاطه بأسرار القرآن

جميعاً، أفلا- تعجز لغته عن صفه القرآن؟ بلى. ان القرآن حين يصف نفسه يفتح أمامنا آفاقاً من المعرفة. إذا أوغلنا فيها فسوف نستطيع ان نعرف المزيد من خصائص القرآن و من صفاته المثلى.

و لا يعنى ذلك عجزنا عن معرفه اى شىء من القرآن، كلاً، بل يعنى ضروره السير قدماً فى آفاق المعرفة القرآنيه، دون ان نقف عند حد أو ان يصيبنا كلل.

ان القرآن هو الكتاب الوحيد الذى لا يتعب منه قارئه. و كلما ازداد تلاوه له كلما ازداد اليه شوقاً، لماذا؟ لأنه مع كل قراءه يجده طرياً جديداً، و يجد فيه علماً طارفاً، و أفقاً حديثاً، بلى، قد يتعب الإنسان فى استيعاب المزيد من معارف القرآن، دون ان يمل القرآن عن العطاء، و العطاء بغزاره. كما السحب الخيره المعطاءه، تفيض الأرض ببركاتها المستمره دون ان تتوقف هى عن العطاء.

اذن علينا ان نبحر فى محيط القرآن الواسع، الذى تتلاشى الشواطئ أمام أمواجه.

و نتساءل بماذا نستعين اذن فى فهم كتاب الله المجيد؟ و الجواب: بالقرآن ذاته، لأنه لم يترك بعداً فى المعارف الا و أوسع هدى و بينات و من أبرزها. البعد المختص بمعرفه القرآن ذاته.

فما هو القرآن و كيف وصف القرآن نفسه؟ أكثر من مائه آيه تبين خصائص القرآن. و إذا أضفنا إليها عشرات الآيات التى تحدثنا عن الشؤون المختلفه للقرآن الحكيم، فانه سيكون ذخيره علميه غنيه نحصل

بالتدبر فيها على معرفه واسعه بالقرآن. و بما اننا قد فسرنا هذه الآيات ضمن تفسيرنا الشامل للقرآن، فإن علينا و نحن فى بحوث تمهيديه للتفسير، ان علينا مجرد ذكر مجموعه من هذه الآيات لنذكر بعدئذ بعض الأحاديث الشريفه، التى تعتبر بحق شرحا للآيات القرآنيه، لأنها تستلهم منها النور و البصائر. اذن كيف وصف القرآن نفسه؟ القرآن نور، القرآن كتاب مبین، القرآن سلام، القرآن صراط مستقیم. هذه هى الصفات التى جاءت فى الآيه التالىة:

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (١٥-١٦ المائدة) و فى القرآن بصائر تعطى المؤمن قدره على رؤيه الحقائق مباشره، و من دون حجاب.

و فى القرآن هدى يبين الاتجاه السليم فى الحياه.

و فى القرآن رحمه و فلاح لمن آمن به و اتبع هداة.

هكذا جاء فى الآيه التالىة:

« هَذَا بَصِيرَاتٌ مِنَ رَبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » (٢٠٣/ الأعراف) و لا بد أن يتفكر الناس، لكى يحصلوا على المعرفه من خلال أمثال القرآن، هكذا يقول القرآن:

« لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ

الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» (٢١/الحشر) و لقد عجزت كل الأقاويل التي حاولت تفسير ظاهره القرآن، إلا انه وحى من الله فلا- هو بقول شاعر يسبح في غمرات احلامه، و لا هو بقول كاهن يتخرص فيقول كلاما مجملا لا يعنى من ورائه شيئا. هكذا يقول القرآن:

« فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَ مَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (٣٨-٤٢/الحاقه) و جاء القرآن ليتدبر فيه الناس، شريطه أن يفكوا عن قلوبهم أفعالها ليروا الحقيقه مباشره.

« أ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا» (٢٤/محمد) و من يتدبر فى القرآن يعرف انه من الله، لأنه لا اختلاف فيه:

« أ فَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (٨٢/النساء) و القرآن موعظه يهز اعماق الضمير، و القرآن شفاء يطهر الصدور من الحقد و الحسد و العقد:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (٥٧/يونس) و القرآن كتاب الله الذى أعجز الخلق عن ان يأتوا بمثله:

« قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (١٨٨/الإسراء)

وفى القرآن من كل مثل عبره، و من كل سبيل منار، و من كل علم درس، و لكل خير قدوه، و لكل معروف وسيله. يعطى لكل حادثه مثلاً سابقاً، و لكل ظاهره قانوناً عاماً، و لكل مشكله طارفه حلاً واقعياً تليداً:

« وَ لَقَدْ صَدَّرْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا » (الإسراء/ ٨٩) و القرآن آيات مبینات، القرآن مثل من واقع التاريخ الغابر للحاضر « وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَ مَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ » (النور/ ٣٤) و لو ان القرآن انزل على الجبال لخشعت، لأن القرآن يذكر الإنسان بالله الذى يخشاه كل شىء « لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ »

لقد تحدثنا في الدرس الذى مضى عن وصف القرآن لنفسه في آيات الذكر الحكيم. وها نحن نتحدث لكم عن وصف الحديث للقرآن. ولا ريب ان الحديث يعتبر شرحا وافيا أو مقتضبا لآيات الذكر الحكيم.

جاء في حديث مأثور عن عكرمه، ان ابن عباس كان يقول: «ان لله عز و جل حرمت ثلاث ليس مثلهن شىء: كتابه و هو نوره و حكمته، و بيته الذى جعله للناس قبله لا يقبل الله من أحد وجهها الى غيره، و عتره نبيكم».

و جاء في حديث مسند و مروى عن النبي، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «كأنى قد دعيت فأجبت، و انى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تبارك و تعالى جبل ممدود من السماء الى الأرض، و عترتى أهل بيتى، فانظروا كيف تخلفونى فيهما.»

فى حديث مسند آخر عن النبي صلى الله عليه و آله، قال رسول الله: «يا ايها الناس انكم فى زمان هدى و أنتم على ظهر سفر و السير بكم سريع فقد رأيتم الليل و النهار و الشمس

و القمر ييليان كل جديد و يقربان كل بعيد، و يأتیان بكل موعود، فأعدوا الجهاز لبعث المجاز».

فقام المقداد، فقال: يا رسول الله ما دار الهدنه فقال: «دار بلاء و انقطاع»، ثم أضاف النبي صلى الله عليه و آله قائلا: «فاذا التبتت عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع و ما حل مصدق».

«الماحل الذى يخبر السلطان عن رعيته سعايه (وشايه) فاذا أخبر القرآن ربنا المتعال عن عمل سىء قام به أحد العباد فان الرب سبحانه يصدقه».

ثم أضاف النبي صلى الله عليه و آله: «من جعله امامه قاده الى الجنه، و من جعله خلفه ساقه الى النار. و هو الدليل يدل على خير سبيل، و هو كتاب تفصيل و بيان تحصيل، و هو الفصل ليس بالهزل، له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم، ظاهره أنيق، و باطنه عميق، له تخوم على تخومه تخوم، لا تحصي عجائبه، و لا تبلى غرائبه.

فيه مصباح الهدى و منازل الحكمه و دليل على المعروف لمن عرفه. »

و يأتى رجل الى الامام الصادق عليه السلام و يسأل: ما بال القرآن لا يزداد على النشر و الدرر الا غضاضه؟ فيجيبه الامام ابو عبد الله عليه السلام قائلا: «لا ين الله تبارك و تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، و لا للناس دون ناس، فهو فى كل زمان جديد، و عند كل قوم غض الى يوم القيامة. »

قال الرسول صلى الله عليه و آله : «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»، و قال: «القرآن غنى لا - غنى دونه» و قال: «القرآن مؤدبه الله فتعلموا مؤدبته ما استطعتم. »

و قال الرسول صلى الله عليه و آله : «ان أردتم عيش السعداء و موت الشهداء و النجاه يوم الحسره، و الظل يوم الحرور، و الهدى يوم الضلاله، فادرسوا القرآن فانه كلام

الرحمن و حرز من الشيطان و رجحان فى الميزان. »

و وصف الامام على عليه السلام القرآن مره فقال: «عليكم بكتاب الله فانه جبل المتين، و النور المبين، و الشفاء النافع، و الرأى النافع، و العصمه للمتمسك، و النجاه للمتعلق، لا يعوج فيقوم، و لا يزيغ فيستعتب، و لا تخلقه كثره الرد، و لوج السمع.

من قال به صدق و من عمل به سبق. »

و قال أمير المؤمنين عليه السلام : « كتاب الله تبصرون به، و تسمعون به، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض . »

و الحارث الأعور من أصحاب الامام على عليه السلام يقول: دخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين إننا كنا عندك سمعنا الذى نسر به، و إذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفه، مغموسه، لا ندرى ما هى فقال: أو قد فعلوها، قلت: نعم، قال «سمعت رسول الله يقول: أتانى جبرئيل فقال: يا محمد سيكون فى أمتك فتنه.

قلت: فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير، و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل، من وليه جبار فعلم بغيره قصمه الله، و من التمس الهدى فى غيره أضله الله، و هو جبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم، و هو الصراط المستقيم، لا تزيغه الأهواء، و لا تلبسه الا لسنه، و لا يخلق عن الرد، و لا تنقضى عجائبه. » هكذا تصف الأحاديث الشريفه المرويه عن الرسول صلى الله عليه و آله، و عن الائمة الهداه تصف القرآن الحكيم.

نرجو من الله ان يوفقنا لاستيعاب هذه النصوص الكريمه و التفاعل مع القرآن انه ولى التوفيق و صلى الله على محمد و اله الطاهرين.

ص: ٢٢

فى سياق حديثنا عن البحوث التمهيديه لتفسير القرآن الحكيم،نطرح السؤال التالى:لما ذا ندعوا الى القرآن؟ أول سؤال يطرح علينا هو السؤال عن السبب الذى ندعوا من اجله للقرآن الحكيم،و الواقع ان هناك عدّه أسباب تفرض علينا العوده الى القرآن و التدبر فيه، و نحن إذ نذكر بعضها بصوره مقتضبه لا نملك سوى الاعتراف بعجزنا عن الاحاطه بها جميعا.

اولا:لكل منا رغباته المشروعه التى يتمنى ان يجد سبيلا مستقيما إليها، و القرآن الحكيم هو ذلك السبيل المستقيم المؤدى الى مصالح كل شخص و رغباته المشروعه.

و ليست اهميه القرآن و عظمته منحصره فى انه يحقق للناس رغباتهم و مصالحهم المشروعه و يهديهم إلى سبل السلام المؤديه الى مصالحهم،بل و أهم من ذلك،لأنه

يرسى قواعد للشخصيه المتكامله التي تستطيع بلوغ مآربها المشروعه بسهوله بالغه.

ثانيا: و مصالح الإنسان بدورها ليست سوى بعض تطلعاته الكبيره، و اما البعض الاخر فيمكن الحصول عليه في بحث الإنسان الدائم عن الحق و الخير و سعيه المستمر لتحقيقهما.

ان الإنسان يبتغى إقرار دعائم الحق كما يريد الوصول الى المصالح.

و أهم ما يصبوا اليه الإنسان هو التوفيق بين هدفه هذين و هو تحقيق الحق، و وصول المصلحه.

و القرآن هو ذلك الحق الذي يبتغيه البشر و يسعى من أجل معرفته و تنفيذه، و هو اضافه الى ذلك يهدى الإنسان الى التوفيق بينه و بين المصالح الخاصه.

و نعود و نتساءل، من منا لا يريد ان يكون إنسانا طيبا يتعد عن الجريمه و الفحشاء، و يلتزم الطرق المستقيمه و يتحلى بالسلوك الممتازه، و لكن كم واحد منا يستطيع ان يفعل ذلك؟ طبعا القليل فقط يستطيع ذلك لماذا؟ لان ضرورات العيش لا تدع فرصه للفرد للتفكير في الخير و الحق، و لكن القرآن يوفر هذه الفرصه، إذ انه يهدى البشر الى السبل القويمه للمصالح و التي لا تتنافى مع الخير و الحق، بل يتكامل معهما.

ثالثا: نصطدم في حياتنا بعده مشاكل فمن صديق ينقلب علينا و من قريب يشاكسنا، و من خساره تفاجئنا و قد تصل بنا المشاكل الى حد الخروج عن محور الضبط.

و بالتالى الانهيار في هاويه اليأس و الضياع.

و لكن القرآن الحكيم يضع الحلول الحاسمه للمشاكل جميعا بل و أكثر من ذلك يصنع الإنسان الذى هو قادر على وضع الحلول المناسبه فى الوقت المناسب.

و هذا حول الاجابه عن السؤال التالى:

لما ذا نحن أساسا ندعوا الى القرآن الحكيم؟ و لكن الدعوه الى القرآن شىء. و الاستفادة منه شىء آخر، نحن بالاضافه الى دعوتنا الى القرآن، ندعوا الى التدبر فيه لماذا؟ لان التدبر فى القرآن هو الطريق المستقيم الى العمل به، و لا يعمل بالقرآن غير ذلك الذى يتدبر فى آياته الكريمه فيفهم محتواه.

ان التدبر فى القرآن يعطى للإنسان فرصه لفهم محتوى القرآن الحكيم، لان الله سبحانه و تعالى أودع فى كتابه الكريم نورا يهدى البشر الى ربه العظيم فيؤمن به، و بعد الايمان يطبق شرائعه.

من هنا ليس على الإنسان سوى امر واحد هو الانفتاح على القرآن و استعداد التفهم له و هذا يكون بالتدبر فيه.

يقول الله سبحانه و تعالى:

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

ان القرآن ذاته نور و ليس علينا امام النور، الا ان نفتح أعيننا، و ان نستقبل أمواج النور، و ان نرى بالنور كل الأشياء.

ان الكفار و الفاسقين، اختاروا لأنفسهم العمى فلم يفتحوا أعينهم على النور

المبين، و عملوا المستحيل فى سبيل حجب النور الباهر عن التسرب الى قلوبهم خوفا من امكانه تاثيرهم به و تنورهم بشعاعه الكبير.

لقد كان الكفار يتواصون بهذه المقوله التى نقلها القرآن الحكيم عنهم:

« وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ » .

انهم كانوا يحذرون من النور و يتهربون منه و لقد جاء أحدهم الى الرسول يسأله عن قرآنه، فلما تلى النبى بعض آيات الكتاب ضعف الرجل و شد على فم الرسول صلى الله عليه و آله بيده قائلا: انا أناشدك الله و الرحم الا تسكت.

ثم تولى الى قومه قائلا انه سحر يؤثر.

انه لم يستطع الصبر على تيار النور الذى كاد يلف قلبه لذلك اسكت النبى و تولى هاربا.

ان المطلوب من الإنسان هو الانفتاح على القرآن و استماع آياته بتدبر و تجرد.

اذن سوف يجد المرء كيف تحدث المعجزه.

لقد حاول رجل مجرم ان يتسلق جدارا لينهب المال و يغتصب النساء فسمع صوتا ينبعث من داخل البيت و يتلو هذه الآيه الكريمة:

« أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ » .

فاستمع الى الآيه بضع ثوان ثم انفجر باكيا و قال: بلى آن الوقت الذى يخشع قلبى القاسى لذكر الله. و ما نزل من الحق، بلى آن فهبط من الجدار و تولى بوجهه شطر المسجد و اعتكف فيه الى الأبد، ان تدبر هذا الرجل فى آيه واحده حوله من مجرم

متمرس بالجريمه الى معتكف فى محراب العباده، فكيف إذا تدبر الإنسان فى كل القرآن أ فلا يتحول من رجل الى ملك؟ بل والى من هو فوق درجات الملك.

نرجو من الله ان يجعلنا من الذين يتدبرون فى القرآن، و فى آياته الكريمة و يحصلون منها على النور المبين انه ولى التوفيق.

ص: ٢٧

مسائل قرآنيه - ضروره التدبر فى القرآن - القرآن و التفسير بالرأى - القرآن بين التركيه و التعليم - القرآن الحكيم بين الظاهر و الباطن - القرآن الحكيم بين المحكم و المتشابه - القرآن الحكيم و الأحرف السبعه - القرآن الحكيم و إثبات معانيه

ضروره التدبر فى القرآن

هذه هى فوائد القرآن. وهى بالذات الأسباب التى تدعوننا إلى التدبر فيه. لأن القرآن لا يفيد إلا من عمل به.. ولا يعمل به سوى الذى يتدبر فيه فيفهم.

بل ان التدبر فى القرآن هى الوسيله الوحيده للعمل به. إذ أن الله تعالى أودع كتابه الكريم-نورا يهدى البشر إلى ربه العظيم. فيؤمن به-و بعد الايمان يطبق شرائعه، من هنا ليس على الإنسان سوى أمر واحد هو الانفتاح على القرآن.

و استعداد التفهم له. وهذا يكون بالتدبر فيه.

يقول الله سبحانه:

«..قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٥٦).

ان القرآن ذاته نور، وليس علينا امام النور إلا أن نفتح أبصارنا لنراه، ونرى به

الأشياء جميعا.

و التدبر فى القرآن. لا يعنى تحميل آياته الكريمة، آراء و أفكارا اضافيه كلاً. بل التسليم لعلوم القرآن، و التأمل فى معانى آياته و تبصر الحياه عبرها، و السعى نحو فهم حقائق الطبيعه، و آفاق النفس بها.

و هنا يمكن الفرق بين تفسير القرآن بالرأى الذى نهى عنه الدين أشد النهى.

و بين التدبر فى القرآن الذى أكد عليه الدين أشد تأكيد.

و قد اختلط على البعض هذان الأمران. فحجب عن نفسه نور الفرقان زاعما أنه فوق مستواه.

بلى إن البشر لا يرقى الى مستوى القرآن، و لكن شعاعه كما الشمس لا تزال تشرق على العيون البصيره. فمن احتجب عنه باتباع هوى. أو تفسير برأى، فقد ضلّ عنه و من سلم له، و فرغ قلبه من كل فكره سابقه حين يقرأه، فان الله يهديه سواء السبيل.

يقول العلامة الطبرسى و هو يشرح الفرق بين التفسير بالرأى و التدبر فى الذكر.

و اعلم ان الخبر قد صح

عن النبى صلى الله عليه و آله و عن الأئمه القائمين مقامه عليه السلام ان تفسير القرآن لا- يجوز الا- بالأثر الصحيح، و النص الصريح، و

روت العامه أيضا عن النبى صلى الله عليه و آله انه قال من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ، قالوا و كره جماعه من التابعين القول فى القرآن بالرأى كسعيد بن المسيّب و عبيده السلمانى و نافع و سالم بن عبد الله و غيرهم و القول فى ذلك ان الله سبحانه ندب الى الاستنباط و أوضح السبيل اليه و مدح أقواما عليه فقال لعلمه الذين يستنبطونه منهم و ذم آخرين على ترك تدبره و الإضراب عن التفكير فيه فقال أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا و ذكر ان القرآن منزل بلسان العرب فقال إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا، و

قال

ص: ٣٢

النبي صلى الله عليه وآله إذا جاءكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فاقبلوه و ما خالفه فاضربوا به عرض الحائط فبين أن الكتاب حجه و معروض عليه و كيف يمكن العرض عليه و هو غير مفهوم المعنى فهذا و أمثاله يدل على ان الخبر متروك الظاهر فيكون معناه ان صح أن من حمل القرآن على رأيه و لم يعمل بشواهد ألفاظه فأصاب الحق فقد أخطأ الدليل و

قد روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه و روى عن عبد الله بن عباس انه قسم وجوه التفسير على أربعة أقسام تفسير لا يعذر أحد بجهالته و تفسير تعرفه العرب بكلامها و تفسير يعلمه العلماء و تفسير لا يعرفه إلا الله عز و جل، فأما الذى لا يعذر أحد بجهالته فهو ما يلزم الكافه من الشرائع التى فى القرآن و جمل دلائل التوحيد، و أما الذى تعرفه العرب بلسانها فهو حقائق اللغة و موضوع كلامهم، و أما الذى يعلمه العلماء فهو تأويل المتشابه و فروع الأحكام، و أما الذى لا يعلمه إلا الله فهو ما يجرى مجرى الغيوب و قيام الساعة. (١)

ص: ٣٣

١-١) مجمع البيان فى تفسير القرآن ج ١ ص ١٣.

يزعم فريق من المسلمين أن التدبر فى القرآن، غير مسموح به إلا للذى أوتى نصيبا كبيرا من العلم و يستندون فى زعمهم هذا- الى بعض الروايات المأثوره التى نهت الناس عن تفسير القرآن بالرأى.

و لكن هذا الزعم غير منطقى أبدا. إذ أن الله كان أعلم بكتابه، و بخلقه حيث أمرهم بالتدبر فى آيات القرآن. بل حيث خاطب بالقرآن كل إنسان و فى كل أرض و فى كل عصر.

يقول الله سبحانه فى كتابه:

« هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ * وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ » (٣٣٨).

و هل يمكن أن يبعث الله بيانا للناس جميعا، ثم ينهاهم عن التفهم له، أو التدبر فيه، إذا فما فائده البيان؟

ان خطابات القرآن-تهتف بالناس كافة و تقول يا أيها الناس-أو بالمؤمنين جميعا.و تقول يا أيها الذين آمنوا،و هذا يعنى أن الله يريدهم أن يسمعوا كلامه.

و يتفهموه.فهل نستطيع أن نزعم أنه لا-يجوز التدبر فيه؟ و لا-يمكن أن نقول ان الروايات تنهى عن التدبر الذى أمر به الله.بل الأ-كثر منطقيه القول بأن الروايات نهت عن شىء،و الآ-يه أمرت بشىء آخر،أو أن الروايات بينت حدود التدبر التى لا يجوز التجاوز عنها.

فأى شىء نهت عنه الروايات؟ الواقع أن على الإنسان أن يتبع الحق الذى يعرفه و يدع الذى لا يعرفه،إن الله سبحانه يقول:

« وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » (١٧/٣٦).

و كذلك لا يجوز على الإنسان-فى شريعته الإسلام-ان يقول شيئا لا يعلم به.

قال الله سبحانه:

« وَ أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » (٢٦٩).

و قد اعتبر القرآن القول بغير علم كبيره يعظمها الله و يستحقها العباد،فقال تعالى:

« وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ » (٢٤٥).

و من هنا لا يجوز أن ننسب فكره أو عملا لأحد،ما لم نتأكد يقينا انتسابهما

إليه. كذلك لا يجوز تفسير كلام أى فرد إلا بعد التأكد من إرادته فعلا لما نفسره، و إلا اعتبر ذلك نوعا من التحريف فى كلامه و ضربا من التهمه.

و تشتد خطوره الأمر بالنسبه لله العظيم، فأى قول ينسب إليه يجب أن تتأكد بالعلم اليقين أنه قاله و الا كنا قد افترينا على الله كذبا، « إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ » (١٦١٦).

و كذلك اى تفسير لكلام الله المجيد لا نعلم يقينا مطابقته للواقع يعد نوعا من الافتراء على الله. لأنه يعتبر ضربا من نسبه القول إليه دون التأكد من ذلك.

و كان فى الأمه الاسلاميه-و لم يزل-فريق يريدون أن يستغلوا الدين لمصالحهم الشخصيه-أو يستخدموه لاثبات أهوائهم المضله-و هكذا بيدءون بتفسير الآيات القرآنيه حسب آرائهم الخاصه. إن هؤلاء-يريدون أن يجعلوا كتاب الله- تابعا لأفكارهم فيحملونها ما لا تحتمل.

و قد أراد الإسلام-تطويق هذا الفريق،فجاء فى الكتاب:

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ. وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » (٣/٧) (١).

هكذا وضح القرآن نوايا هذا الفريق الفاسده و نهى-بشكل قاطع-عن تأويل القرآن للوصول الى الأغراض الفاسده.

ص: ٣٤

١- ١) سنتحدث-بإذن الله-عن المحكم و المتشابه فى بعض الصفحات القادمه.

و جاءت الروايات تنهى عما نهت عنه الآيه أيضا. و لكن بتعبير آخر و هو (التفسير بالرأى) و الذى يعنى القول حسب الهوى الشخصى. و هو يقابل التفسير وفق الحق و الواقع. بالرغم من ان القول بالرأى-بصفه عامه أو تفسير أى كلام منسوب الى أحد حسب الرأى-هو الآخر محرم-فان كل ذلك بالنسبه الى كلام الله-الحكيم يعتبر أشد حرمة، لذلك خصت الروايات هذا الأمر بالذكر-و هو غير خارج عن القواعد العامه.

و إليك بعض تلك الروايات.

عن الامام الصادق عليه السلام : «من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، و أن اخطأ فهوى-أبعد من السماء» (١).

و روى عن النبي صلى الله عليه و آله : «من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد اخطأ» (٢).

و روى عنه أيضا أنه قال: «من فسّر القرآن برأيه بوء مقعده من النار.» إذا فهناك حقيقه لا-ريب فيها هي أن القول بالرأى-خصوصا فى تفسير القرآن الحكيم-حرام أشد ما تكون الحرمة.

و لكن لا يرتبط ذلك بالتدبر فى القرآن إذ التدبر-هو التفكير المركز فى الآيه لمعرفة الحقيقه التى تذكر بها معرفه تعيينيه.

فالتدبر-إنما هو لتحصيل العلم بالقرآن،حتى لا يقول الإنسان برأيه فى تفسير القرآن و إنما بالعلم.

ص: ٣٧

١-٢) تفسير الصافى-الجزء الاول ص ٢١

٢-٣) المصدر

للقرآن الحكيم هدفان اساسيان لو عرفناهما عرفنا بعض الجوانب الغامضه منه، و هما تزكيه الناس و تعليمهم. لقد أشار الكتاب إلى هدفه هذين- فى قوله سبحانه:

« هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » (الجمعه ٢/).

فالآيات القرآنيه التى تتلى على الأميين تهدف- تزكيتهم- ثم تعليمهم الكتاب و الحكمة.

فما هو الفرق بين «التزكيه» و «التعليم» و كيف أن القرآن يجمع بينهما مره واحده؟ ١- التزكيه- هى تنظيف النفس البشريه من رواسبها الجاهليه سواء كانت من نوع الأفكار الباطله، أو المعتقدات الفاسده، أو الأخلاق السيئه.

التزكيه هى تربيته الإنسان المتكامل الذى يفجر طاقاته العقلية و الجسديه جميعا

باتجاه الخير و الحق.

و كلمه التزكيه مشتقه من الزكاه و هى الطهاره. و أساس التزكيه تقويه الاراده البشريه، و تحكيم حس التحرر من الأهواء و الشهوات. تحكيمه فى سلوكه.

و لا تهدف التزكيه أكثر من تطهير البشر و تنظيفه.

بينما التعليم يهدف-إضافه «المعارف» الجديده للإنسان-لدفع عجله البشر إلى الامام. و هو يعتمد على طاقه العقل الكامنه فيه.

فالعلاقه بين التزكيه و التعليم تشبه إلى حد بعيد العلاقه بين تنظيف ماكنه السياره و بين وضع الوقود فيها. إذ التنظيف يغسل المواد الضاره و الوقود يضيف مواد جديده.

فوقود الانسانيه فى مسيرتها الحضاريه العلم. و لكن هذا الوقود لا ينفذ بدون تنظيف ماكنه الإنسان من الأخلاق الفاسده و الأفكار الباطله.

من هنا تكتمل عمليه التزكيه-عمليه التعليم و تأتى الواحده تتمه للأخرى.

٢- أما كيف يجمع القرآن بين التزكيه و التعليم؟ فهذا يجب ان نبحث فيه عبر عدّه نقاط:

(أ): أن القرآن الحكيم يوجه الناس إلى الحق، بالحق ذاته، فلا يجعل الباطل و سيله لدعوه الناس إلى الحق شأن سائر الكتب التربويه التى قليلا- ما تنظر إلى الوسيله التى تحقق الهدف التربوى، من هنا يبين القرآن الحكيم السنن الكونيه و القوانين الفطريه التى تحكم الحياه و توجه الناس إلى معرفتها لكى يزكوا أنفسهم بمعرفتها.

ص: ٣٩

و توجيه القرآن نحو هذه السنن و القوانين يهدف أمرين:

الأول: هدايه الناس إلى طريق صلاحهم و الذى لا يعدو أن يكون التوفيق بين حياتهم و بين متطلبات السنن العامه.

الثانى: تعليم الناس لتلك السنن. و من الطبيعى أن يختفى الهدف الثانى من ظاهر القرآن، إذ أن سياق الكتاب-يسير باتجاه التزكيه-مما ينبى عن انها الهدف الوحيد الذى ينشده القرآن و لكن بالرغم من ذلك فان نظره فاحصه تهدينا إلى البيانات العلميه التى تنطوى عليها الآيات. فمثلا فى سوره الرعد نجد الآيه الكريمه:

« إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ » (١٣١).

انها حقيقه تربويه يتعرض إليها الكتاب لتثبيت المسئوليه الشخصيه فى نفوس الأمه.

و قبل هذه الآيه و بعدها-تذكرات-بهذه الحقيقه.

و لكن النظره الفاحصه تهدينا إلى وجود ما هو اشمل-و أوسع دلالة-فى هذه الآيه. انه القانون الاجتماعى الذى يربط بين الحضاره و بين تطوير الصفات النفسيه. و يقول كلما كثر بناء قوم على هدمهم. كلما تقدمت بهم الحضاره-و لا يكثر البناء على الهدم على صعيد الواقع إلا بعد وجود قابليه نفسيه مناسبه على صعيد الذات.

لقد جعل هذا القانون العلمى فى هذه الآيه وسيله، لتزكيه الإنسان و تحمليه مسئوليته الكامله تجاه التطورات الخارجيه.

و نلاحظ وجود منعطف صارخ فى سياق بعض الآيات-الهدف منه-بيان حقيقه علميه ترتبط بواقع التركيزه التى يهدفها ظاهر السياق.

فمثلا يقول الله سبحانه:

« وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ * وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ * وَ لَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ » (الشورى ٢٦-٢٨).

نرى فى السياق منعطفًا صارخًا عند قوله سبحانه:

« وَ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ » .

حيث لا يرتبط ظاهرا بما قبله من قوله تعالى:

« وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » .

و بما بعده من قوله سبحانه:

« وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا » .

و وضع هذا المنعطف إنما هو لبيان سنه فطريه تجرى فى العباد هى فقدهم للتوازن إذا ثقلت عليهم النعم-باعتبار ان النعمه بحاجه الى قدر من التحمل و الضبط،ربما بقدر أو أكثر مما تحتاج النقمه إليها.

ان إبداع هذا المنعطف فى سياق الآيه الذى يبدو مستقيما بدونه-إنما هو لهدف بيان الحقيقه العلميه،فى ثنايا التوجيه النفسى ليس فقط من أجل توظيفها فى خدمه

التركيبه، بل و أيضا من أجل بيانها للناس.

(ب): و الأسلوب التربوى الذى يتبعه القرآن الحكيم- فى تزكيه النفس - أسلوب علمى بذاته. إنه أسلوب مرحلى يتابع مراحل التركيبه، بما يتناسب معها من الأثاره العاطفيه، و التوجيه الفكرى و الزخم الايمانى إنه أسلوب يربط-بحكمه بالغه- بين الفكره الموظفه و الهدف المنشود.

و بكلمه إن البشريه تسعى منذ قرون فى سبيل وضع مناهج علميه للتربيه.

و القرآن سبق البشريه جميعا فى استخدام كل هذه المناهج و غيرها مما يطول بيانها تفصيلا.

و هذا يهدينا الى حقيقتين:

١- ان يوسعنا معرفه المناهج العلميه الأصوب عن طريق تتبع المناهج القرآنيه آيه بآيه، و موضوعا بموضوع.

٢- ان يوسعنا الانطلاق من نقطه واحده فى دراسه هذه المناهج إلى قاعده شامله عند ملاحظتنا للقرآن الحكيم تماما، مثل انطلاق المهندس القدير من النظر إلى عماره واحده إلى معرفه القاعده الهندسيه التى قامت وفقها هذه العماره. و مثل تفهم الطبيب الحاذق من وصفه طبيه القاعده العلميه التى استند إليها ذلك الذى كتبها - و هكذا..

فمعرفه المناهج قد تهدينا الى السنن الفطريه التى روعيت عند وضع هذه المناهج و بالتالى نستطيع فهم السنن هذه.

القرآن الحكيم بين الظاهر و الباطن

بعد ان تعرفنا على خطى القرآن المتشابكين خط التزكيه و خط التعليم، و عرفنا ان الهدف الأهم الذى يبدو من سياق آيات القرآن هى التزكيه، بعد ذلك نستطيع أن نهتدى إلى الظاهر و الباطن.

فالظاهر هى التزكيه، بينما الباطن هو التعليم.

و قد جاء فى حديث مأثور: «ان ظاهر القرآن حكم و باطنه علم» و الحكم هى الشريعه مع موجبات تنفيذها من ترغيب و ترهيب و قصص و أمثال. بينما العلم - هى السنن الفطريه التى بينها القرآن المجيد. و القوانين العلميه التى أشار إليها.

و جاء فى حديث آخر: «ظهر القرآن الذى نزل فيهم و بطنه الذين عملوا بمثل أعمالهم» (١).

ص: ٤٣

و من المعروف ان قصه الذين نزل فيهم القرآن تعتبر الجانب التربوي منه، و لكنه حينما ينتزع القرآن من القصص سننا عامه تشمل الذين نزل فيهم و تسع الذين عملوا بمثل أعمالهم. تعتبر-آنثد-تلك السنن علما بالتاريخ أو الاجتماع أو ما أشبه.

و جاء في حديث آخر: ان رجلا قال: سألت الامام عما يعنى بقوله: للقرآن ظهر و بطن؟ قال: «ظهره تنزيله و بطنه تأويله، منه ما مضى و منه ما لم يكن بعد يجرى كما يجرى الشمس و القمر، كلما جاء منه شىء وقع.» و هذا الحديث يؤكد معنى الحديث الأول-و يتظافران على ان تنزيل القرآن هو الظاهر الذى يدل على اللفظ بينما التأويل و هو أيضا بطن القرآن-إنما هو الواقع العلمى الذى يهدى إليه الظاهر و ينطبق على كل من يشارك مع أولئك فى أعمالهم.

و قد عبرت بعض الأحاديث عن علوم القرآن ب(البطن) لأنها تخفى على الناس، ثم تظهر بالتدبر، و حسب اختلاف الناس-من النواحي العقلية و العلمية تختلف درجات الخفاء-حتى يعتبر الواقع الواحد، ظهرا بالنسبة إلى فريق، و بطنا بالنسبة إلى فريق آخر. لذلك تعددت البطون و الأظهر بقدر تعدد درجات الناس فى العقل و العلم.

و جاء فى حديث: ان رجلا قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، عن شىء من تفسير القرآن، فأجابنى. ثم سألته ثانية فأجابنى بجواب آخر فقلت: جعلت فداك، كنت أجبت فى هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم. فقال لى: «يا جابر، ان للقرآن بطنا و للبطن بطنا و ظهرا و للظهر ظهرا.» و هكذا فسّر الامام عليه السلام آيه واحده عدّه تفاسير حسب درجات السائل-إذ أنه حينما عرف تفسيراً يشرح ظاهر القرآن استعداد علمياً، لمعرفة تفسير يشرح بطنه.

بهذا نعرف معنى عدّه أحاديث مأثوره تقول ان للقرآن سبعة ابطن أو سبعون بطناً. و بهذا أيضا نعرف قيمه التدبر باعتباره الكاشف لبطون القرآن كلما تدبرت كلما ازددت علماً.

بين المحكم و المتشابه

لأن القرآن المجيد خطاب مباشر من الله خالق كل إنسان و إلى كل إنسان فلا بد أن يكون مفهوما لهم جميعا. بقدر ما يكون مهيمنا عليهم يكون مفهوما، لأنه خطاب و يكون مهيمنا لأنه من الله.

و لأن الناس درجات فى العلم و الايمان، فلا بد ان تكون آيات القرآن درجات فتنشأ المشكله، حيث تكون الدرجه العالیه غير مفهومه لمن هم فى الدرجات الدنيا.

و هنا يتدخل القرآن ذاته لحل هذه المشكله بأن يوقف هؤلاء الناس عند حدّهم و يأمرهم بترك الآيه غير المفهومه لهم. تركها لمن يفهمونها ممن تتناسب درجاتهم معها بينما يكون عليهم ان يستوحوا من تلك الآيات التى تنالها افكارهم و تتفق مع مستوى نضجهم، و القرآن الحكيم. يسمى الآيه المفهومه ب(المحكم) بينما يدعوا الآيه التى هى أعلى من مستوى فهم القارئ ب(المتشابه) و يأمر الناس باتباع المحكم و ترك المتشابه.

و من هنا نعرف أن ليس الناس سواء في المحكم و المتشابه. إذ ان المحكم الذى يبدو واضحاً عند فرد-لأنه فى مستوى فهمه- يكون متشابهاً عند فرد آخر، لأنه أعلى من مستواه.

من هنا

جاء فى الحديث فى تفسير المتشابه بأنه: «ما أشبه على جاهه» و عليه يجب على من لم يؤت فهم آيه عليه أمران:

١- أن يقف عند الآيه. و لا يصيبه الغرور فيزعم انه قادر على فهم الآيه، فيفسرها برأيه فيضل و يضل الآخرين.

٢- ان يلتمس من هو أعلى درجه منه لعله يتعلم منه معنى الآيه. و لو لم يفهم -حتى مع التعليم- فعليه ان يدع علمه إلى أهله.

هذه الحقائق هى التى تذكر بها الآيه الكريمة التى تقول:

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ - هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ - وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ - فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ » (٣/٧).

و جاء فى الحديث: عن الامام الصادق عليه السلام: «أن القرآن فيه محكم و متشابه، فأما المحكم فنؤمن به و نعمل به و ندين به، و أما المتشابه فنؤمن به و لا نعمل به» (١).

ص: ٤٤

جاء فى حديث شريف: «نزل القرآن على سبعة أحرف أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و قصص، و مثل» (١).

و جاء فى حديث آخر: «ان الله تبارك و تعالى انزل القرآن على سبعة أقسام كل قسم منها كاف شاف و هى: أمر، و زجر، و ترغيب، و ترهيب، و جدل، و مثل، و قصص» (٢).

و قد تظافت الأحاديث، التى تقول ان القرآن نزل على سبعة أحرف. و ذهب فريق من المسلمين إلى تفاسير بعيدة لهذه الكلمه فقد قال بعضهم: ان الله اوحى سبع مرات، سبع كتب كلها قرآن.

بيد ان الجانب التربوى الذى يهدفه سياق ظاهر القرآن بحاجه إلى هذه

ص: ٤٧

١-١) تفسير الصافى ج ١ ص ٣٩

٢-٢) نفس المصدر

الأحرف-السبعه-فقسم منه امر بالخير و قسم نهى عن شر. و قسما من ترغيب لمن عمل بالخير و وعد له بالجنه-و الفلاح-و ترهيب لمن اقترف الشر و وعيد له بالنار و الشقاء. كل ذلك ليكون قوه تنفيذيه-نابعه من ذات الآيه.

يبقى الجدل، و هو ضرورى فى كتاب يحمل سمه العقيده لأن هناك شبهات راسخه فى قلوب البسطاء يجب تصفيتها قبل البدء بتزكيه النفس-و طريقه التصفيه الجدل-و المناقشه الهادفه.

و للقرآن سمه هامه تطبع جميع مناحيها. و هى سمه الحيويه التى تجعل من الفكره-واقعا يتحرك أمام أعين الناس و تتحقق هذه السمه بواحد من اثنتين: إما القصص التاريخيه التى لها حقيقه مضت، و إما الأمثال التى لا حقيقه خارجيه لها.

و هذا التقسيم فى القرآن الحكيم-سيعطينا فرصه لفهم كتاب الله إذ أن مجرد تقسيم نص-إى نص كان يعطى الفرد قدره هائله على اكتشاف خفاياه!

ما هي الإبتات اللغويه التي يمكننا الاعتماد عليها في فهم القرآن الحكيم؟ نرى ثلاثه إبتات رئيسيه لمعنى القرآن: اللغه، و السياق، و التفسير المضمون.

(أ) اللغه:

بالرغم من أن اللغه العربيه، أشمل و أدق و أجمل اللغات في انها تعطي لكل حقيقه لفظا قريبا يتناسب معها تماما، و بالرغم من أن العرب اختاروا لكل تطور ينشأ في شيء-لفظا يخصصه- و يوحى إلى تلك الحقيقه متلبسه بذلك التطور.

بالرغم من هذا و ذاك فان الكلمات العربيه اكتنفها الغموض، مما أفقد إحياء اللفظ و ضلاله. فلم نعد-نحن العرب-نملك رهافه الحس التي كانت تكشف الفرق ما بين لفظتي «قرب-اقترب» أو «فكر-افتكر» حتى لم نعد نعرف الفرق بين كلمتي سار و سارب و «دلك و أولج» و ما أشبه.

و يعود ذلك الى:

ص: ٤٩

-أولاً: كثره استعمال الألفاظ في غير معانيها الأدبية، فحينما يستعمل العربي كلمة قرب في المجال المحدد لـ«اقتراب» أو حتى كلمة سار في موضع كلمة سارب، يختلط ظلال الكلمتين مع بعضهما-و تضيع الإيحاءات الخاصة.

-ثانياً: تعلقنا أذهاننا بمعاني جامده و محدده لألفاظ عربيه، و فقدنا الشعور بمحور شعاع الكلمه، نحن حينما نستعمل كلمة «جن» يتبادر الى أذهاننا المخلوق الغريب، دون ان نفكر و لا- لحظه حول ارتباط كلمه «ج ن ن» مع هذا المخلوق و نستعمل كلمة جنين دون أن نعرف أن هناك علاقه تناسب مع معنى الولد في بطن أمه- (جنين) و معنى المخلوق الغريب (جن) و هي أن كليهما مستور عن أعين الناس.

و كذلك نطلق لفظه الخمر للدلاله على السائل المسكر، و نطلق لفظه الخمار- للدلاله على الساتر لوجه المرأه، و لا نلاحظ ان علاقه اللفظين ببعضهما إنما هي من ناحيه الستر، فهذا يستر الوجه، و تلك تستر العقل.

و هكذا تتداخل ايحاءات اللفظ العربي ببعضها و نفقد بذلك فهم أهم سمه من سمات اللغه العربيه التي لو فهمناها يسهل علينا فهم القرآن كثيرا.

من هنا يتوجب علينا الخروج من الفهم التقليدي للألفاظ العربيه- نحو أفق اسمي، يستشم المعنى الايحائي العام منها.

و هذا الخروج ضروري لفهم القرآن الحكيم إذ أنه في قمه البلاغه التي تتلخص في رعايه التناسب الشامل بين الموضوع-و اللفظ و بين الواقع و التعبير. فيكون كشف المنحنيات التعبيرية و الإيحاءات اللفظيه ذات أهميه خاصه في القرآن أكثر من أى كتاب آخر لأنها معنيه فيه بشكل لا يوصف.

يبقى السؤال عن كيفية الخروج؟ و الجواب:على الفرد:

١- أن يتجرد أولا عن موحيات المناخ الفكرى الذى يصور له-معنى جامدا للفظ.

٢-ثم الرجوع الى المادة الأساسيه التى تجمع كل التصريفات للكلمه، و التفكير فى المعنى المناسب لربط هذه المجموعه باللفظ،فمثلا:يجمع معانى يعرشون،عرشا،معروشات و نعود الى تصريفات اللفظ الاخرى،عريش،و عرش و ما أشبه لنستنبط منها جميعا معنى البناء الفوقى لأنه يجمع معانى سرير الملك و البناء، و المرفوع،و سباط الكرم،و الخيمه من الخشب هذه المعانى التى ذكرتها العرب لهذه الألفاظ.

٣-قياس موارد استعمال اللفظ ببعضها-ليعرف المعنى المشترك-الذى يمكن أن يتصور معنى جامعاً بين هذه الموارد.و من الطبيعى أن يعتبر فى الاستعمال ان يكون على لسان أهل اللغه المعتمنين بالبلاغه.

و الأدباء اليوم يكتشفون ظلال الكلمات و إحياءاتها من موارد الاستعمال فى منطق البلغاء أكثر مما يكتشفونها فى بطون الكتب اللغويه.

و ذلك لأن ما فى كتب اللغه لا يعدو ان يكون تسجيلاً ميتاً لموارد الاستعمال،أو استنباطاً لمعنى مشترك منها قد قام به مؤلفوا الكتب،و من هنا يكون تعرف الشخص ذاتياً بهذه الموارد و استنباطه بنفسه المعنى الجامع بينها،أفضل من تقليد كتب اللغه.

و بكثره النظر فى موارد الاستعمال يؤتى الفرد حساً أدبياً مرهفاً يجعله يميز بين كلمتين مترادفتين بشكل دقيق،بالرغم من أنه قد لا يستطيع الإفصاح عما يعرفه

بدقه و تحديد.و إذا كان قياس موارد الاستعمال ببعضها أفضل السبل لمعرفة المعنى الحقيقي للفظ ما،فان أفضل قياس من هذا النوع هو قياس موارد استعمال الكلمه فى القرآن ذاته،إذ أنه-ولا-ريب-ذروه البلاغه العربيه،التي عجز عن تحديده أبلغ فصحاء العرب.

من هنا يجدر بالذى يريد التدبر فى القرآن ذاته،أن يبحث عن المعنى المحدد للكلمه فى آيات القرآن ذاته،ليجد-بقياس بعض المواقع المستعمله فيها الكلمه ببعضها-ليجد بذلك المعنى الدقيق الذى يقصده القرآن.

(ب)السياق:

لو بحثنا عن أول يوم تعلمنا فيه اللغه لعرفنا أن السياق كان أول سبيل لهذا التعليم.فالوالد استعمل لفظ العصى عند ما ما كان يتكلم عن الضرب فعرفنا أنه وسيله الضرب و الوالده أطلقت لفظه الولاعه حينما تكلمت عن الطبخ فعرفنا أنها وسيله النار..و.

ولا ريب أن وجود اللفظ فى اطاره المتناسب يوحى بمعناه ربما أكثر من تفسير اللفظ بدون سياق يحده.

و القرآن الحكيم،ذلك الكتاب البالغ الذى يناسب بين المفردات فى اطار السياق بحيث يصعب عليك تبديل لفظه بأخرى دون ان تضر بتناسب الكلمات.

لذلك يهدينا السابق ذاته الى المعانى الدقيقه للكلمات لأنها وضعت فى موقع متناسب جدا مع تلك المعانى،فاذا أردنا أن نعرف بالدقه معنى اللفظ كان علينا مراجعه ما قبلها و ما بعدها،لمعرفه ما يتناسب معهما من معنى لهذه الكلمه،فمثلا لو أردنا،أن نكتشف معنى «قصد»فى هذه الآيه.

ص: ٥٢

« وَ عَلَى اللَّهِ قَضَىٰ دُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِزٌ وَ لَوْ شَاءَ لَهَيَّاكُمْ أَجْمَعِينَ » (٩١/النحل) لو أردنا ذلك قارنا بين القصد، و الجائر، و الهدايه، نعرف معنى القصد. لأنه جاء فى مقابل الجائر الذى يعنى المائل، فالقصد هو المستقيم، و الجائر هو الظالم فالقصد هو العادل.

أو إذا أردنا التعرف على معنى «نفس» فى هذه الآيه:

« وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ، وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ » (١٧٨/الأنبياء) لو أردنا ذلك لم يكن علينا الا قياس كلمه نفست بالحرث و الغنم و الحكم. مما نعرف انه إتلاف الحرث، و هكذا.

و قد جاء رجل الى صحابى فسأله عن معنى «الأب» الذى جاء فى الآيه الكريمة، و فاكهه و أباء، فلم يعرفه. و جاء على عليه السلام و قال: ما مفاده إن معنى اللفظ موجود فى الآيه ذاتها لأن الله سبحانه يقول:

« وَ فَاكِهَهُ وَ أَبَا مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ » (٣١-٣٢/٨٠) فالفاكهه لكم و الأب لأنعامكم.

(ج)التفسير:

معرفة الإطار التاريخى الذى شاهد نزول الوحى و معرفة المورد الخاص الذى نزلت فيه و الموقف الاجتماعى الذى وجهته الآيه. ذو أثر كبير فى تفهم المعنى الدقيق.

للآيه.

و معرفة تفاسير أئمه الوحى عليه السلام للآيه قاطعه فى معانيها. بيد أن تفاسير الأئمه عليه السلام

ص: ٥٣

قد تختلف بينها أو تبين تطبيقا واحدا للآيه. و هنا لا بد أن نتخذ منها سبيلا لفهم المعنى العام الذى يحل مشكله الاختلاف-من جهه-و يعطى الآيه تطبيقات أشمل من جهه ثانيه.و لذلك يجب أن لا نجمد فى النصوص الوارده فى تفسير الآيات على انها المعانى الوحيدة التى تحملها بل نتخذ منها وسيله لفهم المعنى الأشمل للآيه.و ندرس كيف و لماذا انطبقت الآيه على المورد الذى يعينه التفسير لعرف انه هل يمكن تطبيق الآيه أيضا على مورد متشابه أم لا؟ فمثلا جاء فى بعض النصوص التفسيريه أن الآيه الكريمه:

□
«إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (١٠٦ / ٦٦) نزلت فى حق عمار بن ياسر حسنا فهل من الممكن تجميد الآيه فى عمار؟ كلا.

بل يجب أن نفكر كيف جاءت الآيه تطبيقا على حاله عمار أ ليس لأنه كان قد أكره على الشرك فأعطاهم بلسانه ما أحبوه أو ليس ذات الموقف لو تكرر لرجل اليوم و صنع مثل ما صنعه عمار تنطبق عليه.

إن هذا الأسلوب من التفكير يجعل القرآن حيا فى أذهاننا أبدا.و قد أمر به الدين -

فجاء فى الحديث: «لو أن القرآن كان يذهب بموت من نزل فيهم لذهب القرآن كله، وإنما مثله كمثل الشمس كل يوم جديد.»
بهذا نعرف ضروره الاستفاده من التفسير الصحيح بالفهم الواعى لحدود تطبيق التفسير لعموم الآيه.

منهج التدبر فى القرآن -التدبر و الصفات النفسىة -التدبر و الصفات العقلىة -التدبر و السىاق القرآنى -التدبر و الواقع الخارجى -
التدبر و التطبيق القرآنى -موجز لمنهج التدبر فى القرآن

عده صفات نفسيه ينبغي ان يتحلى بها المتدبر فى القرآن ليستطيع فهم آياته المجيده حتى يتسنى له بعد تطبيق طرق التدبر على نفسه-معرفة الحقائق التى تنطوى عليها الآيات، وإليك بعض هذه الصفات:

١-الايمان بالقرآن على أنه كتاب أوحى به الله رب السموات ليكون لعباده مبشرا و نذيرا،و هاديا الى الحق باذنه و سراجا منيرا.

لا بد أن نقرأ القرآن بوصفه خطابا موجها إلينا من الله العظيم،

فقد جاء فى الحديث: «أن فى القرآن المناجاة مع الرب بلا واسطه فانظر كيف تقرأ كتاب ربك و منشور ولايتك،و كيف تجيب أوامره و نواهيه و كيف تمثل حدوده» (١)إنه وثيقه ارتباطنا بالمبدإ المعيد،بالله.

ص:٥٧

إنه المنقذ من كل ضلال و شقاء.

جاء في الحديث: «القرآن عهد الله الى خلقه فقد ينبغي للمسلم ان ينظر إلى عهده.» إن القرآن قد يخاطب رسوله في نصوصه و لكنه لا يعنيه فقط: بل و يعنى معه كل شخص تال له-

جاء في حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام ان القرآن نزل على لغة: «إياك أعنى و اسمعى يا جاره» أى إنه خطاب موجه الى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و لكنه شامل أيضا لك و لى و لكل التابعين له.

حينما يقول القرآن:

« فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ » (١٩ / ٤٧) يجب أن أبادر بالاستغفار لأنه خاطبني شخصيا بذلك.

و حينما يقول الله:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » يجب أن استعد لتبليبه أمره. و أقول: لبيك-اللهم-ليبيك ماذا تأمرنى؟.

و حينما يقول:

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ » أقول نعم. ماذا نعمل؟ و هكذا.

لقد كان أولياء الله العارفين يتلون القرآن بهذه الصفة-فكانت جلودهم تقشعر و قلوبهم ترتجف حين يقرءون ايه، بل كانوا يصعقون لعظمه وقع الآية فى نفوسهم.

ص: ٥٨

لقد تلى الامام الصادق عليه السلام آيه فى صلواته و رددھا مرات. فصعق صعقه و وقع مغشيا عليه. فلما أفاق سئل عن ذلك منه قال: «لقد رددتها حتى كأنى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينه قدرته» (١).

٢- و تنشأ من صفة الايمان بالقرآن- صفة كريمه أخرى هى الاستعداد لتطبيق آياته. ان هذه الصفة شرط هام فى فهم آيات الله إذ أن التسليم المسبق لنتائج البحث عن الحق يساعد النفس على البحث المجرد، كما ان الاستكبار و التردد فى قبول نتائج البحث العلمى يقلل من قيمه هذا البحث عند الإنسان و بالتالى يصرفه عنه.

من هنا كان على الإنسان ان يجعل القرآن أمامه و يسلم إليه زمام أمره. قبل أن يبدأ بتلاوه آياته حسبما

يصف الامام على عليه السلام المؤمن الصادق فيقول: «قد أمكن الكتاب من زمامه فهو قائده و إمامه يحل حيث حل ثقله و ينزل حيث كان منزله.» و ان فريقا من الناس يتلون القرآن فيؤولون آياته حسب أهوائهم ابتعادا عن العمل بها إن هؤلاء لا يؤتون فهم القرآن أبدا. بل ان تلاوه القرآن ستريدهم وزرا و وبالا.

إنما يؤتى علم القرآن من تواضع للحق و سلم لله و فتش عن الواقع. و استعداد سلفا لاتباع الحقيقه لو انكشفت له.

ص: ٥٩

و ان أهم الصفات العقلية الضرورية للتدبر هي التركيز و الشجاعة.

١- ان تركيز شعاع الشمس عبر زجاجه مقعره هو الذى يسبب فى تحويل هذا الشعاع الى طاقه جباره. كذلك تركيز شعاع الفكر عبر نقطه واحده سوف يضاعف من فاعليه الفكر و يكشف الحقائق بوضوح.

و بمدى أهميه التركيز يكون مدى صعوبته إذ أن النفس تقاوم التفكير فى أمر واحد و لكن على الذى يريد الفهم أن يروض نفسه على صفه التركيز فيظل يوجه اهتمامه الى شىء واحد عده لحظات حتى يعرفه.

و لهذا جاء فى الأحاديث الأمر بترتيل القرآن لأنه أقرب إلى التركيز من التهامه.

فجاء فى حديث: قال أمير المؤمنين عليه السلام، فى تفسير قول الله تعالى:

« وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا »

قال: «بينه وبيننا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل، ولكن فزعوا قلوبكم القاسيه ولا يكن هم أحدكم آخر السوره» (١).

و عن الامام الصادق عليه السلام فى تفسير هذ الآيه:

« وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً » قال قف عند وعده و وعيده و تفكر فى أمثاله و مواعظه « (٢).

٢- و الشجاعه هى الصفه العقليه الثانيه التى لا بد أن يتحلّى بها من شاء العلم، ذلك ان عدم الثقه بالنفس يتسبب فى تردد الشخص فى نتائج بحوثه- و هنا تبرز أهميه الشجاعه النفسيه فى قبول النتائج.

إن الحق يظهر لكثير من الناس. إلا أن قليلا منهم يراه لماذا؟ لان أكثرهم يخشى من رؤيته، يخاف أن يتعارض مع مسبقاته الفكرية و رواسبه التقليديه، يخاف أن يتناقض مع أفكار مجتمعه و بيئته، لذلك لا يقترب منه، بل يغمض عينه إذا اقترب الحق منه، هكذا يجب أن نتحلّى بشجاعه الفهم، إذا أردنا ان نخوض حقل التدبر، يجب ان نجعل الحق فوق كل شىء. فليكن معارضا لأفكارنا السابقه أو ليكن متناقضا مع أفكار الناس، لا بد ان نقول اننا سوف نتبعه إذ إننا بهذه الروح الشجاعه نستطيع كشف الحقائق.

إن آراء المفسرين حول الآيه يجب أن لا تعيقنا عن التدبر من جديد فى معناها بالرغم من احترامنا لها، إذ ربما يكونون جاهلين بمعناها، أو ببعض معانيها و أوفق أنالها.

ص: ٦١

١- ١) الهذ: سرعه القراءه. و النشر: التباطئ فيها بحيث لا ترتبط كلماتها. الصافى ج ١ ص ٤٥

٢- ٢) المصدر ج ١ ص ٤٧

إشاره

و للسياق دور كبير فى بيان الواقع العلمى للقرآن و السبب أن القرآن، يلاحظ ارتباط آيه بأخرى ملا-حظه دقيقه. و لا- تتلاحق الآيات و لا الكلمات داخل آيه واحده إلا بإحدى علاقتين: علاقته علميه أو تربويه.

١-العلاقه العلميه:

القرآن يعكس واقع ارتباط حقيقه بأخرى فيذكرهما مع بعض فمثلا: يقول الله سبحانه:

« فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ اسْتَغْفِرُ لِدُنْبِكَ » ان علاقته الاستغفار من الذنب بتوحيد الله علاقته واقعيه تفرضها حقيقه الربانيه من جهه و العبوديه من جهه ثانيه. إذ أن العقيدته بأحديه الله توجب العقيدته بعبوديه الفرد. و واضح أن العبد يجب ان يخضع لله.

و تماما مثل هذه العلاقه موجوده فى قوله تعالى:

« وَ مِمَّا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (٢١ / ٢٥) فعلاقه عباده الله بتوحيده، أمر واقعى من جهه أن على العبد مسئوليته العباده لله الواحد.

و كذلك علاقه آيتين ببعضهما فى مثل قوله سبحانه:

« وَ مِنَ الذَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ * وَ هُوَ أَلْمَدُ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا * وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ * وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ » (٢/٢٠٥) فعلاقه الآيه الأولى بالثانيه ناشئه من وجود ارتباط بين صفات المنافقين. فهم من جهه ينمقون كلامهم و هم من جهه ثانيه يفسدون فى الأرض.

ان القرآن يتحدث إلينا عن نموذج من الناس. لذلك يذكر كل صفاتهم و لا تنمو صفه فيهم دون وجود اخرى.

ان هذه العلاقه نجدها فى أواخر الآيات التى تنتهى فى كثير من الأحيان بذكر صفه أو صفتين لله سبحانه. ترتبط بنوع المضمون المذكور فى الآيه، فمثلا نجد فى هذه الآيات الكريمه مدى ارتباط آخر الآيه بمضمونها: (ارتباطا واقعيا) يقول الله سبحانه:

« وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا * وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ * وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ » (٢٨/الشورى) فالولى الذى يحب عباده ينزل عليهم الغيث، و الحميد ينشر عليهم رحمته، فهناك

علاقه وثيقه بين الولايه و نزول الغيث و الحمد و نشر الرحمه.

و كانت العرب ترى وجود هذه العلاقه و تستنبط منها أشياء و أشياء.

فمره سمع اعرابي رجلا يتلو آيه هكذا:

« وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا - مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » فقال له: أخطأت! قال: و كيف؟ قال: ان

المغفره و الرحمه لا تناسبان قطع يد السارق! فتذكر الرجل الآيه و قال:

« وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » فقال الأعرابي: نعم، بعزته أخذها و بحكمته قطعها.

انه عرف كيف يجب أن تكون نهايه الآيه متناسبه مع بدايتها، من ناحيه العلاقه الواقعيه.

٢- العلاقه التربويه:

بما أن القرآن كتاب تربيه، و بما أن صفات النفس ترتبط ببعضها فان القرآن المجيد يلاحق النفس البشريه بما يصلحها من التوجيهات إن طغت- افراطا- صفة عليها عالجه بحكمه. فان طغت- تفريطا- عالجه بحكمه اخرى و لا يزال يعد لها حتى تتحول الى نفس سويه.

و نستفيد من دراسه علاقه الآيات التربويه ببعضها نستفيد علما بخبيئه النفوس و معرفه بالقوانين التربويه التي تتحكم فيها.

و كمثل لهذه العلاقه نذكر قوله سبحانه:

« وَ أَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (٩٥البقره) ان جمل هذه الآيه ثلاثه:الأولى فى الإنفاق.و الثانى فى النهى عن إلقاء النفس فى التهلكه.و الثالثه فى الإحسان.فما هى علاقتها ببعضها؟ أول ما أمر الله بالإنفاق توجهت النفوس اليه و كانت مخافه التقصير فى الإنفاق.

فجاءت الجمله الثانىه تنهى عن التهلكه التى تتم إذا ترك الإنفاق و حيث أن النفوس مفضوره على البخل كان من الضرورى ترجيح كفه الإنفاق،لمقابله الشح الطبيعى عند البشر فجاءت الجمله الثالثه،و أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

و ربما نستنبط من سياق الآيه المباركه:ان هناك درجتين فى الإنفاق،الإنفاق الذى لولاه يهلك الإنسان و يكون بمثابة الإنفاق على الدواء،و قد أمر به الجزء الاول من الآيه،و الإنفاق الإضافى الذى يقوم به المحسنون،و قد أمر به الجزء الثانى من الآيه.

ص:٦٥

ان من يهدف تفهم القرآن، يجب ان يجعله حيا نابضا بالحركه. و ذلك عن طريق تطبيق آياته الكريمه على الواقع الخارجى.

إن لآيات القرآن، أهلا تطبق عليهم فى كل عصر، فأيه المتقين لها تطبيق حى كما لآيه الفاسقين، فلا بد ان يبحث الفرد عن هؤلاء كلما تدبر فى القرآن. و هنا يتحوّل الكتاب المبين الى منهاج عمل ليس هذا فحسب بل و يهدى الإنسان الى حقائق كثيره، لأنه يساعد الفرد على فهم الاحداث المعروفه، و يكون مثله آنئذ مثل المرشد فى متحف للآثار. كيف لا تفيد رؤيه المتحف بدونه كما لا يغنى إرشاده دون رؤيه الآثار.

و هذا هو السبب فى أن المعاصرين لنزول الوحي كانوا يفقهونه حتى كادوا يكونون أنبياء من سعه العلم و نزوج الفقه، ذلك لأنهم كانوا يتلقون الوحي فى حمى الاحداث اليوميه، لان القرآن نزل مع الأحداث الرساليه يوما بيوم، و قد علل القرآن ذاته نزوله التدريجى بتثبيت آياته فقال:

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا » (٢٥/٣٢) فإذا شئنا تفهم الكتاب فلا بد ان نعرض عليه الاحداث اليومية، ليكشف لنا حقائقها الكامنه.

جاء في الحديث عن الامام على عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتانى جبرئيل فقال: «يا محمد ستكون فى أمتك فتنه، قلت:

فما المخرج منها، فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، و خبر ما بعدكم و حكم ما بينكم و هو الفصل و ليس بالهزل « (١) فى هذا الحديث: أمر الله بعرض الفتنه على القرآن لمعرفة حكم الله فيها، و هو نوع من تطبيق القرآن على الحياه الواقعيه.

و فى حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع و ما حل مصدق « (٢)

ص: ٦٧

١-١) المصدر ٩

٢-٢) ما حل: أى مهلك لمن تولى عنه

أكبر فائده يغتنمها المتدبر فى كتاب الله هى تزكيه نفسه و بناء شخصيته.حقا أننا لا نكون ذوى شخصيه مثاليه من الولاده،و حقا أن تربيتنا كانت منطويه على الكثير من السلبيات،فمن يا ترى مسئول عنا بعد أن كبرنا؟و من ذا يخسر إن بقينا هكذا؟من المؤكد أننا بحاجة الى تربيته،و لكن من الذى يربينا؟القرآن أفضل وسيله لتربيته نفوسنا؟لذلكك وجب أن يعرض كل شخص نفسه على القرآن،ليعرف انحرافاتة.

و العقبه التى تعترض طريق التربيه الذاتيه،قد تكون عدم اقتناع الفرد بأنه المعنى بالتوجيه،بل يزعم كل شخص أن غيره فقط هو المقصود،أما هو فيجعل نفسه مقدسا عن شمول التعاليم له،هنا لا بد أن يتجاوز الفرد هذه العقبه بالايحاء الذاتى بأنه معنى مباشره بهذه التعاليم،و ان كل قصه يجد مثالها فى نفسه إذا عمل ما عمله بطل القصه،و ان كل مثل يجد تطبيقه فى ذاته إذا جسد مغزاه.و ان كل ثواب سوف يناله هو،إن عمل الخير.و ان كل عقوبه ستحيط به إن اقترف خطيئته و هكذا يجعل

نفسه تدور عليه آيات الكتاب ليتمكن من تربيته ذاته و تزكيتها.

من هنا

جاء فى الحديث، عن الامام الصادق عليه السلام كان أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم. «يقرأ أحدهم القرآن فى شهر واحد أو أقل إن القرآن لا يقرأ هذر مه و لكن يرتل ترتيباً و إذا مررت بآيه فيها ذكر الجنة فقف عندها و اسأل الله تعالى الجنة، و إذا مررت بآيه فيها ذكر النار فقف عندها و تعوذ بالله من النار» (١) هذا عن الثواب و العقاب، أما عن القصص التاريخيه فكيف يمكن تزكيه النفس فى ضوءها.

يقول الامام الصادق عليه السلام :

«عليكم بالقرآن فما وجدتم ايه نجا بها من كان قبلكم فخذوه و ما وجدتموه مما هلك بها من كان قبلكم فاجتنبوه» (٢) بهذه الكيفيه نستطيع كشف الانحرافات التى تنطوى عليها نفوسنا، لكى نستعد لتقويمها بالقرآن. كما نقدر على فهم الآيات بصوره أشمل و أعمق إذ أن ازدواج القانون (الموجود فى القرآن) بتطبيقه على النفس (باعتبارها الموضوع الخارجى للقانون) انه أفضل و سيله لفهمها معا.

ص: ٦٩

١-١) المصدر ص ٤٤

١٠-٢) المصدر ص ١٠

قبل أن نستعرض المنهج لا بد أن نذكر أمرين:

أ- أن المنهج تلخيص لما سبق في الصفحات الماضية إنما لخصناها لتبقى عالقه بالأذهان.

ب- كما أن للقرآن جانبى التركيه و التعليم، كذلك لمنهج التدبر و نحن ندمجها ببعضهما لصنع البرنامج المتكامل:

أما المنهج الموجز للتدبر فهو التالى:

١- الهدف من التدبر إنما هو تكوين شخصيه القارئ و الوصول الى اهدافها المشروعه، و معرفه الحق و القوه الكافيه لتنفيذه.

٢- و يعنى التدبر التفكير المنطقى فى المعنى الحقيقى للآيه. بينما يعنى التفسير بالرأى الاستغناء عن هذا التفكير باختلاق معنى الآيه، و التدبر واجب و التفسير

بالرأى حرام.

٣- محور التدبر البحث عن القوانين العلميه التي انطوت عليها آيات القرآن أو المناهج التربويه التي صيغت بها هذه الآيات و بكلمه واحده معرفه ظاهر الترييه و باطن العلم من القرآن.

٤- يقتصر محور التدبر فى الحقائق التي يصل الى فهمها فكر المتدبر (و يسمى بالمحكم) أما مالا يفقهه المتدبر فيدعه الى حين يفقهه (و يسمى بالمتشابه).

٥- لمعرفه ظاهر لفظ القرآن يجب الرجوع الى اللغه بشرطين: الاول: تصفيتها من رواسب المناخ الضيقه، و التركيز على معناها العربى الصافى الثانى: التفكير فى الماده الأساسيه التي ينبثق منها سائر المعانى الخاصه، و هكذا يمكن جمع موارد استعمال اللفظ لبحث عن معنى واحد مشترك بينها فتمسك به.

٦- اجمع موارد استعمال اللفظ فى القرآن و قارن بينها لتعرف ما هو المعنى الجامع المشترك بينها حسب ما يهدى إليها سياق كل واحد منها.

٧- اطرح على نفسك هذا السؤال، كلما تدبرت فى آيه، لماذا استخدم القرآن هذه الكلمه ما هى ميزتها عن كلمات مترادفه معها؟ و ابحث عن الجواب فى إطار الماده الخامسه و السادسه.

٨- ابحث فى التفسير الصحيح و احذر من تحديد عموم القرآن بخصوص مورد نزوله- أو بتطبيق تاريخى واحد كلاهتد بالمورد و التطبيق الى أمثالهما. و تعرف من خلالهما على الصفات التي أوجبت نزول الآيه أو تطبيقها عليهما.

٩- قسّم ظاهر القرآن إلى سبعة أقسام: إلى أمر و ترغيب و زجر و ترهيب و قصص تاريخيه و مثل بيانیه، و جدل مع الأعداء، ففكر هذه الآيه تنطوى على كم

ص: ٧١

قسم منها؟ ١٠- و تدبر فى باطن الآيه عن علاقته جملة بأخرى و آيه بآيه، و مجموعه آيات بأخرى. فتش عن نوعين من علاقته بينهما:

(أ) علاقته علميه بحيث يعتبر الواحد سببا للثانى أو مسبب لسبب ثالث.

(ب) علاقته تربويه بحيث يكون الواحد مستوجبا للثانى، حتى يكون المجموع منهجا متكاملا لتربيته الفرد و تركيه نفسه.

١١- عليك أن تتحلى بصفات نفسيه و عقليه حتى تتمكن من اكتشاف حقائق القرآن. و هى:

(أ) الايمان بالوحى، و انه و ثقته بينك و بين ربك و خطاب مباشر إليك من خالقك.

(ب) و الاستعداد لتطبيق تعاليمه، و التسليم لافكاره حتى و لو خالفت مصالحك أو تناقضت مع تقاليدك السابقه و أفكار مجتمعك.

(ج) التركيز فى بؤره واحده بحثا عن الحقيقه، و يدعى بالترؤى. و هو- أى التركيز- عمق التدبر البعيد و غيرهه تصبح المواد الأخرى فى هذا المنهج قشورا بغير لب.

(د) الشجاعه فى التمسك بالحق و الثقة بعقلك أو بما يهدى إليه من الواقع.

١٢- ابحث عن تطبيق خارجى حى لمواضيع القرآن الحكيم، ابحث عن أشخاص يصفهم القرآن، و ابحث عن أوضاع يبينها القرآن، و ابحث عن نتائج يقول

عنها القرآن.

١٣-طبق آيات القرآن على نفسك، لتجد فيها كل ما شرحه الكتاب، و لتخشى مما قد يصيبك مما بينه.

ص:٧٣

سوره الحمد

اشاره

ص: ٧٥

فضل السوره:

فى كتاب محمد بن مسعود العياشى بأسناده عن النبى محمد صلى الله عليه و آله قال لجابر بن عبد الله الأنصارى:

«يا جابر أ لا أعلمك أفضل سوره أنزلها الله فى كتابه. قال فقال له جابر: بلى بأبى أنت و أمى يا رسول الله. علمنيها. قال فعلمه الحمد أم الكتاب. ثم قال: يا جابر أ لا أخبرك عنها، قال بلى بأبى أنت و أمى، فأخبرنى، فقال: هى شفاء من كل داء الا السام و السام الموت. » *

و عن سلمه بن محرز عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

«من لم يبرئه الحمد لم يبرئه شىء. » *

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله :

«ان الله تعالى قال لى:يا محمد و لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ، فأفرد الامتنان على بفتحته الكتاب و جعلها بإزاء القرآن.و أن فاتحه الكتاب أشرف ما فى كنوز العرش،و ان الله خصَّ محمد و شرفه بها و لم يشرك فيها أحدا من أنبيائه ما خلا سليمان،فأنه أعطاه منها بسم الله الرحمن الرحيم.الا- تراه يحكى عن بلقيس حين قالت: « إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ».الا فمن قرأها معتقدا لموالاه محمد و آله،منقادا لأمرها،مؤمنا بظاهرها و باطنها،أعطاه الله بكل حرف منها حسنه،كل واحده منها أفضل له من الدنيا بما فيها من أصناف أموالها و خيراتها.و من استمع الى قارئ يقرؤها، كان له قدر ثلث ما للقارئء.فليستكثر أحدكم من هذا الخير المعرّض له فإنه غنيمه لا يذهب،أو انه فتبقى فى قلوبكم حسره».

(مجمع البيان ج ١-ص ١٧-١٨)

ص:٧٨

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (۱) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (۲) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (۳) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
(۵) إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (۷)

تفسير البسملة:

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بماذا نفكر و نصمم و نعمل؟ أ ليس بقوى و طاقات؟ من يملك تلك القوى و من يمدنا بتلك الطاقات أو ليس هو الله؟ إذا فكل قوه نفكر أو نصمم أو نعمل بها، هي آيه من آيات الله و اسم من أسمائه الحسنی، يجب علينا ان نقول: باسم الله قبل كل موجه تفكير و مضمه اراده و حركه عمل. انه الله الذى خلقنا و هداانا، فباسمه نبتدى كل شىء لان كل شىء هو فى الواقع اسم من أسمائه و آيه من آياته الكبيره.

و أسماء الله كلها مظاهر رحمته، و رحمته واسعه و مستمره. و نعبر عن الرحمه الشامله التى وسعت كل شىء بالرحمن كما نعبر عن الرحمه الدائمه، التى لم تزل و لا تزال و لن تزول فى المستقبل ب(الرحيم).

و سوف تتجسد رحمه الله الدائمه فى اليوم الآخر بجنات واسعه يختص بها

المؤمنون. اما فى الدنيا فهو يرحم الجميع،المؤمنين و الكافرين.و لا بد ان نخلص له العباده و نتوجه اليه وحده فى كل صغيره و كبيره و نستعين به.

موارد الحمد

[٢]حين نحمد الله و نذكره بالصفات الحسنى التى فيه و التى تتجسد عمليا فى نعمه الكبيره و الكثيره علينا و أبرزها نعمه العنايه الجسديه و الروحيه،التى جعل الله بها الإنسان أكرم و أفضل من كثير ممن خلق،و لكن هذه التربيه لا تخص الإنسان وحده،إذ أن كل الأحياء ينعمون بتربيته الله و رعايته لهم،منذ نشوئهم و حتى الممات..فالنبات يتلقى نعمه العنايه من قبل الله.متجسده فى اشعه الشمس التى لا تنقطع عنه،و ماء السماء الذى يصب عليه صبا،و املاح الأرض،و الرياح اللواقح..و..

و البر و البحر و الجبال و الكواكب و النجوم و المجرات و.و.كلها تنعم بعنايه الله و رعايته الدائمه.

إذا لنقف خاشعين امام الله،الذى شملنا بعنايته نحن و العالم الذى من حولنا، و نقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [٣]و الصفه الثانيه التى نحمد الله عليها و نذكره بها هى الرحمه الواسعه و الدائمه فهو.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٤]بيد أن نعم الله ليست عبثا و بلا حكمه.انها تهدف تربيه الإنسان

و اختباره.و من ثم جزاءه على الحسنى أو السوء.فهو بالاضافه الى رحمته الواسعه و الدائمه،حكيم سريع الحساب شديد العقاب لا بد ان نخشاه و نتقى عذابه و نعمل بجد من أجل الحصول على مرضاته،لأنه.

﴿مَا لَكُمْ يَوْمَ الدِّينِ يَوْمَ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ.و حين يملكك الله يوم الدين،يملك الجنة و النار و الميزان و الحكم بالجنة أو النار.و هذا التعبير يبدو أفضل من التعبير ب(ملكك يوم الدين)،ذلك لان الملك قد لا يملك فى دولته الا شيئا واحدا فقط هو الحكم و السلطه.بينما الله يملك السلطه و يملك كل الأشياء حتى الأشخاص الذين يحكم عليهم.

[٥]و إذا كان الله رب العالمين،و الرحمن الرحيم،و مالك يوم الدين.فلا بد ان نخلص له العباده و نتوجه اليه فى كل صغيره و كبيره و تستعين به..

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اى نعبدك و حدك و نستعين بك و حدك.و هذه الفكره ذات اتجاهين (إيجابا و سلبا).

الاول:اننا نتوسل بالله و نوثق معه علاقاتنا و من أبرزها الاهتداء الى تنفيذ أوامره و تنفيذها،مما يساعدنا على تجاوز كل محنه و تحقيق التطلعات.

الثانى:اننا لا نتوسل بغير الله،حتى لا نصبح اتكاليين و ذيولا لآخرين تفرض علينا وصايتهم،و بالتالى يستعبدوننا.

و عند ما نتعمق قليلا فى معنى هذه الآيه نجدها تلخص فلسفه الحريه الانسانيه بصوره متينه.

ما دام لله الأسماء الحسنى و التى منها ضمان حريه الإنسان دعنا نترك إذا الأصنام التى تعبد من دون الله لأنها لا تتصف بشيء من تلك الصفات، فلا هى رب و لا رحمن و لا تملك جزاء.

[٦] و حين نترك الأصنام الصامته (كالحجاره) أو الناطقه (كالذين يعبدون من دون الله) آتئذ نكون على الصراط المستقيم.

و لكن ليس بهذه السهوله نستطيع ان نحقق الاستقامه، لان التخلص من الأصنام مهمه صعبه للغاية. و على الإنسان ان يضع امامه هدفا صعبا ليحققه فى الحياه هو (الاستقامه) و يسعى من أجل تحقيقه بجد و مثابره، و ذلك عبر ثلاثه مراحل:

المرحله الاولى: التصميم على الاستقامه. و لن يكون التصميم على الاستقامه جادا الا إذا عرف الإنسان ان فى الحياه طرقا شتى لا تؤدى به الى اهدافه المنشوده.

و ان هناك طريقا واحدا فقط هو الذى يوصله إليها. و عرف ان التعرف على هذا الطريق و السير فيه هو من واجباته التى عليه أن يسعى لتأديتها، و ليست من نعم الله الطبيعیه عليه، ليست مثلا كنعمه البصر، حيث يولد الطفل بصيرا. و لهذا فاننا ندعوا الله ان يمنحنا الاستقامه و نقول:

إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ و هذا الدعاء دليل على ان الله لا يمنح الاستقامه الا لمن يطلبها منه.

[٧] و قد لا- تكون الاستقامه ابدیه، إذ أن عواصف الشهوات و أمواج الضغوط الاجتماعیه و الحواجز النفسیه، و وساوس الشيطان، تلعب بقلب الإنسان كما تلعب الأعاصير بريشه طائره. من هنا على الإنسان ان ينتظر نعمه الله حتى تظل الاستقامه

دائمه و من هنا قال الله:

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ اى بنعمه الهدايه التى تؤدى طبيعيا الى الانتفاع بسائر نعم الله.

و ما دامت الاستقامه نعمه توهب و قد لا- توهب للإنسان، فعليه ان يظل يقظا، كلما أبعدته عوامل الانحراف عن الخط، عاد اليه بفضل وعيه و ثقته بالله، و بتصميمه على الاستقامه فى الحياه حتى يأتيه اليقين.

و علينا ان نعرف أن الله يجسد الصراط المستقيم فى أشخاص، إذا ان الايمان لا بد ان يكون له رصيد واقعى لثلا يتحول الى أفكار مجردة، ربما لا تكون قابله للتطبيق.

«صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا.

اما المرحله الثانيه فهى تحديد دواعى الانحراف التى تضغط على الإنسان باتجاه الانحراف أو تضغط عليه لكى يختار بوعى و عمد طريق الانحراف.

مثل حب الشهوات من النساء و البنين و الكماليات و التفاخر و حب السلطه.

ان أكثر الناس ينحرفون عن الاستقامه بشهواتهم لأنهم يستسلمون لضغوط الشهوات. هؤلاء يغضب الله عليهم، و يسلب منهم نور الفطره و وهج العقل، فاذا بهم فى ظلمات لا يبصرون، لذلك يدعو المؤمنون ان تدوم لهم نعمه الهدايه فيكونوا مستقيمين.

«غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ»

ص: ٨٤

ممن تعمدوا الانحراف فسلب الله منهم نعمه الهدايه فظلوا منحرفين الى الأبد.

المرحله الثالثه:التخلص من عوامل الانحراف الجبريه التى تدفع الإنسان الى الانحراف من دون وعى و لا تصميم،و ذلك مثل الجهل و الغفله و النسيان،حيث انها من عوامل الضلاله التى يجب التخلص منها هى الاخرى حتى تتم الاستقامه.

و كثير من الناس ينحرفون لجهلهم بالدين و بما فيه من سعادته و خير.مثل أكثر الشبيبه الذين ابتعدوا عن قيم الله،يمينا أو يسارا،و ضحوا من أجل مبادئ فاسده تضحيه صادقه،هؤلاء هم الجهلاء لأنهم لو عرفوا الدين الصحيح لما توانوا عن التضحيه من أجل المبادئ.كذلك المؤمنون الذين يقعون فى الذنوب فى ظروف معينه ثم يتوبون من قريب.هؤلاء تقودهم الغفله و النسيان.لذلك يدعو المؤمنون الصادقون ان يهديهم الله الى الصراط المستقيم و لا يجعلهم من (الضالين).

«وَلَا الضَّالِّينَ» ان التخلص من الضلاله اللاواعيه لا يكون الا بعد التخلص من الانحراف الواعى،إذ أن نور الله لا يدخل قلبا متكبرا معاندا مصمما على الانحراف،لذلك نجد القرآن يأمر بالتخلص من غضب الله أولا،ثم يأمر بالتخلص من الضلاله.

و كلمه اخيره..ان سوره الحمد بآياتها السبعه،هى خلاصه لرؤى الإسلام و بصائره فى الحياه.و اما التفصيل فنجده فى القرآن كله.

سوره البقره

اشاره

ص: ۸۷

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره:

قال الله الى رسوله صلى الله عليه و آله :

«أعطيت لك و لامتك كنزا من كنوز عرشى فاتحه الكتاب و خاتمه سوره البقره» (بح ٨٩ ص ٢٦٣)

و قال الصادق عليه السلام :

«من قرأ البقره و آل عمران جاءتا يوم القيامه تظلاله على رأسه، مثل الغمامتين، أو مثل العباءتين» (بح ج ٨٩ ص ٢٦٥)

ص: ٨٩

ألف: ما ذا تعنى كلمه السور؟ انها تعنى الإطار المحدد للشئ، و السوره تعنى واحده من الإطارات التى تحدد مجموعه أفكار معينه، و تعطينا فى المجموع شخصيه متفاعله، و ربما نستطيع أن نعبر عنها ب(وحده فكرية) قياسا على تعبيرنا بوحده حراريه، ووحده ضوئيه، أو أيه وحده كميّه أخرى.

و هذا اللفظ أفضل من التعبير ب(الفصل..القسم..البحث الأول و..و..) لأن لفظ السوره لا يدل على فصل القرآن بعضه عن بعض و تقسيمه أقساما مختلفه مما قد توحى بأفكار بعيده عن حقيقه القرآن بل يدل على مدى التفاعل بين أفكار مجموعه آيات قرآنيه تشكلها السوره الواحده، حتى إننا نستطيع أن نحددها باطار و نعتبرها كوحده فكرية مستقلة.

باء: البقره.. ذكرت فى هذه السوره ضمن قصه طريقه ذات عبره أساسيه (الآيات ٦٧-٧٤) من الطاعه و الثقه بالقياده فى حل المشاكل. و هى تنسجم مع

الإطار العام للسوره:

عمّ تتحدث سوره البقره؟ قد تواجهنا صعوبه فى الإجابة على هذا السؤال، و لكن يمكن أن نقول بما ان مطلع السوره يقسم الناس ثلاثه: المسلم، و الكافر، و المنافق، و تتحدث السوره بعدئذ عن هذه الأنواع بإسهاب، ثم مع التركيز على صفات المؤمن، نستطيع القول بأن الخط العام للسوره هو إرساء قواعد الشخسيه الإيمانيه، سواء فى مستوى الفرد المؤمن أو الأمه المؤمنه.

و من هذا المنطلق تتحدث السوره عن بنى إسرائيل، و عن قصه البقره، و عن الانحرافات التى وقعت فى هذه الأمه المؤمنه. حيث جاء القرآن يحدّر المؤمنين منها.

و من هذا المنطلق أيضا تتحدث السوره بعدئذ عن واجبات المؤمن (الفرد، الأمه) مبتداء إياها بالقبله (رمز الوحده و صبغه الشخسيه المؤمنه) ثم الحجّ (رمز الوحده و العباده) ثم القصاص، ثم الصيام و..و.

و ذكرت فى هذه السوره كلمه تستطيع أن تعبّر بوضوح عن الخط العام لهذه السوره هى كلمه (صبغه) فى قوله سبحانه و تعالى: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» لقوم يؤمنون فهذه السوره تحدّد الصبغه الإيمانيه فى كافّه أنشطه المؤمن.

و بالرغم من انّ سور القرآن الأخرى تتحدّث عن صبغه الله أيضا، و لكن تلك السور تركّز فى الحديث عن جوانب من هذه الصبغه، بينما تتحدّث هذه السوره عنها بوجه عام و بشكل يترابط فيه ظلال هذه الصبغه لتكوّن صورته متكامله أمامنا.

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) وَمَنْ الذَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَاعِ طِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدًى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمُّ بُكْمٌ عُمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعِيدٌ وَبَرَقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)

اللغة

٢[ذلك]الفظه يشاربها الى ما بعد.

[ريب]الشك وقيل هو أسوأ الشك.

[هدى]دلاله.

[المتقين]من الوقايه وهى مأخوذه من الاتقاء وهو الحجز بين الشيتين.

٣[يؤمنون]يصدقون والايماى يعنى الثقه والتصدق.

[الغيب]كلما غاب عنك و لم تشهده [يقيمون]يؤدون، وأقام الصلاه أذاها بحدودها، وأقام السوق لم يعطلها، و يقيمون الصلاه تأتى بمعنى يديمون أداء فرائضها.

[الصلاه]الدعاء.

[هما]حرف موصول بمعنى الذى.

[الرزق]العطاء الجارى.

[الإنفاق]إخراج المال.

٤[يوقنون]يعلمون و سمي العلم يقينا لحصول القطع عليه و سكون النفس اليه فكل يقين علم و ليس كل علم يقين و ذلك كأنه علم يحصل بعد الاستدلال و النظر لغموض المعلوم أو لاشكال ذلك على الناظر.

٥[أولئك]اسم مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشاره و هو جمع ذلك فى المعنى.

[المفلحون]أو الفلاح النجاح و يأتى الفلاح بمعنى البقاء و الظفر.

ص: ٩٤

٦[الكفر]فالكفر ستر النعمه و اخفاؤها و الشكر نشرها و إظهارها، و كل ما ستر شيئا فقد كفره.

[سواء]مصدر أقيم مقام الفاعل بمعنى مستو، و الاستواء الاعتدال، و السواء العدل.

[الإنذار]إعلام معه تخويف فكل منذر معلم و ليس كل معلم منذرا.

٧[ختم]أى طبع، فيقال ختم عليه أو طبع عليه.

[غشاوه]غطاء.

[العذاب]استمرار الألم.

٨[اليوم الآخر]يوم القيامة و إنما سمي آخر لأنه يوم لا يوم بعده.

٩[يخدعون]أصل الخدع الإخفاء و الإيهام.

١٠[المرض]لعله فى البدن و نقيضه الصحة. [أليم]الموجع.

ص: ٩٥

١٤[اللقاء]الاجتماع مع الشيء على طريق المقارنه.

[الخلاء]نقيض الملاءو يقال خلوت اليه و خلوت به و يقال خلوت معه على ضربين أحدهما بمعنى خلوت معه،و الآخر بمعنى سخرت منه.

١٥[المدّ]أصله الزيادة فى الشيء كما تأتي بمعنى الجذب لأنه سبب الزيادة فى الطول [الطغيان]تجاوز الحد.[عمه]:يعمه أى تحيّر.و العمه التحيّر.

١٦[اشترى]الاشتراء الاستبدال،و العرب تقول لمن تمسك بشيء

ص:٩٦

و ترك غيرہ قد اشتراه و ليس ثم شراء و لا بيع.

[ربح] الربح الزيادة على رأس المال.

[التجاره] التعرض للربح فى البيع و أضاف العرب الربح الى التجاره لأن الربح يكون فيها.

١٧ [المثل] كالشبهه و هو ما جعل كالعلم على معنى سائر يشبه فيه الثانى بالأول.

[استوقد] أوقد، أى طلب الوقود و الوقود الحطب. [ترك] التترك للشىء مثل الإمساك عنه. [ظلمات] جمع ظلمه و أصلها انتقاص الحق.

[أبصر] من الأبصار و هو ادراك الشىء بحاسه البصر يقال أبصر عينه و الأبصار بالقلب مثله.

ص: ٩٧

هدى من الآيات:

تحدث هذه الآيات عن ثلاثه نماذج بشريه، و تعطى رؤيه واضحه عنها، ليختار القارئ واحدا من النماذج عن بصيره نافذه و علم. و هذا التقسيم طبيعى للإسلام باعتباره فكره جديده لا تعترف بالتقسيمات الموجوده بين الناس (الإقليم و اللون و اللغه و العشيره و العنصر) التي أتت بها المبادئ الوضعيه.

إن الدين الجديد يطرح تقسيمات جديده ليتخذ الناس مواقفهم حسب هذه التقسيمات.

ولا تزال الأمم بحاجة الى الإيمان بهذه التقسيمات و تجاوز سائر التقسيمات الخاطئه، حتى تستطيع أن تكون أكثر قدره على تطبيق مبادئ الدين الحنيف.

[١][الم] ما هي هذه الأحرف التي نراها في أوائل كثير من السور القرآنية؟ وهل هي مفهومه لدينا، أم انها كالمتشابه في القرآن، لا يعلمه إلا الراسخون في العلم. أم ان سرها مكنون عند الله و من يطلعه على غيبه من رسول.

لقد اختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا. ففي الوقت الذي زعم المتحكمون؟ انه قبيح عند العقل أن ينزل الله سبحانه و تعالى آيه لا نعرف معناها. و احتجوا على ذلك بان القرآن هدى، و لسانه عربى مبين و قد أمر بالتدبر في آياته.

في ذات الوقت نراهم يختلفون في معانى هذه الأحرف على أحد و عشرين رأيا.

فهل الاختلاف دليل العلم؟ و يبدو لى ان حال هذه الأحرف حال المتشابه، وارى أن المتشابه من آيات الله مفهوم للراسخين في العلم، و ان درجات الناس في العلم مختلفه و درجات فهمهم كذلك للآيات متباينه، و كل من حوى علما بدرجة، كان فيها راسخا و فى الأعلى منها غير راسخ و عليه أن يراجع الراسخين.

و عليه فإن الإحاطه علما بكلّ معانى الكتاب و بكلّ أبعاد علم آيه قرآنيه، غير ممكن. و علينا أن نسلم لما نعلم و فيما لا نعلم نسلم لمن يعلم.

و فى هذه الأحرف لا يمكننا أن ندعى أننا سنعلم كلّ أسرارها، كما لا يسعنا أن ننكر معرفه بعض الحقائق منها.

و نتساءل: إذا ما هي تلك الحقائق؟ قبل الإجابة نذكر بأن للقرآن ظهرا و بطنا، و أنّ لتفسير آياته أوجها لا يرى الواحد منا إلا بعضها فيزعم ان الآخرين على خطأ، و قد يكون الجميع على صواب نسبي.

و هكذا قد تكون الكثير من الأقوال هنا صحيحه، دون أن يعنى أن غيرها باطل.

قالوا: الأحرف هذه أسماء للسوره التي فيها.

قالوا: انها أداه تنبه تشجع المستمعين لمتابعه الانتباه، و التفكير فيها و فيما بعدها.

و قالوا: انها تدل على انقطاع معنى ما و استئناف كلام جديد.

و قالوا: ان الله اثنى على نفسه بها، و انها اشاره الى أسمائه الحسنی، حتى روى في الأدعيه مناجاه الرب بها حيث جاء (يا كهيعص) (يا حم عسق).

و قالوا: انها احتجاج على العرب حيث ان القرآن تحداهم بكتاب الف من هذه الأحرف فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله.

و قالوا: انها قسم لأنها مباني كتبه، و وسائل النطق بين العباد، أو لم يقل ربنا: «ن وَ الْقَلَمِ وَ مَا يَسْطُرُونَ» .

و قالوا: انها معجزه البلاغه حيث لم يقصد العرب الاستفاده من هذه الأحرف هكذا من قبل و قالوا غير ذلك مما يرجع جزئيا الى بعض ما ذكرت.

و نقول بلى و لكن لا يعنى إثبات رأى و نفى ما عداه.

كذلك لا- بأس أن تكون الأحرف أسماء للسور، و فى ذات الوقت تشعر بانتهاء فصل قرآنى و بدايه فصل آخر، و تكون أيضا تذكره و تبها تحرض الفكر و تثير دفينه العقل و سبات الضمير. و تكون إشارات لأسماء الله، إذ ان أظهر شىء فى السماوات و الأرض هى أسماء الله، و الأحرف تشير إليها قبل غيرها. فإشاره الالف الى لفظ الجلاله (الله) أوضح من إشارته الى الأسد مثلا. و إذا كانت إشاره الى أسماء الله الحسنى فان القسم بها مناسب جدا. و مع ذلك فانها اعجاز قرآنى، بدأ العرب بشىء جديد لم يعهدوا مثله.

و فوق ذلك إنّ فيها أسرارا سوف يكتشف الإنسان بعضها مع تقدم المعرفة.

و هكذا تكون هذه الأحرف إشارات بين الربّ و بين من ارتضاه لغيبه.

و جاء فى الأثر:

١- فى تفسير الامام ان معنى الم: «ان هذا الكتاب الذى أنزلته هو الحروف المقطعه التى منها الف لام ميم، و هو بلغتكم و حروف هجائكم فاتوا بمثله إن كنتم صادقين. « (١) ٢-

القمى عن الباقر عليه السلام : «هو حرف من اسم الله الأعظم المقطوع يؤلفه الرسول و الإمام عليهما السلام فيكون الاسم الأعظم الذى إذا دعى الله به أجاب. « (٢)

ص: ١٠١

١- ١) تفسير الصافى، المولى محسن الفيض الكاشانى ج ١ ص ٩١

٢- ٢) المصدر ج ٤ ص ٣٦٦

و روى عن الامام على عليه السلام أنه قال: «ان لكل كتاب صفوه و صفوه هذا الكتاب حروف التهجي.» (١) ٤-

و فى حديث شريف عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «يا أبا ليلى أن لى فى حروف القرآن المقطعه لعلمما جما.» (٢)

القرآن هدى:

[٢] يلخص القرآن تعريفه لذاته فى ثلاث كلمات هى:

أ: كتاب- ثابت و متفاعل- و ليس مجرد توجيهات غير مترابطة أو غير متكامله.

ب: لا ريب فيه، و لا يرقى اليه شك. حقيقى لأنه غير متناقض فى ذاته و لا مع الإنسان و لا بالنسبه الى هدى العقل.

ج: هدى للمتقين. يهدى من يحب الهدايه و يعمل من أجلها، فالتقوى حذر بالقلب و عمل فى الواقع، و من دون الحذر (العامل النفسى الذى يبعث نحو إرادته الهدايه) و من دون العمل من أجل الهدايه، لن تكون هدايه.

ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ثُمَّ يَتَحَدَّثُ الْقُرْآنُ عَنْ ثَلَاثِهِ مَوَاقِفَ لِلنَّاسِ اتِّجَاهَ الْكِتَابِ الْجَدِيدِ. (التقوى، الكفر، النفاق).

ص: ١٠٢

١-١) مجمع البيان ج ١ ص ٣٢

٢-٢) الصافى ج ١ ص ٩٠

[٣] من هم المتقون؟ وما هي صفاتهم البارزة؟ أهم تلك الصفات هي الإيمان بالغيب و الذي يعنى تجاوز الحقائق التي يشهدها الإنسان مباشرة، للوصول الى تلك التي لا يشهدها مباشرة. هذه المقدره التي تجعلنا -نحن البشر- نحصل على ميزه العلم بالمستقبل (الغيب) عن طريق معرفه الحاضر (الشهود) و العلم بالماضى (الغيب) عن طريق مشاهدته آثاره على الحقائق الحاضر (الشهود).

هذه الصفه تتعمق فى المتقين الى درجه الإيمان فهم يؤمنون بالمستقبل و ليس يعرفونه فقط، و يؤمنون بالماضى و ليس يعلمون به فحسب، و فرق كبير بين الإيمان و العلم. الإيمان هو التسليم النفسى و العقلى للعلم، و تطبيقه على الحياه فعلا.

و أعظم الغيب و أظهره هو الإيمان بالله الذى انتشرت آياته الظاهره على كل أفق و فى كل شىء، و الإيمان به أصل الإيمان؟.

و الإيمان بالغيب يتعمق بالصلاه التي تفتح خطا روحيا مباشرا بين الإنسان و بين الله، و تصبح جسرا بين الحضور و بين الغيب. و تتجسد هذه الصله فى العطاء الشامل. فلا إيمان و لا صله من دون تصديق ذلك بالعطاء و الإنفاق.

و لكن من أى شىء يتم العطاء. هل من أنفسنا نعطى شيئا لله؟ كلاً انما نقتطع جزء صغيرا مما أنعم الله علينا فننفق منه. و لكل شىء عطاء مناسب له فالمال بصرفه، و الجاه ببذله، و العلم بنشره و هكذا.

من هنا كان:

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

ص: ١٠٣

[٤] و الإيمان الذى يتحلى به المتقون هو ايمان كامل لا يقتصر على بعض الحقائق فقط، و ينحسر عما يخالف الأهواء، انما هؤلاء يؤمنون بما انزل الى الرسول من كتاب و بما انزل على الرسل من قبل رسول الله محمد صلى الله عليه و آله لا يفرقون بينهم.

و ايمانهم بالآخـره إيمان راسخ يصل الى مستوى اليقين، فاذا بهم مطهرون من أى شك فى يوم الجزاء. بذلك تتكامل عقائد المتقين، الإيمان بالله (الغيب) و ما يدعم هذا الإيمان من الصلاه و الزكاه ثم الإيمان بالرسالات ثم الإيمان بيوم القيامة.

و بالطبع الإيمان بالرسالات يدعونا الى الايمان بخلفاء الرسل و بامتداداتهم.

كما ان الإيمان بيوم الميعاد يأتى نتيجة للإيمان بعداله الله. و هذه هى أصول الدين الأساسية التى تشكل جوهر شخصيه المؤمن.

وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ [٥] و النتيجة التى يحصل عليها المتقون هى الهدايه و الفلاح. الهدايه بما فيها من استقامه فى العقل و الروح. و الفلاح بما يشمل من سعادته فى الدنيا و الآخرة.

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [٦] من هم الكفار؟ الفئة الثانيه من تقسيمات القرآن هم الذين يستحيل أن يعودوا الى الحق، لأنهم عاندوا الحق و سدوا آذانهم و أعينهم عن سماع الدعوه اليه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [٧] الكفر - كالأيمان - يبدأ من الاختيار الحر للإنسان و لكنه ينتهى

بالله.فهو الذى يمد لهذا أو ذاك.فالمؤمن يزيد إيمانا و الكافر يزيد ضلاله و يسلب منه نور الإيمان،فاذا به يصبح و قد.

حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ لِمَاذَا؟لأنهم لم يستثمروا قلوبهم و عقولهم و لا- سمعهم المؤدى الى القلب،فلا فكروا هم بأنفسهم و لا هم سمعوا كلام المفكرين.فتبلدت عقولهم و لم تعد تعمل و تركهم الدعاه فلم يعودوا ينصحوهم.

وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ يَسْتَحِيلُ مِنْهَا رُؤْيَاهُ الآيات و التوصل عن طريقها الى الحقائق. لأن القلب لا يعمل،فتتحول العيون الى كامرات تصور الأشياء دون أن تفهم منها شيئا.

ماذا ينتظر هؤلاء من الله؟ماذا ينتظر من غمض عينيه و أخذ يمشى فى الظلمات؟هل ينتظر منه الوصول الى بيته سالما؟أم الى المقبره أو المستشفى؟ كذلك من سد منافذ عقله و عاند الله و الحق.

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [٨]من هم المنافقون؟ ان لهم صفات شتى أبرزها انهم يقولون آمنا و ما هم بمؤمنين.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ [٩]و لأن المنافقين يضمرون الكفر تحت غطاء الإيمان،يحاولون جهدهم أن يبالغوا فى العبادات(كثرة الصلاة رياء)هم يريدون خداع الله و المؤمنين بينما

الحقيقه انهم يخادعون أنفسهم لأنهم يبدءوا بتصور أنهم استطاعوا أن يضمّنوا الدين الحقيقى مع عدم خسرانهم للدنيا ولشهواتها و ذلك لأنهم يبدءون بزعم ان أعمالهم (القشريه)هى الدين، فيفرغون الدين من معانيه و يكونون له معنى جديدا فيمنعون عن أنفسهم الفوائد الكبيره التى يعطيها الدين الحقيقى لو انهم التزموا به. لهذا يقول الله:

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَفْضِلُ اللَّهُ الْقَوْلَ فِي الْخِدَاعِ الذَّاتِي الَّذِي يمارسه المنافقون بلا وعى منهم و يقول:

[١٠]أولاً:انهم يكرسون-بعمليه النفاق-مرض الجبن و الهزيمه،و اللالإرادته فى أنفسهم. كل ابن آدم مبتلى فى قلبه بهذه الأمراض،و لكن المنافق يكرسها حتى يبنى حياته كلها على هذه الشاكلة.فهو يعيش شخصيتين داخله و ظاهره،و بينهما تضيق إرادته و قدرته على التحقق و المبادره فكيف إذا صبغت حياته كلها بالكذب.

فى قلوبهم مَرَضٌ مِنَ الْجَبَنِ وَالْإِسْتِسْلَامِ ..

فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا مِنْ تَكْرِيسِ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ، ثم ان هؤلاء لا يمكنهم أن يعيشوا مطمئنين لأنهم يعيشون الخوف و القلق و خشيه الافتضاح،و هذا يسبب لهم عذابا أليما، يأتيهم بسبب الكذب الذى صبغت به حياتهم كلها.

ان الواحد منا قد يكذب كذبه واحده فيعيش فى القلق الدائم خوف اكتشاف

كذبتة، و يفكر أبدا في طرق الإخفاء على الكذب.

وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [١١] ثانيا: تختلط عندهم مقاييسهم العقلية (بسبب مضايقتهم لهدى الله، و بسبب توتر شخصيتهم) و لذلك يتوغلون في الفساد، و يزعمون أنه الصلاح بذاته.

و لأنهم يعيشون بعيدين نفسيا عن المجتمع من حولهم فهم لا يستطيعون أن يستفيدوا من نصائح الآخرين، أو تتكامل أفكارهم عن طريق التفاعل مع أفكار الآخرين. لذلك قال ربنا سبحانه:

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ [١٢] بينما الحقيقة غير ذلك. ان هؤلاء أصبحوا أعضاء فاسده في المجتمع، و لكنهم فقدوا المقياس الذى عن طريقه يستطيع المرء اكتشاف الفساد عن غيره فهم لا يشعرون.

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَ لَكِن لَّا يَشْعُرُونَ وَ عَبَّرَ الْقُرْآنُ ب (الشعور) و لم يعبر ب (العقل) فلم يقل (و لكن لا يعقلون) لكى يشكف لنا بأن القضايا البسيطة التى لا تحتاج الى التفكير و التعقل. (كالتمييز بين الفساد و الصلاح) لم يعد يفهمها المناق، فكيف بالقضايا المعقدة.

ان الشرط الأول للعلم بأيه حقيقه هو الثقة بالذات و بالمقاييس العقلية التى يملكها الإنسان. و النفاق يفقد صاحبه هذه الثقة فلا يعرف شيئا.

[١٣] ثالثا: انهم يتمحورون حول أعمالهم فيحسبونها هى الحق و غيرها

الضلال و الباطل. و بذلك يتهمون الناس بالسفه، و يضيِّعون على أنفسهم فرصه الانتفاع بآراء الناس و تجاربهم.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ وَ لَكِن مِّنْ هَذَا السُّفِيهِ الْحَقِيقِي؟ أ لَيْسَ ذَلِكَ الَّذِي يَضِيعُ عَلَى نَفْسِهِ فَرْصَةُ الْإِيمَانِ وَ فَرْصَةُ الْإِنْتِفَاعِ بِتَجَارِبِ الْآخَرِينَ؟ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ [١٤] و بسبب الانعزال النفسى عن المجتمع و عن خبراته و عقله، يستهزءون بأعمال المجتمع و يتصورونها تصورا معكوسا، و بذلك يعزلون أنفسهم عمليا عن المجتمع، إذ لا يساهمون فى نشاطاته التى لا تعود بالنفع على المجتمع فقط بل عليهم أيضا لو عملوا بها.

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاظِنِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ [١٥] و هذه النفسيه المعقده تسبب لهم ضياع فرص الهدايه لهم الى الأبد، إذ كلما سمعوا كلاما فسروه تفسيراً سلبياً و استهزؤا به فبأى شىء يهتدون؟ من هنا قال الله تعالى:

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمِدُّهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أَى يعمون عن الحقيقه فلا يرونها و كأنهم لا يملكون البصر أبدا(العمه:فقدان البصر منذ الولاده).

و يسمى القرآن النفاق هنا طغيانا لأنه لا ينشأ إلا بسبب فقدان العبودية لله و الاستسلام لشهوات الذات، و ضغوط المجتمع. إذن هناك أربع أزمات يواجهها المنافق بسبب خداعه الذاتى:

أولاً:ازدياد مرضه النفسى و المؤدى به نحو العذاب الأليم.

ثانياً:توغله فى الفساد.

ثالثاً:انفصاله عن خبرات المجتمع و انعزاله فى قوقعة ذاته.

رابعاً:ضياع فرصه الهدايه الى الأبد،و العمى النفسى.

[١٦]و يضرب الله لنا الأمثال حتى نفهم حقيقه النفاق، و نتحذر منه فيقول:

مثل النفاق مثل من يشتري شيئاً و يدفع الثمن،فلا يعطيه البائع البضاعه،فيخسر ماله و لا يحصل على بضاعه.هكذا يشتري المنافق الدنيا بالآخره يعطى الحق و الهدايه ليأخذ السعاده فى الدنيا فلا يحصل على هذه و يخسر تلك.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ [١٧]و مثال آخر يضربه القرآن ليكشف لنا جانباً آخر من النفاق:

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ انطفأت و لم يبق أمامه إلا الدخان و الرماد.

وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ان الهدايه نور أضاءه الله للإنسان،و المنافق كان قريباً من النور،و ظاهرياً

آمن به، و ربما آمن به إيماناً صادقاً في لحظه طيبه من لحظات عمره، ولكنه كفر به بعدئذ استجاب له لضغط الشهوات و استسلاماً لإرادته طواغيت المجتمع الفاسد فذهب الله بنور الهدايه فما ذا بقي غير الظلمات و العمى.

[١٨] صُمُّ بَكْمٌ عُمَى فَهَمْ لَا- يَرْجِعُونَ انهم يفقدون كلّ مشاعرهم و قدراتهم. فهم يفقدون القدره على السماع، و القدره على الكلام، و القدره على النظر، و بالتالى القدره على العيش فى الحياه.

لأنهم فقدوا مشاعرهم و قدراتهم. فكيف يعيشون؟ انهم يتيهون فى صحراء الفراغ الى الأبد.

[١٩] و مثل ثالث يضربه الله عن واقع المنافق فلنتصور الآن اننا فى العراء حيث الليل و السحاب المتراكم. الظلام يلفنا، و الرعد يهزنا خوفاً و هلعاً.. اننا نلتمس نورا نمشى به. ماذا نفعل ننتظر بارقه فى السماء تضىء لنا الأرض فنمشى فى ضوئها، و لكنها تبقى لحظات و تنتهى. بعضنا يتمسك بهدى البرق حين يضىء.

فيحاول اكتشاف الطريق. فاذا انطفأ استمر فى المشى، و لكن البعض ليس هكذا، انه يمشى كلما أضاء البرق و يقف بعدئذ. ذلك مثل المؤمن و المنافق. المؤمن ينتفع بهدى الوحي الذى يشبهه برق السماء فيتمسك به، و لكن المنافق لا يتفاعل معه فيتيه فى الظلمات.

أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَ رَعِيدٌ وَ بَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَ اللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
[٢٠] يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَ إِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

وَ أَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الحياه صحراء و شهواتها هي تلك السحابه الكثيفه التي فيها ظلمات و رعد و برق، و نحن فيها بحاجة الى نور السماء يهبط علينا كما يهبط الماء من السماء، و لكن علينا أن نتمسك بهذا النور حتى لا يضيع في زحمه الحياه فنترك في الظلمات.

و قد يغضب علينا ربنا فيسترد منا السمع و الأبصار، و لا نستطيع أن نتحرك في أمور حياتنا قيد أنمله لأنه محيط بنا، و قادر علينا. و لا يجوز أن نغتر بما في الحياه من مظاهر القوه، فنحسب أنفسنا أقوىاء من دون الله سبحانه لأنه محيط بنا، و قادر على أخذنا بقوته أخذاً شديداً.

ص: ١١١

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

اللغه

٢١[خلقكم]الخلق هو الفعل على تقدير،و خلق السموات فعلها على تقدير ما تدعوا اليه الحكمه من غير زياده و نقصان،و الخلق الطبع و الخليقه الطبيعه و الخلاق النصيب.

٢٢[السماء بناء]سمى السماء سماء لعلوها على الأرض و كل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء،و كل ما علا الأرض فهو بناء.

[أندادا]الند المثل و العدل و قيل الند الضد.

٢٣[ان]جاءت هنا لغير شك لاین الله تعالى علم أنهم مرتابون و لكن هذا على عادة العرب في خطابهم كقولهم ان كنت إنسانا فافعل كذا.

[عبدنا]العبد المملوك من جنس ما يعقل و نقيضه الحر،من التعبيد و هو التذليل لان العبد يذل لمولاه.

[سوره]مأخوذه من سور البناء و كل منزله رفيعه فهى سوره:فكل سوره من القرآن فهى بمنزله درجه رفيعه و منزل عال رفيع يرتفع القارئ منها الى منزله اخرى الى أن يستكمل القرآن و قيل السوره هى القطعه من القرآن انفصلت عما سواها و أبقيت.

٢٥]بشر[البشاره هى الاخبار بما يسر المخبر به إذا كان سابقا لكل خبر سواه.

ص: ١١٣

هدى من الآيات:

بعد ان قسّم القرآن الناس الى ثلاث فئات، عاد ليتحدث لنا بالتفصيل عن صفات المؤمنين، و يميزها تفصيلا عن صفات المنافقين، و لكن قبل ذلك فانه لا بد من التذكير بأركان الايمان و هى الايمان بالله و بالرسالات و باليوم الآخر، و هو ما نجده فى هذه المجموعه من الآيات.

بينات من الآيات:

[٢١] الايمان بالله يتجسد فى عبادته، و عباده الله تنتهى بالإنسان الى درجه المتقين (الذين استهل القرآن هذه السوره بذكرهم) و لكن لماذا نعبد الله، و لا- نعبد آباءنا؟ الجواب: لأنه خلقنا و خلقهم فهو ربنا جميعا. فلما ذا نجعل الاباء واسطه بيننا و بين ربنا، ما دامت علاقتنا نحن به هى ذاتها علاقه آباءنا به سبحانه. إذا لا

خضوع للآباء.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

[٢٢] و سؤال آخر لماذا نعبد الله و نخضع لأوامره، و لا نعبد الحياه و هى التى تتصل بنا مباشرة. فهى تعطينا الرزق و الروعه و القوه؟
الجواب: لأنه هو الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ هو أولاً خلق الحياه بشكل استطعنا ان نستفيد منها. فلو كانت الأرض كلها من الحديد كيف كنا نعيش عليها، و كيف نبني و نزرع و نفتح الطرق..و..و.

و لو كانت السماء متهاويه تسقط علينا من هذه النيازك الكثيره التى تجول فى أرجائها. هل كنا نعيش؟! ثم جعل السماء تنزل علينا الماء، و جعل الأرض تنبت ألوانا من الزرع رزقا لنا، ثم بعد كل ذلك نذهب و نعبد غير الله؟! حاشا! فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

[٢٣] كيف نعبد الله؟ باتباع رسله، و هذا الرسول بالذات لأنه جاء بمعجزه القرآن. و يسألنا: هل تستطيعون ان تأتو بمثله إذا يجب اتباعه لان اتباعه تجسيد لعباده الله.

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا

ص: ١١٥

شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ لِصَادِقِينَ .

و بالطبع سوف يشهد الجميع حتى أولئك الشهداء البعيدون عن الله، سوف يشهدون على أن القرآن أفضل مما أوتى به من قبله. و آتند دعوا الشك جانبا و اخضعوا للرسول.

و هذه هى الرساله ثانيه العقائد الإسلاميه و الحلقه المتصله بالتوحيد العقيده الإسلاميه الأولى.

[٢٤] فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا الدَّارَ الَّتِي وَ قُودَهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ هناك الجزء الاول حيث يعاقب الكافرون بهذه النار العظيمه التى تلهب الناس و الحجاره.

[٢٥] اما المؤمنون بالله و برسالاته فإنهم فى جنات فيها كل نعم الحياه و زياده.

وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ .

فهى منطقه مزروعه فيها روعه الأشجار و جمال الأنهار و فيها نعم الحياه.

كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا .

فهى من جهه-رزق رزقوا به فى الدنيا-و هى من جهه ثانيه تشبه الى حد بعيد ما رزقوا به هناك فى الاخره لأنها كلها عظيمه اللذه فهم لا يكادون يكتشفوا الفرق بين رزق و رزق.

و هم هناك منعمون نفسيا.

وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَلَا يَخْشُونَ الفناء و يتمتعون بلذة حب البقاء و هذه هي العقيدة الثالثة بعد الايمان بالله و رسوله.

ص: ١١٧

اشاره

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا
ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا - يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ
يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَهْلًا لِمَنَّمْ
يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ
هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

اللغه

٢٦[يستحي]الاستحياء من الحياء و نقيضه القحه.

[يضرب]الضرب يقع على جميع الأعمال الا قليلا يقال،و ضرب في الأرض و ضرب في سبيل الله،و ضرب فلان على يد فلان إذا
أفسد عليه أمرا أخذ فيه،و ضرب الأمثال إنما جعلها لتسير في البلاد.يقال ضربت القول مثلا و أرسلته مثلا.

[البعوض]:القرقس و هو صغار البق الواحده بعوضه.

[الفاستين]الفسق و الفسوق الترك لأمر الله و قيل الخروج عن الطاعة تقول العرب فسقت الرطبه عن قشرها إذا خرجت.

٢٧[ينقضون]:النقض عكس الإبرام.

[عهد]العهد العقد،و عهد الله وصيته و أمره.

[ميثاقه]الميثاق ما وقع التوثيق به.

[يقطعون]القطع الفصل بين الشئيين، و أصل ذلك من الأجسام و يستعمل ذلك أيضا فى الأغراض تشبها به يقال قطع الجبل و قطع الكلام.

[يوصل]الوصل نقيض الفصل و هو الجمع بين الشئيين من غير حاجز.

[الخاسرون]الخسران النقصان و الخسار الهلاك و الخاسرون الهالكون و أصل الخسران ذهاب رأس المال.

٢٩[خلق]أصل الخلق التقدير.

[جميعا]الجمع الضم و نقيضه الفرق و سميت الجهة جهة لاجتماع الناس.

[استوى]الاستواء الاعتدال و الاستقامة و نقيضه الاعوجاج.

ص: ١١٩

اشاره

كيف يجب أن تكون؟

هدى من الآيات:

حدثنا القرآن الحكيم عن فئات الناس. ثم ذكرنا بالايمان و أركانه الثلاثه.

و الآن دخل صلب الموضوع و هو تحليل شخصيه الإنسان و ما ينبغي ان تكون عليه شخصيه الإنسان الفرد و الإنسان الجماعه(الأمه).

قصة الخلق الأول:

اشاره

يبدأ القرآن بالحديث عن الإنسان الفرد في هذه المجموعه من الآيات و لكنه لا يتحدث عنه بصوره مرتبطه بالمفاهيم العامه، بل بصوره رمزيه مستوحاه من قصه حقيقيه مرتبطه بالواقع الحى. انها قصه الخلق الاول التى يفصلها الله في ثلاث مراحل.

أولاً: يتحدث عن منهج التفكير الايمانى و عن الأسباب الواقعيه التى تدعوا الى الكفر بالله. (الآيات ٢٦-٢٧)

ص: ١٢٠

ثانياً: عن خلق الله للحياه و للعالم. و خلق الله للإنسان تزويده بالعلم و تحميله مسئوليه الاختيار بعد ان زوده بالإراداه أيضاً. ثم قصه الخطيئه الاولى حيث يوجزها القرآن هنا و العوامل المؤديه إليها..

ثالثاً: عن ان الإنسان اليوم مزود أيضاً بالعلم و الاراده و عليه ان يتحمل مسئوليه اعماله..

و هذه بالطبع عبره القصه السابقه. و خلال عرض القرآن هذه المراحل، يكشف لنا عن حقائق كبيره اخرى.

بينات من الآيات:

[٢٦] اخطر شيء يهدد قدره الإنسان على التفكير السليم هو الاستياء و هو حاله نفسيه. تسجن العقل فى زنانه الذات و تصور له ان الفكر الصحيح و الرأى السليم هو ما يصنعه خيال الإنسان نفسه، و ان الحياه لا عبره فيها و لا معرفه. و هناك يستكبر الإنسان على تعلم التجارب الجديده و على الاستفاده من تجارب الآخرين أو الانفتاح على معارفهم و علومهم. و لكى يصور لنا هذه الحاله و أثرها السلبى فى قدره الإنسان على التفكير السليم، يحدثنا عن قصه البعوضه انها صغيره و متواضعه و لكنها قد تعلمنا أشياء كثيره.

فاذا استكبرنا و قلنا ما قيمه البعوضه حتى نتعلم منها، فإننا سوف لا نفهم شيئاً الى الأبد و إذا طرحنا المسأله بشكل آخر و قلنا نحن جهلاء و العلم ينفعنا و ما يضرنا لو أخذنا العلم من هذه البعوضه.

و لكن كيف و لماذا يستكبر البعض فيضلون و ينحرفون؟ الجواب.. ان سبب الضلال، هو الفسق، فالفاسق الذى لا يراعى حقوق

الآخرين بل يحاول عباده ذاته، والتطواف حول مصالحه يدور معها أينما دارت، هذا الفاسق هو الوحيد الذى يستكبر، لأنه لا يستطيع ان يرى الآخرين. لا يرى الآ- نفسه فقط و كأنها الوحيده فى العالم. فكيف يقدر على الانتفاع بتجارب الآخرين و هو لا يؤمن أساسا بوجودهم.

من هنا يربط منهج القرآن فى العلم بين طائفه من الأخلاق و بين العلم- حسبما نشرحها فى الآيه التاليه.

اما هذه الايه فتقول:

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا ۗ فَمَا دَامَ اللَّهُ يَحْتَرِمُ الْبَعُوضَهُ وَلَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا بِهَا، لأنها تمثل جانباً من الحق، والله لا يستحى من الحق. فما دام الله ربنا لا يستحى، فلما ذا نستكبر -نحن البشر- على الاستفادة من البعوضه فما فوقها.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ لِأَنَّهُمْ آمَنُوا، ولأنهم يقدسون الحق أنى وجدوه حتى لو وجدوه فى البعوضه الصغيره. وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۗ وَ كَانَتْهُمْ يَسْتَهْزِءُونَ بِالْبَعُوضَةِ وَ يَسْتَصْغِرُونَ شَأْنَهَا، يقول الله: كلا ان هذه البعوضه يمكن ان تكون موضع ابتلاء فتشكل خطأ فاصلا بين طائفتين كبيرتين من الناس:

يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا

ص: ١٢٢

الذين يؤمنون يستفيدون من البعوضه لأنهم يقدرون الحق و يقدرسونه. و اما الكافرون فيستكبرون فيتوغلون فى الكفر.

وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ مَنْ هُم الْفَاسِقُونَ؟ فى الآيه التاليه شرح لذلك.

[٢٧] للفاسيقين صفه نفسيه واحده. هى عباده الذات. و لها مظاهر عمليه كثيره أبرزها ثلاثه:

الف: نقض العهد:

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ فَهُمْ لَا يَحْتَرِمُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَ يَضَعُونَ أَنْفُسَهُمْ فَوْقَ الْعَهْدِ الْمُقَدَّسِ.

باء: وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ فَلَا يُؤَدُّونَ حَقَّ النَّاسِ مِنَ الْقَرِيبِ وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ غَيْرِهِمْ، وَ لَا يَحْتَرِمُونَ حُرْمَاتِ النَّاسِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَرَاعَى، بَلْ يَدُوسُونَ عَلَيْهَا سَعْيًا وَرَاءَ مَصَالِحِ ذَوَاتِهِمْ وَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِهِمْ.

جيم: وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا يَحْتَرِمُونَ الْحَيَاةَ أَبَدًا. فقد يحرق حقلا- كاملا- لكى يتمتع لحظه واحده بمنظر النار تلتهم رزق الملايين. ان هذه الفئه لا- تحترم الله و لا الإنسان و لا الطبيعه. لأنها لا ترى قدرا يغير ذاتها. و هؤلاء هم الذين يضلهم الله، لأنهم وضعوا أنفسهم فى معتقل أنفسهم فلم يبصروا الا مصالحها. فكيف يمكن ان يفهموا الحياه، هل

ص: ١٢٣

يستطيعون ان يخدموا أنفسهم بهذه الطريقه كلابل:

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ سرعان ما يلعنهم الله و الناس و تلفظهم الطبعه لفظا.

[٢٨]عباده الذات خطأ.لأنها تؤدي ببساطه الى الجهل و الخسران،بينما كان يجب ان ينطلق الإنسان في تقييمه للحياه،و في عمله فيها من نقطه اخرى هي الايمان بالله.لان الله في الواقع هو الذى خلق الذات،و خلق الحياه،و هو ربهما الأعلى.

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ متى و كيف و بماذا أحيانا الله لا يهمننا ذلك انما الذى يهمننا الآن اننا كنا فى التراب الميت.فى الماء و فى الهواء فأصبحنا الآن احياء.

ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ عند البعث الأكبر.

ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ للحساب.

[٢٩]و لم يتركنا بعد الحياه عبثا انما شملت رحمته كافه جوانب حياتنا.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا خلقها و خلقنا بشكل نستطيع ان نسخرها فى خدمتنا.أوجد المعادن فى الجبال، و أعطانا القدره على تحويلها الى أدوات فى سبيل راحتنا.و خلق ينابيع الماء،و منابع

النفط، و مناجم الفحم، و معادن الذهب و النحاس فى باطن الأرض، و أعطانا القدره على استخدامها.. فكيف نعبد أنفسنا و لا نعبد الله. دعنا نخرج من ذواتنا، و نعيش مع ما خلق لنا الله فى الأرض.

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَ تَوَجَّهُ إِلَيْهَا بِقُدْرَاتِهِ الْوَاسِعَةِ.

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ سَمَاوَاتٍ عَدِيدَةٍ لَا نَعْرِفُ عَنْهَا إِلَّا قَلِيلًا..

وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فإنه قدير و عليم و نحن ضعفاء و جهلاء، دعنا إذا نعبده لنكتسب القدره و العلم.

هذه القدره و العلم هما الميزتان الرئيسيتان للإنسان.

كيف كان ذلك؟ فى الآيات التاليه قصه ذلك.

ص: ١٢٥

إشارة

وَ إِذِ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً قَالُوْۤا اَتَجْعَلُ فِيْهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيْهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ اِنِّىْ اَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ (٣٠) وَ عَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَ هُمْ عَلٰى الْمَلٰٓئِكَةِ فَقَالَ اَنْبِئُوْنِىْ بِاَسْمَآءِ هٰٓؤُلَآءِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ (٣١) قَالُوْۤا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ (٣٢) قَالَ يَا اٰدَمُ اَنْبِئْهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا اَنْبَأَهُمْ بِاَسْمَآئِهِمْ قَالَ اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّىْ اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وَ اَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ (٣٣) وَ اِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّا اِبْرٰٓهِيْمَ اَبٰى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ (٣٤) وَ قُلْنَا يَا اٰدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّٰلِمِيْنَ (٣٥) فَازْلَمَهُمَا الشَّيْطٰنُ عَنْهُمَا فَاَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيْهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ اِلٰى حِيْنَ (٣٦) فَتَلَقٰى اٰدَمُ مِنْ رَّبِّهِ كَلِمٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ اِنَّهٗ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوْا مِنْهَا جَمِيْعًا فَاَمَّا يٰۤاٰدَمُ فَاسْكُنْ اَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الْكٰفِرِيْنَ (٣٨) وَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْۤا وَ كَذَّبُوْۤا بِآيٰتِنَا اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ (٣٩)

اللغة

٣٠[الملائكة] جمع الملك و اختلف فى اشتقاقه فذهب أكثر العلماء الى انه من الآلوكه و هى الرساله و قال الخليل الآلوكه الرساله و هى المألکه و المألکه على مفعله و قال غيره انما سميت الرساله الوكا لأنها تمضغ فى الفم.

[جاعل] الجعل و الخلق و الفعل و الاحداث نظائر و حقيقه الجعل تغيير الشىء عما كان عليه و حقيقه الفعل و الاحداث الإيجاد.

[الخليفه] الخليفه و الامام واحد فى الاستعمال الا أن بينهما فرقا فالخليفه من استخلف فى الأمر مكان من كان قلبه و الامام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضى وجوب الاقتداء به و فرض طاعته.

[السفك] حب الدم.

[نسيح] التسييح التنزيه لله تعالى عما لا يليق به.

[نقدس] التقديس التطهير و نقيضه التنجيس.

٣٦]أزلهما[الزله و الخطيئه و المعصيه و السيئه بمعنى واحد و ضد الخطيئه الاصابه يقال زلت قدمه زلا و زلّ في مقاتته زله و المزله المكان الدحض و الأصل في ذلك الزوال و الزله زوال عن الحق و أزاله الشيطان أزاله عن الحق.

ص: ١٢٧

[اهبطوا]الهبوط و النزول و الوقوع نظائر و هو التحرك من علو الى أسفل و قد يستعمل الهبوط بمعنى الحلول فى المكان و النزول به قال تعالى « اِهْبُطُوا مِصْرًا » .

[مستقر]القرار الثبات و المستقر يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار و يحتمل أن يكون بمعنى المكان الذى يستقر فيه.

[متاع]المتاع و التمتع و التلذذ متقاربه المعنى و كل شىء تمتعت به فهو متاع.

ص: ١٢٨

هدى من الآيات:

فى حوار جرى بين الله و بين ملائكته، نجد ان الملائكة اعترضوا على الله و تساءلوا لماذا يخلق الإنسان، و قالوا انه سوف يقوم بالخطيئه فعرفهم الله الحقيقه و كيف يحمل الإنسان العلم و القدره، و هما ميزتان كافيتان حكمه و هدفا لخلق الإنسان.

بينات من الآيات:

[٣٠] لنستمع الى ذلك الحوار الملهم:

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ .

ما ذا تعنى كلمه الخليفه؟ يبدو أن الأرض كانت مسكونه فاييد سكانها فأراد الله ان يجعل فيها من يسكنها من خلفهم، اى من بعدهم و كذلك فان الكلمه لا

تعنى ان الإنسان خليفه الله اى نائب الله و وكيله فى الأرض، إذ ان الله لم يمت حتى يخلفه أحد.

و لكن كيف عرف الملائكة: ان الإنسان سيفسد فى الأرض، هل عرفوا ذلك بالقياس الى سكان الأرض من قبل الإنسان؟ أم لأنهم اكتشفوا ذلك بعد ان عرفوا طبيعه الإنسان المزوده بالعقل و الشهوات، لا ندرى المهم انهم اعترضوا على الله، لأنهم زعموا ان الله لا يخلق الخلق الا لكى يقدسوه و يسبحوا بحمده. فقال لهم الله:

كلا.

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ .

[٣١] وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٣٢] قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [٣٣] قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ خلق الله آدم و حملّه علما، فعرف الملائكة ان حكمه الخلق ليست هنا الطاعه وحدها، بل الطاعه بعلم و وعى فسحبوا اعتراضهم.

و لكن ما هى الأسماء التى علمها الله لآدم؟ هل هى أسماء مجموعه من الناس، أم مجموعه من الأشياء؟ ربما تكون الأسماء فى التعبير القرآنى هى العلوم، لان العلم لا يصل الى حقيقه الأشياء بل يكشف خصائصها و علائقها (أسمائها) فقط لذلك عبر القرآن عن العلوم بالأسماء. و لكن لماذا قال الله أسماء هؤلاء و لم يقل أسمائها أو أسماء هذه، اشاره الى أشياء الطبيعه؟ فى بعض النصوص: ان كلمه

ص: ١٣٠

هؤلاء اشاره إلى النبي محمد وآله، عليه و عليهم صلوات الله و سلامه، باعتبار ان الرسول و خلفاءه هم الصفوه المختاره من أبناء آدم عليه السلام و بالتالى موضع تجلى حكمه الله من الخلق. أو ليس رسولنا الأكرم آيه عظمه الله و هكذا خلفاؤه المعصومون و هناك رأى آخر هو ان الآيه تشير الى الملائكه أنفسهم- و الملائكه بدورها مهيمنه على قوى الطبيعه- و معرفه أسماء الملائكه تعنى العلم بخصائص الأشياء و علامات قوى الطبيعه.

و حين قال الملائكه سبحانك، عبّروا عن مدى تقديسهم لله و انه وحده الكامل اما هم فضعفاء و لا علم لهم.

و لعل فى الآيه الاخيره دلالة على ان الملائكه كانوا قد أضمرُوا شيئاً آخر وراء اعتراضهم. ربما أضمرُوا نوعاً من الحسد- تجسد بعدئذ فى إبليس حين استكبر عن السجود- و لذلك قال الله سبحانه:

وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَ فى القصة كلها رمز آخر لا بد ان نفصل القول فيه:

ان الملائكه هى المخلوقات الموكلة بالحياه. فهناك ملائكه الرحمه و هناك ملائكه الغضب و ملائكه المطر و البحر و السحاب. و سجودهم لآدم (عليه السلام) هو رمز تسخير الطبيعه له.

و هناك أحاديث تدل على وجود ملائكه موكلين بالطبيعه نذكر فيما يلى طائفه منها:

-1

فى المناقب و تفسير القمى يروى صاحب تفسير الصافى عنهما (فى تفسير هذه الآيه «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» فيقول: من أن

ص: ١٣١

يقع فى رَكِي (رَكِي: البئر و جمعه ركاياء) أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شىء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه و بينه يدفعونه الى المقادير، و هما ملكان يحفظانه بالليل و ملكان بالنهار يتعقبانه (١).

٢- فى قوله: « وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ » (٣ الرعد)

روى عن النبى صلى الله عليه و آله انه سئل عن الرعد، فقال: «ملك موكل بالسحاب» (٢).

-٣

القمى عن الصادق عليه السلام : «ان أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن: الذاريات ذروا، قال: الريح، و عن الحاملات و قرأ، قال: السحاب، و عن الجاريات يسرا، قال: هى السفن، و عن المقسمات أمرا، قال: الملائكة» (٣).

-٤

عن الرضا عليه السلام فى قوله فالمقسمات أمرا، قال: «الملائكة تقسم أرزاق العباد بين بنى آدم، ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس، فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه» (٤).

-٥

عن أمير المؤمنين عليه السلام فى حديث طويل يصف الملائكة و يعدد الحجب قال:

«كل حجاب منها سبعون الف ملك، قوه كل ملك قوه الثقلين، منها ظلمه، و منها نور، و منها نار و منها دخان، و منها سحاب، و منها برق، و منها مطر، و منها رعد، و منها ضوء، و منها رمل، و منها جبل، و منها عجاج، و منها ماء، و منها أنهار..» (٥).

و هناك أحاديث كثيره تتحدث عن الحفظه، ملائكه الليل و النهار، ملك الموت،

ص: ١٣٢

١-١) تفسير الصافى ج ٣ ص ٦١

٢-٢) نفس المصدر ج ٥ ص ٦٧

٣-٣) المصدر ج ٥ ص ٦٧

٤-٤) المصدر-

٥-٥) المصدر

الرسول الذين يرسلون لنصره المؤمنين، وإنزال السكينه عليهم. و هي تدل على ان الطبيعه و كل بها الملائكه. و هكذا سخر الله الطبيعه للبشر بعد ان زوده بالعلم و اسجد الملائكه لآدم عليه السلام بسببه [٣٤] وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ السَّجُودَ هُنَا رَمَزَ الْخُضُوعَ كَمَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ مُوَكَّلَةً بِالْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ.

و امر الطبيعه ان تسخر للإنسان فاستجابت كلها، و لكن بعضها لم يستجب فما هو ذلك البعض يقول الله سبحانه:

فَسَبِّحُوا لِلَّهِ إِلهًا - إِبْلِيسَ أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ مَنْ هُوَ إِبْلِيسُ، و لماذا لم يسجد، و لماذا استكبر؟ في الآيات التاليه اجابه لهذه الأسئلة و لكننا نستبق السياق لنقول: ان لكل جانب من قوى الطبيعه ملكا موكلا به، و الملائكه كلهم سجدوا لآدم، و من خلالهم سخرت قوى الطبيعه كلها للإنسان (بالعلم)، و لكن هنالك ما و كل بقوه طبيعه لم يسجد للإنسان، و على الإنسان ان يخضعه و ليضمن سجوده فمن هو؟ و ماذا يمثل من الطبيعه؟ انه إبليس، الموكل بطبيعه الإنسان ذاته (النفس الاماره بالسوء).

فاذا اخضع الإنسان طبيعته التي و كل بها إبليس، و جعلها تسجد له انئذ استطاع ان يسخر الحياه كلها.

بيد ان أكثر الناس يغفلون عن هذه الحقيقه فتصرعهم طبيعتهم، و منهم بالطبع أبونا آدم في قصه الخطيئه الاولى فلننظر كيف صرعه طبيعته، و خدعه ابليس؟ [٣٥] وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا

وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ [٣٦] فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ان إبليس أزل أبانا آدم و زوجته،و لكن بماذا،بتلك الطبيعه الموجوده عندهما، فاخرجا من الجنة و ابعدا عن الطبيعه المسخره لهما.و هكذا سوف يزل إبليس أبناء آدم،و يبعدهم عن الجنة في الآخره،و عمّا سخر الله للإنسان في الحياه من النعم.إذا أطاعوه.

ما هي هذه الشجره التي نهى الله آدم عن الاقتراب إليها،هل كانت شجره التفاح،أم العنب،أم كانت الحنطه،أم ماذا؟ليس المهم ان نفهم ذلك بل المهم ان نعرف العبره من وراء القصة،و هي:ان في الطبيعه أشياء تضر الإنسان و قد نهى الله عنها،و على الإنسان ان يتعد عنها حتى يتمكن من الاستمرار في تسخير الحياه.

و لكن إبليس يثير النفس الاماره بالسوء،و لا يدع الإنسان حتى يدفعه الى تلك الأشياء المنهى عنها الضاره.و هنا يطرح هذا السؤال:

كيف يخرج الإنسان من جنه النعم حين يرتكب الخطيئه و يتبع الشيطان و النفس الاماره بالسوء؟ الجواب هناك طرق شتى:و لكن أبرزها هبوط الإنسان الى مستنقع الخلافات البشريه حيث يبدأ الناس بظلم بعضهم البعض.

وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْمَأْرُضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ [٣٧]و في مواجهه الصراع بين البشر بعضه مع البعض،و في مواجهه الطبيعه الشريره المدعومه بإبليس في داخل النفس البشريه،يصاب الإنسان بالضعف

و الجهل. و هنا تسعفه رسالات الله بالهدى، فمن تمسك بهذا الهدى نجي، و من لم يتمسك ضللا مينا.

اما أبونا آدم-عليه السلام- فقد تمسك به جيدا مما يبشر بأن المطاف سينتهي بانتصار الإنسان على طبيعته الشريره بفضل هدى الرب سبحانه.

فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ماذا كانت تلك الكلمات لعلها كانت رساله الله الى آدم حسب حاجاته و حاجات مجتمعه الناشئ، و فى النصوص المأثوره: انها كانت أسماء النبي محمد صلى الله عليه و آله و آله حيث دعا بهم آدم ربه فاستجاب له دعاءه.

[٣٨] و أصبحت تلك سنه الله تعالى انه يبعث رسالته الى الناس لينقذهم من طبيعتهم الشريره و من صراهم مع بعضهم..

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَعَلَى الْجَمِيعِ اتِّبَاعِ ذَلِكَ الْهُدَى.

فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ.

و لَا هُمْ يَحْزَنُونَ لِلْمَاضِي.

[٣٩] وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

و هذه هي عبره القصه كلها..ان الله سَخَّر للإنسان ما فى الأرض بالعلم، ثم سلَّط عليه إبليس، و المنقذ من إبليس هو هدى، الله فمَن تبعه نَجَّى، و من كفر و كذب به فان مصيره الى النار خالدا فيها. إلا ان يتوب الى الله قبل فوات الآوان.

ص: ١٣٦

اشاره

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ إِذْكُرُوا مَعَ الزَّاكِعِينَ (٤٣) أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (٤٦) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨)

اللغة

٤٤[البر]البر في اللغة و الإحسان و الصلحه نظائر يقال فلان بار وصول محسن و ضد البر العقوق.

[تنسون]النسيان و السهو و الغفله نظائر و ضد النسيان الذكر و حقيقته غروب الشىء عن النفس بعد حضوره و قد يكون النسيان بمعنى الترك نحو قوله تعالى « نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» أى تركوا ذكر الله فخذلهم.

[تعقلون]العقل و الفهم و اللب و المعرفة نظائر و ضد العقل الحمق

و العقال الرباط يقال عقلت البعير أعقله عقلا- إذا شددت يده بالعقال و العقل مجموع علوم لأجلها يمتنع الحر من كثير من المقبحات و يفعل كثيرا من الواجبات.

٤٥[الصبر]منع النفس عن محابها و كفها عن هواها و منه الصبر على المصيبة لكف الصابر نفسه عن الجزع و منه جاء فى الحديث و هو شهر الصبر لشهر رمضان لان الصائم يصير نفسه و يكفها عما يفسد الصيام.

[الخشوع]الخشوع و الخضوع و الإخبات و التذلل نظائر و ضد الخشوع الاستكبار.إلا أن الخشوع فى البدن و الإقرار بالاستخدام و الخشوع فى الصدق و البعد.

ص: ١٣٨

هدى من الآيات:

كان بنو إسرائيل امه مؤمنه تشبه الى حد بعيد الامه الاسلاميه و كان من الطبيعي ان يطرح القرآن الحكيم قضيتهم امام المسلمين، ليعتبروا بكل صغيره و كبيره منها. و على لغه: إياك اعنى و اسمعى يا جاره ضمّن القرآن نصائح قيمه للمسلمين من خلال حديثه عن بنى إسرائيل، و قد يصرح بتلك النصائح تصريحاً.

و تبدأ هذه القصة، التى تروى حياه بنى إسرائيل، بالتذكير باهميه نعمه الهدايه، ذلك لأنّ الله سخّر ما فى الأرض للبشر، و اعطى الإنسان الأدوات الكافيه لاستغلالها، و لكنّ المشكله التى تكمن فى الإنسان هى (الضلاله) الفكرية التى لا تدعه يستثمر طاقاته ليسخر الحياه بها، و لذلك يعتبر إنقاذ الإنسان من ضلالته مفتاحاً لاستخدام الحياه و تسخير طاقاتها فى خدمته. لقد عاش الإنسان على الأرض دهراً طويلاً و لكنه لم يتقدم عملياً نحو تسخير الحياه كما تقدم اليوم لماذا؟ لأنه لم يستثمر من قبل عقله و إرادته و قدرته.

و لكن يبقى السؤال لما ذا لم يفعل ذلك؟ والجواب لأنه (ضل) وانشغل بالتوافه و الجدليات الفارغه.

بينات من الآيات:

[٤٠] إذا كان لا بد من إنقاذ الإنسان من ضلاله قبل توجيه طاقاته الى الحياه، و هذا الانقاذ هو أكبر نعمه لله عليه. من هنا قال الله
لبنى إسرائيل:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ إِنَّهَا الْهَدَىٰ الَّتِي تُوَدَّىٰ بِالطَّبْعِ إِلَىٰ سَائِرِ نِعَمِ الْحَيَاةِ، و لكن نعمه الهدى و من
ثم سائر النعم لا تبقى الا بعد التمسك بها، و الوفاء بالتزاماتها. من هنا قال ربنا لبنى إسرائيل:

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ اى تمسكوا بالهدى، أعطيكم سائر النعم.

و لكن الإنسان قد يتنازل عن نعمه الهدى تحت طائله الخوف من الطبيعه، الخوف من الطواغيت. الخشييه من ضياع الشهوات و
هكذا..

و لكنه لا يعلم ان ابتعاده عن الهدى سوف يجره الى مصاعب أكبر مما يخشى منه، و لذلك يذكّرهم القرآن بالقول:

وَ إِيَّاى فَارْهَبُونِ لَا تَخْشَوُا الطَّبِيعَةَ أَوْ النَّاسَ أَوْ الشَّهَوَاتِ بَلْ اخْشَوْنِ وحدى، و إذا زالت الخشييه من الناس و تحرر الإنسان من
الخوف، زالت العقبه الاساسيه التى تعترض طريق

الايمان، و لكن تبقى عقبه العاده التي لا بد من تجاوزها.

[٤١]أصعب ما يتعرض له المؤمنون من امتحان هو مقاومه العاده.المؤمن متعود على طريقه معينه من السلوك،استنادا الى نصوص دينيه جاءت فى مرحله معينه من مراحل الحياه،و لكن تتبدل تلك المرحله و تتبدل النصوص وفقا لذلك،و لكن الفرد قد يظل أسير عاداته السابقه،فعليه ان يبذل المزيد من الجهد حتى يقاوم عاداته السابقه و يلتزم بطاعه الله.

من هنا أخذ الله عهدا قاطعا من جميع الأنبياء،ان يصدقوا النبى الذى يأتيهم لاحقا و يتبعوه،و لا تأخذهم فى اتباعه أنه أو عاده أو عزه بالإثم.حاشاهم.

و فى هذه الآيه يذكر الله بنى إسرائيل بذلك و يقول:

وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ إِذْ مَا دَامَت الرِّسَالَةَ وَ أَحَدَهُ وَ الِهْدَفِ لَيْسَ تَحْقِيقَ مَصَالِحِ ذَاتِيهِ،بل طموحات انسانيه عامه،فلا بد ان يسارع المؤمنون بالرسالات السابقه،الى الايمان بالرساله الجديده،و الا فسوف يدفعهم التنافس الى ان يكونوا أول كافر بهذه الرساله،سعيًا وراء كسب شارع المتدينين، و خوفا من فقدان قاعدتهم الايمانيه.كذا حذر الله بنى إسرائيل قائلا:

وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَ بَيْنَ ان سبب الكفر المبكر بالرساله قد يكون المصالح الذاتيه فقال:

وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ قد يكون السبب الخوف من بعض أصحابهم من ذوى العقول المتحجره لذلك

قال الله لهم:

﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ إِي اجعلوا تقواكم و خوفكم فقط منى و من عذابي و بطشى.﴾

[٤٢] و بعد الكفر تبدأ سلسله من عمليات التزوير و التحريف، أولها خلط الحق بالباطل، و كتمان جانب من الحق و إظهار جانب آخر، بحيث يثبت حجه أهل الباطل.

ان صاحب الرساله يجب الا يخدع الناس فيظهر لهم الجوانب التي تبرر سلوكياته. و يخفى عنهم الجوانب التي تدين تصرفاته. و هذا ما سوف يقع فيه من لا يسارع الى إتباع الحق، حيث حذر القرآن قائلا:

﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٣] و لكى لا يفعل صاحب الرساله هذه الجرائم، عليه ان يتوكل على الله، و يستعين به عن طريق الصلاه و الإنفاق. ذلك لان التنازل عن المصالح الشخصيه و الاستسلام المطلق للحق المتمثل فى الرساله الجديده ليس سهلا أبدا، بل هى بحاجه الى ما يدعمها من الصلاه و الزكاه. من هنا قال الله سبحانه:

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾ و إذا كانت الصلاه لله فلما ذا تختلف صلاه عن صلاه، و معبد عن معبد، ليجتمع الكل فى صف واحد. ليركعوا لله الواحد الأحد، و ليمنعوا عن رساله الله كل مظاهر الماديه المقيته.

[٤٤] إذا لم يسارع المؤمن بالرسالات السابقه الى الايمان برساله الله الجديده،

فانه يضطر الى ممارسه الرياء و النفاق، و التظاهر بالتدين و التنسك و العمل بالأهواء، ذلك لان الكفر بالرساله الجديده، يجعله بلا دين حقيقى فيتظاهر بالتمسك ببعض القشور و ترك حقائق الدين. من هنا حذر الله بنى إسرائيل و قال:

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ بَيْنَمَا كَانَ الْمَفْرُوضُ عَلَى هَؤُلَاءِ أَصْحَابِ الرَّسَالَةِ أَنْ يَكُونُوا أَكْثَرَ التَّزَامًا بِالرَّسَالَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الرَّسَالَه.

وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ وَ هَلْ يَكْفَى قِرَاءَه الْكِتَابَ..بالتبع لاء انما يجب التفكير فيه للاستفاده من جوهره، و ذلك هو العقل الذى ينبغى الوصول اليه.

أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٤٥] كيف نحارب النفاق و التلون؟ و كيف نقول بما نعمل و نعمل بما نقول و نتجاوز بالتالى المسافه بين الادعاء و الواقع؟ الجواب: بالإراداه القويه، و لكن كيف نقوى الاراده؟ ان الاراده بحاجه الى تدريب حتى تقوى، فهى كائى شىء فى الإنسان تنمو كلما استثمرها الإنسان أكثر فأكثر، العضلات تشتد بالرياضه و الاعصاب تقوى بمواجهه المشاكل، و الفكر ينمو باستخدامه، و هكذا الاراده تنمو كلما استفاد الإنسان منها، جرب ذلك و صمم على القيام بعمل صعب، انك سوف تجد صعوبه فى ممارسته أول مره، و لكن كلما قمت به أو قمت بأمثاله قلت صعوبته.

و الصيلاه أفضل استثمار للإراداه و بالتالى أفضل وسيله لتنميتها انك حين تصلى لله، تقاوم الذاتيه فى نفسك و تحارب طبيعه التقوقع داخل زنانه المصالح و بتعبير أوجز تحارب الشيطان بكل جنوده.

و حين الصلاة تهجم عليك وساوس الشيطان لتبعدك عن الاتصال بالله فتراك تركز نظرك في الله و الشيطان يصرفك الى اى شىء آخر غير الله.الى الدراسة الى التجاره الى مشاكل البيت و..و.و لا تزال فى حالة حرب حتى تنتهى الصلاة و هكذا سمي محل اقامه الصلاة(محرابا)لأنه فعلا موقع حرب.

و هكذا تكون الصلاة تجربه للاراده و ممارسه لها،بالاضافه الى انها تقربك الى الله رب كل شىء مما يشيع فى نفسك الثقه لمقاومه أسباب الضعف من الخوف و الرغبه.

و الصبر و من مظاهره العمليه الصيام و هو الآخر-تجربه للاراده-فهو يدع الإنسان يتطلع للمستقبل و لا يفكر فى حاضره فقط و الصبر بما يمثل من تطلع الى المستقبل بما فيها من ثقه بالله،قوتان هائلتان يجب الاستعانه بهما.

وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ لِمَقَاوِمِهِ ضَعْفَنَا الدَّخْلِي، و لكن الاستعانه بالصبر و الصلاة،صعبه هى الاخرى فكيف نصبر و كيف نصلى؟الجواب:علينا ان نخشع و ندلل غرور أنفسنا و كبريائها الكاذب،بالتفكر الدائم فى الآخره حيث نتصور أنفسنا و قوفا امام الله فى المحكمه الكبرى،حيث «لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ».ان الخشوع يدفعنا الى الصبر و الصلاة،لذلك قال الله:

وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ [٤٦] و الخشوع بدوره ياتى من (تصور)المعاد:

الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَ أَنَّهْمُ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

[٤٧] لذلك يذكر الله بنى إسرائيل بذلك اليوم الرهيب و بما أنعم عليهم من الهدى، و الذى تسبب فى ان يصبحوا أفضل الناس أجمعين فيقول:

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ [٤٨] وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ فاذا كانت الحياه الدنيا هى هدف الإنسان، فعليه ان يتذكر انه لن ينالها إلا بالتمسك بهدى الرساله. و إذا كانت الحياه الآخره هى الهدف الأسمى، فلا بد ان نتقى يوما توضع فيه الموازين العادله، ليأخذ كل إنسان جزاءه، و لا يغنى عنه أحد شيئا، و لا يشفع له (الا بإذن الله) و لا يقبل عنه بديل، و لا يمكن ان ينصر الكافرون.

ص: ١٤٥

وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)
وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) وَ إِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ
بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١) ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَ إِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
(٥٣) وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنِّي كُنْتُ مِنْكُمْ لَمَنْ طَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ إِنَّكُمْ بَارِكُمْ فَاذْكُرُوا أَنْفُسَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُهْتَدُونَ
بَارِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَ ظَلَلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّامَ وَ السَّلْوَى كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ لَمَا ظَلَمْتُمْ عَلَيْنَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧) وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ
ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةً نَعْفُوكُمْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَيَدَلَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا
عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩) وَ إِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ
إِنْتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ
نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ فِثَائِهَا وَ قَوْمِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا قَالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي
هُوَ أَذْيُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مَضِرًّا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَ الْمَسْكَنَةَ وَ بَاؤُ بِغَضَبِ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ النَّصَارَىٰ وَ
الضَّالِّينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

اللغة

٤٩[فرعون]اسم لملك العمالقه كما يقال لملك الروم قيصر و لملك الفرس كسرى و لملك الترك خاقان و لملك اليمن تبع فهو على هذا بمعنى الصفه.

[يسومونكم]السوم أصله الذهب فى ابتغاء الشىء،هو إرسال الإبل فى المرعى و بمناسبتة للمعنى المحدد و للعلم هنا ان فرعون كان يرسلهم الى حيث العذاب السىء كما لو أرسل الإبل للمرعى..

و سوء العذاب هو أليمه و شديده.

[يستحيون]أى يستبقون.

[البلاء]الامتحان و الاختبار.

٥٠[فرقنا]الفرق هو الفصل بين شيئين إذا كانت بينهما فرجه و الفرق الطائفة.

٥٥] لن نؤمن لك] أى لن نصدقك.

[جهره] الجهر و العلامه و المعايينه نظائر يقال جهر بكلامه و بقراءته جهرا إذا أعلن و حقيقه الجهر ظهور الشىء معايينه.

[الصاعقه] على ثلاثه أوجه «أحدها» نار تسقط عن السماء كقوله وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، و «الثانى» الموت فى قوله « فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ » و قوله فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ و «الثالث» العذاب من قوله « أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقِهِ عَادٍ وَ ثَمُودَ. » [بعثناكم] البعث إثاره الشىء من محله و منه يقال بعث فلان

ص: ١٤٧

راحلته إذا أثارها من مبركها للسير، و منه يقال ليوم القيامة يوم البعث لأنه يثار الناس فيه من قبورهم لموقف الحساب. و أصل
البعث الإرسال.

٥٧[ظلنا]الظله و الستره و الغمامه نظائر يقال ظللت تظليلا و الظل ضد الضيغ و نقيضه. و ظل الشجره سترها و يقال لسواد الليل ظل
لأنه يستر الأشياء.

[الغمام]السحاب و القطعه منها غمامه و انما سمى غماما لأنه يغم السماء أى يسترها و كل ما يستر شىء يسمى غمه.

ص: ١٤٨

٦١[أدعوا]الدعاء أصله النداء.و كل من يدعو ربه فهو يناديه.

[تنبت]الإنبات إخراج النبات و أصله من الظهور فكأنه ظهر إذا أنبت.

[بقلها]البقل كل نبات ليس له ساق.و هو ما ينبت الربيع.

[فومها]الفوم الحنطه و قيل هو الثوم بابدال الثاء مكان الفاء.

[أدنى]أى أقرب و أدون كما تقول هذا شىء مقارب أو دون و يجوز أن يكون أدنى من الدناءه و هى الخسه.

[ضربت]أى فرضت و وضعت عليهم و الزموها،من قولهم ضرب الامام الجزيه على أهل الذمه.

[الذله]المشقه و الهوان.

ص:١٤٩

[المسكنه] مصدر المسكين و المسكنه هنا مسكنه الفاقه و الحاجه و هى خشوعها و ذلها.

[باءوا] أى انصرفوا و رجعوا و لا يقال باء الا موصولا! إما بخير و إما بشر و أكثر ما يستعمل فى الشر، و يقال باء بذنبه يبوء به.

ص: ١٥٠

هدى من الآيات:

لا تزال الآيات تتحدث عن ذات الفكره التي بدأها القرآن، حين ذكّر بأنّ الذين يتمسكون بالرساله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، و يقص علينا من حياه بنى إسرائيل قصصا، تدل على ان رسالات الله كيف تقوم بدور المنقذ للإنسان المعذب و المحروم، كبنى إسرائيل فى عهد فرعون، ثم كيف يقود الأنبياء هذا الإنسان الى بر الامان.

و من ثم كيف تربّى الرساله، الإنسان، ثقافيا، و اجتماعيا، و علميا، و عمرانيا، ليتخلص من رواسب جاهليته، ثم تنير امامه صراط المدنيه، و تزوّده بوسائل الكلاء و الماء..

ثم كيف تهدد المدينه و الرخاء المجتمع الرسالى، فتحوّله الى مجتمع ضعيف متهاوى.

ابرز القرآن هنا دور الرساله الإلهيه فى تكوين الحضاره البشريه و من خلالها، و قد ذكرنا ببعض العوامل الاخرى التى نشير إليها إنشاء الله فيما يلى.

بينات من الآيات:

[٤٩] اين كان بنوا إسرائيل؟ أبوهم الكبير إبراهيم(عليه السلام) كان فى العراق ثم هاجر الى فلسطين. و لكن حفيد إبراهيم يعقوب انتقل هو و أبناؤه الاثنى عشر الى مصر فى قصه يوسف. و دارت الأيام و تحولوا من شعب جاء مصر ملكا، الى طوائف محرومه، مستضعفه، و مستثمره من قبل فراعنه مصر. و كانوا بحاجه الى قائد و رساله، فأرسل الله موسى نبيا، و انزل معه التوراه رساله، فجزت فيهم طاقتهم، و قادهم عبر البحر الى جزيره سيناء، و من ثم الى فلسطين. هكذا استطاع الإنسان ان يتتصر على المستغلين و الطواغيت بفضل الرساله الإلهيه.

و يذكر القرآن بنى إسرائيل بهذه القصه، ليقول لهم: إنهم لو تركوا رساله الله، لعادوا مره اخرى، امه مستضعفه محرومه. و هكذا يذكر الامه الاسلاميه بهذه الحقيقه أيضا، و هى: ان التمسك بالهدى الذى أنزله الله، و التمحور حوله، هو الكفيل بضمان استقلالهم و حريتهم... يقول الله سبحانه:

وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ اى يذيقونكم عذابا أليما يتمثل فيما يلى يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ انهم كانوا يقتلون أبناء النساء الخادمت لكى لا تشغل النساء عن خدمتهم.

أو كانوا يفعلون ما هو أعظم و أشد ضررا على كرامه الإنسان.

وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ، و لكنه -بالرغم من ذلك- اختبار (بلاء) يمكن ان يتمخض عن اراده قويه فى التحدى و الصمود، و بالتالى فى التحرر الحقيقى.

[٥٠] و لكن لم يستطع بنوا إسرائيل الخلاص من كل تلك المأساه الا بفضل الرساله الإلهيه، إذ جاءت، و وحدتهم، و أنقذتهم من ويلات الطغاه.

وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .

و كم هى رائعه ان ينظر المحروم الى جلالده: تتقاذفه أمواج البحر، جزاء على جرائمه.

[٥١] الطاغوت انتهى و لكن آثار سيطرته لم تزل كامنه فى النفوس، و بارزه فى التصرفات، متمثله فى حاله الاستسلام و الهزيمه النفسيه و التعود على الخضوع. من هنا تركهم قائدهم و منقذهم عده أيام، فلما عاد إليهم فاذا بهم يسجدون للعجل. لأنهم لا يزالون عبيدا فى نفوسهم بالرغم، من تحررهم الظاهر. هؤلاء كانوا بحاجة الى ثوره ثقافيه قويه تحرر نفوسهم من الذل و الخنوع. كما كانوا بحاجة الى ثوره اجتماعيه تخلصهم من عبوديه الرأسماليه العفنه التى كانت مرتبطه بنظام فرعون الطاغوتى.

و كانوا أيضا بحاجة الى ثوره علميه ترفعهم عن حضيض الماديات، الى عالم التوحيد الخالص. ثم انهم يحتاجون الى ثوره عمرانيه تهديهم الى بناء المدن و زراعه الأرض.

و فيما يلى نجد كيف ان رساله الله فجرت هذه الثورات فى واقع بنى إسرائيل حتى استطاعوا بناء امه مجيده.

الف: ذهب موسى الى طور سيناء، ليتلقى الوحي فلما عاد وجد قومه فى نكسه جاهليه.

فالامه التي تقدّس الأصنام، لا بد ان تستعبدتها الأصنام أو كهنه الأصنام. و الامه التي تؤله عيسى عليه السلام لا بد ان يستعبدها كهنه الكنيسه. و الامه التي تقدس الأولياء على أنهم قد دخلتهم روح من الله، لا بد ان يستعبدتها المنتسبون الى أولئك الأولياء.

من هنا حرصت الرساله الإلهيه على إنقاذ البشريه من جاهليه الشرك، لتصبح حره كريمه لا تقدس الا الله سبحانه. و لا تطيع الا من امر الله بطاعته.

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ .

اختار موسى من قومه سبعين رجلا- ليرافقوه الى الطور، ولكنهم سرعان ما استبدت بهم جاهليتهم الاولى و قالوا: أرنا الله و الا سوف نعود كفارا. فاذا بصاعقه من السماء تحرقهم جزاء كفرهم الصريح.

[٥٦] ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

و كانت هذه الهزه كافيه لتصفيه نفوس هؤلاء من رواسب الشرك و تسييح الله وحده.

[٥٧] دال: و بعد ان أنقذ الله بنى إسرائيل برسالته الكريمه عن مشاكلهم (استعباد فرعون، عبوديه العجل، طبقه أصحاب العجل، رواسب الشرك) أسبغ عليهم مختلف النعم الماديه و قال سبحانه:

وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَ السَّلْوَىٰ فَهَنَّاكَ نِعْمَةَ السَّكَنِ وَ نِعْمَةَ الْغَدَاةِ. وَ الْمَنَّ هُوَ الْحَلْوَى. وَ السَّلْوَى هُوَ طِيرٌ مَعْرُوفٌ .

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

ص: ١٥٥

و لكنهم كفروا بأنعم الله..مثلما يحدثنا القرآن بعدئذ.

وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِن كَانُوا أَنفُسِهِمْ يَظْلِمُونَ انهم أرادوا الدخول فى المدينة، و كانت تلك نكسه لهم. إذ الاستقرار كان سيفقدهم الكثير من مزاياهم، و منها بالطبع حریتهم و قدرتهم على مواجهه أعدائهم.

و لكنهم تعبوا من حياه البدو، و أسلموا أنفسهم للخفض و الدعاه. فقال لهم الله:

اهبطوا مصرا.

[٥٨] وَ إِذ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا .

و لکی یضمن لكم الاستقرار فى المدينة فعليكم التزام الطاعه لله، و التضرع و حسن السلوك.

وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا لِلَّهِ وَ قُولُوا حِطَّةً اى توبه الى الله.

نَعْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ .

[٥٩] و لكن، يبدو انهم لم يطبقوا تعاليم الله، فأخذوا يتكبرون و يسرفون و يقولون حنطه خير لنا من حطه..

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ

ص: ١٥٦

متمثلاً- فى نقص فى الثمرات، و خلاف عريض بينهم على مغنم المدينه. حسبما يذكره القرآن فى آيه آتیه. و السبب فى ذلك الرجز هو فسقهم، و ابتعادهم عن تعالیم الله.

[٦٠] تلك كانت نعمه الاستقرار التى أسبغها الله عليهم، و لكنهم كفروا بها.

و هذه نعمه الماء الأشد ضروره للعمران يسبغها عليهم ربنا و يقول:

وَ إِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ قَبِيلَةً مَّخْتَلِفِينَ. و كان من المفروض الا تتدخل حياتهم مع بعضهم لوجود الحساسيات القديمه بينهم.

كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَكِن مَعَ تَوَافُرِ النِّعَمِ تَنَمُّو عِنْدَ الْإِنْسَانِ حَالَهُ الطَّغْيَانِ وَ يَقُومُ بِالْإِسْرَافِ عَلَى الْآخِرِينَ، أَوْ الْإِسْرَافِ فِي اسْتِهْلَاكِ الْمَوَادِّ. من هنا حذرهم الله فقال:

وَ لَا تَعْتَبُوا فِي الْمَآرِضِ مُفْسِدِينَ [٦١] كان بنوا إسرائيل امه بدويه ثم تحضرت. و لكنها لم تستطع ان تقاوم سلبيات التحضر فاستعبدها فرعون فى مصر، و تجذرت بذلك حاله العبوديه فى نفوسهم. فأصبحوا ضعفاء جبناء مختلفين لا يثق بعضهم ببعض. ثم قادهم النبى موسى (عليه السلام) الى سيناء. و تربى فى الصحراء جيل منهم استعادوا بعضا من خصائصهم الاولى التى تميزوا بها حين كانوا بدوا. و لكن كثيرا من اثار مرحله العبوديه لم تزل فى نفوسهم. و حين طلبوا من نبيهم ان يأذن لهم بالعوده الى فلسطين و الاستقرار فى المدن، لم يكن فى صالحهم ذلك إذ ان اثار العبوديه و التى منها

الاختلافات المتجزده فى نفوسهم، كانت تهددهم بالانحراف مره اخرى و تحطيم حضارتهم.

بيد انهم أصروا على ذلك فلما (هبطوا مصرا) عادت إليهم سليات الحضاره كما يحدثنا عنها القرآن.

وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِيْلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ فَهَبَطُوا مِصْرًا وَ شَاعَتْ فِي أَنْفُسِهِمْ صِفَاتِ الْجِبَنِ وَ اللَّاتِقَةِ وَ الْفَرْدِيَةِ، وَ فَقَدُوا الرُّوحَ الْعَسْكَرِيَّةَ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا فِي الصَّحْرَاءِ وَ كَانَتْ النَّتِيْجَةُ..

وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ وَ مَعَ الْعُبُودِيَةِ السِّيَاسِيَّةَ تَأْتِي الْعُبُودِيَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ. إِذْ لَا يَسْتَعْبِدُ الطَّغَاةُ النَّاسَ إِلَّا لِكَيْ يَسْتَشْتَمِرُوا طَاقَاتِهِمْ، وَ يَسْتَفِيدُوا مِنْ خَيْرَاتِهِمْ. فَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ أَيْضًا.

وَ الْمَسِيْكَنَةُ وَ بَأْسٌ بَعْضٌ مِنَ اللَّهِ حَتَّى كَادُوا يَفْقَدُوا قُوَّتَهُمُ الْيَوْمِيَّ. وَ لَكِنْ لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَنْهَجِ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ وَ تَرَكَوْا الْاِلْتِصَافَ حَوْلَ رِسَالَتِهِمْ، وَ الْاِنْتِمَاءَ إِلَيْهَا، دُونَ الْاِنْتِمَاءِ إِلَى الْعَنْصَرِيَّاتِ الْمَقِيَّتَةِ. وَ تَرَكَوْا الْاِهْتِمَامَ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، وَ الْجِهَادِ مِنْ أَجْلِ الدِّينِ.

وَ زَادُوا ضَعْفًا وَ اسْتِسْلَامًا حِينَ حَوَّلُوا عُنْفَهُمْ إِلَى الدَّخْلِ، فَأَخَذُوا يَصِفُّونَ الْعُنَاصِرَ الْخَيْرِيَّةَ فِيهِمْ، وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ لِأَنَّهُمْ يَأْمُرُونَهُمْ بِالْعُودَةِ إِلَى رِسَالَتِهِمْ.

و لم يكونوا يكفرون بآيات الله، و يقتلون النبيين لو لم يعصوا الله سبحانه منذ البدء، في تنفيذ تعاليمه. إذ ان العصيان لا بد ان ينتهى بالكفر، كما ان الاعتداءات البسيطة ضد بعضهم تعاضمت حتى اعتدوا على المصلحين الكبار في مجتمعهم و هم الأنبياء عليهم السلام. يقول الله سبحانه:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ ان كل امه تنتهى بانتشار روح العصيان و الاعتداء فيها، إذ تنمو هذه الروح الخبيثه حتى تقضى على قيم الامه و على الصفوه الصالحه فيها. و ماذا تبقى من الامه لو انتهت قيمها و رجالها الصالحون؟

و كلمه اخيره:

ان تعبير القرآن فى هذه الآيات يوحى إلينا بان الله هو مصدر كل نعمه ظاهره و باطنه، و هو كذلك مصدر الوحي. و علينا ان نقبل بهما معا (النعم و الوحي) و لا يمكن ان نقبل بواحد دون اخرى.

[٦٢] كيف اعتدى هؤلاء على بعضهم؟ و عصوا ربهم فى الظلم بعضهم، و بالتالى فى الكفر بالله و قتل أنبياء الله؟ انهم حتى الأمس القريب كانوا امه صالحه؟ الجواب:

ان الاعتداء يبدأ فرديا، و ينشأ من نوازع ذاتيه شيطانيه (كاعتداء قاييل على هابيل) و لكن مع تطور الظروف، يتحول الاعتداء الى حاله اجتماعيه، و ذلك عن طريق تقولب الاعتداء فى إيديولوجيه عنصريه مقبته، توحى الى كل طائفه انها هى

شعب الله المختار، وان الله أعطاها صلاحه استبعاد الآخرين.

وقد انتشرت هذه الأيدلوجيه الفاسده، في بنى إسرائيل (كما يحدثنا القرآن الكريم في أكثر من مناسبة) واتخذت دعما لها من القشريه الدينيه، بالاعتماد على بعض النصوص المجمله و تفسيرها بما يتناسب مع العنصريه.

و جاء القرآن لينسف أسس العنصريه، و بالتالى: أسس الاعتداء المنظم على الآخرين فقال:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْبَنِيَّانِ وَالصَّابِئِينَ مِنَ آئِمَّةِ آلِ عِمْرَانَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَمْلُوكِينَ ﴿١٦١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٥﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّابِقِينَ ﴿١٧٠﴾

ص: ١٦٠

اشاره

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ إِعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٦٦)

اللغه

٦٣[ميثاقكم]الميثاق هو مفعال من الوثيقه أما بيمين و أما بعهد أو غير ذلك من الوثائق.

[الطور]الجبل و قيل هو اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى بن عمران عليه السلام .

[بقوه]القوه القدره و هى عرض يصير به الحى قادرا.

٦٤[توليتم]أعرضتم و ولاه فلا-ن دبره إذا استدبر عنه و جعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك فى كل تارك طاعه أمر و معرض بوجهه عنه و منه قوله « فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخُلُوا بِهِ وَ تَوَلَّوْا » .

٦٥[علمتم]أى عرفتم و منه قوله « لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ » أى لا تعرفونهم و الله يعرفهم.

[اعتدوا]أى ظلموا و جاوزوا ما حدّ لهم.

[السبت]يوم من أيام الأسبوع و قيل سمى سبتا لأنه يوم السبت خلق فيه كل شيء أى قطع و فرغ و قيل سمى بذلك لان اليهود يسبتون فيه أى يقطعون فيه أعمالهم و قيل هو مأخوذ من الراحة و منه قوله و جعلنا نومكم سباتا. و يقال للنائم مسبوت.

[خاسئين]الخاسئ المبعد المطرود.

٦٦[نكالا]النكال الإرهاب للغير و أصله المنع لأنه مأخوذ من النكل و هو القيد و سميت العقوبه نكالا لأنها تمنع عن ارتكاب مثل ما ارتكبه من نزلت به.

[موعظه]الوعظ و أصله التخويف.

ص: ١٦٢

هدى من الآيات:

يحدثنا القرآن الكريم عن حالة الضعف التى تنتشر فى الامه، وأساليب معالجتها. و تتمثل هذه الحاله فى عدّه مظاهر:

أولها:العنصريه التى تحدثت عنها الآيتان السابقتان.

و الثانى:اللامبالاه و عدم الجديه فى التمسك بهدى الله.

و الثالث:قسوه القلب و عدم التأثر بنصيحه الصالحين.

و سوف يحدثنا القرآن الحكيم طويلا عن مرض الميوعة و قله الالتزام بالقيم و يضرب عدّه امثله من قصص بنى إسرائيل:

أولاً-قصه الطور ثم قصه انتهاك حرمه السبت،ثم قصه البقره التى توانوا فى ذبحها.ثم يربط بين الميوعة و بين قسوه القلب فى آخر هذه المجموعه من الآيات.

و الامه الاسلاميه اليوم تشبه الى حد بعيد بنى إسرائيل فى مرحلتهم تلك حين انتشرت فيهم المظاهر السلبيه من الميوعه و اللامبالاه و انتهاك حرمت الدين و علينا ان نعتبر بقصص بنى إسرائيل حتى لا ندفع الثمن مضاعفا.

[٦٣] فى ضحى نهار، ووجد بنوا إسرائيل قطعه هائله من الجبل فوق رؤوسهم، تكاد تسقط عليهم، فهرعوا الى نبيهم، فقال لهم نبيهم: انه العذاب نازل عليكم هل تؤمنون بالله و تتمسكون بتعاليمه بجد. قالوا: بلى، فرفع عنهم العذاب، و لكنهم عادوا الى إهمالهم الاول فى تنفيذ التعاليم.

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ وَ لَا تَكُونُوا مَائِعِينَ فِى تَلْقَى التَّعَالِيمِ أَوْ فِى تَطْبِقُهَا.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [٦٤] و لكن بنى إسرائيل كانوا كأكثر الأمم حين يهبط عليهم العذاب من ربهم، يجأرون الى الله و يعودون الى قيمهم و تعاليم دينهم. و ما ان يرفع عنهم العذاب حتى يعودوا الى سابق عاداتهم.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَهْمِلُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْأَيْدِ فَقَدْ يَأْخُذُهُ بِشَدَّةٍ وَ هُوَ غَافِلٌ.

[٦٥] و من قصص بنى إسرائيل فى اللامبالاه و الميوعه فى تنفيذ القرارات.. قصه

انتهاكهم حرمة السبت، حيث حرّم عليهم الصيد فيه و لكنهم اعتدوا فيه بغيا على أنفسهم، فاخذهم الله أخذًا شديدًا و قال:

وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ أَذِلَاءَ.

[٦٦] انها سنه الله فى الحياه انه يمهل البشر مره بعد اخرى، فان لم يتب يأخذه ليصبح عبره لغيره.

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا حَيْثُ انْهَاطَتْ عَذَابًا لِّمَنْ سَبَقَ وَ عَذَابًا لِّمَنْ لَحِقَ بِهِمْ.

ان اى عذاب الهى سيكون قويا بالنسبه الى من ينزل عليهم مباشره و ستبقى آثاره فى المستقبل. و العذاب الالهى تعبير صادق عن عمل الإنسان نفسه و ترجمه لواقعه الفاسد لا أكثر.

و كل عمل يقوم به الإنسان سيخلف آثاره السلبيه على مجتمعه الحاضر و على مستقبل الأجيال و لذلك على الإنسان ان يفكر مرتين قبل ان يقدم على اى عمل حتى لا- يؤثر عمله فى الآخريين سلبيًا. كما ان على الناس ان يعرفوا ان اى عمل يقوم به فريق منهم سوف تنعكس آثاره عليهم جميعًا.. فإأخذوا على أيديهم بشده و جدية.

اما المتقون فإنهم المستفيدون الوحيدون من عذاب هذا الفريق لأنهم يعتبرون به و يحولونه الى جزء صالح فى سلوكهم و تفكيرهم لا أن يكرروه مره اخرى.

وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ

اشاره

وَ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالِ اعْوِذْ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا بَكَرٌ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُوْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا سَيِّئَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)

اللغه

٦٧[هزوا]الهزء اللعب و السخريه.

[اعوذ بالله]الجأ الى الله و حقيقته استدفاع ما يخاف من شره.

٦٩[فاقع]أى شديده الصفره.يقال أصفر فاقع و أحمر ناصع.

٧١[ذلول]يقال للدابه قد ذللها الركوب و العمل دابه ذلول.

[تثير] الاثاره إظهار الشيء انكشف و آثار الأرض حرثها.

[الحرث] كل أرض ذلت للزرع، و الحرث قذف البذر فى الأرض للازدراع.

[مسلمه] مبرأه من العيوب.

[لا شيه] اللون فى الشيء يخالف عاده لونه و لا شيه فيها. أى لا وضح منها يخالف لونها.

٧٢ [اداراتم] اختلفتم و أصله تداراتم و أصل الدرأ الدفع و منه الحديث ادراًوا الحدود بالشبهات و منه قوله « وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ [□] ».

ص: ١٤٧

هدى من الآيات:

عند ما تنتشر فى الامه روح التكاسل، تبدأ بالالتفاف على الأحكام الشرعيه، لتنفلت منها أنى استطاعت.فتراها تتشبت بطائفه من القشريات و تجعلها بديله عن الحقائق الواقعيه.وقصه بنى إسرائيل مع البقره تمثل هذه الحاله فيهم.

وقصه البقره تدل على ان بنى إسرائيل لم يصبحوا آئذ كفارا بالرساله جملة واحده،بل بالعكس كانوا يريدون تطبيق تعاليم الله.بيد ان التردد و الضعف واضح فى تصرفاتهم مما يجعلهم يؤخرون تنفيذ الواجبات،تحت غطاء التشبث بقشور التعاليم. فهم كانوا يتساءلون عن لون البقره،و طبيعتها،و مقدار عمرها،و سائر خصائصها..بينما تركوا الجوهر-و هو ذبح البقره-كذلك الامه الاسلاميه فى بعض مراحلها المتأخره من تاريخها،كانت تتوغل فى التفاصيل و تترك روح التعاليم و الاهداف المتوخاه من ورائها.

بينات من الآيات:

[٦٧] وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً فِي الْبَدَايِهِ اسْتَعْرَبُوا مِنْ الطَّلَبِ وَزَعَمُوا أَنَّهَا هِزْوٌ لِمَجْرَدِ انْتِهَامِهِمْ لَمْ يَعْرِفُوا
فلسفه الحكم.

قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هِزْوًا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنْ مَوْسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَدِيًّا مَعَ قَوْمِهِ وَصَارِمًا، وَلَكِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانُوا قَدْ أُصِيبُوا بِضَعْفٍ فِي
الايمان.الايمان الذي يريد من صاحبه التنفيذ من دون سؤال و دون البحث عن العلل و الاهداف،لذلك قال لهم موسى:

قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ [٦٨] و هنا بدأت سلسله التساؤلات التي استهدفت معرفه خلفيات الحكم و اهدافه البعيد
المختلفه.

قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ هَلْ هِيَ بَقْرَةٌ كَسَائِرِ الْبَقَارِ؟ أَمْ هِيَ بَقْرَةٌ مَعِينَةٌ؟ وَ هُنَا شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ قَالَ لَهُمْ مَوْسَى:

إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ قَدْ أَكَلَتْهَا السَّنُونَ وَ أَنْهَكَتْهَا الْحَيَاهُ.

وَ لَا يَكْرُ

صغيره السن. إنما هي بين البكر و الفارض مما عبر عنه القرآن ب.

عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ثم شدد عليهم بتطبيق الأمر بحزم و قال:

فَفَعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ [٦٩] ولكنهم عادوا يتساءلون انطلاقاً من تشبثهم بالقشور.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لُونُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا شَدِيدَةٌ الصَّفَارُ ثم زاد عليهم شرطاً آخر و قال:

تَسْرُّ النَّاطِرِينَ بسبب اكتمالها و سلامه بنيتها.

[٧٠] عادوا مره ثانيه يسألون عن ذات البقره.

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا و هنا انتبهوا الى ان اسئلتهم قد تعنى عند موسى عليه السلام انهم لا يريدون

تنفيذ الأمر و كان هذا هو الواقع بالرغم من ادعائهم غير ذلك فقالوا:

وَ إِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ [٧١] قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ

فى لون واحد.

لا شئَه فِئها لا يكون فيها لون غير لونها الاصلى.

فَدَبَّحُوها وَ ما كادوا يَفْعَلُونَ لأنهم تحولوا من مجتمع الايمان الذى ينطلق من واقع الثقة بالقياده و تنفيذ أوامرها فوراً، الى مجتمع الجدل و محاوله فهم علل الأحكام و أسبابها و طريقه تنفيذها.

[٧٢] و بعد ان ذبحوها بين لهم الله سر الأمر، و ان تساؤلاتهم لم تكن صحيحه أبداً، و ان القضيه كانت ترتبط بقصه القتل الذى لم يعرف قاتله و الذى يقول عنه ربنا:

وَ إِذِ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيها وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ لقد أصبح مجتمعهم فاسداً، و قد برعوا فى تنفيذ الجرائم حتى انهم لا يخلفون أثرا يدل على فاعلها، و قد ابتعدوا عن مسئوليه المحافظه على الأمن، فأخذوا يكتمون عن السلطات الشرعيه اخبار البلد بيد ان الله يقول لهم و بصراحه:

وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ [٧٣] فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى و يُريكُم آياته لعلَّكُم تَعْقِلُونَ فلما ضربوا عضوا من أعضاء القتل ببعض لحم البقره الذبيحه، أحى الله القتل، و بين من قتله و انتهت المشكله.

ص: ١٧١

ان قصه البقره تبين لنا جانباً من جوانب الضعف الايماني الذي أصاب بني إسرائيل و لكن هذا الضعف لا يزال هينا بالنسبه الى ما ينتظرهم في المستقبل حيث يكادون يفقدوا الايمان رأساً.

و القرآن يحذرنا-بذلك-من ان الضعف الايماني المتمثل في التواني عن تطبيق الأوامر قد ينتهي بصاحبه الى مرحله اخطر هي الابتعاد كلياً عن الايمان،و ذلك في المجموعه التاليه من الآيات.

إشاره

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعِيدٍ ذَلِكَ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُغْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّاءَ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩)

اللغه

٧٤]قست[القسوه ذهاب اللين و الرحمه من القلب و القسوه الصلابه فى كل شىء و نقيضه الرقه.

[غافل[الغفله السهو عن الشىء و هو ذهاب المعنى عن النفس بعد حضوره.

٧٥]أفتطمعون[الطمع تعليق النفس بما نظنه من النفع و نظيره الأمل و الرجاء و نقيضه اليأس.

[فريق[جمع كالتائفه.

٧٦] أ تحدثونهم[الحديث و الخبر و النبأ نظائر مشتق من الحدوث و كأنه إخبار عن حوادث الزمان.

[فتح]الفتح فى الأصل فتح المغلق و قد يستعمل فى مواضع كثيره فمنها الحكم يقال:اللهم أفتح بيننا و بين فلان أى أحكم.و منها القضاء يقولون متى هذا الفتح؟و منها النصره يقال استفتحه أى اطلب منه النصر و يستعمل فى فتح البلدان.

[يحاوكم]المحاجه و المجادله و المناظر نظائر فالمحاجه أن يحتج كل واحد من الخصمين على صاحبه.

٧٨]أميون[الامى الذى لا يحسن الكتابه.و انما سمي أميا لأحد وجوه«أحدهما»أن الامه الخلقه فسمى أميا لأنه باق على خلقته و«ثانيها»أنه مأخوذ من الامه التى هى الجماعه أى هو على أصل ما عليه الامه فى عدم الكتابه.و«الثالثهما»أنه مأخوذ من الام أى هو على ما ولدته أمه من أنه لا يكتب.

ص:١٧٤

[أمانى]التمنى تقدير سىء فى النفس و تصويره قبل ذلك يكون عن تخمين و ظن و أكثر التمنى تصور ما لا حقيقه له و الامنيه الصوره الحاصله فى النفس من تمنى الشىء..فهم يتمنون على الله ما ليس لهم مثل قولهم «لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً».

[يظنون]الظن هو ترجيح أحد الجانبين على الآخر لاماره صحيحه و فى الناس من قال هو إعتقاد أو تصور.

٧٩[فويل]الويل فى اللغه كلمه يستعملها كل واقع فى هلكه و أصله العذاب و الهلاك و قيل هو التقييح و منه و لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ. و قيل معناه الحزن، و قيل الهوان و الخزى.

[يكسبون]الكسب العمل الذى يجلب به نفعا أو يدفع به ضررا.

تضليل الأخبار و أمانى الجهله

هدى من الآيات:

تجاوزت بنو إسرائيل مرحلتين حتى الآن، مرحلة الثورات الأربع، ثم مرحلة الضعف الايماني. وها هم يدخلون في المرحلة الثالثه و الاخيريه و هي مرحله قسوه القلب التي تأتي نتيجة لضعف الايمان و هي متصله بالعنصريه التي سوف يتحدث عنها القرآن في المجموعه التاليه من الآيات.

ان قسوه القلب تنشأ من عباده الذات، و قد يكون قساه القلب علماء بالدين، الا ان العلم وحده لا يكفي، بل من الضروري ان يدعم العلم ايمان صادق و احساس عميق بالمسؤوليه. بل من الممكن ان يكون العلم واحدا من الأسباب التي تساعد على قسوه القلب، إذا توجه بصاحبه الى الاستكبار و الترفع عن سماع النصيحه. العلم جيد إذا كان له بعدان، بعد في الداخل هدفه إصلاح الذات. و بعد في الخارج هدفه إصلاح المجتمع. و العلم ذو البعد الواحد يذهب بصاحبه بعيدا عن الله بعيدا عن الالتزام بمسئوليته.

من هنا يركز القرآن الحكيم في هذه المجموعه من الآيات على ان مشكله بنى إسرائيل في هذه المرحله لم تكن متمثله في قله علمهم بالدين، بل في استثمار هذا العلم في سبيل مصالحهم الذاتيه و توجيهه حسب أهوائهم.

صحيح ان بعضهم أيضا أميون، و لكن البعض الآخر كان يعتمد تحريف الكتاب بكل صلافة. و القرآن يركز الضوء على هؤلاء لأنهم هم السبب المباشر لتضليل الأميين.

بينات من الآيات:

قسوه القلب:

[٧٤] ان قسوه القلب جاءت بعد مرحله الاستخفاف بتعاليم الدين، و الالتفاف حولها، و التثبث بقشورها. و لذلك قال الله سبحانه:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعِيدٍ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً كَيْفَ أَصْبَحْتَ قُلُوبُهُمْ أَشَدَّ قَسْوَةً مِنَ الْحِجَارَةِ؟ لان الحجارة قد تفيض بالعباء كثيرا أم قليلا و تؤدي بذلك دورا في الحياه اما الإنسان الذي يقسو قلبه فأثمة (و العياذ بالله) لا يعترف لنفسه بأى دور ايجابى في الحياه و لا يلتزم بايه مسئوليته فيها.

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ كَمَا أَنَّ الْحِجَارَةَ قَدْ تَخَشَعُ لِلَّهِ وَ لَسَنَهُ فِي الْحَيَاةِ.
وَإِنَّ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

بيد ان القلب القاسى لا يخشع لله أبدا. ثم يهدد الله أصحاب هذه القلوب القاسيه و يقول:

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [٧٥] ثم يحدثنا القرآن عن ان مشكله هؤلاء ليست فى انهم لا يعلمون، بل فى انهم لا يؤمنون و يقول:

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعِيدٍ مِمَّا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ان كل شروط العلم متوفره فى هؤلاء. السماع للعلم المتمثل فى الوحي، ثم التعقل ثم العلم و لكنهم مع كل ذلك يحرفون كلام الله بغيه الحصول على بعض المكاسب الماديه.

[٧٦] و اخطر من ذلك نفاقهم الذى يبدو من تصرفهم الماكر مع المؤمنين الصادقين، حيث انهم يرفضون الايمان فى الواقع، اما فى الظاهر فيدعون انهم مؤمنون.

وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ ذَلِكَ كَسَبَ لِبَعْضِ الْمَغَانِمِ مِنْ هَؤُلاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ غَالِبَا مَا يَكُونُونَ مِنَ الْبَسِطَاءِ مِنْ اتِّبَاعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ، الَّذِينَ يَفْرَضُ عَلَيْهِمُ الْأَحْبَارُ وَ الرِّهْبَانُ إِتَاوَاتٍ بِاسْمِ الدِّينِ.

و الغريب فى تصرف هؤلاء انهم عند ما يختلون الى بعضهم يفتحون على بعضهم و يعترفون على أنفسهم بأنهم يحرفون كلام الله عمدا، مع العلم المسبق بأنه كلام الله

و ان تحريفه يضربهم، و لكنهم يحاولون منع ايه حقيقه عن الناس حتى لا تصبح ماده احتجاج عليهم فى الواقع، و لكى لا تكتشف فضائحهم. و لكن القرآن يفضحهم و يقول:

وَ إِذَا خَلَا بِغُضُّهُمْ إِلَيَّ بِغَضٍ قَالُوا أَمْ تَحَدِّثُنَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْعِلْمِ.

لِيَحِاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [٧٧] أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ و انه سوف يفضحهم عاجلا أم آجلا.

ان هذه هى حاله الطائفه الذين من المفروض ان يكونوا الموجه الدينى لبنى إسرائيل، أنها تتردى الى الحضيض السافل، حيث تتفق كلمتهم على تجهيل الناس للسيطره عليهم و ابتزازهم و استغلال سذاجتهم. و هذه اخطر ما يمكن ان يهبط اليه مستوى امه رساليه كبنى إسرائيل، حيث تتحول مراكز توجيههم و هدايتهم الى بؤر لنشر الجهل و الضلاله.

و يبدو من الآيه الكريمه. و آيات قرآنيه أخرى: أن تحريف الكتاب قد تم عند اليهود بصوره منظمه و واعيه، و بتخطيط شامل. و هكذا يحدثنا التاريخ أن علماءهم حين لم يجدوا-من جهه-إقبال الناس على دينهم. و ازداد-من جهه ثانيه- ضغط السلطات عليهم، حرّفوا الدين بما يتناسب و الخرافات المنتشره بين الناس.

و حذفوا منه البنود التى تعارض السلطات، و أضافوا اليه افكارا استسلاميه مثل ما لله لله. و ما لقيصر لقيصر. و انما أرادوا-بذلك- تكثير عدد الأنصار حولهم، و رفع غائله الظلم عن أنفسهم.

و نرى علماء اليهود و النصارى يحرفون حتى اليوم دينهم، ليكيفوه مع ثقافات العصر و اتجاهات السياسة. حتى أن التقارير الأخيره ذكرت أن الكنيسه الكاثوليكيه دعت بعثاتها التبشيرييه فى افريقيا الى خلط الدين المسيحى بثقافات الوثنيه الافريقيه، لضمان إقبال الشعوب الافريقيه على الدخول فى كنائسهم.

[٧٨] اما بقيه الناس فهم أميون، تحول الكتاب فى واقعهم الى أمانى و تقليد الأخبار و الرهبان ترى ما هى الأمانى. و ما هو الظن

الكتاب بين الحلم و التقليد:

بناء على ما سبق فان الكتاب عند هؤلاء مجرد أمانى و أحلام، و ربما ظنون و تقاليد. أنه حسب تعبير القرآن الدقيق، مجرد امانى يتسلى بها الضعفاء، و يتغنى بحروفه المكروبون و المحرومون. بدل ان يكون صاعقا يفجر طاقاتهم، و حافظا يثير عقولهم و نظاما لتوجيه حياتهم و علاقاتهم.

انظر الى السياق كيف يعبر عن حاله هذه الطبقة السحيقه.

وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا- أَمَانِيٌّ يعنى ان الكتاب فى نظرهم أصبح مجرد أحلام يمنون أنفسهم بها دون القيام باى نشاط حقيقى من أجل تحقيق اهداف الكتاب.

وَ إِنْ هُمْ إِلَّا- يَظُنُونَ و هؤلاء لا- يستثيرون عقولهم ليفكروا أو ليبدعوا، انما يستثيرون بالكتاب خيالهم ليتصوروا و ليحلموا به. و يحتمل ان يكون المعنى من الظن هذا التقليد.

[٧٩] ان هؤلاء الأُميين مقصرون لا- ريب في ذلك. الا- ان وزرهم الأ- كبر يقع على عاتق أولئك الذين ضللوهم و حرفوا معانى الكتاب حتى حولوه الى ماده تخدير، من بعد ان كان ماده تفجير. و حولوه الى مثير أحلام، من بعد ان كان مستثيرا للعقل و منهجا للفكر. لذلك يحدثنا القرآن عن هؤلاء فور ما ينهى حديثه عن الأُميين و يقول:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا وَ هَؤُلَاءِ هُمُ أَوْلَئِكَ الْمُحْرِفُونَ الَّذِينَ سَبَقَ الْحَدِيثَ عَنْهُمْ، انما يكرره القرآن ليلقى عليهم بمسؤوليه ضلاله الأُميين و ليقول ان الهدف من التحريف انما هو الحصول على المكاسب الماديه التافهه. تلك المكاسب التى لا تهناً لهم و تلك الحرفه التى سرعان ما تتحول الى نقمه.

فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ أَى كسب مبارك تلك الحرفه التى تؤدى بانحراف الملايين من الناس، و تجعلهم عرضه للاستغلال و الاستعباد؟! ان الطغاه يريدون أبدا ان يتحكموا فى مصير الضعفاء. و الطريق الوحيد لحمايه الضعفاء من الطغاه، هو تسليحهم بفكره ثوريه تعلمهم كيف يجب ان يحافظوا على كرامتهم، و يستردوا حريتهم. و الدين هو تلك الفكره الثوريه، و العلماء هم أمناء الله على هذه الفكره. فاذا خان هؤلاء مسئوليتهم، فإى جريمه كبرى يقتربون، حيث يجردون ملايين الضعفاء من سلاحهم الوحيد، و يتركون الطغاه يستغلونهم. بل انهم يساهمون فى هذا الاستغلال مباشره عبر تفسيرهم التحريفى للدين.

قالوا عن الامانى: إنّها ما يتخيله الإنسان فيقرر في نفسه وقوعه و يحدثها بكونه، و من هذا قولهم: فلان يعد فلانا و يمتيه. و منه قوله تعالى: «يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ، وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» و حكى عن الاعرابى انه قال لمن حدثه: أ هذا شىء رويته أم تمنيته أم اختلقته.

و فى الكشاف (١) فى تفسير الآيه:

ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم اى قوله «لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا» ثم العوام الذين قلدوهم و بنى على ذلك انهم فى الضلال سواء.

و فى تفسير غريب القرآن اى لا يعلمون الكتاب الا ان يحدثهم كبراًؤهم بشىء فيقبلون، و يظنون انه الحق و هو كذب و قد قال أحدهم: ما تفنيت و لا تمنيت، اى ما اختلقت الباطل.

و لكن يبدو ان الآيه تتحدث أساساً عن الأمينين و كيف انهم يعيشون على الامانى و الظن و على هذا يحتمل ان تكون الامنيه من أنفسهم و الظن بسبب التقليد أو أن تكون الامانى بمعنى التلاوه عليهم، كما نقل انه أحد معانى هذه الكلمه و انشدوا.

تمنى كتاب الله أول ليله و اخره لاقى حمام المقادر

ص: ١٨٢

و لان القرآن يفسر بعضه بعضا، فان السياق القرآنى القادم أوضح بيان لهذه الكلمه. حيث يقول ربنا سبحانه و تعالى: وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ان تفسير الكتاب وفق ما يتمنونه، أو بتعبير آخر: حمل آيات الكتاب على آرائهم الموافقه لاهوائهم، و بالذات فيما يرتبط بتبرير فسادهم و خداع أنفسهم بان العذاب لا يشملهم، لأنهم أبناء الله و احباؤه، أو لأنهم من أولاد الأنبياء الكرام أو ما أشبه.

و الواقع يعتبر هذا أوضح معانى الامنيه.

و من هنا نعرف بلاغه التعبير القرآنى، حيث يقول ربنا سبحانه و تعالى: «لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ» و كأنهم يعلمون فقط امانى الكتاب، أو هكذا يفسرونه حسب أمانيتهم. و فى معنى هذا، آيات اخرى: قال الله سبحانه:

« وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ » (١١١ البقره) « لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِيٌّ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ » (٢٣ النساء) و الامانى التى يخدع بها هؤلاء أنفسهم هى التى يفضحها السياق القرآنى فى الآيات الآتية.

الظن:

اما الظن الذى يقول عنه ربنا سبحانه و تعالى: «وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» فلعله درجه أعلى من الامانى. حيث ان الفرد يحلم بشىء و يحلم، حتى يخيل اليه صدق هذا الشىء بل يكاد يقنع نفسه به، و يبدو ان نسبه الثقه بالفكره ليست بذات اهميه، فقد تكون أكثر أو أقل من خمسين بالمائه. انما المهم جذر الفكره و كيفية بروزها فى النفس.

فاذا كان منشأها المصلحه و حب الذات و هوى النفس الذى يتحول الى امانى و يفسر الكتاب عليها ثم يتحول الى خيال و تصور و ظن، فان درجه الثقه بها حتى و لو بلغت حد القطع فانها لا تسوى شيئا لأنها ليست ناشئه من العلم، و المنهج الصائب للمعرفه، انما هى ناشئه من التمنيات و الأحلام و التخيلات و الظنون.

يبقى ان نتساءل عن العلاقه بين الظن و التقليد حيث جاء فى حديث شريف ان المراد من الظن هو التقليد.

و الجواب: ان الحديث انما هو عن الأميمين الذين هم العوام الذين يقلدون كبراءهم و لعله لهذه المناسبه فسّر الظن هنا بالتقليد، كما ان السياق القرآنى يحدثنا فى آيات اخرى عن أولئك الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله.

و قد قوبل الظن بالعلم فى القرآن قال سبحانه و تعالى: « قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا، إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ » (١٤٨ الأنعام) كما أكد القرآن: إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا فَقَالَ سبحانه و تعالى: « وَ مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنْ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ » (٣٦/١ يونس) بينما يمتدحه فى سياق الحديث عن الآخره. فيقول ربنا سبحانه و تعالى:

« الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ » (١٥٦ البقره) فكيف يمدح الظن حيناً و يذمه أحياناً؟

جاء فى حديث شريف:

«الظن ظنان، ظن شك و ظن يقين، فما كان من امر المعاد فهو ظن يقين، و ما

كان امر الدنيا فهو على الشك. » و لعل تفسير هذه الروايه..ان الظن بمعنى التصور فإذا كان التصور و التخيل قائما على أساس التمنيات و الأهواء، فهو ظن شك. حتى و لو بلغت نسبة الثقة معه الى درجه كبيره و إذا كان التصور على أساس التفكير المنهجي كمن أيقن بالجنه، ثم أخذ يتصور نعيمها، و أيقن بالنار و طفق يتخيل عذابها، فانه تصور يقين لأنه قائم على أساس.

و أهل اللغه يقولون: الظن هو الاحتمال الراجح و إذا كان قريب الوهم فانه يستخدم مع أن المخففه. مثل قوله سبحانه و تعالى: « فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ». و إذا كان قريب العلم فانه يذكر مع ان المشدده، مثل قوله سبحانه و تعالى: « وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَمَّا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ ». .

إشارة

وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ
 مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
 وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ
 لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ
 تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ فَادَّوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَ
 فْتَوْمُونَ بِيغْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ
 الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
 (٨٦)

اللغة

٨٠[تمسنا]المس نظير اللمس و الفرق بينها أن مع اللمس إحساس و أصله اللصوق وحده الجمع بين الشئيين على نهايه القرب.

[يخلف]الأخلاف نقض ما تقدم من العهد بالفعل.

٨٣[المسكين]هو المتخشع المتذل من الحاجه مأخوذ من السكون كأنه قد أسكنه الفقر.

٨٤[تسفكون]السفك الصب سفكت الدم أسفكه سفكا.

[أنفسكم]النفس مأخوذه من النفاسه و هى الجلاله فنفس الإنسان أنفس ما فيه.

[أقررتم]الإقرار الاعتراف.

[تشهدون]الشهاده أخذ من المشاهده و هو الاخبار عن الشئ مما يقوم مقام المشاهده فى المعرفه.

٨٥[تظاهرون]تعاونون و الظهير المعين.

[الإثم]الفعل القبيح.وقيل هو ما تنفر منه النفس و لم يطمئن اليه القلب.

[العدوان]الإفراط فى الظلم.

ص:١٨٧

[أسارى]الأسر الأخذ بالقهر و أصله الشد و الحبس إذا أسره و شده.

و قيل أن الأسارى الذين هم فى الوثاق و الأسرى الذين هم فى اليد.

٨٦[يخفق]الخفه نقيض الثقل و التخفيف التسهيل و التهوين.

ص: ١٨٨

هدى من الآيات:

تابعنا فى الدروس السابقه مراحل هبوط نجم بنى إسرائيل، و تركناهم فى آخر مرحله فى مستنقع الجهل و الضلاله، حيث تحول قادتهم الروحىون الى سراق الفكره الرساليه، و مجرمى حرب يساعدون الطغاه على استغلال الضعفاء، بينما تحول الكتاب فى نظر جماهيرهم العريضه الى أحلام حلوه يمنون أنفسهم بها ليبرروا واقعهم الفاسد.

اما الآن فنحن امام مرحله تاليه اخطر من تلك و هى تحولهم الى امه عنصريه، تقدس كيانها المادى، و تحارب الناس و القيم على أساس ذلك الكيان.

ان تحول الامه الى تجمع عنصرى، يعتبر تغييرا شاملا فى قيمها حيث تموت فيها كل جذور الصلاح و لا يرجى لها الخير أبدا. و قد تصبح- بمرور الزمان- تجمع يسعى نحو الفساد فى المجتمعات و الاعتداء على الناس و لا ينتهى ذلك الا بالقضاء

الجسدى عليها جميعا.

و يشرح لنا القرآن كيف تتحول الاعمه الرساليه الى تجمع عنصرى،و ذلك بابعاد فكره المسؤليه عن واقعهم، حيث يتصورون انهم بعيدون عن الجزاء،لأنهم أفضل من غيرهم،ثم يبدءون بتقييم الحياه وفق هذا التصور الخاطى.و يكذب القرآن هذه الفكره و يضرب امثله حيه على ذلك.ثم يبين زيف الفكره العنصرية،و ذلك حين يحيلهم الى فطرتهم.انهم يحملون بعضهم مسؤليه جرائمهم فيما يخصهم و يتصل بحياتهم مباشره،فكيف لا يحملونه مسؤليه ذات الجريمه حين تقع على غيرهم هل هناك جريمه و جريمه أو بشر و بشر.

بينات من الآيات:

اشاره

[٨٠] قبل كل شىء يجعل العنصرى ذاته فوق المسؤليه ليبرر بعدئذ كل تصرفاته الشاذه،و هذه العمليه خطيره لسببين:

الاول:انها تميت ضمير العنصرى،و تطفئ شعله إحساسه كإنسان،فلا يعدو يشعر بالاثم تجاه ما يرتكبه من موبقات و جرائم.

الثانى:انها تبرر تصرفاته امام الآخرين و هنا نرى القرآن الحكيم يعالج هذه المشكله فى بنى إسرائيل و من ثم فى كل الأمم التى قد تبلى بها،كالنازيه و البيض فى جنوب افريقيا فيقول:

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ بِالطَّبَعِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِيثَاقٌ مِنَ اللَّهِ يَتَعَهَّدُ لَهُمْ بِالْأَيِّامِ يَأْخُذُهُمْ عَلَى تَصَرُّفَاتِهِمْ، انما هم تصوروا ذلك انطلاقا من حبههم لذاتهم،و تقديسهم لها.

ص: ١٩٠

[٨١] ثم يؤكد القرآن الحكيم، ان كل إنسان مسئول امام الله عن تصرفاته السيئه، شاء أم ابى. و هذا وحده عهد الله و ميثاقه، و سنته التى لا تتبدل. حيث يقول:

بَلَىٰ إِيَّاكَ هُنَاكَ عَهْدًا و لَكِن مِّن نَّوْعٍ آخَرَ هُوَ.

مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَّ أَلْحَقَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ربما التعبير ب(و أحاطت به خطيئته) يوحى بان الإنسان قد يذنب ذنبا، ثم يستغفر الله، فيتوب عليه ربه. و لكن إذا أكثر من الذنوب و لم يغسلها بالتوبه، فان خطاياها تحيط به من كل جانب، و انئذ لا- تدع له مجالا للعوده الى الله. و هذه الآيه تصدق على الكفار و من بحكمهم، حيث تحيط بهم خطاياهم و هذا الكلام يدل على ان العنصرين سوف يتوغلون فى الذنوب انطلاقا من تصورهم انهم بعيدون عن مسئولياتهم، و هناك تأخذهم الذنوب، و ترمى بهم الى النار خالدين فيها.

[٨٢] و كما ان المسئوليه لا تعرف الفرق بين عنصر و عنصر، كذلك الجزاء الصالح لا يختلف فيه قوم عن قوم.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَّ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

ميثاق الله لبنى إسرائيل:

[٨٣] هذا ميثاق الله مع الناس جميعا، و هناك ميثاق من قبل الله مع بنى إسرائيل بالذات، و لكن نصوصه تختلف كليه عن ميثاق العنصرية المزعوم الذى

يزعم بإعطائهم صك الامان.

انما هو ميثاق مسئوليہ كامله لو طبقوها لا صبحوا خير الناس، و الافهم شر الناس جميعا. اما نصوص الميثاق فهي أولا:

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا تَعْتَبِرُونَ قِيمَةَ الْعَنْصَرِ أَوْ الْقِرَابَةِ أَوْ اللَّغَةِ أَوْ مَا أَشْبَهَهُ، مَقْدَسُهُ عِنْدَكُمْ أَلَا بِمَقْدَارِ مَا تَتَّفَقُ مَعَ سُنَنِ اللَّهِ وَ تَعَالِيمِهِ.

ثانيا:

وَ بِاللَّذِينَ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ هَؤُلَاءِ هُمْ بَشَرٌ وَ لَيْسُوا بِآلِهَةٍ لِّذَلِكَ لَا يَجُوزُ عِبَادَتُهُمْ.. بل يجب الإحسان إليهم فقط. و فرق كبير بين الإحسان و العباده إذ ان الإحسان هو العطاء من يد عاليه، و العباده هي الخضوع لمن هو أعلى.

ثالثا:

وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ حَرَامٌ أَنْ تَعْتَدُوا عَلَى النَّاسِ كَلَامِيَا فَكَيْفَ بِالْإِعْتِدَاءِ الْعَمَلِي.

رابعا:

وَ أَفِيئُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ لَا يَجُوزُ تَرْكُ الْفَرَائِضِ اعْتِمَادًا عَلَىٰ أَنَّهُمْ مِنْ عَنْصَرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ أَنْ آبَاءَهُمْ

ص: ١٩٢

كانوا أنبياء أو كانوا مقربين الى الله.

هذه هي نصوص الميثاق، و لو كان بنو إسرائيل طبقوها، إذا لكانوا مفضلين على الناس، و لكنهم لم يطبقوها لذلك لم يستحقوا من الله جزاء و لا كرامه.

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ [٨٤] خامسا: المحافظه الكامله على حرمة الدم، و حريه الإنسان.

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ هذه بعض نصوص الميثاق الذى شدّد عليها ربنا و أخذ منهم إقرارا بها.

ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ اى أقررتم إقرارا واعيا، بعد علم و تصميم.

[٨٥]بيد انكم لم تطبقوا نصوص الميثاق، بل عكستم الحال تماما، فليس لكم اى حق على الله ان يوفى من جانبه بعهدة تجاهكم، و يفضلكم على الناس تفضيلا.

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ وَ لَيْسَ غَيْرِكُمْ وَ لَا أَحَدٌ سِوَاكُمْ أَنْتُمْ بِالذَّاتِ تَخَالِفُونَ نِصْوَصَ الْمِيثَاقِ.

تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ يَتَعَاوَنَ بَعْضُهُمْ مَعَ الْبَعْضِ الْآخِرَ ضِدَّهُمْ.

بِالْإِثْمِ وَ هُوَ الْعَمَلُ السَّيِّئُ الْخَاصُّ بِالشَّخْصِ نَفْسِهِ.

وَالْعُدْوَانِ وَهُوَ الْعَمَلُ الَّذِي يَضُرُّ الْآخِرِينَ. أَيَّ أَنْ أَعْمَالِكُمْ تَضُرُّكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَضُرُّ الْآخِرِينَ.

وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَعْتِدَاءَاتِ لَا تَقَعُ عَلَى هَؤُلَاءِ عَنِ جِدَارِهِ، بَلْ عَنِ تَعْصَبِ قَبْلِي، أَوْ خِلَافَاتِ دَاخِلِيهِ بَاطِلِهِ، وَذَلِكَ بِدَلِيلِ أَنَّهُمْ يَهْتَبُونَ لِنَجْدِهِ هَؤُلَاءِ بِالذَّاتِ، لَوْ تَعَرَّضُوا لِعُدْوَانِ خَارِجِي. فَلَوْ كَانُوا مُجْرِمِينَ فَعَلًا فَلِمَاذَا يَدَافِعُونَ عَنْهُمْ؟ إِنَّ الْقُرْآنَ يَدِينُ الْفِكْرَ الْعَنْصَرِيَّ الَّذِي يَقُولُ: أَنَا وَ أَخِي ضِدَّ ابْنِ عَمِي، وَأَنَا وَ أَخِي وَ ابْنِ عَمِي ضِدَّ عَدُوِّي. وَيَقُولُ:

وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَىٰ تَفَادَوْهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ثُمَّ يَبِينُ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّفَكِيرِ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى قِيَمٍ، بَلْ عَلَى أَهْوَاءٍ.

أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ثُمَّ يَحْدِثُنَا بِالنَّاتِجِ الطَّبِيعِيِّ لِهَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّفَكِيرِ الْعَنْصَرِيَّ الْإِنْتِقَائِيَّ الَّذِي يَأْخُذُ مِنَ الدِّينِ مَا يُوَافِقُ الْهَوَى فِقْطً وَيَقُولُ:

فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا - خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مِمَّا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [٨٦] أَمَا عَذَابُ الدُّنْيَا فَيُمَثَّلُ فِي ابْتِعَادِهِمْ عَنِ هُدَى اللَّهِ، وَ مَا يُوَفِّرُهُ هَذَا الْهُدَى مِنَ التَّقَدُّمِ وَ الْفَلَاحِ، حَسَبَ مَا يَذْكُرُهُ الْقُرْآنُ فِي الْآيَاتِ التَّالِيَةِ.

أَمَا عَذَابُ الْآخِرَةِ فَيَذْكُرُهُ الْقُرْآنُ هُنَا لِأَنَّهُ الْأَشَدُّ وَ الْبَاقِي، وَ يَبِينُ لَنَا قَبْلَئِذَا أَنَّ

هذا التبويض و الانتقاء فى اتخاذ احكام الدين،انما هو نتيجة تعويض الآخره بالدنيا و يقول:

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ فلا يرحمهم من فى السماء ولا ينفعهم أهل الأرض.

ص: ١٩٥

اشاره

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسِكُمْ اسْتَكَبَرْتُمْ فَبَقَا كَذِبًا وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧) وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بئس ما اشترؤا به أنفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبِأُوْءَابِغَضِبَ عَلَى غَضَبٍ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١) وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمِ اللَّهِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

اللغة

٨٧[قفينا]أردفنا و اتبعنا بعضهم خلف بعض و أصله من القفا.

[القدس]الطهر و التقديس التطهير. و نقول في صفة الله تعالى القدوس أي الطاهر.

٨٨[غلف]جمع غلاف أي أن قلوبنا أوعيه و غلف أي ممنوعه من القبول.

[لعنهم]اللعن هو الإقصاء و الإبعاد.

٩٠[بغيا]البغى أصله الفساد مأخوذ من قولهم بغى الجرح إذا فسد و قيل أصله الطلب لان الباغى يطلب التناول.

[مهين]الاهانه و الاذلال.

٩١[ما وراءه]أى ما بعده.و قيل تأتي وراء بمعنى سوى.

ص:١٩٧

٩٣]واسمعوا[أى أقبلوا و منه

قوله «سمع الله لمن حمده» أى قبل الله حمد من حمده.

[أشربوا][أصله من الشرب يقال شرب و أشرب غيره إذا حمه على الشرب و أشرب قلبه حب كذا.

ص: ١٩٨

هدى من الآيات:

لقد أدت العنصريه بنى إسرائيل الى نتائج سلبيه شتى، أولها العنف الداخلى الذى تمثل فى قتل أو إخراج جماعه منهم بالإثم و العدوان. و ثانيها - و هى الأخطر و التى يتناولها القرآن من جميع جوانبها- فهى الانغلاق. حيث وضعت العنصريه بنى إسرائيل فى زنانه ضيقه، منعت ان يتسرب إليهم أى نور و هدى. و تمثل ذلك فى رفضهم الدائم اتباع أى نبي أو أى أفكار رساليه جديده.

فى هذه المجموعه من الآيات يذكرنا القرآن بموقف بنى إسرائيل من عيسى بن مريم، الذى لم يكن ناشئا من تفكير منطقى بل من أهواء ضاله و مصالح خاصه.

ثم موقفهم من رساله النبى التى كانوا يستعدون سلفا لتقبلها، و لكنهم سرعان ما انقلبوا ضدها حين اكتشفوا أنها نزلت فى غيرهم. و يبين لنا القرآن ان

عدم ايمانهم بهذه الرساله، نابع من عنصريتهم الضيقه. ثم يكشف القرآن عن جذر العنصريه و يقول ان جذرها هو عباده العجل (رمز المال و الجاه).

بينات من الآيات:

اشاره

[٨٧] كما انزل الله الكتاب على موسى أنزله على سائر النبيين من بعده، و على عيسى بن مريم، فلما ذا تجمد بنو إسرائيل على موسى عليه السلام، هل لأنه كان من بنى إسرائيل فعيسى عليه السلام كان أيضا منهم. أم انه وحده انزل عليه الكتاب.. أو لم ينزل أيضا على عيسى؟ العله ليست هذه أو تلك انما هي: ان العنصريه تؤدى بصاحبها الى الانغلاق الفكرى، و من ثم الى الرجعيه و الجمود. ان بنى إسرائيل أخذوا يقصدون آباءهم، و يقصدون أفكار أولئك و عاداتهم، انطلاقا من عنصريتهم الضيقه. فلم يستطيعوا ان يطوروا أنفسهم وفق رساله عيسى الجديده، لذلك أنكروها.. يقول الله سبحانه:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى رِسَالَتِهِ بِالْقَطْعِ وَالْيَقِينِ، وَقَطَعَتْ
الطَّرِيقَ عَلَى كُلِّ مَرْتَابٍ فِي رِسَالَتِهِ.

وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ الَّذِي أَيْدَى بِهِ سَابِقًا النَّبِيَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ لَكِنَّا كُنَّا، يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، لَمْ تَوْمِنُوا بِعِيسَى لَمَّا جَاءَكُمْ.

أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ

و تعاليتم عليه، لأنكم فى رأيكم الشعب المختار لله، و الله قد منّ عليكم بقيم و أفكار و عادات لا يوجد مثيل لها فى العالم، و بالتالى ليس فى الرساله الجديده أى شىء جديد يمكن ان يضاف الى رسالتكم.. انكم تعديتم الحد فى تعاملكم مع رسل الله.

فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَ سِوَاءِ كَذَّبْتُمْ أَوْ قَتَلْتُمْ فَإِنَّ الْخَاسِرَ الْوَحِيدَ هُوَ أَنْتُمْ.

سبب التّكذيب:

[٨٨] لما ذا كذبتكم بالرسال؟ لأنكم انغلقتم على عنصريتكم الضيقه، و لكن أ ليس بامكانكم فك حصار العنصريه و التحرر من رجعيته و جمودها؟.. بلى، فأنتم إذا المسؤولون عن كفركم مباشره، و لا يجديكم أبدا: التبرير بأنكم منغلزون نفسيا فى التملص من مسئوليته كفركم بالرساله الجديده.

وَ قَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ لَا- تدخلها نصائح جديده أو تعاليم. كلاء ان الله لم يخلق بعض القلوب منغلقة و بعضها منفتحه، انما الناس بكفرهم أو ايمانهم يفتحون أو ينغلزون امام التوجيهات الجديده.

بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَكَفَرَهُمْ هُوَ الَّذِى سَبَبَ انْغِلَاقَ قُلُوبِهِمْ.

فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ

ص: ٢٠١

إذا أصبح الايمان بالنسبه إليهم مهمه صعبه،قلما يقوم بها الناس العنصريون الذين اختاروا الكفر على الايمان.

[٨٩] ثم يضرب الله مثلا آخر من واقعهم العنصرى،انهم انغلقوا عن نور الرساله الجديده التى هبطت مع النبى محمد صلى الله عليه و آله بالرغم من انهم كانوا ينتظرونها،و ذلك لأنهم وجدوا انها نزلت فى غيرهم.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بهذا الكتاب الجديد،و ينتظرون مقدمه حتى يحاربوا به كفار الجزيره العربيه.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا انه من الله،و أنه رساله جديده يحتاج إليها العالم و بالذات محيطهم المتخلف من الشعب الجاهلى.

كَفَرُوا بِهِ و ماذا ينتظر من يكفر بهذه الرساله التى يحتاج إليها الناس جميعا،و يعترف هو بحاجه الناس إليها،أو ليس الابتعاد عن السعاده و الفلاح؟ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ [٩٠] لماذا و كيف تنشأ العنصريه؟ تنشأ العنصريه أساسا من حب الدنيا و العمل من أجل المصالح المشتركه

لمجموعه بشرية، و تتضخم هذه المصالح في نفوسهم حتى تتحول الى عنصريه، و السؤال الآن: ماذا لو أصبحت العنصريه شرا على أصحابها، هل عليهم التشبث بها الى الأبد؟ القرآن الحكيم يذكّر هؤلاء العنصريين بمدى خساره التي تلحقهم في الدنيا بسبب هذا التفكير الارعن و يقول لهم بلغه فطريه مبسطه.

بُنِيَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَى بُنِيَ الذاتيه و العنصريه التي تعنى ان يبيع الإنسان كل شيء في الحياه، و يشتري في مقابلها نفسه، و بتعبير آخر: بُنِيَ العمليه هذه التي يضحي الإنسان بكل شيء في سبيل مصالحه الذاتيه، إذ أن ذلك سوف يسبب لهم الدمار لأنه سوف يؤدي الى.

أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغِيًّا بِمَا أَنْزَلَ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحَكْمَةِ وَ النُّورِ وَ الْهُدَى وَ كُلِّ خَيْرٍ، لِمَاذَا؟ بسبب التفكير العنصرى و ذلك بالاحتجاج ب..

أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لِرِسَالَتِهِ مَهْبُطًا آخَرَ غَيْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَفَرُوا بِالرِّسَالَةِ، فَمَنْ هُوَ الْخَاسِرُ غَيْرِهِمْ. هل صحيح مثلا ان يمتنع أحد المواطنين من أخذ ارض تقسيمها الدوله لمجرد ان الموظف ليس ابن عمه، و ماذا يضره ما دام أنه يأخذ الأرض و يحقق هدفه بها، لذلك فان هؤلاء خسروا أنفسهم.

فَبَاؤُا بِغَضَبِ عَلِيٍّ غَضَبٍ

إذ كانوا فى تخلف، فأصبحوا أشد تخلفا بسبب تقدم غيرهم عليهم، حين آمن الناس بالرساله و كفروا هم بها.و كانوا كفارا فازدادوا كفرا.

وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ و انهم سوف لا يحققون هدفهم من الاستكبار عن الايمان بالرساله. إذ ان هدفهم العزه و التعالى، بينما كفروهم بالرساله سوف يسبب لهم التخلف و الجمود و ألوان المشاكل و بالتالى يسبب لهم الذل و العذاب المهين.

[٩١] ثم يكشف القرآن جانبا آخر من العنصريه، و هو ان العنصريه ذاتها نتيجته و ليست سببا، و سبب العنصريه هو حب المال، و رمزه المتمثل فى عباده العجل.

و هؤلاء يحبون المال حبا أعمى، و يزعمون انه سوف يحقق كل طموحاتهم، و يعطيهم العزه و السعاده. لذلك تجدهم لا يؤمنون بالرسالات الجديده خشيه ان يفقدهم الايمان بها بعضا من امتيازاتهم و مكاسبهم الخاصه، و لكنهم لا يصرحون بذلك، بل يقولون اننا نكتفى بما عندنا من كتاب و حكمه.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَ لَكِنهُمْ يَكْذِبُونَ فى ذلك، و يدل على كذبهم ان هذا الكتاب لا يختلف عن كتاب الله الذى انزل عليهم.

وَ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ انما يكفرون بهذه الرساله حتى لا يفقدوا زعامتهم و مكاسبهم، و الدليل على

ذلك انهم كانوا يقتلون الأنبياء الذين أرسلوا إليهم لذات السبب.

قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [٩٢] حتى موسى الذى تدعون انكم تتبعونه كفرتم به مع انه جاءكم بالبينات الواضحه.

وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ، إِذَا فَالتبرير بأن رساله محمد صلى الله عليه و آله نزلت على غيرنا و لذلك لا تؤمن بها تبرير خاطئ، و أن السبب الحقيقى هو المحافظه على المصالح الذاتيه التى تعيش فى لا و عيكم أو حتى فى و عيكم.

اما قصه عباده العجل فى اللاوعى، حيث لم تزل جذور عباده المال متأصله فى نفوسكم، فكانت مع موسى أول مره حيث انكم آمنتهم به ظاهرا.

ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ حيث خدعكم السامرى بعد ان ذهب موسى لميقات ربه، و دفعكم شعوركم السابق بقداسه العجل الى اتباعه.

[٩٣] اما قصه عبادتكم العجل بشكل ظاهر فكانت بعد ان أخذ الله ميثاقكم.

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا لماذا العصيان بعد السماع؟ لأنهم فى الواقع لا يزالون يعبدون المال و رمزہ

وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ حَتَّى أَصْبَحَ حَبَّ الْعِجْلِ فِي قُلُوبِهِمْ كَالْمَاءِ حِينَ تَشْرَبُهُ الْأَرْضُ الْيَابِسَةَ، يَمْتَزَجُ مَعَ كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ تَرَابِ الْأَرْضِ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ فَصْلُ الْمَاءِ عَنِ الْأَرْضِ. أَنَّهُ يَشْبَهُ الْمُسْتَحِيلَ وَ لَكِنَّهُ لَيْسَ مُسْتَحِيلًا لِأَنَّ الْإِيمَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَطَهِّرَ الْقَلْبَ مِنْ مَزِيغِ الْكُفْرِ لَوْ وَجَدَ هُنَاكَ إِيْمَانًا صَادِقًا، وَ هُوَ لَا لَمْ يَشْرَبْ قُلُوبَهُمْ حَبَّ الْعِجْلِ الْإِ.

بِكُفْرِهِمُ الْحَقِيقِي، وَ إِيْمَانِهِمُ الْكَاذِبِ، إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِيْمَانٌ يَتَعَايَشُ مَعَ الْكُفْرِ، وَ يَأْمُرُ بِالْكَفْرِ كَلَا.

قُلْ بَشِّرْ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ الْإِيمَانَ الصَّادِقَ يَأْمُرُ صَاحِبَهُ بِالتَّضْحِيهِ وَ تَصْدِيقِ الْحَقِّ أَنَّى كَانَ وَ بِالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ. وَ مَا عِنْدَكُمْ لَيْسَ إِيْمَانًا بِالْمَرَّةِ.. أَنَّمَا هُوَ كُفْرٌ مَلْبَسٌ بِظَاهِرِ مِنَ الْإِيمَانِ.

اشاره

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدُّرُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَ لَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَ لَتَجِدَنَّهْم أٰحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُرْضِيهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدًى وَ بُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيْلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوْ كَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبِيَّذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠)

اللغه

٩٤[خالصه]الخالصه الصافيه يقال خالص لى هذا الأمر أى صار لى وحدى وصفا لى.

٩٦[أحرص]الحرص شده الطلب.

[يود]الموده المحبه.

[يعمر]التعمير طول العمر و أصله من العماره الذى هو ضد الخراب.

[بمزرحه]الزحزحه التنحيه.

٩٩[آيات]الآيه العلامه التي فيها عبره و قيل العلامه التي فيها الحجه.

[بينات]البينه الدلاله الفاصله الواضحه بين القضييه الصادقه و الكاذبه مأخوذه من إبانه أحد الشئيين من الآخر ليزول التباسه به.

١٠٠[نبذه]النبذ طرحك الشيء عن يدك أمامك أو خلفك و قيل معنى نبذه تركه و قيل ألقاه.

ص:٢٠٨

هدى من الآيات:

فى هذه المجموعه من الآيات، لا يزال القرآن يحدثنا عن العنصريه، و مدى ارتباطها بحب الذات و الانانيه، و انها ليست فى الواقع الا- إطارا لممارسه الكفر، بالرغم من ظاهر الايمان فيها. و الدليل على ذلك، تشبث العنصريين بالحياه و عداؤهم لجبرائيل و ميكائيل و من ثم عداؤهم لله و الرسل، هذا العداه الذى يسبب الدمار عليهم.

بينات من الآيات:

[٩٤]العنصريون فى التاريخ و فى عالمنا اليوم، يغلفون انانيتهم المقيته بغطاء من القيم الزائفه، ليخدعوا الناس و البسطاء من أصحابهم. فالاسرائيليون قديما كانوا يدعون انهم حمله رساله، و للمحافظه على هذه الرساله لا بد ان يدافعوا عن ذاتهم و يعملوا فى سبيل دعم الذات بأيه وسيله ممكنه. و هم اليوم يدعون انهم حمله الحضاره للعرب، (الحرية+التقدم) و عليهم ان يؤدبوا العرب الوحوش بأيه وسيله ممكنه حتى

و لو كانت هذه الوسيله أكثر وحشيه من شرائع الغاب. و النازيه كانت تدعى حمايتها للكنيسه، و تقوم بأعمالها تحت غطاء اسم الله، و البيض فى افريقيا يقولون انهم طلائع الحضاره الغريبيه، و الاستعمار قبلئذ كان يدعى انه يحمل العماره و الحضاره الى العالم. و لكن هذا الخداع الذاتى سوف يذوب فى وهج الحقيقه التى يذكرنا بها القرآن هنا، حين يأمر هؤلاء بالموت فى سبيل اهدافهم هذه.. فهل هم مستعدون لذلك؟ كلا.

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ وَ انكُمْ تدافعون عن قيم الله فى الأرض إذا. فتمنّوا الموتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ [٩٥] و لكن هل يفعلون ذلك؟ كلا.

وَ لَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا لأنهم يعرفون مدى الجرائم التى اقترفوها فى حياتهم و انه ينتظرهم هنالك جزاؤهم العادل. بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [٩٦] و هؤلاء ليس فقط لا يتمنون الموت بل بالعكس يتشبثون بالحياه بعنف. وَ لَتَجِدَنَّهْم أَمْحَرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ انهم احرص على حياه، ايه حياه كانت، بذل أم بعز، بفقر أم بغنى، بقيم أو

بدون قيم، بل انهم احرص من الكفار الذين لا يملكون ايه قيم.

وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَلَكِن لَوْ افترضنا انه عمّر الف سنه فهل يتخلص من العذاب.. كلا.

وَ مَا هُوَ بِمَرْخِزِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْجَرَائِمِ وَ سوف يعاقبهم عليها عاجلا أم آجلا.

[٩٧] ان عداء هؤلاء مع الرساله الجديده ناشئ في الواقع من عدائهم للحق، فهم يعيشون حاله التناقض بين الحق و بين مصالحهم الذاتيه، و الحق يمثله جبريل ملك الوحي، ملك القضاء.

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فليعرف ان جبريل هو ملك الوحي و انه يهبط بالكتاب من السماء.

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ و لكن جبريل بدوره ليس الا مأمورا من قبل الله، فهو لم ينزل الكتاب على النبي محمد صلى الله عليه و آله من قبل نفسه، بل.

يَأْذِنُ اللَّهُ وَ الدليل على انه من قبل الله كونه.

مصدقا لما بين يديه

ص: ٢١١

من الكتب السابقه ثم انه هدى و بشرى لمن آمن به.

وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ [٩٨] إذا فالعداء للحق يصعد الى العداء لجبريل، و من ثم لله، و هل يستطيع ان يعادى البشر ربه.

مَنْ كَانَ عِدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ وَ سوف يعاقبهم الله إذ لا يمكن التفريق بين الله و بين ملائكته أو رسله، و لا بين رسله بعضهم عن بعض.

[٩٩] و القضاء و القدر (السنن الثابتة و المتطورة فى الحياه) متمثله الآن فى رساله محمد صلى الله عليه و آله .

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ الَّذِينَ يَخْلَفُونَهَا وَ يَكْفُرُونَ بِرِسَالِهِ، لا يستطيعون ان يؤمنوا بشىء.

وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ عَهْدَ اللَّهِ.

[١٠٠] و لكن الى متى يخالف الإنسان عهده مع الله.

أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ هُوَ ذَلِكَ الْفَرِيقَ الَّذِى يَخَالِفُ الْعَهْدَ مَصَالِحِهِ، مما يدل على انهم لا يتبعون الدين

و لا يلتزمون بالعهود، بل يتبعون-فى الواقع-أهواءهم.

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ إِنَّمَا بِنَايِهِمْ مَصَالِحُهُمُ الْذَاتِيَّةَ وَ شَهَوَاتِهِمْ وَ أَهْوَاءَهُمْ.

ص: ٢١٣

اشاره

وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصِِّدٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانُوا لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لِكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣)

اللغه

١٠٢ [اتبعوا] اتبع اقتدى به.

[تتلوا] تتبع و التالي تابع و قيل معناه تقرأ من تلوت الكتاب أى قرأته.

[السحر] عمل خفى لخفاء سببه يصور الشىء بخلاف صورته و يقلبه عن جنسه فى الظاهر و لا يقلبه عن جنسه فى الحقيقه.

[فتنه] الفتنه الامتحان و الاختبار يقال فتنته فتنه.

[خلاق] نصيب من الخير.

١٠٣ [مثوبه] الثواب و الأجر و الأصل فى الثواب ما رجع إليك من شىء.

ص: ٢١٥

هدى من الآيات:

بعد مرحله القوه جاءت مرحله الضعف فى امه بنى إسرائيل، و بعدها كانت العنصريه، و من ثم تأتى مرحله الخرافه المتمثله فى السحر و الشعوذة.

حيث ان الامه العنصريه تنغلق على ذاتها.. « وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ » و تتعد عن توجيهات الله، و عن سنن التاريخ، و تجارب الناس، و تستكبر على الحق و ليس امامها بعدئذ الا الهبوط الى حضيض السحر و الشعوذة.

فيتناول القرآن الحكيم هذه مرحله بايجاز فيبدأ بالحديث عن ترك بنى إسرائيل للكتاب ليبين الله أنه السبب فى تشبثهم بالسحر. لان من لا يمتلك تفسيراً صحيحاً للحياه و رؤيه علميه الى اهدافها، يضطر الى البحث عن تفسيرات غيبية و رؤى باطله.

و حيث يتحدث عن السحر ينفى القرآن قصه مخلقه من بنى إسرائيل تزعم ان السحر من الله، و ينهى الحديث ببيان ان التمسك بالكتاب أفضل لهم من التشبث بالسحر.

بينات من الآيات:

[١٠١] وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصِِّدًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وراءَ ظُهُورِهِمْ كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ [١٠٢] و بسبب هذا النبذ وجد فراغ ثقافى فى حياتهم فالتفتوا الى السحر و الشعوذه و الأفكار الغيبية الباطله فلم يجدوها الا عند الشياطين.

وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِكِ سَيَّئِمَانٌ مِنَ السِّحْرِ، ذلك ان سليمان كان نبيا من بنى إسرائيل و ملكا، و كانت الشياطين تخدمه، و قد خلفت وراءها مجموعه من الأفكار الباطله.

هؤلاء تركوا الكتاب المنزل من الله الذى كان هو الحق مصدقا لما بين أيديهم و ما خلفهم ثم ذهبوا و اتبعوا أفكار الشياطين. هذه نهايه العنصريه أنها لا- تفرق بين أفكار شياطين الملك، ان كانت من نفس العنصر و بين الأفكار الصحيحه التى يأتى بها نبى مرسل من الله.

و المشكله انهم قالوا: ما دامت هذه الأفكار من بنات فكر الشياطين الذين كانوا حول سليمان، و ما دام سليمان نبى الله، فاذا هذه الأفكار هى من الله سبحانه، و لكن الله نفى بشده هذه المعادله الباطله.

و قال:

وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ السِّحْرَ هُوَ الْكُفْرُ لِأَنَّهُ يَرْبِطُ الْحَيَاةَ بِقُوَى غَيْبِيَةٍ غَيْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

وَ مَا أُنزِلَ

ص: ٢١٧

السحر أبدا كما تدعى هذه الطائفة العنصريه.

عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ فهاروت و ماروت ما كانا ملكين، و لذلك لا يمكن ان تنزل عليهما رساله إلهيه.

وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ وَ هَلْ مِنَ الْمُعَقُّولِ ان يبعث الله نبيين يخدعان الناس؟! فَلَا تَكْفُرْ إِذْ ان نسبه السحر الى الله هو كفر بذاته.

و السحر لا- يمكن ان يكون من قبل الله لأنه يخالف مسيره رسالاته و يتناقض معها تناقضا كلياً، إذ ان رسالات الله دعوه الى الترابط و الانتفاع فى الحياه، بينما هؤلاء يتعلمون من السحر التدابر و الضرر.

فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ لكن هذه التفرقه ليست حتميه إذ ان السحر لا يؤثر تأثيراً أكيدا فى الحياه بل الله و سننه، و اراده الإنسان هى التى تؤثر فى الحياه.

وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ اى انهم لا يضررون اى أحد بالسحر الا عبر قوانين الله، فالله و رسالاته أجدر بالاتباع و عموماً: السحر يضر و لا ينفع. بينما رسالات الله تنفع و لا تضر.

وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ

ص: ٢١٨

و رسالات السماء تنفع الإنسان فى الآخره بينما السحر لا ينفع هنالك شيئا.

وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ اى ان اى نصيب لا يملكه الساحر فى الآخره لطبيعه اعماله المنافيه للدين فى الدنيا.

وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أنه تفرقه و ضرر فى الدنيا، و خساره فى الآخره.

[١٠٣] وَ لَوْ اَنَّهُمْ آمَنُوا برسالات الله.

وَ اتَّقُوا بتطبيقها على اَنْفُسَهُمْ تطبيقا سليما كان أفضل لهم. إذ.

لَمْثُوبَةٍ و جزاء حسن.

مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ بيد ان العنصرين لا يفقدون هدى الرساله وحدها بل يفقدون العلم أيضا، و العلم بعيد عن السحر بعد الأرض عن السماء.

هذه نهايه المطاف لبنى إسرائيل، و فى مراحل حياتهم عبر كثيره لنا، و للأمم.

و خلاصه الءرس..

ان مخالفه رساله السماء و من ثم ضعف تطبيق أوامر الله سيؤءى الى العنصرية، ثم الى فقدان كل شىء، و آخر ما يفقده الإنسان بسبب العنصرية هو العلم.

ص: ٢٢٠

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٠٧) أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَدُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠)

اللغة

١٠٤[راعنا]المراعاة التفقد للشيء في نفسه أو أحواله و نقيض المراعاة الاغفال و رعى الله فلانا أى حفظه.و كان اليهود يقصدون بكلمه راعنا معنا آخر و هو الرعونه.

[انظرنا]النظر تقليب البصر و البصيره لادراك الشيء و رؤيته،وقد يراد به التأمل و الفحص و قد تأتى بمعنى انتظرنا نفهم و نتبين ما علمنا.

[أسمعوا]يحتمل أحد أمرين:(أحدهما)أن معناه أقبلوا ما يأمركم به و(الثانى)أن معناه استمعوا ما يأتيكم به الرسول.

١٠٦ [نسخ]النسخ فى اللغه إبطال الشىء و اقامه آخر مقامه يقال نسخت الشمس الظل أى أذهبتة و حلت محله و أصل الباب الإبدال من الشىء غيرة.

١٠٩ [حسد]الحسد إرادته زوال نعمه المحسود اليه أو كراهه النعمة التى هو فيها و إرادته أن تصير تلك النعمة كلها له. و أشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لأحد.

[اصفحوا]الصفح بمعنى العفو و التجاوز عن الذنب.

ص: ٢٢٢

هدى من الآيات:

لا زلنا فى اطار الحديث عن بنى إسرائيل، فبعد ان رافقناهم فى مراحل تطورهم.

نقف الآن برهه نعتبر دروسا من حياتهم، و أهم ما يبين لنا القرآن فى هذه الآيات ان يحذرنا من التأثر بالأفكار الغريبه و الدخيله.

و يعطينا القرآن أول درس من حياتهم من خلال النهى عن تكرار مقاتلتهم (راعنا) بتبديلها بأخرى أفضل منها و هى (انظرنا).

ثم يؤكد للامه الاسلاميه شخصيتها المتميزه عن الأمم الاخرى يقول لهم ان أولئك يحسدونكم على فضل الله لكم و يقول: انكم تملكون أفضل مما يملكون أو لا أقل مثل ما يملكون من الهدى.

كما ينهى الامه الاسلاميه ان تتورط فى مشكله تجسيم الله كما فعل بنو إسرائيل، و يؤكد لنا ضروره الحذر من التأثر بثقافتهم، و يأمرنا بالصلاه و الزكاه

كقوه اساسيه للأمم، و يحذرنا من استيراد انظمه الآخرين، و الاعتماد على ثقافتهم.

بينات من الآيات:

راعنا و انظرنا:

أولاً: دعنا نستمع الى المفسرين يذكرون لنا معنى راعنا و انظرنا، يقول الشيخ الطبرسي (ره): المرعاه، و المحافظه، و المراقبه، نظائر. و عكس المرعاه: الإغفال، و رعى الله فلاناً أى حفظه و رعيت له حقه و عهده فيمن خلف، و أرعيته سمعى إذا أصغيت اليه، و راعيته يعنى إذا لا-حظته، و جمع الراعى رعاء، و رعاه، و رعيان. و كل من ولى قوما فهو راعيهم و هم رعيتهم، و المرعى من الناس المسوس، و الراعى السائس و استرعاه الله استخلفه، أى ولاه أمرهم يرعاهم، و الإرعاء الإبقاء على أخيك و الاسم الرعوى و الرعيا، و راعنى سمعك أى استمع. (١)

أقول: و يبدو من استخدامات الكلمه انها أشد من الحفظ اهتماماً، و ألين من الرقابه جانباً، فالراعى للغنم، ليس يحفظه فقط بل و يهتم بشؤونهم، و هكذا السائس لبلده يهتم بشؤون رعيتهم أى اهتماماً. و بينما (الحفظ) هو منع الخطر عن الشىء أو الشخص المحفوظ، فان الرعايه تنطوى على معنى جلب المنفعه أيضاً، بل توحى لفظه المرعاه و الرعايه إذا استخدمت فى العلاقه بين الأمير و المأمور، و الحاكم و المحكوم، تخفيف القانون و تيسيره. أما كلمه انظرنا: فقال الشيخ الطبرسي عنها: و نظرت الرجل أنظره نظره بمعنى انتظرتة و ارتقبته. (٢)

و قال الفخر الرازى: و أما قول و انظرنا ففيه وجوه، أحدها: انه من نظره

ص: ٢٢٥

١-١) مجمع البيان ج ١ ص ١٧٨

٢-٢) مجمع البيان المصدر

أى انتظره. قال تعالى: «أَنْظُرُوا نَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ نُورِكُمْ» فأوهم تعالى بان يسألوه الإمهال ينقلوا عنه فلا- يحتاجون الى الاستفادة» و
أضاف» و ثانيها: انظرنا معناه انظر إلينا، إلّا- انه حذف حرف الى، ثم قال: و ثالثها: قرأ أبى بن كعب «انظرنا» (أى بهمزه القطع) من
النظره أى أمهلنا. (١)

ثانيا: آراء المفسرين فى معنى هذه الآية اختلفت اختلافا كبيرا، و اذكر فيما يلى:

١- ان هذه الكلمه كانت تستخدم عند اليهود، فنهى المسلمون عن استخدامها. و سواء كانت تعتبر سبا عندهم إذ انهم كانوا
يقصدون بها الرعونه أو راعى الأغنام أو لمجرد شياعها لديهم. إذ ان هذه الكلمه هى الشائعه سواء هذا أو ذاك فان نهى القرآن
عن استخدامها كان بسبب اليهود و

قد جاء فى حديث مأثور عن الامام الباقر عليه السلام ان هذه الكلمه سبّ بالعبرانيه. (٢)

و

روى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال: يا أعداء الله عليكم لعنه الله، و الذى نفسى بيده لان سمعتها من رجل منكم يقولها
لرسول الله لأضربن عنقه.

فقالوا: أو لستم تقولونها؟ فتزلت هذه الآية. (٣)

و جاء فى حديث مأثور عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام و أنزل:

(« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا » فانها لفظه يتوصل بها أعداؤكم من اليهود الى سب رسول الله و شئتكم » و قُولُوا أَنْظُرْنَا » أى
قولوا بهذه اللفظه لا بلفظه

ص: ٢٢٤

١-١) الفخر الرازى ج ٢ ص ٢٢٤

٢-٢) مجمع البيان ج ١ ص ١٧٨

٣-٣) الفخر الرازى ج ٢ ص ٢٢٤

«راعنا» فانه ليس فيها ما فى قولكم راعنا و لا يمكنهم ان يتوصلوا بها الى الشتم كما يمكنهم بقولهم راعنا و اسمعوا إذا قال لكم رسول الله قولا و أطيعوا «و للكافرين» يعنى اليهود الشاتمين لرسول الله «عَذَابٌ أَلِيمٌ» إن عادوا لشتمهم، و فى الآخره بالخلود فى النار (١) و انطلاقا من هذا التفسير فان النهى عن استخدام كلمات متشابهه، ربما يهدف الاستقلال الثقافى عنهم، و كما يهدف عدم إعطاء ذريعه لهم للنيل من شخصيته الرسول صلى الله عليه و آله.

٢-ان هذه الكلمه كانت تستخدم عند قريش فى الاستهزاء أو لا أقل عند تساوى المتخاطبين، فجاء النهى عند استخدام مثل هذه الكلمات فى حضره الرسول كما يقول القرآن «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا» .

٣-بالرغم من ان هذه التفاسير تبدو قريبه و ربما كانت بعض أبعاد الآيه إلا ان هناك احتمالا آخر هو أن يكون معنى المراعاة تخفيف الأحكام، بينما يكون معنى «انظرنا» الإمهال.

و بناء على ذلك فإن المنهى عنه هو البحث عن تخفيف الأحكام الشرعيه المأثوريه-بدلا من ذلك-طلب المهله و فرق كبير بينهما لما يلى:

لأنه تختلف..

[١٠٤]تختلف المجتمعات القويه عن الضعيفه فى ان الاولى طموحه، يتطلع أبناؤها لتحقيق المزيد من الانجازات، و لان طاقتها محدوده فهى ترمج اهدافها

ص: ٢٢٧

لتحقيقها شيئا فشيئا، بينما المجتمعات الضعيفه تحاول تحقيق واجباتها قدر الإمكان و دون برمجته لأنها تفقد تطلعاتها البعيده.

و يبدو ان بنى إسرائيل كانوا فى أخريات حياتهم كامه، يطالبون بتخفيف واجباتهم، و يكررون هذه الكلمه (راعنا) فهم يقولون: راعنا فى الصلاه.. فى الزكاه.. فى الجهاد.. و فى كل شىء يأمرهم به انبياءهم و قادتهم و هذه الكلمه تشبه كلمه اعفنى من هذا.

و لعلّ الله أرادنا الا- نكون ضعيفى الاراده، فأمرنا بأن نتطلب التدرج فى تحقيق الواجبات لا- إلغاءها رأساً، و اختار لنا كلمه انظرنا (اي أمهلنا) بدل كلمه راعنا حتى نطبق الواجب و قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا ثُمَّ أَمَرْنَا بِأَنْ نَسْمَعَ وَ نُؤْمِنَ لِأَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا.

وَ اسْمِعُوا وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ [١٠٥] الامه الاسلاميه متصله بالله مباشره، و عليها ان تستقى قيمها و ثقافتها من رساله الله التى أوحيت الى محمد صلى الله عليه و آله، و المشركون و أهل الكتاب ليسوا بأفضل من الامه الاسلاميه ثقافه، و ليس هذا سبب ابتعادهم عن الثقافه الاسلاميه.. بل السبب الوحيد هو انهم عنصريون و جهلاء ابتعدوا عن الإسلام لأنه نزل على غيرهم، و لو نزل فى بيوتهم-فرضا- إذا لاحتضنوه.

مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ

و هم يعتبرون الرساله خيرا.فضل غيرهم به،لذلك يتميزون غضبا و قال الله لهم ببساطه: **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** .

و **اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** و الرساله كأيه رحمه اخرى ينزلها الله حسب ما يشاء لا حسبما يشاء الناس.

و **اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** يمكنه ان يعم الناس كلهم بفضله لو لم يتحاسدوا،و إذا أخلصوا لله عملهم فبامكان المشرك أو اليهودى ان يصبح مسلما صادقا يتقدم على كثير من المؤمنين السابقين ذلك ان المجال مفتوح امام الجميع،و رحمه الله واسعه تشمل الجميع.

رسالات الله و تطور الزمن:

[١٠٦]ليست الثقافه الاسلاميه أردى(حاشا لله)من ثقافه الآخريين،و إذا كان للآخرين كتاب فللمسلمين كتاب كريم أيضا.لان ينبوع فضل الله الذى انزل ذلك الكتاب انزل كتابا أفضل من ذلك الكتاب لأنه كتاب جديد فيه ما ينفع الحياه الحاضره و المستقبل.

مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَوْ مَتَّعْنَا بِهَا أَ لَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ النسخ هو: تطوير أسلوب الحكم بما يتناسب مع تطور الحياه بالرغم من وجود ذات الحكم،مثل حكم الصلاه،كانت الى المسجد الأقصى فى الشرائع السابقه، فتحولت القبلة الى الكعبه.فالصلاه هى الصلاه و لكن تغيرت قبلتها.و قد يكون النسخ:هو:بالغاء الحكم رأسا مثل المحرمات التى كانت على بنى إسرائيل فى

الأكل فألغيت في الشريعة الاسلاميه.

و الله حين ينسخ شريعته ينسخ قياده تلك الشريعة، أو ذلك الشخص الذى يجسد تلك الشريعة أيضا. فموسى و عيسى (عليهما السلام) نسخت شرائعهما و انتهت فتره قيادتهما للناس، و الآيه بهذا المعنى تشمل الإنسان القائد الذى يجسد آيات الله عمليا. إذا كلام الله يدل على ان لكل عصر قاداته الذين يستمدون من الدين الأحكام المتصله بظروفهم، و الله قادر على إبداع آيات جديده. و بعث قاده جدد. و قد جاء فى النصوص تفسير هذه الآيه بوفاه امام عادل و قيام إمام آخر مقامه.

[١٠٧] و يجب ان لا يخشى الإنسان من سلطه من يمثلون الأفكار السابقه المنسوخه بفعل تطور الحياه، بل يخشى الله سبحانه لأنه هو المالك للسموات و الأرض، و هو الولي النصير، و ولي العالمين وحده.

أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ و هذه الآيات و التى سبقت، تأمر الامه بالتفكير جديا فى التقدم المستمر، و عدم الخوف من الجديد لمجرد ان الفكر الجديد قد لا يكون أفضل من السابق، و عدم الخشيه من الناس المرتبطين بالأشياء القديمه، بل الخشيه من الله وحده.

و لقد وقعت هاتان الآيتان فى محيط الجزيره العربيه المحافظه و الراكده وقع الصواعق. حيث استطاع الرسول ان يزلزل الأوضاع القديمه من الأساس، و يبنى مكانها كيانا جديدا بل صنع مجتمعا تقديما يبحث عن الإبداع و التطوير، حتى احتاج هذا المجتمع الى ضوابط كابحه كالتى قالها الرسول (كل بدعه ضلاله).

[١٠٨] و يأتى القرآن بمثل على طبيعه الثقافه القديمه، كيف كانت ثقافه

مشويه بالشرك، و يقول: ان اتباعكم أو حتى استماعكم الى هذه الثقافات سوف يبعدكم عن الحق.

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ إِذْ قَالُوا لَهُ (أرنا الله جهره)، هل تريدون ان تصبحوا كفارا بعد الايمان، و مشركين بعد ان أصبحتم حنفاء.

وَ مَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ [١٠٩] و اهتمام الكفار بكم ليس بهدف توجيهكم الى ما هو أفضل لكم، بل لاستلاب ما تملكون من هدى و خير، و بالتالى من أجل تضعيفكم، و خلخلة كيانكم ذلك لأنهم أعداء لكم يحسدونكم على ايمانكم، و يعرفون ان قوتكم كامنه فى دينكم الجديد، فيريدون القضاء على هذا الدين بكل وسيله.

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ تِلْكَ الْأَنْفُسُ الَّتِي لَا تَحِبُّ الْخَيْرَ لِلْآخِرِينَ أَبَدًا.

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ و عرفوا انه بجانبكم، و هنا أمامكم موقف واحد هو تجاوز حسد هؤلاء، و عدم الاعتناء به، و عدم التفكير فيه لأنه جدل.

فَاعْتُوا وَ اصْفَحُوا لأن الجدل الفكرى مع هذا الطراز من الناس لا يجديكم نفعا، فابتعدوا عن

الجدل معهم.

حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَيُظْهِرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُنْصِرَكُمْ.

إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [١١٠] و خلال الفتره من الآن و حتى يوم الانتصار، يجب عليكم الاستعانه بنظامكم الصائب لأنه خير ضمانه للمستقبل.

وَ أَفِيْمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ اعْمَلُوا الْخَيْرَ الْكَثِيرَ..

وَ مَا تُعَدُّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و هذا الدرس- يجب ان نضعه امام أعيننا فى تعاملنا مع الثقافات الشرقيه و الغربيه اليوم، و محاولات انصارهما من أجل اضلالنا عن ديننا بدافع حسدهم من قوتنا لو تمسكنا بديننا.

ص: ٢٣٢

إشارة

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهٗ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهٗ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهَادِيَ وَلَنْ اتَّبِعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعِيدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣)

اللغة

١١١[هودا]هو جمع هاند كعائد و الهائد التائب الراجع الى الحق.

[برهانكم]البرهان و البيان و الحججه بمعنى واحد و هو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك.

١١٢[أسلم]يستعمل في شيتين (أحدهما)أسلمه كذا أى صرفه اليه تقول أسلمت الثوب اليه و(الثاني)أسلم له بمعنى أخلص له و منه قوله و رجلا سلما لرجل أى خالصا.

[وجهه]الوجه مستقبل كل شىء و وجه الإنسان محياه.

١١٣]القيامة[مصدر إلا أنه صار كالعلم على وقت بعينه و هو الوقت الذى يبعث الله عز و جل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم.

١١٤]منع[صد.

[خرابها][الخراب الهدم و النقض.

١١٥]المشرق[و الشرق اسمان لمطلع الشمس و القمر.

[المغرب]و المغرب بمعنى و هو موضع الغروب يقال غربت الشمس تغرب إذا غابت.

[واسع][الواسع الغنى سمي به لسعه مقدوراته و قيل هو الكثير الرحمه.

ص: ٢٣٤

١١٧ [قانتون]الأصل فى القنوت الدوام و تأتى بمعنى الطاعه كما تأتى بمعنى الدعاء و منه القنوت فى الصلاه.

١١٨ [يوقنون]يعلمون.

١١٩ [الجحيم]النار بعينها إذا شب وقودها و صار كالعلم على جهنم.

١٢٠ [ملتهم]المله و النحله و الديانه نظائر و مله رسول الله صلى الله عليه و آله الأمر الذى أوضحه.

ص: ٢٣٥

هدى من الآيات:

ما هو موقف الامه الاسلاميه من ثقافه اليهود و النصارى؟ بين القرآن جانباً من هذا الموقف و فى هذه الآيات يبين البقيه:

لكى يدعم ايمان الامه بشخصيتها المتميزه يكرر القرآن القول بان المقياس عند الله ليس اسم اليهود أو النصارى بل المقياس هو التسليم المطلق لله و تنفيذ أوامره.

و توضيحات لهذه الفكره يبين القرآن مدى التناقض الموجود و القائم بين اليهود و النصارى، و كيف انهم اتخذوا دينهم وسيله لتكريس تناقضاتهم، حتى انهم أخذوا يوجهون عداؤهم للدين ذاته و يحاربون مساجد الله. فهل هم مسلمون؟ ثم انهم يتخذون لله ولدا فهل هم مؤمنون بالله أم مشركون؟ و هم يجادلون الله فى رسالاته فهل لهم الحق فى ذلك؟

اليهود و النصرارى يريدون و بصراحه تصفيه الرساله الجديده و على الامه ان تعرف انها تملك العلم و الهدى و عليها ان تدافع عنهما بقوه.

لان المؤمن الحقيقى هو الذى لا يحرف كتابه بل يتلوه حق تلاوته اما اولئك الذين يقرءون كتبهم ليحرفوها فهم الخاسرون.
و آخر الدرس يعيد القرآن ذات الآيتين اللتين بدأ بهما الحديث عن بنى إسرائيل و فيهما ترغيب و ترهيب و خلاصه لحكمه تفضيل بنى إسرائيل على العالمين فى العصور السابقه.

بينات من الآيات:

[١١١] هل ينخدع ربنا بالألفاظ؟ و هل كل من قال انا مسلم، أو انا يهودى، أو نصرانى يتقبله فوراً و يدخله الجنة؟ كلا انه يريد العمل الصالح.

و لكن لماذا يتصور بعض الناس ان الإسلام وحده كاف لربط أحد الناس بالله؟ الجواب: لان هؤلاء يتخذون الدين مجموعه امانى و أحلام، و يفسرون كلماته و احكامه بحيث تتمشى مع أحلامهم الجميله، و أمانيتهم الطيبه، إنهم اتخذوا الدين ماده تخديريه تنسيهم لوقت ما مشاكلهم المعقده، و تؤملهم فى حياه أفضل، تأتيمهم بلا عمل، بلا تضحيه و بلا عطاء.. اما الواقع فان هذا الدين موجود فقط فى أذهانهم.

اما عند الله فان الدين يتمثل فى غير ذلك.. بل فيما يتناقض معه كلياً لنستمع الى الله:

وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ التى يخذعون أنفسهم بها، و ليس هذا ديناً من عند الله إذ فور ما تتعرض هذه

الامانى الطفوليه لو هج العقل تذوب.

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ .

[١١٢] هل تريدون ان تعرفوا الدين الصادق؟ بلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ .

فلم يعبد فى قلبه و لا فى عمله غير الله، هذا الشرط الاول، و الشرط الثانى ان يعمل عملا صالحا.

وَ هُوَ مُحْسِنٌ .

هذا الإنسان قد تمسك بالدين الصحيح.

فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

اما من تمسك بالامانى فعليه ان يخاف من المستقبل و سوف يحزن على أيامه التى قضاها فى الدنيا عاطلا عن العمل معتمدا على هذه الامانى الباطله.

[١١٣] و مثل هؤلاء مثل اليهود و النصارى الذين اتخذوا الدين امانى، و طبقوه على أحلامهم، و كرسوا به تناقضاتهم التى ركبوها على دينهم الباطل.

وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ .

بينما تجد ان كلا منهما يقرأ نفس الكتاب و يطبق ذات التعاليم.

وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ .

ص: ٢٣٩

فلا بدّ أن يوحدهم هذا الكتاب، و هل من كتاب لله يفرق بين الناس أم أنّهم حرفوا معانى الكتاب و فسروه حسب أهوائهم؟ و هذا يعنى انهم لم يستفيدوا من كتابهم شيئا حيث ان الذين لا كتاب لهم أيضا يختلفون بعضهم على بعض.

كذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ .

[١١٤] لان هؤلاء يختلفون مع بعضهم فى الدين فإنهم يمنعون رفاقهم من دخول معابد أعدائهم، و يشنون حربا دعائيه ضدها، و لكن السؤال الموجه لهم: أنتم تخالفون بعضكم فى قضايا ماديّه، فلما ذا تمدون هذا الخلاف الى الدين و الى عباده الله؟! وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَ سَعَىٰ فِي خَرَابِهَا .

و بهذه الطريقه يشيعون حول المساجد جوا من الخوف و الريبه، إذ يتهم كل فريق معبد الفريق الاخر مما يجعلون المساجد موضع التهم و الخلاف و لذلك:

أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

الخزى فى الدنيا لطغيانهم على بعضهم، و العذاب فى الاخره لتغييرهم الدين، و تحريفهم مبادئ الوحده و التضحيه فيه.

تضخيم الاختلافات:

[١١٥] الخلافات القائمه بين الأديان ليست كبيره، و انما ضخّمها أصحاب المصالح الماديّه من أجل الاكتساب منها. مثلا اختلاف القبله. فالله هو الاله فى

السماء والأرض وفي المشرق والمغرب.

وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

واسع، تشمل قدرته كل الجهات، وعليم بمن يعبده أنى اتجه شرقا أو غربا. المهم عند الله هو التسليم، ومخالفه الشهوات العاجله من اجله، وليست الجبهة التي يعبد الناس ربهم إليها. كل هذه من القضايا غير الاساسيه التي يضخمها أصحاب الاختلافات ابتغاء الوصول الى مكاسب ماديه من وراء الاختلاف.

[١١٦] و من السليبات التي وقع فيها بنو إسرائيل، وعلينا تجنبها: هو الشرك بالله.

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا .

انطلاقا من تفكيرهم الضيق حيث لم يستطيعوا ان يفرقوا بين النبوه و البنوه، و زعموا ان سمو درجه النبي و قيامه ببعض المعاجز يجعله ابنا لله.

سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .

و ليس هناك شيء أقرب الى الله من شيء في الخلق.

كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ .

فليس هناك شيء أو شخص يمكن ان يتعالى على الله باعتباره ولدا له بل كل شيء خاضع له لأنه خلقه و يرزقه و اليه مصير كل شيء.

[١١٧] و الله حين خلق الأشياء لم يخلقها بشكل تنفصل منه الأشياء كما ينفصل المولود عن والدته بل وهب لها الخلق و ابدعها ابداعا، فهو.

ص: ٢٤١

بَدِيعِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ .

فهو إذا لم يتخذ ولدا لا بعد أن خلق الأشياء و لا حين خلقها.

[١١٨] وقال الكفار إذا لم يكن عيسى ابنا لله، و إذا لم يكن موسى و عزيز و هارون أبناء الله، فلما ذا خصهم الله سبحانه بالنبوه دوننا؟ وَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ .

اي ان كل الكفار على امتداد التاريخ اعتمدوا على هذه الحجج في تصورهم -شركاء لله- حيث شاهدوا بعض الأشياء أقوى من بعضها أو بعض الأشخاص أهم من غيرهم فقالوا: لو لم تكن هذه الأشياء انصاف الهه، و لو لم يكن هؤلاء الهه فلما ذا فضلوا على غيرهم؟ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ .

و منطلقات تفكيرهم و الواقع ان المسيحيه أو اليهوديه لم تتأثر فقط بالثقافه الاغريقيه التي كانت تتصور ان للكون أربابا من دون الله، بل و تأثرت أيضا بذات المنطلقات الفكرية التي كانت موجوده عند هؤلاء. أولئك لم يفهموا حكمه التفاضل في المخلوقات فزعموا ان الحجر الكريم لم يفضل على الحجر العادي الا لأنه يجسد جانبا من الالوهيه، و كذلك السلاطين لم يؤتوا الملك و القوه الا لان فيهم عرقا من الله (سبحانه).

و هؤلاء أيضا لم يفهموا حكمه التفاضل و قالوا لو لم يكن عيسى إلها فلما ذا فضل علينا، و كلمه الله أو أتاه البيئات و لم يكلمنا أو يؤتينا البيئات يقول الله:

قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

اى أنّ هنالك ادله واسعه تنفى هذا التفكير، و لكنها تحتاج الى عقول متفتحه و مثقفه و رفيعه المستوى.

[١١٩] و كما أرسل الله الأنبياء من قبل. دون ان يكونوا أولاد الله. أرسلك الله يا محمد صلى الله عليه و آله .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا .

و لكنك لست مسئولاً بعد أداء البلاغ عنهم.

وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ .

فدورك إذا دور محدود ليس فيه ذره من الالوهيه أبدا.

مصدر الإلهام:

[١٢٠] و عليك يا محمد ان تستوحى افكارك و تفاصيلها من مصدر واحد هو الله، و لا تخلطها بثقافات الديانات الاولى التى

فسدت و دخلها الشرك و الضلال، و لا تفكر فى ان أولئك سيرضون عنك لو اتبعتهم فى شىء من افكارهم، كلا.

وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ بِالْكَامِلِ وَ هَذَا يُؤَدَّىٰ إِلَىٰ الْغَاءِ دُورِكَ .

وَ لَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ

ص: ٢٤٣

انهم لا يملكون الا أهواء، و أنت تملك العلم و من يترك العلم الى الهوى فسوف يخسر المستقبل، و لا ينصره الله.

[١٢١] اليهود و النصارى حَرَفُوا دينهم و فَسَّرُوا نصوص كتابهم المقدس تفسيراً باطلاً و لكن.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ إيماناً صادقاً لأنهم يتلون الكتاب ليفهموا ما فيه ثم يطبقوه، و لا يتلونه لكي يركبوا عليه افكارهم الباطله. اما الذين يتلون الكتاب ليجدوا فيه ايه تؤيدهم فيأخذونها و يجعلونها شعاراً يبررون بها تصرفاتهم الباطله، و يتركون سائر الآيات، فهم في الواقع يكفرون بالكتاب كفراً تاماً.

وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لأنهم سوف لا يستفيدون من هدى الكتاب، و لا من تعاليمه الحياتيه الصائبه.

[١٢٢] بنو إسرائيل كانوا يتلون الكتاب حق تلاوته، ففضلهم الله على العالمين، ثم تركوا ذلك، فانتهى بهم المطاف الى الذل و المسكنه.

الآن عليهم ان يتذكروا واقعهم السابق، و يعودوا الى أسباب تقدمهم.

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ من الكتاب و الرسول الذين بهما تقدمتم.

وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ

بهذين العاملين الاساسيين للتقدم، الكتاب و الرسول.

[١٢٣] وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عِدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ و لو ان بنى إسرائيل
تذكروا نعمه الله و هى الرساله و اتقوا يوم الجزاء، لا خذوا بجذور الدين و أصوله الثلاث «التوحيد-الرساله-الميعاد».

و هذه رؤيه عامه يذكرها القرآن الحكيم فى آخر حديثه عن بنى إسرائيل ليبين ان جوهر الدين و جوهر تقدم الأمم يتلخص فى
الايمان بالله و برسالاته و بيوم القيامه.

ص: ٢٤٥

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَلًّا وَ وَصَّيْنَا إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ ابْنَيْ إِبْرَاهِيمَ أَن تَطَهَّرَا لِبَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَ بئسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَ مَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَ وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَ يَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤) وَ قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَ إِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صَبَّغَهُ اللَّهُ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبَّغَهُ وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَ تَحْجُجُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)

١٢٤ [الابتلاء] الاختبار.

[ينال] يلحق، يدر ك.

١٢٥ [المثابة] الموضع الذي يثاب اليه من ثاب يشوب و منه ثاب اليه عقله أى رجع بعد غروبه.

[للطائفين] الطائف و الجائل و الدائر نظائر و يقال طاف يطوف إذا دار حول الشئ.

[العاكفين] العاكف المقيم على الشئ اللازم له و العاكف المعتكف فى المسجد.

١٢٦ [أضطره] الاضطرار هو الفعل فى الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه.

١٢٧ [يرفع] الرفع و الاعلاء و الإصعاد نظائر و نقيض الرفع الوضع.

[القواعد] جمع قاعده و أصله فى اللغة الثبوت و الاستقرار فمن ذلك القاعده من الجبل و هى أصله و قاعده البناء أساسه الذى بنى عليه.

١٢٨ [مسلمه] الإسلام هو الانقياد لأمر الله تعالى بالخضوع و الإقرار بجميع ما أوجب الله و هو الايمان.

[مناسكنا] المناسك المتعبدات، و كل متعبد منسك و النسك فى اللغة العباده و النسك الذبيحه و المنسك الموضع الذى تذبح فيه النسائك.

ص: ٢٤٨

١٢٩[العزير]القدير الذي لا يغالب و قيل هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء أراد فعله.

[الحكيم]المدير الذي يحكم الصنع و يحسن التدبير فعلى هذا يكون من صفات الفعل و يكون بمعنى العليم فيكون من صفات الذات.

١٣٠[يرغب]الرغبة المحبه لما فيه للنفس منفعه و رغبت فيه ضد رغبت عنه.

[اصطفيناه]الاصطفاء و الاجتباء و الاختبار نظائر،و الصفو نقيض الكدر و صفوه كل شيء خالصه،وصفى الإنسان اخوه الذي يصابيه الموده.

١٣٢[وصى]وصى و أوصى و أمر و عهد بمعنى واحد.

١٣٣[شهداء]جمع شهيد و الشاهد و الحاضر من النظائر و تقول حضرت القوم أحضرهم إذا شهدتهم.

ص: ٢٤٩

١٣٤]أمه[الامه كل جماعه يجمعهم أمر ما إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد،سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخييراً أو اختياراً و جمعها أمم فالامه هم أهل المله الواحده و يجمعهم إمام.

١٣٦[الأسباط]واحدهم سبط و هم أولاد إسرائيل و هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم و هم إثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابناً و قالوا الحسن و الحسين سبطا رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله أى ولداه و الأسباط فى بنى إسرائيل بمنزله القبائل من ولد إسماعيل. و قيل السبط الجماعه يرجعون الى أب واحد.

ص: ٢٥٠

١٣٧[شقاق]الشقاق المخالفه و كونك فى غير شق صاحبك أو من شق العصا بينك و بينه قال «إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَانْمَا هُمْ
فِي شِقَاقٍ» أى مخالفه.

[فسيكفيكم]الكفايه بلوغ الغايه و يقال يكفى و يجرى و يغنى بمعنى واحد.و كفى يكفى كفايه إذا قام بالأمر و كفاك هذا الأمر
أى حسبك.

ص: ٢٥١

هدى من الآيات:

انتهت الدروس التي استفدناها من تاريخ بني إسرائيل، و اعطى القرآن من خلال سرده لقصصهم رؤيه متكامله لطراز من الامه التي انحرفت، لكي نعرف المسار الصحيح الذي يجب ان تسير عبره الامه الاسلاميه مستقبلا، و يتجنبوا تلك الانحرافات الاسرائيليه.

و ها هو القرآن يتحدث إلينا عن إبراهيم لعدة أسباب:

أولاً: ليعطى من خلال قصصه رؤيه عن كفار قريش الذين يزعمون انهم ينتمون الى النبي إبراهيم عليه السلام .

ثانياً: ليركز على العامل المشترك بين بني إسرائيل و العرب و بالتالي بين الأديان السماويه الثلاث الرئيسيه، رساله موسى فعيسى ثم محمد-عليهم السلام-.

فقبل كل شىء من هو إبراهيم و كيف أصبح نبيا،رسولا و إماما للأمم؟..ثم من هو الذى يستحق ان يكون إماما من بعده..هل كل من انتمى نسيبا الى إبراهيم؟ الكعبه التى يتوجه إليها المسلمون ليست من صنع العرب حتى يخالفها الاسرائيليون بل هى بيت الله الذى بناه إبراهيم جد العرب وجد بنى إسرائيل.

و لكن الكعبه هذه ليست محلا لتعليق الأصنام بل مقاما لعباده الله وحده.

لان إبراهيم بناها و هو يردد كلمه التوحيد..و يدعو الله ان يثبتته عليها، و إبراهيم دعا الله ان يبعث فى أبنائه رسلا،و لم يأت النبى محمد صلى الله عليه و آله الا استجاب له لذلك الدعاء.

بينات من الآيات:

كيف يختار الله رسله:

و السؤال الذى يجيب عليه القرآن فى بدايه هذه المجموعه من الآيات هو:

[١٢٤]هل يختار الله رسله عبثا..و دون سابق اختيار؟كلا..

انه يعرضهم لأشد الاختبارات فان نجحوا فيها حملهم رسالته..و إبراهيم عليه السلام،مر باختبارات صعبه فألقى فى النار و صبر و اخرج من بلده و صبر،و ابتلى بأمر الله له ان يذبح ابنه قلبى الأمر و..و بعدئذ اختير إماما.

وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فِيهَا أَوْامِر صَارَمَهُ وَ صَعَبَهُ.

ص: ٢٥٣

فَأَتَمَّهُنَّ قَالِ إِنِّي لَجَاعِلٌ لِّدَّاسِ إِمَامًا فإبراهيم لم يحصل على الرسالة مجاناً و بلا ثمن أو لأنه يملك عنصراً أجود من غيره أو
دما ازكى حتى يسرى ذلك الدم فى أبنائه بل أعطاه الله الرسالة بعد امتحان عسير..ثم ان إبراهيم طلب النبوه لأبنائه فرفض طلبه.

قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ و فى ذريتك من هو ظالم يفشل فى الاختبار و الامامه عهد الله و عهد الله لا يعطى
للظالمين.

[١٢٥]هنالك حجتان تمسك بهما أهل مكة للدلالة على انهم أقرب الى الله من غيرهم و بالتالى فلهم الحق فى السيادة على
العرب.

الحجة الاولى: انهم أبناء إبراهيم و ورثته على البيت و قد ادحضها القرآن فى الآيه الاولى.

الحجة الثانية: ان الله منّ على بلدهم باليسار و الخير و كمثل كل الأغنياء فى الأرض يزعمون ان الله لم ينعم عليهم بالغنى الا
لأنهم أقرب الناس اليه سبحانه و فى الآيتين التاليتين دحض لهذه الحجة السخيفه يقول الله:

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ مِرْكَزًا لِلنَّاسِ فِى الْجَزِيرَةِ يَعُودُونَ إِلَيْهِ لَمَّا خَرَجُوا مِنْهُ.

وَ أَمَّا حَيْثُ وَفَرَ اللَّهُ فِيهِ السَّلَامَ حَيْثُ يَنْعَدَمُ السَّلَامُ فِي سَائِرِ أُنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ..و لكن

كيف وفر الله السلام في مكة.. لأنه جعل فيها مقام إبراهيم.. وإبراهيم الجدد الأعلى لاكثر العرب و من ثم رمز الوحده بين الناس.. من هنا جاء الأمر الالهى بتقدیس مقام إبراهيم(و هو الحجر الوحيد الذى اعطى له قيمه بعد الحجر الأسود)وقال الله:

وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضَمًّا إِي اجعلوا صلاتكم عند مقام إبراهيم. بشرط ان تكون الصلاه لله.. و لكن مع تذكر فضل إبراهيم عليكم حيث أصبح وسيله لهدايه الله لكم.

الإسلام لا يقدر شيئا من دون الله و لكنه يعطى لكثير من الأشياء أو الأشخاص قيمه التوسط بين العباد و بين فضل الله، فالغنى المنفق فى سبيل الله واسطه لبلوغ نعمه الله(و هو المال الى الفقير)و يجب ان يشكر الفقير ربه قبل كل شىء و الأمر بالخير و الداعى الى الله واسطه فى هدايه الناس، و الأنبياء هم وسائل يهدى بهم الله عباده صراطا مستقيما و حين نشكرهم أو نقدرهم ليس شكرا ذاتيا و لا تقديرا الوهيا بل شكرا و تقديرا يسبقه شكرنا لله و تقديسنا له.

و مقام إبراهيم من ذلك النوع حيث اننا لا نقدره بل نقف نصلى لله عنده تقديرا لمقام إبراهيم و من ثم لإبراهيم نفسه.

و ما لبث ان ذكرنا القرآن الحكيم بهذه الحقيقه حيث نبهنا الى ان إبراهيم امر بأن يطهر بيت الله من الأصنام فكيف يمكن ان يتخذ مقامه صنما يعبد من دون الله.

وَ عَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ واعدوه..

لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ .

إذا ما نجده فى البيت من وسائل الراحة و الأمن فانما هى لتحقيق هدف البيت من الطواف و الاعتكاف و الركوع و السجود و ليست إكراما لعين ذريه إبراهيم الشرفاء.

[١٢٦] و يدل على ذلك ان إبراهيم دعا الله سبحانه ان يحدد نعمه فى الصالحين فقط، لأنه تصور ان نعم الله فى الدنيا دليل على حب الله و تقديره لصاحبها و لكن الله ابى.

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ إذا النار تنتظر الكفار من ولد إبراهيم-ع- بالرغم من الثراء و الأمن و السيادة التى يتمتعون بها الآن.. لان كل هذه النعم اختبارات يتعرضون لها لتجربه مدى صمودهم امام ضغط الانحرافات التحريفية.

[١٢٧] كان البيت موجود و جاء إبراهيم ليرفع عليه البناء و لكنه امتزج بروح التوحيد و الامتثال الى الله و لم يكن بناء من أجل التفاخر أو الرئاسة أو بلوغ الشهوات «كما تصوره ذريه إبراهيم و سدنه البيت الحرام من قريش».

وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ وَ هُمَا يَرْتَدُونَ هَذَا الْبَيْتَ:

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

ص: ٢٥٦

عملنا، إذ العمل قد لا يتقبله الله إذا امتزج بالنيه السيئه أو تعدد هدفه فكان يهدف مرضاه الله و مرضاه الناس معا، وقد جاء في ايه كريمه «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ».

و حين كان يدعو إبراهيم و ابنه بان يتقبل الله منهما-فانما كانا يخلصان عملهما لله.

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لِدَعَوَاتِ الْعِبَادِ.

الْعَلِيمُ لاهداف الناس التى ينوون تحقيقها من أعمالهم،هل هى اهداف نقيه لله خالصه لوجهه أم لا.

الآثار الايجابيه للعمل الصالح:

[١٢٨] و كان هدف إبراهيم و ابنه هو ان يساهم عملهما فى تعميق روح التوحيد فى نفوسهم،حتى يصبحا خاضعين كليه لله،ذلك ان العمل الصالح الخالص يزيد الايمان و ينمى الاراده، من هنا كان يسعى إبراهيم و ابنه من خلال بناء البيت الى هذه الغايه و يقولان:

رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ و العمل الصالح يساهم أيضا فى صلاح ذريه الفرد و قد استهدف إبراهيم و إسماعيل من بناء البيت ان يصبح دليلا عينيا لاسلامهما و مركزا دينيا توحيديا لذريتهم و قالوا:

ص: ٢٥٧

وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّهُ مُسْلِمَةً لَكِ وَأَرْزَأْنَا مَنَاسِكَكِنَا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الرَّحِيمُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَزِيدُ صَاحِبَهُ هُدًى وَعِلْمًا
بِأَسْلُوبِ الْعَمَلِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ وَقَدْ جَاءَ فِي آيَةِ قُرْآنِيهِ: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» وكذلك استهدف إبراهيم و
إسماعيل من بناء البيت بلوغ المزيد من الهدى و معرفه المناسك و من ثم استهدفا من وراء بناء البيت ان يتوب الله عليهم و هو
الهدف الاخر الذي يمكن تحقيقه باى عمل صالح ان يغفر الله لصاحبه ما تقدم من تقصيره و ذنوبه.

[١٢٩] المؤمن الصادق يعرف قيمه الايمان و مدى اهميه حياه الانسان و لذلك فهو يستهدف تعميم الايمان على الناس جميعا
ليسعدوا به، و كان إبراهيم و إسماعيل يدعوان الله بذلك و يقولان:

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، و ليس غريبا عنهم كى يكونوا (أولاد إبراهيم) أول الناس ايمانا برسالته و الهدف من
هذه الرساله هو أولا:

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ حَتَّى يَهْتَدَى بِهَا النَّاسُ إِلَيْكَ يَا رَبِّ إِذْ أَنْ أُولَ الدِّينِ مَعْرِفَهُ اللَّهُ مَعْرِفَهُ يَزِيدُهَا النَّظَرَ فِي آيَاتِ اللَّهِ هُدًى:

ثانيا:

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ نِظَامًا لِحَيَاتِهِمْ وَ تَشْرِيْعًا لَطُقُوسِ دِينِهِمْ.

ص: ٢٥٨

ثالثا: يعلمهم.

وَ الْحِكْمَةَ وَ مَا يَرْتَبُطُ بِالْحَيَاةِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ دَسَاتِيرِ خَلْقِيهِ وَ آدَابِ اجْتِمَاعِيهِ.

رابعا:

وَ يُزَكِّيهِمْ يَنْمَى فِيهِمْ رُوحَ الْإِيمَانِ وَ الْإِرَادَةِ، وَ يَرْبِيهِمْ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَ يَحْوِلُهُمْ إِلَى طَاقَةٍ هَائِلَةٍ لِتَعْمِيرِ الْحَيَاةِ وَ بَسْطِ السَّلَامِ وَ الرَّفَاهِ فِي أَرْجَاءِ الْأَرْضِ.

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ بِعِزَّتِكَ قَادِرٌ عَلَى اسْتِجَابَةِ دَعَائِنَا وَ بِحِكْمَتِكَ تَحَقِّقُ لَنَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَنْتَاسِبُ مَعَ الْهَدَفِ الْعَامِ لِخَلْقِهِ الْكَوْنِ.

السييل الى فض الخلاف:

إبراهيم كان مسلما و قد بنى هو و ابنه البيت، و كان جد العرب الأعلى لكى يكون مركزا للتوحيد و علينا ان نتبع مله إبراهيم و كل من يخالف هذه الملة سيكون سفيها لأنه يبتعد عن الخير فى الدنيا و الاخره.

و أبناء إبراهيم كانوا موحدين و لم يكونوا يهودا أو نصارى و المطلوب منا العوده الى توحيد إبراهيم حتى تنتهى خلافاتنا مع اليهود و النصارى و نؤمن فى نفس الوقت بكل رسالات السماء، و كل المرسلين من قبل الله هذا هو خط التوحيد و الذى ينحرف عنه فهو المتمرد.

ص: ٢٥٩

ان الله هو المقياس في تصرفاتنا و نحن لا ندعى اننا مسئولون عنكم بل نحن و أنتم سواء امام الله، و لكل منا عمله الذى يجازى عليه عند الله.

ان خط الله و هو خط إبراهيم عليه السلام لم يكن الشرك كما لم يكن اليهوديه و النصرانيه إذا دعنا نتبع هذا الخط..

هذه خلاصه هذه الآيات و لقد تكررت ايه واحده فيها(١٣٤-١٤١)لدلاله على ان لكل عهد شريعه و منهاجا قد يكونان صحيحين لذلك العهد و لكنهما خاطئين لعهد آخر و لرجال آخرين، و هذه اشاره الى ان بعض تفاصيل اليهوديه و النصرانيه لا تصلحان للمرحله الجديده التى ابتدأت مع رساله النبى محمد صلى الله عليه و آله .

مله إبراهيم:

[١٣٠] إبراهيم كان رمز التوحيد و طريقه هو طريق التوحيد فى التاريخ، و كانت ثمرات توحيده ظاهره للناس، فذكره الحسن يلهج به كل لسان و يحاول كثير من الناس ان ينتموا اليه، و يشرفهم هذا الانتماء امام الناس انه مصطفى فى الأرض، اما عند الله فهو من الصالحين، إذا ما يضر الإنسان ان يسير على خط إبراهيم التوحيدى...

وَ مَنْ يَزْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَ طَرِيقَتِهِ الْمَتَمَثِّلَةَ فِي التَّوْحِيدِ.

إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ أَرَادَ لِنَفْسِهِ الْخُسَارَةَ.

وَ لَقَدْ اضْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ

[١٣١] كيف اصطفى الله إبراهيم و لماذا؟ ببساطه لأنه أسلم كليا لله.

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ فَلَمْ يتردد لحظه بل استجاب بقناعه تامه.

قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [١٣٢] قد تحول إبراهيم الى مسيره توحيديه فى التاريخ كما تحول شخص إبراهيم الى امه مسلمه، وهذا هو فضل الله على إبراهيم و على كل من يسلم مخلصا وجهه لله.

وَ وَصَّى بِهَا بِهذه الطريقه (الملة).

إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ و كما فى ذريه إبراهيم الجد الأعلى لليهود و هو يعقوب الذى وصى هو الاخر أولاده و قال:

يَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ و جعل هذا الدين هو الإسلام لله و إخلاص العبوديه.

فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ إذ قد يسلم الإنسان فتره من الوقت و لكنه ينهار امام مطارق الشرك و الكفر فأتية الموت و هو كافر، إسلامه ضعيف لا- ينفعه فى الدنيا و لا- فى الاخره انما على الإنسان ان يبقى مسلما فى كل مراحل حياته حتى لو أدركه الموت غفله يكون قد

استعد للقاء ربه ولا يفاجئ بالعذاب الأليم.

[١٣٣] وقد جسدت في يعقوب ذاته هذه الوصيه إذ بقي مسلماً رغم الصعاب حتى إذا حضره الموت وصى بالتوحيد أبناءه.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنِيبِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ كم كانت فرحه يعقوب و هو يودع الحياه و يرى ثمرات تربيته لأولاده على التوحيد امام عينيه إذ يجدهم يعاهدونه على الاستمرار في خط التوحيد.

[١٣٤] ولكن هل يعنى إسلام إبراهيم و ذريته الصالحين عنا شيئاً حتى تكتفى باتتمائنا الجسدى إليهم (نحن العرب و اليهود) كلا.. إذ أولئك قد ذهبوا بأعمالهم الصالحه لأنفسهم و علينا ان نعمل لأنفسنا.

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ إذ لا تجزون بجرائم الطالح فيهم و لا تكافؤون بحسنات الصالحين.

[١٣٥] وبقى السؤال: ما هى مله إبراهيم؟ هل هى اليهوديه أم النصرانيه أم الشرك الذى يتجسد فى العرب؟ ان هذه الفرق الثلاث تدعى انتماءها الى إبراهيم فأيتها الصادقه؟ يقول القرآن كل هذه كاذبه.

وَ قَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا رَافِضًا لِلْكَفْرِ وَ الشَّرْكَ الَّذِينَ كَانُوا فِي عَصْرِهِ.

يرسل الله رساله عنصريه الى الناس، و لم يأمر بالعصبيه الجاهليه، و لم يفرق بين أنبياءه و رسالاتهم.

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا و سيكون حال المؤمنين السابقين بلا تمييز بينهم..

وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَهَمَّ الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ الْخَطِّ الْعَامِّ الْمُسْتَقِيمِ، و ليس أنتم.. و الانحراف لا يقاس بالكثرة و القله بل بمقياس آخر هو مدى الالتزام بخط الفطره، و الحق و صراط الله المستقيم، لذلك علينا الا تشككنا قلتنا، و لا توحشنا عن الحق كثره الناس حول الباطل.. و نبقى نعتهم هم بالمتمردين الانفصاليين أهل الشقاق، و نبقى نتحداهم و آئند..

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ يَسْمَعُ دَعَاءَ مَنْ يَدْعُوهُ و يعلم ضمير الصامتين.

التوحيد جوهر الوحده:

[١٣٨] انهم يدعون الى العنصريه أو العصبيه الجاهليه، و يوحدون أنفسهم تحت هذا اللواء أو ذاك.. و يصبغون تحركاتهم و افكارهم و مجتمعهم بلون اليهوديه أو النصرانيه و قد يتخذون لأنفسهم أصناما رموزا لوحدهم و لنوع من الثقافه أو المصلحه أو الأرض التي ينتمون إليها.

و لكننا نؤمن بصيغه واحده و نرفض كل الألوان الاخرى، نرفض كل الرموز كل الأصنام كل شىء يميزنا عن بعضها و يهدد وحدتنا.. نحن نؤمن بصيغه الله صبغه

التوحيد و كفى..لا ندع لحواجز اللغة أو المصلحه أو الإقليم أو اللون أو العنصر..

أو..أو..ان تفرقتنا عن بعضنا تطلى كل جماعه منا بلون مختلف كلا..نحن نطلى أنفسنا بصبغه واحده و هى..

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ لا نعبد هذه الألوان المختلفه التى فرقت الناس و جعلت منهم مجموعات متحاربه-يهود-نصارى-عرب-و الى اخره..

[١٣٩] و حين نقول صبغه الله لا يستطيع أحد ان ينكر علينا ذلك إذ ننتمى آئذ الى الله فاطر السموات و الأرض..

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَا نقول لكم تعالوا اتبعونا..بل ندعوكم و أنفسنا الى الله..الواحد،دون تمييز بين عنصرنا و عنصركم..

وَ لَكُمْ أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ كما ندعوكم أنتم ان تكونوا مخلصين له..إذا الدعوه هذه ليست كالدعوات السابقه مشوبه بالشرك أو الضلاله..أو العنصريه أو الاقليميه أو غيرها..انها دعوه خالصه لله رب كل الناس.

[١٤٠] و هذه الدعوه هى بالذات دعوه الأنبياء..إذ مستحيل ان تكون رساله السماء موجهه لناس دون ناس..لان الله رب كل الناس..خلقهم جميعا..من ذكر و أنثى،و لم يتخذ بعضهم أبناء له فكيف يفرق بينهم بل ان ما نجده فى رسالات السماء من العنصريه و المصلحيه و غيرها..إنما هى من اضافه الناس

أنفسهم أضافوها الى الدين كذبا و ظلما.. وقالوا: ان الأنبياء هم الذين جاؤوا به من قبل الله..

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ اللَّهُ يَقُولُ إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا سِوَى أَنْبِيَاءَ لِلَّهِ.. وَأَنْتُمْ تَدْعُونَ إِيَّاهُمْ كَانُوا هَكَذَا.. بَلْ حَتَّى هُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّ الْعَنْصَرِيَّةَ وَالْأَقْلِيمِيَّةَ وَغَيْرَهَا هِيَ إِضَافَاتٌ ذَاتِيَّةٌ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ بِهَا بَعْدَ عِلْمٍ بِكَذِبِهَا، وَحَرَفُوا تَعَالِيمَ الدِّينِ الَّتِي تَنَافَيْهَا..

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ حَمَلُوا رَسُولَهُ اللَّهِ.. وَاسْتَوْتَمَنُوا عَلَيْهَا وَلَكِنْهُمْ خَانُوا الْإِيمَانَ.. وَغَدَا سَوْفَ يُمَثَلُونَ لِلْمَحَاكِمَةِ إِمَامَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ..

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤١) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَاهُمْ عَن قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٤٢) وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَاقِبَتِهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣) قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِعَافٍ لِغَافِلٍ (١٤٤) وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنْ اتَّبَعَتِ أَهْوَاءُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَ إِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ (١٤٧) وَ لِكُلِّ وَجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنْ اللَّهُ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِنْهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَ مَا اللَّهُ بِعَافٍ لِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اِحْشَوْنِي وَ لَأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

١٤٢[السفهاء]السفيه و الجاهل و الغبي نظائر.

[ولاهم]ولاه صرفه و قتله و اشتقاقه من الولي و هو القرب و هو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل.

١٤٣[وسطا]الوسط العدل و قيل الخيار و معناهما واحد لان العدل خير و الخير عدل.و قيل أخذ من التوسط بين المقصر و الغالى و قيل الوسط من كل شيء أعدل و أفضله و قيل فى صفة النبى صلى الله عليه و آله :كان من أوسط قومه أى من خيارهم.

[عقبه]العقب مؤخر القدم و عقب الإنسان نسله و التعقيب الرجوع الى أمر تريده و منه لم يعقب.

١٤٤[الرؤية]ادراك الشيء بالبصر و نظيره الأبصار ثم تستعمل بمعنى العلم.

[التقلب]التحول و التصرف نظائر و هو التحرك في الجهات و يقال وليتك القبلة اي صيرتك تستقبلها بوجهك.

[شطره]اي نحوه.

ص:٢٤٨

١٤٧[الممترين]الامتراء الاستخراج و قيل الاستدراء،و المريه الشك و منه الامتراء و التمارى و المماراه و المراء الجداول و أصل
الباب الاستدراء يقال بالشكر تمترى النعم أى تستدر.

ص: ٢٦٩

هدى من الآيات:

سوره البقره بينت شخصيه الامه الاسلاميه فبدأت تقسم الناس الى ثلاثه أقسام:(المتقون ثم الكافرون و المنافقون) ثم وضحت كثيرا من صفاتهم و بعدئذ تناولت بنى إسرائيل كمثل لأمه مؤمنه و شرحت قصصهم و العبر التي يجب ان نستفيدها من حياتهم.و آخر درس أعطانا القرآن فى هذا المجال هو: ضروره التمسك بهدى القرآن و عدم التأثر ببني إسرائيل.ذلك لأنها امه قد انحرفت و لأنها امه قد خلت،لها ما كسبت و لكم ما كسبتم.

و بذلك ضمن القرآن الحكيم،للأمة الإسلاميه(شخصيتها)الثقافيه و استقلالها عن الأمم السابقه.و ها هو يبين لنا رمز هذا الاستقلال الظاهر،و المتمثل فى القبلة التي توحد بين أبناء الأمة الإسلاميه،و تعطى لهم كيانا متماسكا،و من جهه ثانيه تميزهم عن سائر الأمم.

يبدأ القرآن هذا الدرس بتكرار الآيه التي سبقت و أوضحت:بان تطور الزمان

قد يؤثر في اختلاف التشريع، و ان على الأمة ان تفكر تفكيراً مستقلاً و دون التأثير بسلبيات الأمم السابقه (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ).

ثم يحدثنا عن ان القبلة ليست مقدسه بذاتها بل لأن الله امر بتكريمها. و إذا غير الله القبلة زالت قداسه القبلة الأولى، و ليس لله سبحانه حلول في القبلة حتى تقديس تقديسا دائما.

و بين مدى العلاقة بين القبلة و بين شخصيه الأمة التي جعلت مهيمنه على سائر الأمم و شاهده عليها تراقب مدى تطبيقها لقيم الحق.

و اما القبلة السابقه فكان تشريعها بهدف محدد و محدود، هو: اختبار مشركي قريش لمعرفة مدى صدقهم في قبول رساله الله التي تدعوهم الى اتباع قبله أعدائهم اليهود.

القبلة التي شرعت للأمة هو المسجد الحرام، الذي له كرامه يعرفها أهل الكتاب و لكنهم يكتمون الحق، انطلاقاً من أهوائهم و تفكيرهم العنصري الضيق.

و لقد كان الأحرى بهم ان يطبقوا كتابهم على أنفسهم، لا ان يحرفوا الكتاب حسب أهوائهم. و بالرغم من ان قبلتك حق لا ريب فيه، فلا يعنى ذلك ان تتورط الامه فى العنصريه، و تزعم أنها بمجرد التوجه الى القبلة الحق تكون هي أكرم عند الله من غيرها.

كلا، إن هذه شعائر ظاهرية لا- أكثر، و مقياس الكرامه هو التسارع الى الخيرات، فمن كان أسبق الناس الى الخير كان أكرم عند الله، و بعد ان يؤكد القرآن التوجه الى المسجد الحرام يحذر الامه من الضعف امام الأعداء أو الخشيه منهم، لأن من كان مع الحق يجب ان لا يخشى أحدا.

الانفصال نقطه الانطلاق:

[١٤١] وضمن هذا الإطار الفكري، بين القرآن الحكيم حقيقه هامه هي اننا و من أجل ان نبني حياه جديده علينا ان ننفصل نفسيا من التأثير بالواقع المعاش، بالرغم من ان للواقع القائم ثقلا هائلا، و ضغطا نفسيا و اجتماعيا كبيرا، و لكي يبين لنا القرآن أنكم امه جديده ذات قبله جديده، ذكر لنا سلفا ان كل امه لها دورها التاريخي، و واقعها الخاص بها، و على الأمم الاخرى ان تستقل عنها، و ان تبني حياتها وفق احتياجاتها و ظروفها، ذلك ان الله لا يسألنا عما فعل الآخرون بقدر ما يسألنا عما فعلنا نحن، فان فعلوا خيرا فلاأنفسهم، و علينا ان نعمل الخير لأنفسنا و وفق حاجات عصرنا، و ان فعلوا شرا فلاأنفسهم، و علينا الا نعمله و نبرر ذلك بأنهم فعلوه، إذ قد يكون الذي عملوه في عصرهم خيرا لأنفسهم و هو شر بالنسبه الى واقعنا، من هنا قال الله لنا بصراحه:

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ بل انما تسألون عما تعملون أنتم، و لذلك يجب ان تستقلوا في تفكيركم، و في أعمالكم، ما دتم أنتم مجزيين بذلك دون غيركم.

[١٤٢] و السفهاء و حدهم يزعمون ان الواقع يجب ان يبقى بحجه انه الحق.

كلا، إذ قد يكون الواقع حقا بالنسبه الى عصر دون عصر، و قداسه القبله ليست بسبب ان الله موجود في مكان القبله. بل لأن الله امر بذلك، يقول الله تعالى:

سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا زاعمين انّ الواقع السابق للأمة حيث كانوا على قبله معينه، يجب ان يظل قائما، كلا.

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ الصراط المستقيم فى العمل هو:وجه الله سبحانه، وليس التوجه الى المشرق و المغرب.

[١٤٣] و التوجه الى الكعبه لم يشرع فى الإسلام، الا لى يجعل الله من المسلمين امه متميزه عن الأمم الاخرى، و رقيه على مدى تطبيق سائر الأمم لتعاليم الله، فى الحق و الحرية، و العداله الاجتماعيه، و لو كانت الأمة متجهه الى قبله أهل الكتاب لم تكن قادره على توجيه مشركى العرب المعتقدين بالكعبه، كما انها لم تكن تستطع توجيه اليهود و النصارى الذين كانوا يزعمون أنفسهم- انئذ- أصحاب القبلة، و يعتقدون ان المسلمين مجرد اتباع لهم، لذلك قال الله تعالى:

وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا هداكم الله الى صراط مستقيم هو: الصراط الوسط بين تطرف الناس ذات اليمين و ذات الشمال، بين تطرف اليهود الى الماديه، و تطرف النصارى الى الرهبانيه، بين الحرية الفوضويه و بين الاستبداد الغاشم، بين ظلم الفرد للجماعه، و بين ظلم الجماعه للفرد، و الهدف من الأمة الاسلاميه ان تكون شاهده على مسيره الأمم الاخرى.

لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ماذا يعنى الشهداء على الناس؟

لعله يعنى ان تكونوا موجهين لهم نحو مبادئ الرساله، بمثل ما يكون الرسول شهيدا عليكم.

وَ يَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً فذات المسؤوليه التى يتحملها الرسول تجاهكم، يجب عليكم ان تتحملوها تجاه الأمم الاخرى، و فى مناسبات اخرى تحدث القرآن عن مسئوليات الرسول تجاه أمته و علينا مراجعتها لنعرف مسئولياتنا تجاه الأمم الاخرى.

اما قبله السابقه فلم تكن الا- قبله مرحليه، و لهدف محدد هو اختبار الذين امنوا من مشركى العرب، ليعلم الله هل تركوا حساسياتهم الساذجه تجاه الرسالات الالهيه السابقه، و تجاه قبلتهم بيت المقدس أم لا.

وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا التوجه الى بيت المقدس.

إِلَّا- لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ و يعود الى حساسياته العصبية التى كانت تنكر على الرسول الا- اشتراك مع اليهود، و أعداء العرب السابقين، فى أى مظهر من المظاهر الاجتماعيه، أو شعيره من الشعائر الدينيه.

و التخلص من الحساسيه العصبية ليس سهلا.

وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ و تركوا التقاليد الباليه امتثالا لأمر الله، أما صلواتكم التى توجهتم بها الى بيت

المقدس فهي محفوظة عند الله.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ [١٤٤] كان الرسول يعلم: ان الكعبة هي قبله المسلمين، و انما كان بيت المقدس قبله مؤقته، فكان ينتظر من الله امرا بالتوجه الى الكعبة، ولكنه لم يكن يطلب ذلك صراحة، لأنه رسول، عليه ان يبلغ رساله الله، دون ان يدخل فيها من ذاته شيئا، فحقق الله للرسول ما أحب و قال:

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ اى باتجاه المسجد الحرام و بالتالى الكعبة، أما أهل الكتاب فلا تفكروا فيهم، إذ انهم يعلمون الحق و يخالفونه.

وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَلَكِنَّهُمْ يَخْلَفُونَ عِلْمَهُمْ، بيد ان الله سوف يجازيهم على ذلك.

وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

لماذا لا تتوحد القبلة؟:

[١٤٥] و يبقى السؤال: لماذا لا توجد قبله واحده لكل المنتمين الى رسالات الله، أليس من الأفضل ذلك؟ بلى و لكن المشكله ان كثيرا من هؤلاء ادخلوا أهواءهم فى الدين، فلذلك يغيرون الدين حسب هذه الأهواء.

وَلَيْسَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبَلَتِكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَهُ بَعْضٍ لَأَنَّهُمْ يَحْرَفُونَ
رسالات السماء بأهوائهم و مصالحهم، و عليك -يا رسول الله- ان تتصلب في اتباع الحق، و لا تستسلم لضغوط أهل الكتاب
لأنك صاحب الحق و العلم.

وَلَيْسَ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَّا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ و من أشد ظلما للناس و لنفسه من قائد يخالف علمه
الى اتباع الهوى.

[١٤٦] و هؤلاء الذين يحرفون الكتاب و يفسرونه تفسيراً مخالفاً للحقيقة لا ينقصهم العلم بالكتاب، و لكن ينقصهم الايمان الكافي
به، و شجاعه مقاومه أهوائهم.

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ [١٤٧] لذلك يجب الا نجعل
هؤلاء المنحرفين، قدوات لنا، أو نرتاب في الحق، انطلاقاً من عدم ايمان هؤلاء، لأنهم يخالفون علمهم، و إنما لكي نتبع عقولنا، و
لنتعرف على الحق الصادق الذي أوحى به الله.

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْفِرِينَ الشاكين في الحق.

إن من يدعى انه رجل دين، بشر قد تستهويه الشهوات فيحرف الدين، بعد العلم به، و لذلك يجب الا يكون اتباعنا لرجل الدين
مطلقاً، بل في حدود هدى

عقولنا و معرفتنا بقيم الرساله الإلهيه.

ان الرجل العادى لا- يسعه ان يغلق منافذ العلم على نفسه، و يتكل اتكالا- كاملا- على أصحاب العلم. لأن هذا قد يورطه فى المهالك، و انما عليه ان يكشف بعقله و فطرته اى نوع من الرجال يتبعه، أولئك الذين زهدوا فى الدنيا، و حددوا شهواتهم، و خالفوا أهواءهم، و أطاعوا الله طاعه تامه، أولئك و حدهم جديرون بالاتباع.

كيف نضمن الفلاح؟:

[١٤٨] هل نستطيع ان نضمن الفلاح لأنفسنا بمجرد ان نتوجه شطر المسجد الحرام؟ و هل نستطيع ان نؤكد ان كل من يتوجه شطر بيت المقدس فى النار؟ كلا.. ان هذه مظاهر خارجيه للعباده، اما العباده الحقيقيه فهى: التسليم لله، و العمل الصالح، و كلما كانت الامه أكثر عملا من بالصالحات كانت أقرب عند الله، اما القبله فهى مظهر خارجى لا أكثر.

وَ لِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا بَعْضُهُمْ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ الْبَعْضُ إِلَى الْقُدْسِ.

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ هَذَا هَدَفَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ لَا يَكُونَنَّ جَدَلِكُمْ فِي الْقِبْلَةِ، بَدِيلًا عَنِ مَنَافِسَتِكُمْ لِبَعْضِكُمْ فِي الْخَيْرَاتِ.

أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُنَاكَ فِي مُحْكَمِهِ اللَّهُ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى جَدَلِيَاتِكُمْ بَلْ إِلَى مَقْدَارِ الصَّالِحَاتِ فِي

ص: ٢٧٨

[١٤٩] و لكن هذه الفكرة لا- تدعوننا الى تمسيح الحدود، و القول بأنّ المؤمن يمكنه ان يصلّى الى ايه جهه شاء، كلا، إنما عليه ان يلتزم بحدود الشريعة، و لكن دون ان يكتفى بها، لذلك تجد القرآن يعود و يأمر بالتوجه شطر المسجد الحرام و يقول:

وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَ مِمَّا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ انه الحق، بالرغم من مقاومه أئمة الضلال لك على ذلك، و ما دام الفرد على الحق، فلا بد الأياً بمعارضه الناس، مهما كانوا كبارا عند أنفسهم، و عريقين فى الدين.

[١٥٠] ثم يؤكد القرآن ضروره الاستقلال الفكرى و عدم الخوف من الناس فى الحق و يقول:

وَ مِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الظالمون سوف يحتجون عليكم، سواء اتبعتم الحق، أم الضلال، و عليه فلا- بد من إسقاط هؤلاء عن الحساب و عدم التفكير فيهم، يبقى الناس فهم يعرفون مدى أهميه المسجد الحرام، و كانوا يتساءلون لماذا أنتم باقون على التوجه الى بيت المقدس بالرغم من أهميته الثانويه، الآن عودوا الى المسجد الحرام، حتى لا تكون لهؤلاء الناس حجه عليكم، خصوصا و هم على الأغلب ممن يكرم المسجد الحرام.

و ما دام الإنسان على حق و قد استطاع ان يجلب أكثر الناس الى صفّه عن طريق النهج السليم و العمل الصالح، فعليه الا يخشى طائفه من الناس، هم طبقه

المُحرفين للدين.

فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَاُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ .

التخلص من الظالمين نعمه، والاستقلال الفكرى و الاجتماعى (بتميز القبلة) نعمه، و هدايه فى ذات الوقت الى القبلة
الأفضل، المسجد الحرام.

ص: ٢٨٠

اشاره

كَلِمًا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١)
فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَ
لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

اللغه

١٥١[أرسلنا]الإرسال التوجيه بالرساله و التحميل لها ليؤدي إلى من قصد.

[يتلوا]التلاوه ذكر الكلمه على نظام متسق و أصله من الإلتباع و منه تلاه أى تبعه.

[يزكككم]أو التزكيه النسبه الى الإزدياد من الأفعال الحسنه.

١٥٢[فاذكروني]الذكر حضور المعنى للنفس و قد يكون بالقلب و قد يكون بالقول و فى أكثر الاستعمال يقال الذكر بعد النسيان
و أصله التنبيه على الشىء فمن ذكّرتّه شيئاً فقد نبهته عليه.

[اشكروا]الشكر الاعتراف بالنعمة.

١٥٤ [سبيل] السبيل الطريق و سبيل الله طريق مرضاته.

ص: ٢٨٢

هدى من الآيات:

للامه الاسلاميه شخصيه مميزه عن سائر الأمم حتى تلك التي تحمل رساله الله و أهم ما يميز هذه الامه،الرساله التي هي نعمه من الله، كما ان ابتعاث الرسول فيها نعمه أكبر سبقت نعمه القبله و اعطت للعرب شخصيه رساليه مستقلة.

و النعمه كلما ذكرت كلما دامت و السبب ان ذكر النعمه يؤدي الى الاعتزاز بها و الاهتمام بكل العوامل المساعده لبقائها، و اما كفران النعمه فهو أقرب و سيله لزلوها. و لذلك فعلينا ان نتذكر أبدا تلك الرساله التي أنعم الله بها على الإنسان فأخرجه من الظلمات الى النور.

و لكن التذكر وحده لا يكفي، إذ علينا ان نسعى من أجل الاحتفاظ بها، و ذلك عن طريق الصبر و الصلاه و الجهاد في سبيل الله و الاستهانه بالموت من أجل الرساله، و تحمل بعض التضحيات البشريه و الأمنيه و الاقتصاديه، و الرضا بها نفسيا. كل ذلك سوف يستنزل علينا صلوات الله و رحمته.

ان هذا الدرس أهم ما يجب على الامه ان تتعلمه من القرآن،لكى تقاوم التخلف و الكبت.

علينا الاستقلال عن سائر الأمم و لنجعل رمز الاستقلال القبله و نستعين بالصبر و الصلاه (لا بالمساعدات الخارجيه) و نرخص فى الله أنفسنا،و نستعد لحياه التقشف.

آنئذ فقط يلهمنا الله الصلوات و ينزل علينا رحمته و نتصر على الضعف و الهزيمه.

ان القبله الجديده إتمام لنعمه رساله،ذلك ان رساله وضعت الأمه فى مصاف الأمم ذات الرساله لإلهيه،و لكن اشتراكها مع تلك فى القبله كان ينقص استقلالها الثقافى و الاجتماعى و السياسى،و الآن تم ذلك،لذلك قال الله تعالى: «وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» يعنى ان يتذكر المسلمون هذا الاستقلال و ان يلتفتوا حول رساله الله أكثر فأكثر،إذ كلما التفوا حولها أكثر كلما اثبتوا استقلالهم و جمعوا صفوفهم.

بينات من الآيات:

اشاره

لذلك يذكرهم الله برسالته و يقول.

[١٥١] كَلِمًا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ و ليس من بنى إسرائيل حيث كانوا يترقبون أن تنزل الرساله فيهم،و يقوم هذا الرسول بعده أمور هى اهداف كل رساله:

يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيْكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ هذه الرساله هى التى فجرت طاقاتكم،و وحدت كلمتكم،و كانت نواه

ان كل امه بحاجة الى رساله، و كلما كانت هذه الرساله أقرب الى الحقيقه كانت الامه أقوى و أجدر بالنهوض، و رساله الامه الاسلاميه فيها تلاوه آيات الله التي تعنى تنبيه الإنسان الى الله، و تعميق روح الايمان فيه كقاعده ثابته لبناء كيان الامه التوحيدي.

و بعد التوحيد عن طريق توجيه الإنسان الى آيات الله، تأتي مرحله التربيه الرساليه (و يزيكم) لتصفية النفس من سلبياتها، من الفرديه، من الجهل، من العجله، من الجبن، من ضعف الاراده.. و ضعف الهمه و..و.

ان الامه التي لا تستطيع ان تتغلب على سلبياتها الخلقية، لا تستطيع ان تنتفع بالشرائع و النظم، و ان تفوق الامه في الاراده، و التزامها الواعي شرط اساسي لتطبيق اي نظام أو قانون.

و في المرحله الثالثه تحتاج الامه الى نوعين من الانظمه. نوع ثابت يسميه القرآن بكتاب، و نوع يتطور وفق الزمان يسميه بالحكمه حسب ما يبدو لي.

هذه هي الشروط الثابته لبناء ايه امه، و قد استوفت الرساله الإلهيه كل هذه الشروط و زياده، حيث فتحت امام الامه آفاقا جديده من العلم.

و يُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ و علينا ان نتذكر هذه الرساله باستمرار، و نتذكر حاجتنا إليها و فائدتها لنا.

[١٥٢] و لذلك علينا ان نشكر الله على نعمه الرساله حتى ينفعنا الله بها، و نشكر الله عليها ليزيدنا نورا فيها، و لا نكفر بهذه النعمه التي من الله بها علينا، فالنعمه التي تكفر تزول.

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ أَي لَا تَكْفُرُوا بِي وَبِنِعْمَتِي.

بماذا نستعين؟

[١٥٣] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ الفكرة الحضارية أو الرسالة هي نواه تكوين الامه، و مسئولي الامه تجاه هذه الفكرة هو التذكر و الشكر، و لكن الامه بحاجة الى طائفه من الصفات الضرورية و أبرزها الاستعانه بالصبر و الصلاه، تلك الاستعانه التي امر الله بنى إسرائيل بها حين أمرهم بالواجبات الصعبة.

و الصلاه هي الانقطاع عن الحياه، و التوجه الى الله، بحيث لا يتكل الإنسان على اى شىء فى الدنيا، بل على الله و العمل الصالح، و ايه امه أرادت ان تتقدم فعليها ان تستمد القوه من الله، من الايمان به، و العمل بتعاليمه، و الاستفادة من نعمه على الإنسان. و من دون هذا الانقطاع تفقد الامه تعاليم رسالتها، و قواها الذاتيه، و تتكل على القوى الخارجيه، و تكتب بذلك نهايتها المحتومه.

و الصبر هو التطلع الى المستقبل، و التضحيه ببعض النعم فى الحاضر من أجل تحقيق أفضل منها فى المستقبل، و من هنا فمن دون رؤيه المستقبل و التطلع الى تحقيقه لا تتقدم الأمه، إذ التقدم بحاجه الى (استثمار) بعض الطاقات فى (سوق الزمان) حتى يحصل الربح فى المستقبل.

الفلاح يدفن تحت الأرض رزقه من الحبوب، و يبذل عليه جهده، و يتطلع الى المستقبل حيث تتحول الأرض الى حقل خصيب، فلو لا جهده و انتظاره هل كان يستطيع ان يحصل على الانتاج؟ كلا... كذلك الامه عليها ان تصبر.. أن تعمل

للمستقبل البعيد..و فيما يلي يضرب لنا القرآن بعض الامثله على الصبر.

إذا أردت أن لا تموت:

[١٥٤]أول الصبر الرضا النفسى بالتضحيات و جعل القرآن المضحين فى سبيل الله فى قمه المجد الاجتماعى،ليشجع الباقين على المسير فى دربهم.

وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ احياء لان القتل قد نقلهم من حياه الى حياه،من حياه الجسد الى حياه الروح، من الحياه الظاهريه الى الحياه الحقيقيه،فلم تكن الشهاده الا بابا دخلوا منه الى رضوان الله،و احياء لأنهم و فروا فرصه الحياه للالوف من الناس.

إن الكرامه حياه،و الحريه حياه،و العيش السعيد حياه،و من يموت فى سبيل هذه المبادئ الدينيه فهو حى فى تلك المبادئ.ان الشجره التى اقتلعت لكى يتحول كل فرع منها الى شتيله لشجره جديده لم تمت و لن تموت،و الحبه التى دفنت تحت الأرض لكى تتحول الى سنبله فيها مائه حبه لم تمت و لن تموت.

و الشهيد الذى وقف حياته لمبادئه الرساليه،حيث كان حيا ثم قتل لتحيا تلك المبادئ،انه لم يموت،و إن أمه تكرم شهداءها و تحي ذكراهم و تجعلهم احياء بينها هى امه حيه لا و لن تموت.

[١٥٥]الذى مضى شهيدا حى يرزق عند الله، و الباقون من أبناء الامه سوف يقضون ظروفها صعبه تتمخض عن حياه مجيده،و على الامه ان تكون مستعده أبدا للتضحيه،حتى تستطيع التقدم و تفجر طاقاتها،و تزيدها تلاحما و صلابه و عمقا.

وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ

وَ الثَّمَرَاتِ أَنهَا حَيَاهُ الْبِنَاءِ الَّتِي لَا بَدَّ أَنْ تَقْضِيهَا الْإِمَّةُ قَبْلَ الْبَدْءِ بِالْمَسِيرَةِ الصَّاعِدَةِ، أَنهَا فَتْرَةُ تَجْمِيعِ الرُّؤَسَمَالِ عِنْدَ مَنْ يَرِيدُ مِمَارَسَةَ التِّجَارَةِ، أَوْ فَتْرَةَ الدِّرَاسَةِ لِمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَصْبِحَ خَيْرًا أَوْ عَالِمًا، أَنهَا بِالتَّالِيِ فَتْرَةُ الْعَطَاءِ وَ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ يَجِبُ أَنْ تَتَحَلَّى الْإِمَّةُ بِالصَّبْرِ.

وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ [١٥٦] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَـ يَنْظُرُونَ إِلَى الْمَصِيبَةِ ذَاتَهَا، إِنَّمَا يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ضَمَّنَ أُطَارَ عَامٍ يَجْعَلُونَهَا فِيهِ، فَهَمَّ يَتَصَوَّرُونَ -خِلَالَ الْمَصِيبَةِ- أَنَّهُمْ مَجْنِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَدْ شَرَوْا أَنْفُسَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، وَ لَا يَجُوزُ لِمَنْ بَاعَ بَضَاعَهُ أَنْ يَطَالِبَ بِهَا. وَ الْمُسْلِمُ الْحَقِيقِيُّ لَا يَفْكَرُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ، لِأَنَّهُ قَدْ بَاعَهُمَا سَلْفًا، ثُمَّ أَنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ النِّهَايَةَ السَّعِيدَةَ الَّتِي تَنْتَظِرُهُمْ لَوْ صَبَرُوا عَلَى الْمَتَاعِبِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

إِنَّ إِيَّاهُ خَسَارَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِبُ أَنْ تَوْضَعَ فِي أُطَارِ النَّظَرِ التَّارِيخِيَةَ الْعَامَّةَ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْخَسَارَةِ شَيْئًا تَافَهُا إِمَامُ الْمَكَاسِبِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَنْتَظِرُ الْإِمَّةَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. ثُمَّ أَلَيْسَ الْبَشَرُ أَسَاسًا لِلَّهِ، خَلَقَهُ اللَّهُ لَا مِنْ شَيْءٍ. ثُمَّ جَعَلَهُ شَيْئًا مَذْكُورًا، أَوْ لَيْسَ يَعُودُ إِلَيْهِ بِالتَّالِيِ -عَاجِلًا أَوْ آجَلًا- فَلَمَّا ذَا الْجُزَعِ عَلَى الْمَصِيبَاتِ وَ هِيَ لَا بَدَّ مِنْهَا بِصُورِهِ أَوْ بِأُخْرَى.

[١٥٧] مَا جِزَاءُ الصَّابِرِينَ؟ وَ مَا ثَوَابُهُمْ؟ إِنَّهُ صَلَوَاتُ مَنْ رَبَّهُمْ، إِنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ وَ يُجِيبُهُمْ، وَ يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ بَرَكَاتِهِ وَ يَرْحَمُهُمْ، فَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ الصَّعُوبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

إن أول جزاء يتلقاه الصابر من ربه تأييده عند صبره، و تخفيف مصيبته عليه، و دعم معنوياته، ثم تعويضه على خسارته و زيادته من فضله.

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ أما الذين لا يصبرون على المصيبة فهم لا يهتدون الى الحق، لأن حبههم لذاتهم يحجب عنهم الحقائق، و يجعلهم لا- ينظرون إلا- الى الجوانب السهله من رساله الله، و بالتالى يحرمون من هذه الرساله، فالله لم يبعث دينا هكذا كله راحه و نوم و مصالح!! إن هذه هى أهم نواقص الامه الاسلاميه اليوم، حيث كفرت برساله الله، و هجرت الصيام و الصلاه، و خافت الاستشهاد، و لم تتحل بالصبر، و لذلك فقد تخلفت و ذلت، و توالى عليها النكبات و المصائب، و متى ما أردنا الفلاح فعلىنا بالعودة الى هذه التعاليم بحزم و قوه.

ص: ٢٨٩

اشاره

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ (١٥٨) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَرُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمِمَّا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكُمْ يُرِيدُهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧)

اللغة

١٥٨[الصفا]الصفا في الأصل الحجر الأملس مأخوذ من الصفو واحده صفاه.وقيل الصفا كل حجر لا يخلطه غيره من طين أو تراب و انما اشتقاقه من صفا يصفو إذا خلص.

[المروه]في الأصل الحجارة الصلبة اللينه وقيل الحصاه الصغيره و المرونبت و أصله الصلابه وقد صار الصفاء و المروه اسمين لجبلين معروفين في مكه.

[شعائر]الشعائر المعالم للأعمال و شعائر الله معالمه التي جعلها مواطن للعباده و كل معلم لعباده أو دعاء أو صلاه أو غيرهما فهو مشعر لتلك العباده و واحد الشعائر شعيره فشعائر الله أعلام متعبداته من موقف أو مسعى أو منحر.

[حج]الحج في اللغة هو القصد على وجه التكرار.و في الشريعة عباره عن قصد البيت بالعمل المشروع من الإحرام و الطواف

و السعى و الوقوف بالموقفين و غير ذلك.

[اعتمر]العمره هى الزياده من العماره لان الزائر يعمر المكان بزيارته و هى فى الشرع زياره البيت بالعمل المشروع.

[جناح]الجناح الميل عن الحق،يقال جناح اليه جنوحا إذا مال و أجنحته فاجتنح أملتته فمال.

[يطوّف]الطواف الدوران حول الشىء و منه الطائف و فى عرف الشرع الدور حول البيت و يطوّف أصله يتطوف.

[تطوّع]تبرع.

١٦٠[تابوا]التوبه هى الندم الذى يقع موقع التنصل من الشىء و ذلك بالتحسر على مواقعه و العزم على ترك معاودته ان أمكنت
المعاوده.

[أصلحوا]صلاح العمل هو إخلاصه من قبيح ما يشوبه.

ص:٢٩١

١٦٢[ينظرون]الانظار الامهال قدر ما يقع النظر فى الخلاص و أصل النظر الطلب فالنظر بالعين هو الطلب بالعين و كذلك النظر بالقلب أو باليد أو غيرها من الحواس.

١٦٤[اختلاف]انقيض الاتفاق و اختلاف الليل و النهار أخذ من الخلف لان كل واحد منهما يخلف الآخر على وجه المعاقبه و قيل هو من اختلاف الجنس كاختلاف السواد و البياض.

[الفلك]السفن تقع على الواحد و الجمع،و الفلك فلك السماء و كل مستدير فلك و قيل هو اسم للدوران خاصه.

[بث]البث التفريق و كل شىء بثثته فقد فرقته.

[دابه]من الدبيب و كل شىء خلقه الله يدب فهو دابه.

[تصرف]تقليب و صرف الدهر تقلبه و جمعه صرف.

ص: ٢٩٢

١٦٥[أنداد]أشباه و أمثال و قيل هي الاضداد.

[حب]الحب خلاف البغض و المحبه هي الاراده فاذا قلت أحب زيدا فالمعنى انى أريد منفعه أو أمدحه،و إذا قلت أحبّ الله زيدا فالمعنى أنه يريد ثوابه و تعظيمه،و إذا قلت أحب الله فالمعنى أريد طاعته و اتباع أوامره.

١٦٦[تبرأ]التبرؤ في اللغه أصله التولى و التباعد للعداوه و إذا قيل تبرأ الله من المشركين فكأنه باعدهم من رحمته للعداوه التى استحقوها بالمعصيه و أصله من الانفصال و منه برأ من مرضه.

[اتبعوا]الاتباع طلب الاتفاق،فاذا قيل أتبعه ليلحقه فالمراد ليتفق معه فى المكان.

[تقطعت]التقطع التباعد بعد اتصال.

[الأسباب]السبب الوصله الى المتعذر بما يصلح من الطلب،

ص: ٢٩٣

و الأسباب الوصلات و واحدھا سبب و منه یسمى الحبل سبباً لأنك تتوصل به الى ما انقطع عنك من ماء بئر و غیره.

١٦٧ [كره] رجعه.

[حسرات] الحسره أشد الندامه.

ص: ٢٩٤

علماء السوء شعائر الله؟

هدى من الآيات:

تذكر نعم الله، و التي في طليعتها القبله رمز الاستقلال، و كذلك الرساله، كبرى نعم الله على الأمه، هذا التذكر كان محور حديث
الدرس السابق و من ثم الاستعانه بالصبر و الصلاه.

و هنا يدكرنا الله بالصفاء و المروه حين يسعى الحاج بينهما، ليتذكر هاجر التي صبرت في الله، و كانت عاقبتها النجاح في الدنيا و
الفلاح في الآخره.

بيد ان الأمه قد تتوانى و تخور عزيمتها، و هناك قد تتشبه ببعض الأفكار السلبيه التي تبعتها عن الجديه في العمل، و التضحيه
في سبيل الله. و هذه الأفكار يبلورها طائفه من انصاف رجال الدين الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يكتمون عن الناس هدى الله.

و بعد ان يحذرهم الله عاقبه هذا الأمر، يبين ضروره التوحيد و عدم الشرك. و كل

اتباع لغير الله شرك، بل و كل سماع عن غير الله شرك. و تصور لنا الله يوم القيامة حيث يتبرأ التابعون عن اتبعوهم بعد ان تخلى أولئك عنهم. كذلك في الدنيا علينا الا نضيع رؤيتنا و نتبع كل من تحدث عن الله، بل نفكر فيمن نتبعه و كيف نتبعه.

ان هذا الدرس يكمل الدرس السابق الذي كان يتناول شروط نهوض الأمة، إذ ان من ابرز هذه الشروط، وحده التوجيه الثقافى للأمة.

بينات من الآيات:

اشاره

[١٥٨] كما جاء في آيات اخرى، امر الله إبراهيم بان يسكن زوجته هاجر و ابنها في مكه بواد غير ذى زرع، و ان يرحل عنهم. فاستجاب و استجاب زوجته لأمر الله و لما استقرت هاجر في مكه، عطش ابنها الرضيع، فطلبت له الماء فلم تجد قطره ماء. و كان هناك جبلان، أخذت هاجر تطوف بينهما، و تحاول ان تجد أحدا تستنجد به و عند ما أكملت هاجر سبعة أشواط من طوافها بين الجبلين، وجدت آثار الماء تحت قدمى ابنها إسماعيل. فشرع الله السعى بين هذين الجبلين، تخليدا لذكرى هاجر و رمزا لسعى الإنسان في سبيل الله. بيد أن المشركين وضعوا حجرين على الصفا و المروه و اختلقوا لهما قصه خرافيه و أخذوا يعبدونهما و يسعون من اجلهما، و ظن بنو إسرائيل ان الطواف بين الجبلين أصبح وهما لمجرد ان الجاهليين وضعوا عليهما صنمين، فجاءت الآيه تنفى هذا الاعتقاد يقول تعالى:

إِنَّ الصَّفاَ وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الشَّعِيرَةُ هِيَ الرَّمْزُ، حَيْثُ إِنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى الْإِيمَانِ، وَ يُطْلَقُ عَلَى مَحَلِّ الْعِبَادَةِ، كَالصَّلَاةِ وَ الْحَجِّ وَ مَا أَشْبَهَهُ، قَالَ الطَّبْرَسِيُّ -رَه- فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ كُلِّ مَعْلَمٍ لِعِبَادَتِهِ مِنْ دَعَاءٍ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا فَهُوَ مَشْعَرٌ لَتَلْكَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ.

فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا

و يسعى بينهما.

وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا كَمَا فَعَلْتَ هَاجِرًا، وَ سَعَى بَيْنَ الصِّفَا وَ الْمَرُوهِ كَمَا سَعَتْ.

فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

رسالة العلم:

[١٥٩] العلم رسالة يجب ان تخدم هدف الإنسان في الحياه، اما إذا استغل العلم في سبيل مصالح خاصه فسوف، يصبح وبالاً على المجتمع و وبالاً على صاحبه، و سوف يفتضح هذا العالم الوبيل أمام الناس و التاريخ، فيعتزله الناس و يصبح منبوذاً.

كانت قصه الصفا و المروه مثلاً لما يستطيع ان يفعله العلم إذا استخدم في سبيل إضلال الناس، حيث حولوه من شعيره دينيه الى عمل محرم.

و بعد هذه القصة و حتى اليوم نجد علماء سوء، يكتمون الحقائق عن الناس، و لا يؤدون امانه العلم العظيم.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ .

الكتاب لم يأت لطائفه معينه، إنما جاء هدى للناس جميعاً، و الذين يكتمون تشريعاته المفصله (البيّنات) أو قيمه الموجزه (الهدى) عن الناس الذين نزل الكتاب لهم.

ص: ٢٩٧

أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ [١٦٠] و أمام علماء السوء فرصه للعودة الى رحمه الله و رحمه الناس، هي قيامهم بثلاثه اعمال:

الاول: التوبه بالاعتراف باخطائهم السابقه، و الاستعداد لتصحيحها.

الثانى: القيام فعلا بتصحيح الاخطاء و إصلاحها.

الثالث: بيان كل الحقائق حتى التى تخالف مصالحهم، أو مصالح قومهم.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ان ضرر عالم السوء فى المجتمع كبير، إذ انه قد يسبب انحراف خلق كثير من الناس، و لذلك فان توبه الله عليه دليل على ان الله تواب رحيم. و الا فليس هينا التوبه على مثل هذا الرجل الذى استغل سلاح العلم ضد الناس.

جزاء علماء السوء:

[١٦١] عوده رجل العلم الفاسد صعبه جدا، لأنه سوف يشهر امام الناس كمجرم، و هو قد عمل المستحيل فى سبيل ان يطفى على نفسه قداسه علميه، و لكنه لو مات هكذا غير تائب فانه سيموت كافرا، و جزأوه عند الله اسوأ.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ [١٦٢] خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ هؤلاء لا يعتنى بهم أبدا، بل يهانون أشد الامتهان، و ذلك بعدم النظر إليهم

أبدا. ذلك لان هؤلاء حرّفوا الدين فى الدنيا طلبا للجاه و الرئاسة و العزه امام الناس، و الله يجازيهم بالذل و الصغار.

الثقافه التوحيديه:

[١٦٣] ان على المسلم ان يستوحى ثقافته من الله أو ممن امر الله، ذلك التوحيد الخالص و القرآن هنا يبين لنا سبب هذا التوحيد (الثقافى) و يقول:

وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ فَمَا دَامَ اللَّهُ وَاحِدًا، فإنا علينا طاعته و اتباع رسوله، دون ان نختار لأنفسنا موجهين و نتبعهم.

و لكى يكرس القرآن الكريم هذه الفكره، يوجهنا الى فطرتنا، و يأمرنا بالنظر الى آيات الله فى السماء و الأرض، خصوصا تلك التى تعكس رحمه الله الواسعه و المستمره.

إن هذه الآيات تدعونا الى التوجه الى الله وحده، و نبذ الأنداد من دونه، و هذه الدعوه تتصل بفطره الإنسان الراسخه فى حب من أحسن اليه، و من أوسع إحسانا من الله علينا؟ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِهذه العظمه و الروعه و الدقه.

وَ اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِمَا فِيهِ مِنْ آيَةِ الرَّحْمَةِ، و الحكمه، و القدره..

وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ مِنْ نَقْلِهِمْ وَ نَقْلَ أَمْتَعَتِهِمْ إِلَى اقْصَى الْأَرْضِ.

وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَبَ بِهِ الْأَرْضَ بَعِيدَ مَوْتِهَا كَيْفَ أَنْظَمَ الْحَيَاةَ بِشَكْلِ يَتَبَخَّرُ الْمَاءُ، فَيَتَحَوَّلُ إِلَى سَحْبٍ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ وَ تَسُوْقُهُ إِلَى حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، فَيَتَمَطَّرُ مَاءً عَذْبًا نَافِعًا لِلزَّرْعِ وَ الضَّرْعِ، حَامِلًا مَعَهُ كُلَّ مَا يَنْفَعُ الْأَرْضَ.

وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ذَاتِ حَيَاةٍ، فَإِذَا بِالنَّمْلَةِ وَ أَصْغَرَ مِنْهَا، وَ إِذَا بِالْفَيْلَةِ وَ أَكْبَرَ مِنْهَا، وَ إِذَا بِالطَّيُورِ وَ السَّبَاعِ وَ الْأَسْمَاكِ، كُلٌّ قَدْ هَدَاهُ إِلَى رِزْقِهِ وَ نَفْعِهِ، وَ كُلٌّ قَدْ خُلِقَ لِهَدْفٍ مُحَدَّدٍ، ثُمَّ وَفَّرَتْ لَهُ وَسَائِلَ الْحَيَاةِ لِأَجْلِ مَسْمِي.

وَ تَضْرِيْفِ الرِّيحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَيَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لِآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ الَّذِينَ يَسْتَشْتَرُونَ طَاقَةَ الْعَقْلِ الَّتِي وَضَعَهَا اللَّهُ فِيهِمْ، وَحَدَّهُمْ يَنْظُرُونَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ الْوَاسِعَةِ وَ الدَّائِمَةِ، وَ يَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ الْجَدِيرُ بِالْحُبِّ وَ الطَّاعَةِ وَ الْعِبَادَةِ، وَ أَنَّهُ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الشَّرَكَاءِ يَجِبُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلِيًا.

[١٦٥] الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ لَا يَنْتَفِعُونَ بِعَقُولِهِمْ بِالرَّغْمِ مِنْ وَجُودِهَا عِنْدَهُمْ، هُوَ لَا يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْكَوْنِ نَظْرَهُ جَامِدًا مَتَحَجَّرَهُ لَا تَتَجَاوَزُ ظَوَاهِرَ الْكَوْنِ، دُونَ تَعَمُّقِ فِي دَلَالَاتِ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ. وَ لِذَلِكَ فَهْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ أَوْ يُؤْمِنُونَ، أَيْمَانًا سَطْحِيًّا بِاللَّهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ لَنظَرْتَهُمُ الْجَامِدَةَ، ففهم يقدسون الشمس -مثلا- بدلا من ان يعبدوا الذى خلق الشمس و نظم سيرها، و هو الله. لماذا؟ لأنهم ينظرون الى ظاهر الشمس دون ان يستدلوا بها على ربها، كذلك فهم يرتبطون بأصحاب المال و الجاه و العلم، دون ان يفكروا ان هؤلاء جميعا عباد لله، و أنّ الله هو الذى أعطاهم هذه النعم، فاولى بهم و أجدر ان يتصلوا بالله مباشرة، و لا يسمحوا لأنفسهم بأن يستعبدوا هؤلاء الوسطاء.

□
وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ فبالرغم من إنشاء علاقة بينهم و بين أصحاب المال و الجاه و العلم، فهم لا يسمحون لأنفسهم بالعبودية لهؤلاء، بل يبقون أبدا مرتبطين بالله ارتباطا أشد.

وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، باتباعهم الأنداد، و تفضيل الأنداد على الله حين خالفوا أوامر الله ابتغاء مرضاه الأنداد، من أصحاب الثروه و السلطه. و المعرفه لو يرى هؤلاء الحقيقه فإنهم يكفون عن غيهم و ذلك.

□ □ □ □
إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ فان كان حب الأنداد طلبا للقوه فان القوه لله جميعا، و ان كان خشيه العذاب فان الله شديد العذاب.

[١٦٦] هؤلاء الذين يتبعون من دون الله و يتخذون أندادا مع الله، هؤلاء

ضعفاء و خونه، إذ انهم سوف يتبرءون من التابعين دون اى وازع من ضمير..و لو يرى تابعوهم تلك الحاله.

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا جَمِيعًا التَّابِعُونَ وَالتَّبِيعُونَ.

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ فَلَمْ يَجِدُوا حَبْلًا يَعْتَصِمُونَ بِهِ وَ لَا مَلْجَأَ يَأْوُونَ إِلَيْهِ.

[١٦٧] وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً إِلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَوْ إِلَى الْوَرَاءِ.

فَنَتَّبِرُأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا .

هذه عاقبه الذى يتخذ من دون الله أندادا يحبهم كحبه الله، و يتبعهم من دون امر الله،العاقبه هى الندم.حيث يقول يا ليت الزمان يعود بى الى الوراء فارفض اتباعهم و لكن هيهات..

كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنهَمْ عَمِلُوا أَعْمَالًا - كَثِيرَةً وَ لَكِنهَآ كَانَتْ أَعْمَالًا - بَاطِلَةً بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِمْ فِيهَا لِلْأَنْدَادِ،فِيَتَحَسَّرُونَ عَلَيْهَا وَ لَكِنِ الْحَسْرَةَ لَا تَنْفَعُهُمْ وَ لَا تَخْفِفُ عَنْهُمْ عَذَابَ رَبهِمْ.

وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ إِنْ أَمَّهُ الْإِسْلَامِيَّةُ لَا بَدَانَ تَنْعَدَمُ فِيهَا مَرَاكِرُ الْقُوَى (الْأَنْدَادِ)، وَ تَتَّجِهُ فِي خَطِّ

واحد الى الله، في صراط مستقيم، ولا يتبع أحد فيها أحدا الا بإذن الله، ويكون حبه لله أشد من حبه لمن حوله من الناس الأقوياء
والضعفاء على حد سواء. انه مجتمع حر بكل ما في الحريه من معنى. و في الدروس التاليه تفصيل لهذه الحقيقه.

ص: ٣٠٣

اشاره

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ لَمَّا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آجَاءْنَا أَوْ لَوْ كَانَ آجَاءهُمْ لَا
يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
(١٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَ
لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمِمَّا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣) إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابُ بِمَا كَفَرُوا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ
الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ
الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

اللغة

١٦٨ [خطوات] الخطوه بعد ما بين القدمين للماشى و خطوات الشيطان آثاره.

١٦٩ [السوء] كل فعل قبيح يزجر عنه العقل أو الشرع و انما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته.

[الفحشاء] أو الفاحشه و القبيحه و السيئه نظائر و كل من تجاوز قدره فهو فاحش، و كل ما لا يوافق الحق فهو فاحشه.

١٧٠ [ألفينا] أى صادفنا و وجدنا.

١٧١ [ينعق] صاح زاجرا و نعق الغراب إذا صوت.

١٧٣ [اهلّ]الإهلال فى الذبيحه رفع الصوت بالتسميه و كان المشركون يسمون الأوثان و المسلمون يسمون الله.

[اضطر]الاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه و ذلك كالجوع الذى يحدث للإنسان فلا يمكنه الامتناع منه.

ص: ٣٠٥

١٧٧[البر]العطف و الإحسان،و البر الصدق،و البر الايمان و التقوى و أصله الاتساع و منه البرّ.

[المسكين]من لا شيء له من المال.

[الفقير]الذى له ما لا يكفيه من المال.

[ابن السبيل]هو المنقطع به إذا كان فى سفره محتاجا و ان كان فى بلده ذا يسار و هو من أهل الزكاه و قيل أنه الضيف.

[الرقاب]جمع رقبه و هى أصل العنق و يعبر عنه عن جميع البدن يقال أعتق الله رقبته و منه قوله فتحرير رقبه.

[البأساء]أو البؤس:الفقر.

[الضراء]السقم و الوجع.

ص:٣٠٦

هدى من الآيات:

مجتمع الحرية هو مجتمع التقدم الرفاه، ويربط القرآن الحكيم بين التحرر من اتباع شياطين الثروه و السلطه و الدين، و بين الانتفاع التام بما فى الحياه من نعم طبيه.

هؤلاء الشياطين، يحرمون على الناس الطيبات من الرزق، لجهلهم أو لأنهم يريدون ان يستأثروا بها، أو لأنهم يحاولون إبقاء الناس ضعفاء مقهورين، و لكن الله خلق الأشياء لنا، و علينا ان نعمل من أجل الحصول عليها و نتجاوز العقبات من أجلها.

ان الآيه الأولى تدعو الناس صراحه الى الاستفاده مما فى الأرض و هى دعوه ضمنيه لكسر حواجز العبوديه التى يرتبط فى القرآن بأمر الشيطان الذى يأمر بالسوء و الفحشاء، و يضرب فى الآيات التاليه، متلين لاتباع الشيطان: الأول اتباع

الآباء، والثاني: اتباع رجال الدين المحرّفين لكتاب الله، وفي الآيه الأخيره يتحدث القرآن عن النظرة القشريه التي أوصى بها هؤلاء العلماء المزيّفون، فجردوا الدين من روحه و نوره و هداه.

ان الأمه الاسلاميه اليوم تعاني من التخلف، الذي ليس في واقعه، سوى صوره مبسطه لعدم الاستفاده من نعم الله. بسبب التقاليد الباليه، والنظريات السخيفه في تفسير الدين، و عليها ان تتقدّم حتى تتمتع بنعم الله، و تكسر حواجز التقليد، و ما يسمى بالدين و هو ابعد ما يكون عنه.

بينات من الآيات:

اشاره

[١٦٨] أولادنا و قبل كل شىء، لا بد ان نضع للحريه هدفا ساميا. و الحريه فى المجتمع الاسلامى و التى دعت إليها آيات الـدرس السابق (رفض الأنداد) ذات هدف هو: الانتفاع بنعم الله و بكل صراحه يوجه الله خطابه الى الناس كل الناس المؤمنين و الكافرين قائلا:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً و بذلك يقرر الأصل فى الأشياء الحليّه حتى يثبت انها حرام و التعبير ب(مما فى الأرض) تعبير يدل على الإطلاق، مما يعكس لنا نظره القرآن الايجابيه الى الحياه.

إن الله يريد ان تتمتع بالحياه، و لكن الشيطان يمنعنا، انه يوجد الحواجز بين الإنسان و بين نعم الله، و على الإنسان الـاتباع الشيطان، و ان يقاومه. كما أن الشيطان يزین للناس الغايات الخبيثه و الإسراف و الطمع و كلها تمنع من الانتفاع السليم و التام من خيرات الأرض.

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ

إنه لا يريدكم أن تنعموا بالحياه فلما ذا تتبعوه؟الذين يمنعون زراعه الأرض بحجه انها لفلان هم أعداء الإنسان،و الذين يمنعون التجاره و يضعون حواجز فى طريق الله هم أعداء الإنسان،و الذين يمنعون عماره الأرض هم أعداء الإنسان، و على الإنسان الا يتبع أعداءه.

القوانين الشيطانيه:

[١٦٩]و عند تبسيط القوانين و التقاليد التى يضعها الشيطان، نجد أنها تنقسم الى ثلاث فئات،فبعضها(سوء)يمنع من الانتفاع بالحياه مثل:أكثر القوانين الزراعيه و التجاريه الحديثه التى وضعت للحد من نشاط الناس،و للإيقاع على سيطره مراكز القوى(شياطين الأرض)على مقدرات الناس.

و كمثل بسيط كان رؤساء العشائر الذين كانوا يتمتعون بقوه البطش يقتطعون لأنفسهم أرضا يسمونها بالحمى،و يحرمون على الناس رعى اغنامهم فيها،ثم تطورت و أصبحت تلك الاراضى ملكا لا-قرب الناس الى السلاطين(الاقطاعات السلطانيه) ثم تطورت و أصبحت أراض اميريه مرتبطه بالبلاط الملكى،ثم تطورت و أصبحت ملكا لأصحاب رؤوس الأموال الضخمه أو ما أشبه.

ترى ان كل هذه القوانين منعت من زراعه الأرض،و بالتالى من انتفاع الإنسان بها،و السؤال كيف استطاع هؤلاء الشياطين منع الناس من الانتفاع بما جعل الله لهم حلالا؟-الجواب:إنما فعلوا ذلك فى ظل القوانين و الأعراف و التقاليد الباطله،فاذا ايمان الناس و اتباعهم لتلك القوانين و الأعراف و التقاليد هو السبب غير المباشر لعدم انتفاعهم،إذا فلنكفر بالشيطان و بانظمته الجائره.

و«السوء» يتطور الى «الفحشاء» إذ انه يكرس السلطة و الثروه بيد طائفه من الناس يستغلونها في الظلم.

و الفحشاء تلبس بثياب الدين، بفعل تعاون الانتفاعيين (المستثمرين) مع بعض من يسمى ب(رجال الدين) الذين يحرفون كلام الله، و يكتمون الكتاب.

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ لَمْ يَأْتِكُمْ مَالٌ لَّا تَعْلَمُونَ أحد مظاهر «السوء» الانظمه الباطله، و كما أن ابرز مظاهر «الفحشاء» الظلم الاجتماعى الذى يقع -عاده- بسبب تلك الأنظمه و التبرير الدينى لتلك الانظمه و ذلك الظلم.

عبده الاباء:

[١٧٠] و كمثل لذلك اتباع الاباء المنحرفين.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ فِيهِ رِفَاهٌ لِّلْجَمِيعِ، وَ تَحَرَّرَ لِلطَّاقَاتِ، وَ اسْتِفَادَهُ مِنْ نِعْمِ الْحَيَاةِ.

قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا اى ما تعودنا عليه من حياه آبائنا.

أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَ لَا يَهْتَدُونَ [١٧١] و مثل هؤلاء مثل البيغاء حيث يرددون ما يقوله الآخرون دون ان يفهموا منه شيئاً، إنهم فقدوا قدرتهم على التفكير و الاستقلال الثقافى.

وَ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ أَي يَصِيحُ مَقْلدا لَصِياحِ الْآخَرِينَ.

بِمَا لَا يَسْمَعُ أَي بِصِياحِ لَا يَفْهَمُهُ هُوَ.

إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً مَبْهَمًا وَ غَيْرَ مَعْرُوفٍ لَدَيْهِ، وَ هُوَ لَاءٌ فِي الْوَاقِعِ صُمُّ بُكُمْ عُمَى لِأَنَّ الْفَائِدَةَ مِنَ الْإِذْنِ، وَ اللَّسَانِ، وَ الْعَيْنِ هِيَ الْمَعْرِفَةُ وَ الْعَقْلُ، وَ حَيْثُ لَا عَقْلَ فَلَا احْسَاسَ.

فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ إِنْ هَذَا مِثْلُ وَاحِدٍ لِهَوْلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ لَا يَتَمَتَّعُونَ بِالْإِسْتِقْلَالِ، وَ لَا يَتَحَرَّرُونَ مِنْ عِبَادَةِ الْأَنْدَادِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَ بِالتَّالِي لَا يَسْتَغْلُونَ مَوْهَبَةَ الْعَقْلِ عِنْدَهُمْ.

[١٧٢] وَ مِثْلُ آخَرَ يَضْرِبُهُ الْقُرْآنُ مِنْ وَاقِعِ اتِّبَاعِ رِجَالِ الدِّينِ الْمُحَرِّفِينَ لِكَلَامِ اللَّهِ، وَ هُمْ صُورُهُ أُخْرَى لِلتَّخْلِيفِ الْاجْتِمَاعِيِّ حَيْثُ يَبْرُرُونَ الْإِنظَمَةَ الْفَاسِدَةَ، وَ قَبْلَ أَنْ يَضْرِبَ الْقُرْآنُ هَذَا الْمِثْلَ يَعُودُ لِأَمْرِنَا بِالْإِنْتِفَاعِ مِنْ نَعْمِ اللَّهِ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ رَبَّمَا تَوَجَّهَ الْخُطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْمَرَّةَ، بَيْنَمَا كَانَ الْخُطَابُ عَامًا فِي الْآيَةِ

السابقه،ربما كان ذلك ليدحض القرآن فكره ان الدين تخلف و رجعيه و منع للطيبات،كما كان يوهم تصرف رجال الدين المحرّفين،و ليثبت العكس و ان الدين يأمر بالتقدم،و التطور،و الطيبات.

وَ أَشْكُرُوا لِلَّهِ عَلَىٰ هَذِهِ النِّعَمِ، وَ ذَلِكَ بَانَ تَكْرَمُوا هَذِهِ النِّعَمِ، وَ تَقْدَرُوا هَهَا، وَ تَحْتَرَمُوا هَهَا.

إِنَّ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ [١٧٣] وَ لَا تَقُولُوا لِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ هَذَا حَرَامٌ بِدُونِ عِلْمٍ.

إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ مَا ذَبِحَ عَلَى الْأَصْنَامِ تَقَرُّبًا لَهَا وَ مَعَ ان هَذِهِ أُمُورٌ مَحْرَمَةٌ إِلَّا أَنهَا سَوْفَ تَحُلُّ فِي ظُرُوفٍ مَعِينَةٍ.

فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ وَ لَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أَنْ مَن يَصِيبُهُ ضَرَرٌ كَبِيرٌ بِامْتِنَاعِهِ عَنِ أَكْلِ هَذِهِ الْمَحْرَمَاتِ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ، بِشَرَطٍ:

أَنْ يَبْقَى مُلْتَمِزًا نَفْسِيًّا بِحَرَمَتِهَا، فَلَا يَحِبُّ أَكْلَهَا (وَ لَا يَبْغِيهَا)، وَ بِشَرَطٍ: أَلَّا يَتَجَاوَزَ أَكْلَهُ لَهَا حُدُودَ الْاضْطِرَارِ، فَيَأْكُلُ بِقَدْرِ مَا يَدْفَعُ عَنِ نَفْسِهِ الضَّرَرَ الْكَبِيرَ فَقَطْ.

جزاء كتمان الحق:

[١٧٤] هَذِهِ هِيَ مَحْرَمَاتُ الدِّينِ فِي الْأَكْلِ.. انظُرْ كَيْفَ وَسَّعَهَا الْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَحْرَمُوا كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ كَتَمُوا حُكْمَ اللَّهِ فِي الْأَكْلِ بَغْيًا وَ اتَّبَعُوا لِمَصَالِحِهِمْ.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا- الذَّارِ إِذْ سَوْفَ يَكْتَشِفُونَ غَدَا (بعد الموت أو حتى قبله) ان اللقيمات القليله التي أكلوها تحولت الى نار ملتهبه، ذلك ان الأعمال السيئه تتجسد بعد الموت.

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اسْتَهَانَهُ بِهِمْ، وَتَصْغِيرًا لِقُدْرَتِهِمْ، وَهُمْ الَّذِينَ حَرَمُوا عَلَى النَّاسِ الطَّيِّبَاتِ تَأْيِيدًا لِلسُّلْطَاتِ، وَطَلْبًا لِلجَاهِ عِنْدَهَا، وَإِذَا لَاجَاهَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَبْدًا.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ يَحْسِبُونَ أَنفُسَهُمْ مِنْ رِجَالِ اللَّهِ، وَيُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ حَتَّى يَجْعَلُونَهَا أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ، بَيْنَمَا اللَّهُ لَا يَعْتَبِرُهُمْ أَزْكَيَاءَ، وَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ دَعْوَاهُمْ بِأَنَّهُمْ عِبَادَةُ الصَّالِحِينَ.

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

لماذا هذا العذاب؟ [١٧٥] كل تلك العقوبات كانت جزاء أعمالهم لماذا؟ السبب واضح.

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى بِأَعْوَا هُدَى فِي مَقَابِلِ بَعْضِ الْمَكَاسِبِ الْمَادِيهَةِ الَّتِي سَبَبَتْ ضَلَالَتَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَتَوَرَّطَهُمْ فِي الْمَهَالِكِ.

وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ حَيْثِ اشْتَرَوْهَا لِأَنْفُسِهِمْ بَعْدَ عِلْمٍ بِالدِّينِ.

صفات علماء السوء

[١٧٦] إن لهؤلاء علامتين:

الأولى: إنهم حرفوا الكتاب حتى جعلوه متوافقا مع مصالحهم، ولأن مصالحهم مختلفة، ولأن كل طائفة فسروا الكتاب حسب مصالحهم، فقد اختلفوا في الكتاب ذاته، وتحول الكتاب عندهم إلى أداة تفريق و كان سبيلا للتوحيد، كان كتاب حق فأصبح عندهم كتاب هوى.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَ أَوْجِبَ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُقَيِّمُوا الْأَشْيَاءَ وَالْأَشْخَاصَ بِهِ وَ أَنْ يَحْدُدُوا أَهْوَاءَهُمْ وَفْقَ مَبَادِئِهِ، أَمَّا هَؤُلاءِ الْعُلَمَاءُ الْمُنْحَرِفُونَ فَقَدْ أَضَلُّوا النَّاسَ عَنِ الْكِتَابِ وَ اختلفوا فيه.

وَ إِنَّ الَّذِينَ اختلفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ إِنَّهُمْ متمرّدون على الحق.

إن الله سبحانه وعد هؤلاء الضالين المضلين من أهل الكتاب بأشد العذاب لماذا؟ لأنهم سلبوا من الناس أفضل ما كانوا يملكون، سلبوهم إيمانهم، وهداهم، و عقولهم، و دفعوا بالناس إلى هاويه بعيدة، كل ذلك لقاء بعض المكاسب المادية، و على الأمة أن تستيقظ حتى تكتشف هؤلاء السراق، و تقطع أيديهم، و تعود إلى وعيها و هداها.

ص: ٣١٥

[١٧٧]العلامه الثانيه:النظره القشريه الى الدين،و تعميق هذه القشريه فى النفوس،و تضخيم الأمور القشريه الى حد تغطيه القضايا الجوهرية.

و السبب فى ذلك هو خلافاتهم العائليه من جهه،و من جهه ثانيه تعويض تقاعسهم عن الواجبات الاساسيه،و الاهتمام البالغ بالقضايا الثانويه أو القشريه يقول الله:

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ حَتَّى تَخْتَلَفُوا فِي الْقِبْلَةِ مَعَ بَعْضِكُمْ، وَ تَضَخَّمُوا هَذَا الْخِلَافَ.

وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ .

و هؤلاء المحرومون هم الذين يجب ان تتوجه إليهم رساله السماء و حمله الرساله، لا السلاطين و الوجهاء.و حدهم.

وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ حَيْثُ تَقُومُ الْحَرْبُ مَعَ الْعَدُوِّ.

وَ الضَّرَّاءِ حَيْثُ تَصَابِ الْأُمَمُ بِأُزْمَةِ اقْتِصَادِيهِ أَوْ كَارِثَةِ طَبِيعِيهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ.

وَ حِينَ الْبَأْسِ

ص:٣١٤

حِينَ الْحَرْبِ.

أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا .

مَعَ اللَّهِ وَمَعَ النَّاسِ .

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ

ص: ٣١٧

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِاعَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَ لَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حِكْمَةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢)

اللغة

١٧٨ [كتب]فرض و أصل الكتابه الخط الدال على معنى فسمى به ما دل على الفرض.

[القصاص]و المقاصه و المعاوضه و المبادله نظائر،يقال قص الأثر أى تلاه شيئاً بعد شيء و منه القصاص لأنه يتلو أصل الجنايه و يتبعه،وقيل هو ان يفعل بالثانى ما فعله هو بالأول مع مراعاة المماثله.و منه أخذ القصص كأنه يتبع آثارهم شيئاً بعد شيء.

[الحر]نقيض العبد و الحر من كل شيء أكرمه.

[عفى]العفو الترك و عفت الدار اى تركت حتى درست و العفو عن المعصيه ترك العقاب عليها و قيل معنى العفو هنا ترك القود بقبول الديه من أخيه.[أداء][الأداء]تبليغ الغايه يقال أدى فلان ما عليه و فلان أدى للامانه و غيره.

١٧٩[الألباب]العقول و أحدها لب مأخوذ من لبّ النخلة و اللب البال.

١٨٠[بالمعروف]المعروف هو العدل الذى لا يجوز ان ينكر و لا حيف فيه.

[حضر]الحضور وجود الشىء بحيث يمكن أن يدرك.

[حقا]الحق هو الفعل الذى لا يجوز إنكاره و قيل ما علم صحته سواء كان قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً.

١٨٢[جنفا]الجنف الجور و هو الميل عن الحق، وقيل هو الميل فى الكلام و فى الأمور كلها، يقال جنف علينا فلان و أجنف فى حكمه و هو مثل الحيف الا ان الحيف فى الحكم خاصه و الجنف عام.

ص: ٣١٩

هدى من الآيات:

بعد الحديث عن جوانب من شخصيه الامه الاسلاميه، تحدثنا هذه الآيات و تلك التي تليها، عن مجموعه من واجبات الامه و طقوسها الدينيه. و يبدأ الحديث بالقصاص باعتباره واجبا اجتماعيا، يتصل بالمحافظه على حرمة النفس. و بعدئذ يتحدث عن الوصيه كواجب اجتماعى يتصل بحرمة المال. و سواء الدم أو المال، فان احترامهما يعنى احترام الإنسان كإنسان. إذ ليس المال سوى جهد مكثف للإنسان، و الذى يعتدى على المال، حتى و لو كان ذلك بعد حياه الشخص، فهو يلغى حياه صاحبه و جهوده.

و بعدئذ يتحدث القرآن: عن الصوم و الجهاد و الحج كواجبات اجتماعيه دينيه و لكن يبقى السؤال: ما هو سبب وضع القصاص و الوصيه فى سياق الصوم و الجهاد و الحج؟ الجواب: ان القصاص أو الوصيه هما الآخران واجبات اجتماعيه يكلف بها

جميع أبناء الأمة، كالصوم والجهاد والحج. و من جهة اخرى، ان من اهداف المجتمع الاسلامى فى الشعائر و الواجبات هو المحافظه على حياه الناس و أموالهم، فكان من الطبيعى ان يتحدث القرآن سلفا عنهما.

بينات من الآيات:

اشاره

[١٧٨] يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۚ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ إِنَّهُ مَكْتُوبٌ عَلَىٰ الْأُمَّةِ مَفْرُوضٌ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْ أُمَّةٍ ۚ تَطْبِيقُهَا وَلَكِن هَذَا حَقٌّ يُطَالَبُ بِهِ صَاحِبُ الدَّمِ وَتَكْلِفُ الْأُمَّةَ بِانْتِزَاعِهِ لَهُ إِذَا عَفَى صَاحِبُ الدَّمِ فَهُوَ، حَرٌّ فِي ذَلِكَ.

فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَالْبِغَاءُ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِالْإِحْسَانِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ حَوْلَ شَرَائِعِهِ لِمَسَّهُ احْسَاسٌ وَ عَاطِفَةٌ، مِنْ أَجْلِ الْإِجْتِمَاعِ وَ تَكُونُ الْإِنْظَامُ كُلِّهَا صَارِمَةً وَ جَامِدَةً لَا تَتَوَافَقُ وَ ظُرُوفًا مَعِينَةً. انه يعطى هنا لصاحب الدم الحق فى العفو ليصبح صاحب الدم و الجانى اخوه. و على الجانى ان يراعى هذه الأخوة الجديده بالمعروف و الإحسان، اى يجب ان تتحول الجنايه الى عامل إصلاح فى حياه الجانى.

فَإِذَا بِهِ يَصْبِحُ صَاحِبُ الْمَعْرُوفِ بِأَنْ يَدْفَعَ الدِّيَةَ حَسَبَ الْمَتَاعَرَفِ، وَ صَاحِبُ الْإِحْسَانِ الَّذِى يَسْعَى مِنْ أَجْلِ إِسْعَادِ أَوْلِيَاءِ الْقَتِيلِ بِأَيْهِ وَسِيلَهُ مُمْكِنَةً.

ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّنْ رَبُّكُمْ وَ رَحْمَةٌ وَ الْإِسْلَامُ دِينُ الْقَانُونِ وَ دِينُ الرَّحْمَةِ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ. فَهُوَ ذُو قَانُونٍ مُّحَدَّدٍ وَ لَكِنَّهُ مُؤَطَّرٌ بِالرَّحْمَةِ، لِتَخْفِيفِ صَرَامَةِ الْقَانُونِ فِي ظُرُوفٍ مَعِينَةٍ. وَ لَكِن هَذِهِ الرَّحْمَةُ وَضَعَتْ لِكَيْ يَتَحَوَّلَ الْجَانِي بِسَبَبِهَا إِلَى رَجُلٍ صَالِحٍ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَ إِذَا كَانَتْ الرَّحْمَةُ بِالنَّسْبَةِ

اليه تشجيعا له على متابعه اعماله الجنائيه فهنا يجب ان يكون المجتمع صارما معه أيضا.

فَمَنْ اعْتَدَىٰ بِغَدِّ ذَلِكُمْ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ [١٧٩] لما ذا القصاص؟ لما ذا نقضى على حياه إنسان قضى على حياه غيره؟ أو ليست هذه الحياه الثانيه محترمه كالتى قضى عليها؟ بلى، ولكننا لا- ننظر الى هذه الحياه أو تلك بقدر ما ننظر الى حياه المجتمع كله، و ضروره المحافظه عليها كلها، و عبر هذه النظره نرى ان القصاص ضروره حيايه.

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ إذ انه يبنى سورا منيعا حول حياه المجتمع كله، فيقتل نطفه الجريمه فى مهدها، و لا يدعها تنمو حتى تتحقق، لأن العقاب شديد و صارم. و إذا ألغى مبدأ القصاص، فيمكن ان تتسع عمليات القتل الدفاعيه فى الأمه، إذ قد يحس كل فرد انه يتعرض للقتل من قبل خصومه فيبادر بقتلهم، و هكذا تنتشر الجريمه و ربما دون اى مبرر سوى الخوف الباطل. لذلك يقول القرآن فى فلسفه القصاص و الهدف من تشريعه:

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ اى الهدف منه هو إيجاد رادع عن الجريمه فى المجتمع، يتقى الناس به من ارتكابها.

الوصيه و حق الأموال:

[١٨٠] و بمناسبه الحديث عن حرمة النفس و القصاص الذى ينتهى بالموت، يتحدث القرآن عن الوصيه باعتبارها تثبت حق الفرد فى أمواله حتى بعد الممات،

ص: ٣٢٢

و بذلك يتكرس هذا الحق فى حالة الحياه بالطبع، و الوصيه مكتوبه على ذوى اليسار الذين ينبغى ان يوصوا لأقاربهم.

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ إِنْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ حَقٌّ ثَابِتٌ عَلَى الْمُتَّقِينَ لَكِي لَا يَضِعُوا حَقَّ وَالِدِهِمْ وَأَقْرَبِهِمْ.

و لم يتحدث القرآن عن الوصيه للأولاد، لأنهم الجيل الصاعد و الوارث الطبيعى للآباء، و لكن ينبغى ان يوصى الوالد لابنه المحتاج الى عطف اضافى و تمضى الوصيه فى ثلث اموال الميت و هكذا جاء فى الحديث الشريف- كما جاء فى مجمع البيان (ج ١ ص ٢٦٧)

و قد روى أصحابنا عن أبى جعفر عليه السلام أنه سئل، هل تجاوز الوصيه للوارث فقال: نعم و تلا هذه الآيه.

[١٨١] الوصيه حق على المتقين، و لكن تنفيذ الوصيه حق على الناس، و على الإنسان ان لا يمتنع عن الوصيه بحجه الخوف من عدم تنفيذها، إذ التنفيذ مسئوليه الوصى أولاً و المجتمع ثانياً، و ليس مسئوليه الذى يوصى.

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ .

صاحب التبديل و شركائه من الذين يرضون بالتبديل و لا ينهاون عنه.

إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ شاهد على الوصيه، عالم بمن يبدلها.

[١٨٢] فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ظَلَمًا مَتَعَمِدًا أَوْ غَيْرَ مَتَعَمِدٍ ذَلِكَ إِنْ جَنَفَ - كما جاء فى مجمع البيان(ج

ص ٢٦٩) هو الجور و الميل عن، الحق ثم قال:

الإثم ان يكون الميل عن الحق على وجه العمد و الجنف ان يكون على وجه الخطأ من حيث لا يدري انه يجوز، و هو معنى قول ابن عباس و الحسن، و روى ذلك عن أبي جعفر عليه السلام .

و قال الجنف: هو ان يوصى به فى غير قرابه ثم أضاف عليه أكثر المفسرين و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام.(المصدر) فَأَصْلِحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ذلك لان الله سبحانه يغفر لمن كان على الخطأ كالموصى إذا تراجع عن خطأه.

هذه هى مسئولية المجتمع فى مسأله الوصيه ان يراقبوا الموصى، فلا يدعوه يجفو بحق أولاده أو يضرر بهم، كأن يكون الموصى لا يملك إلا بيتا واحدا و له ذريه ضعفاء، فيوصى بتلك الدار لرجل غريب، مما يسبب فى بيع الدار و إبقاء اهله بلا دار سكنى، آنئذ يتدخل المجتمع لتصحيح الوصيه.

جاء فى حديث شريف مأثور عن الامام الباقر عليه السلام فى معنى هذه الآيه الكريمة:

«من عدل فى وصيته، كان كمن تصدق بها فى خيانه، و من جار فى وصيته، لقي الله -عز و جل- يوم القيامة و هو عنه معرض». (١)

ص: ٣٢٤

(١- ١)، تفسير نمونه ج ١ ص ٦٢١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَذَابَ عَلَيْكُمْ وَعَقَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْهَالِكِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩)

١٨٣[الصيام]فى اللغة الإمساك و منه يقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام و فى الشرع إمساك عن أشياء مخصوصه على وجه مخصوص مبين هو على صفات مخصوصه فى زمان مخصوص.

١٨٤[سفر]أصله من السفر الذى هو الكشف تقول سفر يسفر سفرا و انسرفت الإبل إذا انكشفت ذاهبه.

[عده]من العد و هى بمعنى المعدود.

[يطيقون]الطوق الطاقه و هى القوه و أطاق الشىء إذا قوى عليه.

[لباس] [الثياب التي تستر البدن و العرب تسمى المرأه لباسا و إزارا.

[تختانون] [الاختيان الخيانه يقال خانه يخونه خونا (و خائنه الأعين) مسارقه النظر الى ما لا يحل و أصل الباب منع الحق.

[باشروهن] [المباشره إصاق البشره بالبشره و هى ظاهر الجلد.

[الخيط الأبيض] بياض الفجر، الخيط الأسود: ظلام الليل.

ص: ٣٢٧

هدى من الآيات:

المجتمع الاسلامى مجتمع ملتزم مسؤل، تجرى الانظمه فيه بحافز داخلى يسميه القرآن ب(التقوى)، وهذا الوازع يخلقه الايمان بالله، و تنميه طائفه من الواجبات فى طليعتها الصيام.

و بمناسبه الحديث عن شخصيه الأمه تتحدث هذه الآيات عن الصيام كأفضل وازع نفسى للامه يحافظ على حدود المجتمع و يراعى انظمته.

فى البدء يبين القرآن فلسفه الصيام، و بعدئذ يبين طائفه من احكامه، ثم يتحدث عن اهميه شهر رمضان. و بهذه المناسبه يتحدث عن الدعاء، و أخيرا يعود الى احكام الصيام و المحرمات الاساسيه خلال هذه الفتره.

و الملاحظ فى القرآن: انه يتحدث عن الصيام قبل و بعد الحديث عن حرمة المال (الآيات ١٨٣-١٨٨) و كأنه يوصينا بأن من اهداف الصيام تحقيق، وازع داخلى

يحافظ على حرّامات المجتمع و أبرزها حرّمه المال.

إنّه يعدّل سلوك الفرد تجاه المجتمع، حتى لا يعتدى الفرد عليه.

و بهذه المناسبه يتحدث القرآن عن حرّمه المسكن، و يحزّم على المسلم ان يتسلق البيوت من ظهورها.

بينات من الآيات:

إشاره

[١٨٣] الصيام واجب دينى فى رسالات الله السابقه. و حين يكتبه الله علينا فانه لهدف عظيم يعود بالنفع علينا. هو تقويم سلوكنا، و تربيّه نفوسنا على التقوى.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الهدف من الصيام التقوى، و الهدف من كثير من الشعائر الدينيه هو التقوى أيضا (كما صرح القرآن به فى آيات كثيره) و لكن ما هو التقوى؟ لعلّ الكلمه التى نستخدمها فى أدبنا الحاضر بديلا عن كلمه التقوى و قريبه من معناها هى (الالتزام). و لكن اىحاءات كلمه التقوى أفضل. انها تدل على الالتزام خشيه العقاب، و العمل بشيء (اتقاء) شر معين و بالتالى جعل العمل وسيله لتجنب الوقوع فى المهلكه.

فالتقوى هى التزام واع و مفروض على الإنسان، بسبب الإضرار التى تصيبه إن ترك الالتزام.

و خلق هذه الحاله فى النفس، لا- يتم الا عبر سلسله من الطقوس و الشعائر، و (الصيام) واحد منها. حيث انه يدرب الإنسان على تجنب شهواته براقبه ذاتيه،

و بذلك ينمى عنده موهبه الاراده.ذلك لأن إرادته الإنسان كأي نعمه اخرى عنده تنمو و تتكامل، كلما انتفع بها الإنسان و مارسها عمليا.و الصائم يمارس إرادته ضد شهواته كلما دعت الحاجة الى الطعام أو الجنس،فيرفض تلبيه هذه الدعوه بقوه إرادته.

إن كثيرا من الناس يحبون ان يصبحوا صالحين،مؤمنين،ملتزمين بالرغم من انهم قد لا يصرحون بذلك،و لكن بعضا منهم يوفق لذلك لأنه-وحده-يملك اراده قويه،و على الإنسان ان يربى إرادته و يدرّبها حتى يستطيع ان يقاوم بها ضغوط الشهوات،و الصيام واحد من وسائل تربيته و تدريب الاراده.

[١٨٤]الصيام فرض خلال شهر واحد قد يتصوره الإنسان طويلا،و لكنه يجده بعد الممارسه و بعد التصميم على الالتزام به قصيرا:و كذلك كل عمل يتصوره الإنسان فى البدء عظيما،و لكنه بعد ان يعزم عليه،يصبح سهلا و خفيفا.و لذلك كان من أفضل وسائل التغلب على الحياه تهوينها،و الاستهان به بصعوباتها.و هكذا يصور لنا القرآن الصيام.

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ .

و هناك تسهيلات اخرى فى أداء واجب الصيام منها تغيير موعد الصيام للمسافر و المريض.

فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ .

يصومها عن كل الأيام التى لم يصمها لمرض أو سفر.و من التسهيلات،إلغاء الصيام اختيارا عن كل من لا يطيق الصيام.اى يجهد،و يستنفذ كل طاقته، كالضعيف البنيه و الشيخ الكبير.آنئذ يستطيع ان يصوم أو ان يبذل الصوم بالفديه

يُطْعَمُ مَسْكِينٍ وَاحِدٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ يَفْطُرُ فِيهِ.

وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامِ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا وَ صَامَ بِالرَّغْمِ مِنَ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ.

فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ بِشَرطِ الْإِسْبَابِ لَهُ ضَرَرًا كَبِيرًا بَلْ مَجْرَدِ مَشَقَّةٍ وَ حَرْجٍ.

وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لِأَنَّهُ يَزْكِي نَفُوسَكُمْ، وَ يَرَبِّي أَرَادَتَكُمْ، وَ يَهَيِّئُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ جَزَاءً حَسَنًا.

لماذا رمضان؟

[١٨٥] و لا بد ان يقع الصيام فى شهر رمضان بالذات، لما ذا؟ أو ليس هناك شهر آخر أفضل منه؟ كلا.. إنه شهر يحمل معه ذكرى من أهم ذكريات الامه، إنها ذكرى ليله القدر حيث نزل فيها القرآن، كتاب الله الكريم.

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ بَصَائِرَ وَ رُؤًى لِلْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى تَفَاصِيلَ التَّشْرِيعِ الْإِسْلَامِيِّ.

ص: ٣٣١

وَ الْفُرْقَانِ فِي الْقُرْآنِ قِيمٌ وَ مَقَائِيسٌ يَمِيزُ بِهَا الْحَقَّ عَنِ الْبَاطِلِ. فَرَمَضَانَ إِذَا أُجْدِرَ الشَّهْرُ بِالصِّيَامِ.

فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيُصُمْهُ أَيْ مَنْ كَانَ فِي هَذَا الشَّهْرِ حَاضِرًا فِي بَلَدِهِ أَوْ مَحَلِّ إِقَامَتِهِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ.

وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَصُومَ فِي حَالِهِ الْمَرَضِ أَوْ السَّفَرِ، ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ:

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِإِرَادَةِ اللَّهِ، وَ لَا يُوَقَّعُ نَفْسَهُ فِي الْأَعْمَالِ الْعَسِيرَةِ وَ مِنْهَا الصِّيَامُ فِي الْمَرَضِ أَوْ السَّفَرِ.

وَ لِيُكْمِلُوا الْعِدَّةَ كُلَّ يَوْمٍ يَفُوتَكُمْ مِنَ الصِّيَامِ تَصُومُونَ مِثْلَهُ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ.

وَ لِيُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ تَجْعَلُونَ تَعْظِيمَكُمْ لِلَّهِ وَ انْتِمَاءَكُمْ إِلَيْهِ أَقْوَى مِنْ تَعْظِيمِكُمْ لِأَيِّ شَخْصٍ أَوْ شَيْءٍ أُخَرَ.

وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ خِلَالِ الصِّيَامِ.

إن ترويض النفس يساعد على تنميه الايمان بالله، لأن شهوات الدنيا هي أكبر حاجب بين عقل الإنسان و معرفه الله، و عن طريق الصيام يتم خرق هذا الحجاب (و لو بصورة مؤقتة) و آنشد يشرق نور الايمان فى القلب، و يكبر العبد ربه، و يعرف ان كل تلك النعم العظيمه منه فيشكره.

كما ان المنع الموقت لبعض لذات الجسد، سيعطى له طعاما جديدا يشكر المرء عليها، فللصائم فرحتان: فرحه عند الإفطار، و فرحه عند لقاء الملك الجبار.

رمضان و الدعاء:

[١٨٦] شهر رمضان مناسبه للدعاء، و بهذه المناسبه يستطرد القرآن ليحدثنا عن ضروره ارتباط الإنسان بخالقه عن طريق الدعاء فيقول:

وَ إِذَا سَأَلْتَهُمْ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ إِذَا كَانَتِ الدَّعْوَةُ حَقِيقِيهِ وَ مَتَجَّهَةً إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، خَالِصَةً مِنَ الشَّرْكِ وَ الرِّيَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُجِيبُهُ لَأَرْيَبَ فِيهِ عَاجِلًا أَمْ آجِلًا.

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي هُمْ بِدَوْرِهِمْ، وَ يَعْمَلُوا بِأَمْرِ اللَّهِ، لِيَبَادِلَهُمُ اللَّهُ جِزَاءَ الْحَسَنِ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

وَ لِيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ استجابته دعوه الله تبدأ من الايمان بالله، فاذا أخلص العبد ايمانه بربه يدعوه ايمانه الى تنفيذ واجبات الله، و من ثم يجيب ربه دعاءه.

من هنا كانت الدعوات المأثوره متوجه بالاستغفار لله، لان الاستغفار يعيد

الإنسان الى حضيره الايمان، و من ثم يجيب الله دعاءه.

من أحكام الصوم:

[١٨٧] احكام الصيام كثيره و لكن أبرزها الامتناع عن الطعام و الجنس خلال النهار، اما فى الليل فقد كان الإسلام يحرم مطلقا الجنس و الطعام الإخلال فترات معينه، و لكن خفف الحكم بعدئذ. كمثل كثير من الأحكام المشدده فى بدايه الرساله و التى خففت بعدئذ، و ربما لسبب هو أن الأمم تكون فى بدايه تكونها أشد التزاما.

أَجَلٌ لَكُمْ لِيَلَّهَ الصِّيَامُ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ مِمَّا رَسَهُ الْجِنْسُ مَعَ الزَّوْجَاتِ اللَّائِي يَشْكُنُ حَصْنَا لَكُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مَزَالِقِ الْجِنْسِ، كَمَا تَشْكُلُونَ أَنْتُمْ نَفْسَ الْحَصْنِ لَهُنَّ: إِنْ كَثِيرًا مِنَ الْجَرَائِمِ تَرْتَكِبُ بِسَبَبِ الْجِنْسِ، سِوَاءَ بِصُورِهِ مَبَاشِرِهِ أَوْ عَنْ طَرِيقِ تَكْوِينِ الْجِنْسِ لِلْعَقْدِ النَّفْسِيَةِ الَّتِي تَدْعُوا إِلَى الْجَرَائِمِ، مِنْ هُنَا قَالَ اللَّهُ عَنِ النِّسَاءِ.

هُنَّ لِيَأْسَ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِيَأْسَ لَهُنَّ .

و قد كانت ممارسه الجنس فى ليالى الصيام حراما، و لكن الناس لم ينفذوه بالضبط فخفف الحكم.

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ .

و تظلمونها بسبب شهوه الجنس.

فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ .

إنما بهدف حكيم هو ان يرزقكم الله الأولاد،فليس الجنس هدفا بذاته،انما هو وسيله لهدف اسمى هو الأولاد.

وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ، تَسْلُمُونَ لِقِضَاءِ اللَّهِ فِيهِمْ.

وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْمَأْيُضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ حَيْثُ يَتَبَيَّنُ الصُّبْحُ عَنْ طَرِيقِ وَجُودِ خَيْطِ ابْيَضُ فِي الْأَفْقِ يَدُلُّ عَلَى انبِلَاجِ الْفَجْرِ. هُنَاكَ يَبْدَأُ وَقْتُ الصِّيَامِ وَ يَحْرَمُ الْجِنْسُ وَ الْاَكْلُ وَ الشَّرْبُ.

ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ حَيْثُ تَغِيْبُ الشَّمْسُ وَ تَسْحَبُ مِنَ السَّمَاءِ ذِيُولِ الضِّيَاءِ.

و كما يحرم الجنس خلال نهار الصيام، كذلك عند ما يعتزل المؤمن الناس و يأوى الى المساجد متبتلا الى الله.

وَ لَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ وَ الْإِسْلَامُ لَمْ يَشْرَعْ الْعِزْلَةَ التَّامَةَ عَنِ النَّاسِ، لِأَنَّهَا تُلْغِي مَسْئُولِيَةَ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ وَ دَوْرَهُ فِي إِصْلَاحِهَا، وَ لَكِنَّهُ شَرَّعَ وَ حَبَّ الْعِزْتَازَ الْمُؤَقَّتَ لِيَكْتَسِبَ الْمُسْلِمُ الْعِزِيمَةَ وَ الْأَمَلَ، وَ يَعُودُ إِلَى الْحَيَاةِ أَقْوَى مِنْ قَبْلِهِ.

وَ الْعِزْتَاكُفُ وَاحِدٌ مِنْ أَسَالِيْبِ الْعِزْتَازِ الْمُؤَقَّتِ، حَيْثُ يَمْكُثُ الْمُؤْمِنُ فِي الْمَسْجِدِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَ يَصُومُ وَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ إِلَّا لِلضَّرُورَاتِ: هُنَاكَ يَحْرَمُ عَلَيْهِ مِمَارَسُهُ

الجنس ليلاً أو نهاراً.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ .

[١٨٨]الصيام يستهدف تزكِيه النفوس حتى تتقى حرمات الله، و تتجنب مظالم العباد. و ليس الصيام نافعا لو لم يؤد الى التقوى، كما ان الصلاه لا تنفع لو لم تنه عن الفحشاء و المنكر. و لذلك تحدث القرآن بعد الصيام عن حرمة المال و قال:

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِذَا اغْتَصَبتَ مَالِ أَخِيكَ، أَوْ خَدَعْتَهُ، أَوْ مَارَسْتَ الْغِشَّ مَعَهُ فَهُوَ بَاطِلٌ. و إذا أكلت ماله بالقمار أو التجاره الضاره فهو باطل. و الذين يأكلون اموال الناس بالباطل يستندون في ذلك الى الحكام الأقوياء، و يتشاركون معهم فيها، لذلك قال الله:

وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ [١٨٩] و كما حرمة المال كذلك حرمة البيت، حيث لا يجوز للإنسان ان يتسلق بيوت الناس. و بمناسبة الحديث عن شهر رمضان و ارتباطه برؤيه الهلال تحدث القرآن عنه في البدء، ثم حذر من الاعتقاد بان ذلك يكفي الإنسان في الدين، و قال كلا.. ان الالتزام بالواجبات الاجتماعيه أهم من الالتزام بظواهر الدين.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجَّ يَعْرِفُونَ بِهَا كَيْفَ يَضْبُطُونَ أَوْقَاتَهُمْ، ذلك ان الهلال بما فيه من تغييرات يوميه يمكن ان يعرفنا بأيام الشهر.

وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا

كما كانت تفعل جماعه من الجاهليين، يزعمون ان فى ذلك دلاله على الشجاعه. و كانوا يزعمون ان المحرم للحج لا يجوز له ان يدخل المسجد الحرام من الباب، بل من ثقب كانوا يصنعونه فى الجدار.

وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى الْمَحْرَمَاتِ، وَ ضَبَطَ فِى نَفْسِهِ الْحُدُودَ الشَّرْعِيَّةَ، فَاشْجَعَ النَّاسَ مِنْ غَلْبِ هَوَاهُ.

وَ أَتُوا الْمُبَيَّاتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ص: ٣٣٧

إشاره

وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَأُقْتَلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤) وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)

اللغه

١٩٠ [تعدوا] الاعتداء مجاوزه الحد. يقال عدا طوره إذا جاوز حده.

١٩١ [ثقتموهم] ثقفته أثقفه ثقفا و ثقافه أى وجدته و منه قولهم رجل ثقف ثقفا أى يجد ما يطلبه و ثقف سريع التعلم و الثقيف التقويم.

[الفتنه] أصلها الاختبار. و منها الابتلاء و منها العذاب، و منها الصدّ عن سبيل الله.

إشاره

اهدافه و احكامه

هدى من الآيات:

من ميزات الامه الاسلاميه: انها تؤمن بالجهاد من أجل اهداف انسانيه عاليه، و في اطار هذه الاهداف تمارس القتال. و في هذه الآيات يتحدث القرآن عن حدود القتال (كما تحدث سابقا عن حدود القصاص و الصيام) و يؤكد على التقوى باعتبارها وسيله لمراعاه حدود الله في الجهاد.

فالقتال انما هو في سبيل الله، و موجه ضد من يقاتل الامه، و هناك هدف آخر للقتال هو منع الفتنه، إذ هي اخطر من القتل، و هناك حد آخر للقتال هو حرمة القتال في المسجد الحرام، و لكن حرمة المسجد و الشهر، قائمه ما دام العدو ملتزما بها. و القتال بحاجه الى الإنفاق، و على الامه ان تبادر بالإنفاق قبل ان تحدد بها الاخطار.

ص: ٣٤٠

القتال لماذا وكيف؟

[١٩٠] ان القتال مفروض على الامه، بشرط ان يكون بهدف تحقيق قيم الله في الأرض، و التي هي، في الوقت ذاته، اهداف تتطلع الى تحقيقها كل الشعوب من إقامة الحق و الحريه و العداله و المساواه.

و لكن حتى هذا القتال يكون بعد ان تتعرض الامه للاعتداء. و مع كل ذلك يجب ان يظل القتال محدودا في اطار إنهاء الوجود العسكري للعدو، و ليس الاعتداء على الأنفس و الأموال.

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ .

و ليس من الصحيح ان يفكر أبناء الامه ان الاعتداء يجوز لهم ما داموا ينتمون الى رساله الله. كلا، إن الله لا يحب المعتدين أنى كانوا.

[١٩١] و لا يتحدد القتال بساحه المعركه بالذات، بل يجوز ان تقتل الامه، المفسدين أنى وجدتهم، ما داموا قد استعدوا للقتال. و من الحكمه ان تعطى للامه، فرصه المبادره بالحرب إذا وجدت ضروره دفاعيه إليها.

وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ.

وَ اخْرِجُوهُمْ مِنْ مَعَابِلِهِمْ.

مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ إِنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ بَدَأُوا الْحَرْبَ ضِدَّكُمْ وَ أَخَذُوا يَفْسِدُونَ عَلَيْكُمْ، فَهَمُ بِذَلِكَ أَبَاحُوا قِتَالَكُمْ لَهُمْ.

وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ حَيْثُ أَنَّهُمْ سَوْفَ يَسْلُبُونَ نَعْمَةَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مَتَى مَا اسْتَغَلُّوا ذَلِكَ فِي صَالِحِهِمْ.

[١٩٢]الا- ان اندفاع الامه الى القتال، يجب الا- يخرج أفرادها عن اطار انضباطهم بتعاليم الله، فالقتال متى ما اشتعل، يستعد له المسلمون، و لكن إذا توقف لا يعتدى المسلمون على الناس لمجرد حب القتال، خصوصا إذا كان عند المسجد الحرام حيث جعله الله من قديم الزمان منطقته سلام.

فَإِنْ ائْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

الهدف الحضارى للقتال:

[١٩٣] و القتال فى حال اشتعاله ذو هدف حضارى هو القضاء على الفساد بكل ألوانه (التفرقه، حكم الجبابره، الانظمه الباطله، أسباب الظلم) و إقامة حكم الله فى الأرض، لا حكم طائفه على طائفه، أو اشخاص على اشخاص، حكم الله الذى يطبق على القاده كما يطبق على الناس.

وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ الدِّينَ بِاللَّيْسَاءِ، اى حتى يلتزم الناس جميعا بحكم الله

فى الأرض.

مره اخرى يذكر القرآن بأن الهدف من القتال، ليس القتال ذاته، بل هو وسيله مرحليه فقط.

فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدُوَّانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَعْتَدُونَ عَلَى النَّاسِ، فيسترد النظام الاسلامى حقوق الناس منهم بالقوه.

متى تحفظ الحرمات؟:

[١٩٤] و يبقى سؤال: لماذا سمح الله للمسلمين بالقتال عند المسجد الحرام، أو فى الشهر الحرام، حيث كان العرب يعتبرون القتال حراما فيهما؟ أ فليس الإسلام دين سلام؟ و يجيب الله على هذا السؤال بالقول:

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ إِنْ حَرَمَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ كَانَتْ تعطى فتره من الهدوء للعرب، لعلهم يحلّون اختلافاتهم سلميا، و لكن بعضهم كان يستغل هذا الهدوء، لشن حروب عدوانيه ضد المسلمين، فأمر الله الامه بالرد عليهم. إذ ان الحرمات قصاص، فما دام الفرد يحترم حقوق الآخرين، تحترم حقوقه. اما إذا اعتدى عليها، فان الواجب استرداد الحقوق منه بالقوه و هذه الآيه تفتح آفاقا واسعه فى التشريع الجنائى.

و بالطبع حتى هنا لا يجوز الاعتداء عليه أكثر من اعتدائه، و يؤكد القرآن هذا الواجب و فى ذات الوقت يحدد أهم قضيه أرادها من الحديث عن القتال هنا و يقول:

ص: ٣٤٣

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ الامه الاسلاميه و الفرد المسلم يجب ان يكونوا ملتزمين بحدود الله و لا يتجاوزونها، و هذه من أهم مسئوليات الامه.

الإِنْفَاقُ ضَرُورَةٌ قِتَالِيَّةٌ:

[١٩٥] و بمناسبة الحديث عن القتال، تحدث القرآن عن الإِنْفَاقِ، باعتباره ضرورة قتاليه، ذلك ان الاعداد للقتال قد يكون أصعب من القتال ذاته لذلك شدد القرآن على الإِنْفَاقِ، و ربطه بمصير الامه و قال:

وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ لِأَنَّ عَدَمَ الإِنْفَاقِ سَوْفَ يُوَقِّعُ فِي أخطار عظيمه.

وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ أَلَّا يَقْتَصِرَ عَلَى حُدُودِ الْوَاجِبِ فِي الإِنْفَاقِ، بَلْ يَنْفِقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حَسَبَ طاقته، و ذلك هو الإِحْسَانُ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ وَ يُحِبُّ مِنْ يَصْنَعُهُ.

إن أمتنا اليوم بحاجه ماسه، للاستعداد لخوض معاركها المصيريّه على أكثر من جبهه، و لن يتم الاستعداد من دون العطاء، العطاء بكل ألوانه، بالجهد، بالجاه، بالمال، و لكن قله الوعي المستقبلي و الانانيه الذاتيه و انعدام الثقه بالمجتمع و مؤسساته، كل تلك أدت الى كف الأمه عن الإِنْفَاقِ، و جعلها تخسر المعركه بعد الاخرى.

ان عودتنا الى تعاليم الدين فى الإِنْفَاقِ، هى الضمانه الاكيدّه لاسترداد عزنا المفقود، و حفظ ما تبقى من مصالحننا و كرامتنا.

اشاره

وَ اتُّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفَدِّ يَهُ مِنْ صِيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦) الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ (٢٠٠) وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)

اللغة

١٩٦[أحصرتم]الإحصار المنع يقال للرجل الذي قد منعه الخوف أو المرض عن التصرف قد أحصر و يقال للرجل الذي حبس قد أحصر و أصل الباب الحبس.

١٩٨ [جناح] الجناح الحرج فى الدين و هو الميل عن الطريق المستقيم.

[تبتغوا] الابتغاء الطلب.

[أفضتم] الإفاضه مأخوذه من فيض الإناء عن امتلائه فمعنى أفضتم دفعتم من عرفات الى المزدلفه عن اجتماع و كثره. و يقال أفاض الناس فى الحديث إذا اندفعوا فيه و أكثروا التصرف.

فالإفاضه فى اللغه لا تكون إلا عن تفوق أو كثره.

ص: ٣٤٤

هدى من الآيات:

بعد الصيام و الجهاد يأتى دور الحج، كمدرسه رساليه لتربيته روح الالتزام فى الامه. و الهدف من الحج التقوى. لان واجبات الحج تشبه الى حد بعيد الصيام، فى انها تفرض اجتناب طائفه من الشهوات العاجله بوعى و اختيار مما يقوى الاراده، و يزيد فى الايمان. و الحج يشبه الجهاد أيضا لان فيه اخطار السفر و احتمالات الموت و صعوبات الأعمال و من هنا جاء فى الحديث الحج جهاد الضعفاء.

و الحديث هنا عن الحج، لا يتناول الجوانب الاجتماعيه منه كما نجد ذلك فى سوره الحج بل يقتصر على الجوانب التربويه من الحج، لطبيعته السياق الذى يتحدث عن التقوى كميزه اساسيه فى الشخصيه الايمانيه.

و فى الآيات الاخيره نجد الحديث المباشر عن التقوى و بعض مظاهره من فرض الرقابہ الذاتيه على الإنسان و ابعاده عن الجريمه و النفاق. و قد تكررت كلمه التقوى فى

بينات من الآيات:

إشاره

[١٩٦] قبل كل شيء، يجب ان يكون الحج أو العمره خالصا لوجه الله، لا يدخل فيه هدف آخر، تجاره أو سياحه أو رياء. و على الحاج ان يمتنع عن الزينه بكل مظاهرها. حتى انه لا يستطيع ان يحلق رأسه، و إذا منعه المرض عن متابعه رحله الحج فعليه الا يحلق رأسه الا بعد ان يبعث بهديه (ذبيحته -أضحيته) الى مكه.

فاذا ذبحت استطاع ان يتحلل من إحرامه و يحلق رأسه. و عند ما يضطر المريض الى حلق رأسه فعليه ان يفتدى حلقه بصيام أو صدقه أو ذبيحه.

الواجب الاخر فى الحج: تقديم الهدى (الذبيحه سواء كان شاه أو بقره أو إبلا) و من لم يجد واحدا منها، فعليه ان يصوم عشره أيام، ثلاثه فى الحج و سبعة إذا عاد الى بيته. و أهل مكه و ما حولها لا يجب عليهم الهدى.

كل هذه الفرائض واجبه من أجل تنميه روح التقوى فى القلب و الخوف من الله.

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ .

أولاً: لا يجوز ترك الحج أو العمره بلا سبب بل يجب الاستمرار فيهما و إتمامهما و هذا واجب اساسى فى الحج.

ثانياً: يجب ان يكون الحج و العمره خالصين لله.

و الحال التى يجوز فيها ترك الحج هى حاله الحصر (بمرض أو عدو أو ما أشبه).

فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ .

و الهدف البعيد من الحج هو: ألا يتهاون المسلم في واجبات دينه، و ان يلتزم بحدوده لا يتقدم فيها قيد شعره، لان الله شديد العقاب و في هذه الآيه نجد واحدا من أهم واجبات الحج و هو الإحرام، يتحدث عنه القرآن في ثلاثه مظاهر: و هي مظهر النيه، و مظهر عدم حلق الرأس، و ينتهى بالذبح، و الإحرام هو ابرز اعمال الحج لذلك بدأ به القرآن الحكيم.

الإحرام:

[١٩٧] و في هذه الآيه نجد بعض مظاهر الإحرام و هي: حرمة الرفث (مباشره النساء) بكل ألوانه و حرمة الفسوق (و الحلف كاذبا بالله) و حرمة الجدال.

و خلال فتره الحج يجب ان يتقيد الإنسان بهذه الأمور، و الهدف منها: تنميه روح التقوى في النفوس.

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّغْلُوبَاتٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْدَأَ الْإِنْسَانُ حَجَّهُ قَبْلَ شَوَّالٍ، وَ لَا أَنْ يُؤَخِّرَهُ عَنْ مَوْسَمِ الْحَجِّ فِي ذِي الْحِجَّةِ وَ رَبَّمَا يُوحَىٰ هَذَا بِأَنَّ مَحْرَمَاتِ الْإِحْرَامِ لَا تَسْتَمِرُّ بَعْدَ أَيَّامِ ذِي الْحِجَّةِ.

فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ .

فرض على نفسه الحج في هذه الأشهر.

فَلَا رَفَثٌ وَلَا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ .

لماذا الجدال و الفسوق؟ هل لكى يتظاهر الإنسان بأنه أهم من غيره، و يركى نفسه دون الآخرين،

ما دام الله يعلم بما يفعله العباد ان كانوا صادقين في عملهم، والكذب و الادعاء لا يغنى أحدا شيئا.

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى .

أفلا يتزود الإنسان لسفره؟ فلما ذا لا يتزود لسفر الاخره و هو أطول و أوحش من اسفار الدنيا، و لكن كيف نتزود؟ أفضل ما نتزود به: التقوى و الالتزام بما أوجبه الله علينا، إنه الزاد الوحيد الذى ينفعنا فى ذلك الطريق الطويل الطويل.

وَ اتَّقُونِ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ .

أنتم يا من تملكون حقيقه الانسانيه و هى العقل اتقوا الله، لأنكم تعرفون الله و تعرفون ان من يتقيه ينجو من نار جهنم، و ينجو من عذاب الدنيا.

إن التزود بالتقوى لا يختص بالآخره بل يشمل اسفار الدنيا، إن رحلتنا الشاقه فى الدنيا بحاجه الى زاد، بحاجه الى اراده و عقل و مثابه، و التقوى هى التى تعطينا هذه الصفات المثلى و الضروريه للحياه فى الدنيا.

إن الذين لا يتسلحون بالتقوى فان اى مشكله فى الحياه يمكنها ان تصرعهم و تحول حياتهم الى جحيم.

ماذا بعد عمره التمتع؟:

[١٩٨] بعد فتره العمره يتحلل الحاج من إحرامه، و يبتغى من فضل الله،

ص: ٣٥٢

و يتمتع بلذات الدنيا، و يفكر فى التجاره، و يتزود بالعلم و الأدب، و بعدئذ يحرم مره اخرى للحج و يقف فى عرفات، و يفيض منه الى المشعر، ثم الى منى، و بعدئذ يذهب للطواف و يقضى سائر مناسكه.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ .

فى الفتره بين الحج و العمره فى حاله التمتع.

فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ .

حيث يقف فيه كل الحجاج، و يبدو ان الافاضه من عرفات من ابرز واجبات الحج، لأنها مسيره ايمانيه تذكرنا بطبيعه الدين، انه حركه موجهه لهدف مقدس، و سنجد فى الايه التاليه تركيزا على الافاضه.

فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ .

و هو موقف يقع داخل حدود حرم المسجد الحرام، و ملتصق بمنى جغرافيا، بينما يبتعد عن عرفات بضع كيلومترات.

كان المشعر الحرام فى الجاهليه موقعا للمباراه الفكرية بين القبائل التى كانت تهتم بعنصريتها و عصبيتها أكثر من اهتمامها بالشعائر الدينيه، فكانت كل قبيله تحبى ليله المشعر بالاشاده بامجادها الغابره و تعرض بالقبائل الاخرى، فأمرهم الله بان يتمحوروا حول الايمان بالله، و ينسوا خلافاتهم العصبية و العنصريه.

وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَ اِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ .

إن مقارنه حاله التخلف، القديم للأمه و الفساد الجاهلى بحاله تقدمها الحالى فى

ظل الرساله الجديده، تكرر فيها ايمانها برسالتها، و تدفعها الى المحافظه عليها بكل قوه.

و القرآن يأمرنا ان نتذكر رساله الله التي اهتدينا بها لكي لا نتوانى عن تطبيق قيمها، و لكي نتصور واقعا نعمه الوحده و الأمن و الطمأنينه و النشاط، و بالتالى سائر النعم التي جاءت نتيجة هذه الرساله، و التي لا يمكن ان تستمر لو اننا لم نتمسك بها تمسكا شديدا، بل هي بحاجه الى المحافظه عليها، و التذكره بأنها ستزول لو لم نسع من أجل المحافظه عليها.

الإفاضة مسيره الإيمان:

[١٩٩] بعد عرفات تبدأ المسيره الايمانيه التي تسميها الايه ب(الافاضه) تشبيها لها باندفاع السيل، آتئذ حيث تميل الشمس الى المغرب، تستعد جموع الحجاج للتحرك الى المشعر، ليرمزوا بذلك للسعى المشترك فى سبيل الله، و على الدرب الذى حددته رساله الله، دون اى تمييز بين الطبقات المختلفه.

و قد كانت الجاهليه تعطى لبعض القبائل شرف تقدم الناس فى الافاضه، فكانت تقف امام الجماهير و تتحرك من نقطه أقرب الى المشعر من سائر الناس، أو تفيض من المشعر ذاته. و جاءت الايه صريحه بالغاء هذا الامتياز و البدء بالمسيره مع الناس و قالت:

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ .

من ذات النقطه التي يفيض منها الناس.

وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ .

ص: ٣٥٤

ليشعر كل إنسان بأنه مذنّب امام ربه، وانه لا يجوز له ان يزكى نفسه و يجعلها أشرف من الآخرين، فكلنا عباد الله و قد يكون الوضيع منا شريفا عند الله بل و أشرف من الذى يزعم نفسه شريفا.

□
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

كيف نربح الدنيا و الآخرة؟

[٢٠٠] بعد المشعر يفيض الحاج الى منى حيث يؤدى مناسكه من: تقديم الهدى، و رمى الحجاره، و التقصير، و انشد يجتمع الحجاج فى منى لبينوا حياتهم وفق تطلعاتهم، فينقسم الناس الى نوعين: فمنهم من يذكر الله و ينتمى اليه قبل ان ينتمى الى أهل أو ارض أو قوم، و يريد ان يبني حياته وفق نهج الله، و منهم من يستعجل فى الحصول على مكاسب الدنيا، دون ان يفكر فى الآخرة فيخسرهما جميعا.

□
فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ .

فى منى، رميا للجمرات، و هديا لله، و حلقا أو تقصيرا، و بالتالى بالتحلل من أكثر مظاهر الإحرام.

□
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا .

حتى يصبح انتماؤكم الاول الى الله، فيوحدكم الإيمان به، و تصبح ارض منى منطلقا للتعارف و التعاون و الأمل، و لكن يبقى هذا الهدف مرتبطا بمنطلقات معينه.

□
فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ .

لا يملك اى رصيد فى الآخرة. لأنه يريد كل جهوده ان تثمر فى الدنيا، هؤلاء ليس لهم فى الآخرة نصيب فى الدنيا.

[٢٠١] وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ .

[٢٠٢] أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

هؤلاء سوف يحصلون على مكاسبهم فى الدنيا و فى الآخرة لان منطلقهم سليم.

و بالطبع لا ينفع هؤلاء مجرد سلامه منطلقهم، إذ انهم سوف لا يحصلون إلا نصيبا مما كسبوا لا مما قالوا، ان الدنيا و الآخرة هدفان لا يحققان الا بسعى و على قدره.

ان الذين يحددون نظرهم فى الدنيا يصابون بقصر النظر، و الذاتيه، إذ ما دام العمل للدنيا و لا نعرف هل نحن غدا موجودون أم أموات، فدعنا نأكل نصيبنا اليوم، و بذلك يستنفذون طاقاتهم فى الحال دون النظر فى المستقبل.

و ما دام الفرد يعمل للدنيا، و يعمل لذاته و لا قرب الناس اليه، و إن ذلك يقضى على حضارته فما عاشت امه انتشرت فيها الذاتيه و قصر النظر، بينما من يعمل من أجل الآخرة يكون امامه أفق بعيد يتطلع لتحقيقه، انه يفكر فى رحمه الله الواسعه، فهو لا يريد مكاسب عاجله، ثم انه يعمل للجميع لان ذلك طريقه الى الله، و هكذا يكون العمل للآخرة طريقا الى حضاره الامه.

بعد قضاء مناسك منى، يتوجه الحاج الى بيت الله الحرام ليذكر الله، و لكى يرتبط بهدى الله و يوثق علاقته بالانتماء التوحيدي له، و يعمل للدنيا و الآخرة معا.

[٢٠٣] وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ .

ثلاثه أيام من الحادى عشر حتى الثالث عشر.

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَ اتَّقُوا

اللّٰهُ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ .

الهدف البعيد لكل هذه المناسك هو التقوى، و سببه هو التفكير المستمر فى أنّ الإنسان مهما طال عمره فسوف يحشر الى الله و يسأل عما فعله، فعليه ان يجعل من نفسه عليها رقبا و وازعا عن السوء، و دافعا الى الخير، و لا ينتظر محاسبا اجتماعيا أو واعظا دينيا.

ص: ٣٥٧

اشاره

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفٰسِدَ (٢٠٥) وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسِبْهُ جَهَنَّمَ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ إِتِّعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٠٨) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَيَلٌ يَنْظُرُونَ إِلَّا- أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠) سَلِّ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَ مَنْ يَدِدْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١) زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللَّهُ يَزُقُّ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

اللغة

٢٠٤ [يعجبك] [الاعجاب هو سرور المعجب بما يستحسن و منه العجب بالنفس و هو سرور المعجب من الشيء استحسانا له و ذلك إذا تعجب من شدة حسنه و العجب كل شيء غير مألوف.

[ألد] [الألد الشديد الخصومه تقول لدد لودا ولده يلدّه إذا غلبه في الخصومه.

٢١٠ [ينظرون] النظر هنا الانتظار. و أصل النظر الطلب لادراك الشىء و إذا استعمل بمعنى الانتظار فلأن المنتظر يطلب إدراك ما يتوقع. و إذا كان بمعنى الفكر بالقلب فلأن المتفكر يطلب به المعرفة و إذا كان بالعين فلأن الناظر يطلب الرؤيه.

[ظلل] جمع ظله و هى ما يستظل به من الشمس و سمي السحاب ظله لأنه يستظل به.

[الغمام] السحاب الأبيض الرقيق سمي بذلك لأنه يغم أى يستر.

٢١٢ [زين] الزينه الحقيقيه ما لا يشين الإنسان فى شىء من أحواله فى الدنيا و لا فى الآخره فأما ما يزينه فى حاله دون حاله فهو من وجه شىء.

ص: ٣٥٩

رضا الله، السلم، العداله

هدى من الآيات:

فى هذا الدرر ربن لنا القرآن اهميه التقوى فى مقاومه النفاق و ربن بعدا هاما من ابعاد التقوى الاجتماعيه، و هى (الوحده) و تنازل الطرف المخالف للحق عن نزاعه فى مصلحه صاحب الحق.

يبدأ الحديث: بدعوه الى السلم داخل المجموعه الاسلاميه كههدف سام يجب على أبناء الامه تحقيقه و المحافظه عليه، و تجعل الآيه الناس كلهم مسئولين عن الوحده.

و من ثم يحذرهم القرآن من الاختلاف بعد البيئه، و يضرب لهم من قصه بنى إسرائيل مثلاً- لكيفيه الاختلاف بعد البيئات الكثيره، بعد ان يقول ان عليهم ان يكتفوا بهذه النصوص فى رفع الخلافات بينهم، و لا- ينتظروا ان يأتيهم الله فى مظاهر عظمته حتى يحكم بينهم فى خلافاتهم.

بعدئذ ربن السبب الجذرى لكل الخلافات و هو حب الدنيا، الذى يدفع

الإنسان الى البغى على الآخرين و فى آخر الآيات يحذر القرآن من الغطاء الفكرى الذى يلبسه الإنسان حول حب الدنيا، و بذلك يبرره بقيمه مزيفه. كما فعل الكفار عند ما جاءتهم البينات.

و بهذه الآيه يمهد القرآن للحديث عن الموضوع التالى و هو: ان الخلاف المشروع الوحيد هو الخلاف المبدئى بين أهل الدنيا المتمثل فى الكفار و أهل الحق.

ان التقوى هى الضمانه الاكيداه لمقاومه حاله النفاق. حيث يعيش الإنسان فى داخله شخصا و فى الخارج يتظاهر شخصا آخر، فيعمل بالحسنات لأجل الرياء فقط، كل ذلك لأنه لا يتمتع بروح التقوى الداخليه.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢٠٤] وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ .

و يصوره صادقا لنا، و يدعم كلامه أبدا باليمين.

وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ .

فى الجدل، لدود.

[٢٠٥] وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ .

هذه هى صفات المنافق الرئيسه، و هى اربع صفات:

الاولى: انه معسول الكلام فيما يخص الحياه الدنيا، يتحدث عنها بشهيه مفتوحه و لعاب مسال و كأنه يتحدث عن حبيبته المفضله فى قلبه، هذه الصفه نابعه

ص: ٣٦٢

من شعور المنافق بالنقص فيما يرتبط بالدنيا، فهو يهتم بها اهتمام الجائع المنهوم بالرغيف.

الثانية: انه يكذب و هو يعلم انه يكذب، و لكى يبرز كذبه بمظهر الصدق، يحلف بالله كثيرا، و هذه الصفة ناشئه عن تصوره الدائم بان الناس لا يصدقونه فى أقواله.

الثالثه: انه ينفجر غيظا إذا عورض فى كلام له، و يحاول ان يثبت كلامه بالرغم من الاعتراض، و ذلك عن طريق مواصله الجدل لأنه قد أجاد صناعه الكلام و لا غيرها.

الرابعه: إن عمله هو الفساد لا الصلاح، فهو لا يحب أحدا، و لا يحب ان يمتلك أحد شيئا، و لذلك فامنيته الكامنه هى الا يعيش أحد و لا يبقى شىء سليما، تراه يفسد بين الناس بالغيبه، و النميمه، و التهمه، و يبخس الناس أشياءهم بالتحطيم، و التكسير، و عدم المبالاه و..و.. إلخ.

و إذا اوتى القوه استخدمها فى اباده الحياه، و الزراعه، و الانتاج، و الناس أجمعين.

[٢٠٦] هذه صفات المنافق الظاهريه، اما صفته الواقعيه فهى عدم التقوى.

وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ .

انه يصور نفسه فوق الحق و فوق قيم الله فى الأرض، فلا يرى ضروره للخضوع للحق، بل تأخذه العزه و الانفه، فاذا به يعتز بالأعمال السيئه التى يعملها، و يصورها حسنه لمجرد انها صدرت منه، فهو يعتز بالإثم بدل ان يعتز بالحق.

إن هذه هى صفة المنافق الجذريه و هى: التمحور حول الذات و جعلها مقياسا

للحق، و هي صفات مقابله تماما للتقوى، و هي جعل الحق مقياسا للحقيقه أبدا و على الإنسان ان يتمحور حوله لا حول نفسه.

إي عذاب اليم يجب ان يكون جزاء هذا المعاند الأثيم؟ لا شيء غير النار.

فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ .

[٢٠٧] عكس المنافق تماما، المتقى الذى ليس لا يتمحور حول ذاته فقط، بل يبيع ذاته لله أيضا.

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ .

و حين يشرى نفسه يجعلها تدور مدار الحق و تتبعه انى اتجه، سواء كان عند صديقه أو قريبه أو رئيسه، أو كان عند خصمه البعيد عنه أو عبده أو مرءوسه. انه يعرف الحق و لا يعرف ايه قيمه اخرى ذاتيه كانت أو طاغوتيه اجتماعيه.

إنه لا- يفكر بعد ان باع نفسه لله ان يثبت لأحد انه فعل ذلك، أو انه مخلص، أو يشهد الله على ما فى قلبه، كلا انه يعرف ان الله بصير به فيبقى مخلصا لربه العليم بحاله، و يكفيه ذلك من الناس، فتراه خاشعا لله مسلما له راضيا بأقداره، نشيطا فى ابتغاء مرضاته، متصلبا فى ذات الله، ثائرا ضد أعداء الله، لا ترهبه قوى العدو، و لا تأخذه فى الله لومه لائم.

هذه هي شخصيه المتقى فهل نجدها فى أنفسنا؟

الوحده ضروره جهاديه:

[٢٠٨] المجتمع الاسلامى مجتمع حرب دفاعيه ضد أعداء الانسانيه و أعداء

ص: ٣٦٤

الرساله، ولا يمكن لهذا المجتمع ان يواجه تحديات الحرب من دون وجود وحده داخله متينه، لذلك يدعو القرآن في الآيه و قبل الحديث عن الحرب في الدرس القادم الى الوحده، و يجعلها مسؤوليه كل الافراد و يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ .

ان رحاب السلام يتلوث بالحساسيات الصغيره التي تتراكم على بعضها حتى تصبح كسحابه داكنه، و على اى فرد مسلم داخل المجتمع ان يقاوم نمو هذه الحساسيات، و لا يتبع خطوات الشيطان منذ البدايه، لان الشيطان يستدرج الانسان خطوه خطوه الى الجحيم.

فعلينا ان نحدد عدونا الحقيقي و عدو الجميع (الشيطان) و نتحذر من أول خطوه يدعوننا إليها، و هي الحساسيه ضد أحد من إخواننا، و اعتباره عدوا لنا من دون الشيطان.

[٢٠٩] فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

ثم يحذر ربنا المسلمين من السقوط في درك الخلافات الجاهليه النابعه من الشهوات، و ينذرنا بأنه عزيز فلا يفوته هارب، و لا يغلبه غالب، و انه حكيم يجازى الناس حسب أفعالهم لا حسب أهوائهم و امنياتهم و ادعاءاتهم.

مسئوليه الحفاظ على الوحده:

[٢١٠] و هذا يعنى اننا نحن المسؤولون عن المحافظه على وحدتنا بالاعتماد على هدى الله و بيناته، و ليس من الصحيح ان ننتظر الله ان يأتى و يفض خلافتنا، أو ننتظر مثلا الامام الحجه عليه السلام حتى يصلح ما بيننا بطريقه غيبيه، انها آئذ قيام

الساعة، وهنالك لا مسئولية على أحد، كما ولا تؤخر العقوبة عن أحد.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ .

كنايه عن مجيء الله (سبحانه) مع كل ملكوته.

وَقُضِيَ الْأَمْرُ .

أى آتت أنتهت حياه المسئوليه، و آتتد تتبدل الحياه، فلو أراد الله بالجبر ان يصلح بين العباد بالخير، فالحياه غير هذه الحياه، اما هنا فنحن بأنفسنا مسئولون عن تصفيه خلافاتنا، ثم بعدئذ نمثل امام الله للمحاكمه فى الآخره.

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .

[٢١١] و الأمم السابقه لم تنزل عليهم ملائكه الله، بل نزلت عليهم البيئات، و كان عليهم ان يستفيدوا منها فى تحقيق مسئولياتهم، و مع ذلك فان بعضهم لم يستفد منها. بل بدل فيها و حرف و ما ظلموا إلا أنفسهم.

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ .

لكن بعضهم بدل هذه الآيات.

وَ مَنْ يُدِدْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .

و قد يكون العقاب فى صورته شياخ الفوضى بينهم، و ضرب بعضهم ببعض نتيجة إهمالهم لرساله الله، و تورطهم فى الخلافات الداخليه.

لماذا الاختلاف؟!:

[٢١٢] و لكن يبقى السؤال الهام: لماذا أساسا يختلف الناس؟ و ما هو جذر

المشكلة؟ الجواب: انهم يختلفون لان الدنيا زينت لقلوبهم، و لكن المؤمن لا يتمحور حول الدنيا بل الاخره، و لذلك فهو يتقى الدنيا و شهواتها و فواحشها، و هنا يظهر جليا مدى اهميه التقوى فى إنشاء حياه كريمه، لأنها تسحب فتيل الخلافات الاجتماعيه المتمثله فى حب الدنيا.

زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا .

لأنهم لا يابھون بالدنيا كثيرا، بينما الحقيقه انهم هم الفائزون.

وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

و الدنيا الفاضله لا- يحصل عليها كل من أرادها، بل هناك سبل يجب السير فيها حتى نصل الى الدنيا الكريمه ذات النعم المتكامله، و هى موجوده فى آيات الله و فى طبيعتها قانون الوحده (الدخول فى السلم كافه) إنه باب يؤدى الى رزق الله.

وَ اللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

[٢١٣] و كمثل على ذلك لنقرأ قصه الرساله الاولى، فالبشر كانوا جميعا على الضلاله، فجاءت رساله الله. و من اهدافها الرئيسيه توحيد الناس على الحق، و رفع اختلافهم فيه، و لكن اختلف بعض ممن اوتى الرساله لماذا؟ هل لأنهم لم يملكوا ما يرفع اختلافاتهم؟ كلا- بل لأنه كانت توجد هناك طائفه منهم يقومون بظلم الناس و البغى عليهم، و جاءت الرساله ضد البغى، فعارضت مصالحهم المؤقته فقاوموها أشد المقاومه، إذ ان جذر الخلافات هو البغى، و إذا تخلص الناس منه استراحوا.

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ .

و كانت هذه وسيلتهم لتوجيه الناس، لا المال و لا القوه، بل التبشير بحياه أفضل و الإنذار من العذاب،(الترغيب و التهيب).

وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ .

كان يريد بعضهم ظلم البعض الآخر فكانوا يختلفون في الأمر، و هنا استفاد المؤمنون بالرساله بينما خسر الكافرون، و المؤمنون أنما اهدوا لأنهم رضوا ان يكون الحق مقياسا بينهم.

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ .

أما المؤمنون فقد اتخذوا من هدى الله و رسالته اداه لتوحيد صفوفهم، و حل خلافاتهم، بينما الكفار لم يفعلوا مثل ذلك، لأنهم كانوا يريدون البغي و ليس الحق.

ص: ٣٤٨

اشاره

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥) كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصِدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اِسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَرُدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨)

اللغة

٢١٤ [زلزلوا] الزلزله شده الحركه و الزلزال البليه المزعجه لشده الحركه و الجمع زلازل و أصله من قولك زل الشيء عن مكانه ضوعف لفظه لمضاعفه معناه نحو صر و صرصر فاذا قلت زلزلته فتأويله حركته عن مكانه.

٢١٦ [كره] الكره بالفتح المشقه التي تحمل على النفس و الكره بالضم المشقه على النفس حمل أو لم يحمل و قيل الكره الكراهه

و الكره المشقه و قد يكره الإنسان ما لا يشق عليه، و قد شق عليه ما لا يكرهه.

٢١٧[صدّ]الصد و المنع و الصرف نظائر يقال صد عن الشيء يصد صدودا إذا عرض و عدل عنه و صدّ غيره صدا إذا عدل به عنه و منعه و أصل الباب العدول.

[لا يزالون]يدومون.و ما زال أى دام.

[حبطت]حبط عمل الرجل حبطا و حبوطا و أحبطه الله و الحبط فساد ما يلحق الماشيه فى بطنها لأكل الحباط و هو ضرب من الكالأ يقال حبطت الإبل إذا أصابها ذلك ثم سمي الهلاك حبطا.

ص:٣٧٠

٢١٨ [هاجروا]الهجر ضد الوصل يقال هجره يهجره هجرانا و هجرا و هجره إذا قطع مواصلته و هجر المرض يهجر هجرا إذا قال ما يهجر من الكلام و سموا المهاجرين لهجرتهم قومهم و أراضيههم.

[جاهدوا]جاهدت العدو و مجاهدته و جهادا إذا حملت نفسك على المشقه فى قتاله.

ص:٣٧١

هدى من الآيات:

بالرغم من ان هذه الآيات تبين لنا جوانب من فريضة القتال. الا انها ليست مرتبطة بآيات (الجهاد الاسلامى) بل هى متصله ببناء شخصيه الامه، التى تتميز بالتقوى و بالتمحور حول الحق، فى رد الخلافات الى الإسلام، و أيضا بالاستقامه و التصلب فى التمسك بالرساله، و عدم التهاون فيها رغم الصعوبات التى تعترض طريقها.

ففى الآيه الاولى نجد كيف ان الله يبشر الامه بالأيام الصعبه التى تستقبلها، و ينذرنا بأنها لو لم تستقم فيها على الحق. فان الجنه حرام عليها. ثم يتحدث عن الإنفاق باعتباره فريضة مقارنة لايام الشده. و بعدئذ يبين لنا ان القتال كره لكم.

و لكن لا بد لكم منه، و ان هدف العدو من القتال هو استلاب دينكم و اعادتكم الى أغلال الكفر. و عليكم ان تصمدوا ضده، و يبشر أخيرا الصامدين فى وجه الضغوط بكل خير.

و ربما تكون الآيه الاولى من الدرس القادم متصله بالحديث عن الاستقامه و التصلب، إذ انها تحرم الخمر و الميسر و هما اداتا تميمع للامه، و تسببان ابعادها عن الجديه الرساليه.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢١٤] حفت الجنه بالمكاره، و من أراد ان يدخلها فعليه ان يقتحم هذا السور الشائك. و لكن هل يعنى ذلك ان أهل الجنه فى شقاء دائم؟ كلا. بل يعنى انهم يتمتعون بالقوه و الصلابه التى تجعلهم مستعدين لكل الظروف. و هى تعطيمع مناعه من الاستسلام للضغوط، و تحدى محاولات الاستبعاد.

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ عَبَثًا وَ لَا تَمْنُ وَ دُونَ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ الَّذِينَ أَمْتَحَنُوا بِالْفِتْنِ الصَّعْبِ وَ نَجَحُوا فِيهَا.

وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ أَى دُونَ أَنْ يَؤَاجِهَكُمْ.

مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبُؤْسَاءُ وَ الضَّرَّاءُ الْبُؤْسَاءُ هِى الصَّعُوبَاتُ الَّتِى مَنْشُؤْهَا الْعَدُو. وَ الضَّرَّاءُ الصَّعُوبَاتُ الْمَادِيَه كَالْفَقْرِ وَ الْمَرَضِ. (١).

ص: ٣٧٣

وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ لَهول الصعوبات و الخساره، كانوا يستعجلون نصر الله، و عند ما تصل الصعوبه الى ذروتها يجب ان نأمل الفرج.

أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۖ وَ هذِهِ آيَةٌ تَعْنِي ان الذين يحلمون بالجنه مجاناً و بلا ثمن إنما يحلمون باطلا و سيجدون أنفسهم في النار. الجنه ليست مزرعه الدواجن و لا مريض الأغنام، انها مقام الرجال و مكتسب الابطال. و عهود التخلف و الابتعاد عن صلابه الرساله و خشونتها هي المسؤوله عن هذه النظرة اللامسؤوله الى الجنه، و لهؤلاء يقول الامام على عليه السلام «هيهات هيهات لا يخدع الله عن جنته.»

الإِنْفَاقُ سَبِيلُ التَّضْحِيهِ:

[٢١٥] و كما في الحرب فهناك في السلم فتنه و بلاء يتمثل في ضروره الإنفاق، و الإنفاق هو الاعداد النفسى الخارجى للحرب، و هنا يشير القرآن الى الجانب النفس من الإنفاق إذ يجب ان يكون خالصاً لله، حتى يربى صاحبه على العطاء و التضحيه، ذلك ان التضحيه، كأيه صفه نفسيه اخرى، تحتاج الى التدريب فهى تنمو شيئاً فشيئاً ابتداءً من التضحيه بالمال القليل، ثم المال الكثير، ثم القتال و الصمود و هكذا، لذا يحدد القرآن هنا جهه الإنفاق، لعلاقته الوثيقه بالتضحيه بالنفس، و قلما تحدث القرآن عن التضحيه بالنفس دون ان يقرنها بالتضحيه بالمال.

يَسْئَلُونَكَ ۖ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ هُمْ لِأَوْلِيَاؤِهِمْ أَشَدُّ حُبًّا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۚ وَ هذِهِ آيَةٌ تَعْنِي ان نحدد وجهته و هى: ابتغاء مرضاه الله.

بعيدا عن الاهداف الماديه أو الرياء، بل للوالدين.

وَالْمَأْقُوبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمِمَّا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [٢١٦] الامه المسلمه تتميز بالاستقامه على الحق، و التضحيه رغم صعوبتها، و ها هو القتال مفروض عليها، بالرغم من انه مكروه على الإنسان.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ الحق هو محور الإنسان الرسالي و الامه المؤمنه لا- الحب و الكره المجردين، ذلك لان الحق ينفع الإنسان و الباطل يضره، بالرغم من ان النفس تميل الى الباطل و تزعم انه أصلح لها. و الله هو الذى يحدد الحق، اما الناس فهم لا يعلمونه دائما، لأنهم محجوبون عنه بالشهوات التى تزين لهم الباطل و تصوره حقا لهم.

الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ :

[٢١٧] هل يجوز القتال فى الأشهر الحرم أم لا؟ كلا و لكن ليس هذا هو السؤال الاساسى عند القرآن، ان السؤال هو: ما هو الهدف من القتال لأنه المقياس فى الدين؟ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ما هى الفتنة هنا؟ إنها مصادره حربه الإنسان و مصادره حقوقه و اكراهه على الكفر، هذه هى الفتنة

فى هذه الآيه، و القتل و القتال يستهدف تطهير الأرض من عناصر الفتنة، و بالرغم من ان القتل عمليه شاذه أساسا، لكن الإسلام يلجأ إليها لدفع ما هو أكبر ضررا منه و هو الفتنة.

من هنا فالقتال من أجل الحريه و الحقوق قتال مشروع، لأنه قتال من أجل المبادئ الرساليه التى تريد تصفيه عناصر الفساد، أولئك الذين لا يمكن مهادنتهم لأنهم لا يقفون عند حد معين فى فسادهم.

وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ شِئْتُمْ بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُقَدَّمُونَ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَّا يقاتلهم دفاعا عن مبادئنا، و ان لا نخضع لاهوائهم التى تشتت أن تسرق منا قيمنا.

وَمِنْ يَزِيدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الدَّارِ ٱلْأُخْرَىٰ ۗ خَالِدُونَ ۚ لَأن قيمة الإنسان انما هى برسالته التى يلتزم بها و يدافع عنها حتى الموت، فاذا تنازل الإنسان عن رسالته فقد تنازل عن قيمته رأسا، إنه إذا يذل إذلالا، و يحرم من حقوقه، و يتعرض لامتناع جهوده و اعماله و مكاسبه، فيكد من الصباح حتى المساء من أجل ان يستريح اسياده و مستعبده على الكراسى و يترفوا على حسابه، اما فى الآخرة فان الله يسوقه الى النار، و حتى عباداته البسيطة (الصلاه، الصيام،..

إلخ) سوف تحبط هى الاخرى، لأنه لم يحافظ على حريته، و لأنه أطاع الطاغوت فى أهم أجزاء حياته، و جعل طاعه الله محدوده ببعض الجزئيات. انه سوف يقضى حياته فى النار.

[٢١٨] هذا عن أولئك الذين يستسلمون لضغوط الطاغوت، و يتنازلون عن

دينهم و حريتهم و جهودهم للعدو، أما الذين يهاجرون في البدء ليشكلوا قوه فلا.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ □ □
بالانتصار على العدو في الدنيا، و الجنة في الآخرة، و هذا الأمل سوف يتحقق بفضل الله لهم.

ص: ٣٧٧

اشاره

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ
تَخَاطَبْتُمْ فِيهَا خَوَاتِمُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتُكُمْ عَنْهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ
حَتَّى يُؤْمِنَ وَلِمَا مَنَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبِدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ
أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْئَلُونَكَ
عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤) لَا
يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥)

اللغة

٢١٩[الخمر]أصله الستر والخمر ما و أراك من الشجر وغيره و منه الخمار للمقنعه و يقال:خامره الداء إذا خالطه و خمرت الإناء
أى غطيته و أصل الباب الستر.و منه الشراب المعروف و سمي خمرًا لأنه يغطي العقل و يستره.

[الميسر]القمار اشتق من اليسر و هو وجوب الشيء لصاحبه من قولك يسر لى هذا الشيء يسر يسرا و تيسرا إذا وجب لك و
الياسر الواجب لك بقداح و جب لك و قيل للمقامر ياسر و يسر أى قامر و قيل أخذ من التجزئه و كل شىء جزأته فقد يسرته.

٢٢١[تنكحوا]النكاح اسم يقع على العقد و الوطاء.وقيل أصله الوطاء ثم كثر استعماله حتى قيل للعقد نكاح و يقال نكح ينكح إذا تزوج.

[أمه]الأمه المملوكه.يقال أمه بينه.

٢٢٢[المحيض]حاضت المرأة تحيض حيضا و محيضا و محاضا.و هو الدم الذى يصيب المرأة فى أوقات معلومه.

[فاعتزلوا][الاعتزال التنحى عن الشىء و كل شىء نحيته عن موضع فقد عزلته عنه و منه عزل الوالى،و أنت عن هذا بمعزل أى تنح

ص:٣٧٩

[يطهرن] الطهر خلاف الدنس و الطهور يكون اسما و يكون صفه.

و يطهرن إذا اغتسلن و قيل توضأن.

ص: ٣٨٠

هدى من الآيات:

من ميزات الشخصيه الاسلاميه فى الفرد أو فى الامه، التقوى و إخضاع الشهوات للرساله و التمحور حول الحق، و قد حدثنا القرآن الحكيم فى الآيات السابقه عن التقوى فى عدّه مظاهر و اخرها حول الدفاع عن المبادئ بالقتال، و الآن يحدثنا عن مظاهر اخرى للتقوى و هى، فى الوقت الذى تحدد المحرّمات فى الإسلام، تضرب امثله واقعيه للتقوى.

يبدأ القرآن الحديث عن الخمر و المسير، باعتبارهما محرّمان يشيعان عاده فى الأمم المترهله اللامباليه بواقعها، و على المسلمين ان يكونوا امه جديده مسئوله، تحارب من أجل مصالح الحق كل طواغيت الأرض، فكان من الطبيعى ان يأتى ذكر الخمر و الميسر مباشره بعد آيات القتال.

و بعدئذ يوجهنا الى التقوى فى المال و حقوق الناس، و التقوى فى ممارسه الجنس كواحد من أهم حقوق المجتمع، و بمناسبه ذكر حقوق الناس، يذكّرنا بدور اليمين فى

تأديه هذه الحقوق و الدفاع عنها، لا فى هضمها و الاحتيال على المجتمع بالآيمان الباطله.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢١٩] الخمر و كل مسكر، و الميسر و كل مقامره، يلهيان الإنسان عن واقعه، و يدفعان بالمجتمع الى زاويه الصراع و التشرذم. و إذا أراد الله: بناء امه قويه متماسكه، و جب ان نسد كل أبواب الاختلاف و الترهل، و كل النوافذ التى قد تهب منها رياح الانقسام، و ليس من الصحيح ان يفكر المرء بأنه يشرب كأسا من الخمر أو يلعب شوطا من القمار. فما يضر ذلك؟ كلا.

اولا: لان الخمر تدمن و تسحبك الى الازدياد منها و كذلك القمار.

و ثانيا: لان الإسلام حين يمنع الزنا يمنع التبرج، لأنه باب يؤدي الى الزنا شئنا أم أبينا، و كذلك حين يمنع الخمر و الميسر يمنع حتى الجلوس فى محافلهم، حتى يسد كل الأبواب مره واحده.

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ .

متمثله فى ملء الفراغ، و قضاء الوقت، و الانتعاش الموقت.

وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا .

حيث انهما يسببان توزع المجتمع و انقسامه و إلهائه عن واجباته النضاليه.

ان الهدف الأكبر من وراء حرمه الخمر و الميسر هو المحافظه على وحده الامه و منع الحساسيات عنها (كما يظهر من آيه اخرى فى القرآن)، و بهذه المناسبه تحدث القرآن عن العفو باعتباره الوسيله الثانيه لذات الهدف، فلو افترضنا ان الحساسيه

نمت بين أبناء المجتمع، فعلينا تصفيتها بالعفو، وقد ورد في بعض الروايات ان المقصود بالعفو هنا التوسط في الإنفاق (!).

وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ .

و حين تقع الحساسيه بين أبناء المجتمع، تلهيهم عن مشاكلهم الرئيسيه و عن جديده مواجهتها، لذلك ذكرنا القرآن هنا باهميه التفكير، ليس في أمور الاخره فقط بل في شؤون الدنيا أيضا و قال:

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ [٢٢٠] فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

التقوى و الحقوق الاجتماعيه:

و تجربه التقوى في الحقوق الاجتماعيه الاخرى تبرز بوضوح في حقوق اليتامى.

إذ انهم أضعف حلقة في المجتمع، إذ لا- يقدرّون على الدفاع عن أنفسهم تجاه نهم الطامعين في أموالهم، لذلك نجد القرآن يضرب من واقعهم مثلا لحرمة الحقوق في أكثر من مناسبة. و هنا يقول:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى .

هل يبكون وحدهم، أم يخالطوهم، و بالتالى هل تفرز أموالهم و يقوم الولي بإصلاحها و استثمارها، أم تبقى مع اموال الولي يصلحها معها.

قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ .

و ليس يضركم لو نقص شيء منكم أو منهم في الشراكه. لان الحرام هو تعمد

الاعتداء على اموال الآخرين، اما لو خلصت النيه و كان المشرف عليها محسنا، في تصرفاته تجاه اليتيم، فان الله لا يحاسبه على خطئه ١٣(٢) «مَّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ» و جاء في بعض النصوص: انه حين نزلت آيه «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ» تخرج الناس في التعامل من اليتيم مما جعل الأيتام يتعرضون لخرج شديد، فنزلت هذه لكي لا ينفصل الأيتام عن المجتمع.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ .

إذا اعتديتم على حقوق اليتامى، فانه قادر على ان يسلب بعض نعمه عنكم حتى تعانوا مثلما جعلتم اليتامى يعانون من الحرمان. و ربما تدل الآيه على ان الله خفف عليكم الحكم بعد الشده و لم يأمركم بإداره اليتامى، مع فرز أموالهم عن أموالكم.

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

فهو قادر على استرداد الحقوق بعزته، و يفعل ذلك بحكمته.

التقوى و حقوق المرأة:

[٢٢١] و كما التقوى في حق اليتامى، فكذلك في حقوق المرأة، الحلقة الضعيفه الثانيه في المجتمع، التي يجب المحافظه على حقوقها بالكامل. و القرآن الحكيم ربط بين حقوق اليتامى و النساء في أكثر من مناسبة، و بهذه المناسبه يبين القرآن مجموعه التزامات تجب على المسلم في الجنس، ابتداء من اختيار الزوجه، و مروراً بالعملية الجنسية، و الخلافات العائليه، و الطلاق، و الرضاع. و هي تنظم كذلك علاقات المجتمع الاسلامى، و لكن يبدو ان الهدف من ذكرها هنا، هو التركيز على مظاهر الالتزام بحقوق الناس داخل المجتمع الاسلامى و بتعبير آخر: التقوى في حقوق الناس.

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ .

تلك المشركه بجمالها و روعتها،أو بمالها و شهرتها.

وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكُمْ .

المشرك،و السبب:ان أهم هدف من الزواج هو تكوين عائله و اسره تساهم فى بناء المجتمع و تربيته الجيل الصاعد منه.و علينا ان نختار الزوجه و الزوج وفق هذا الهدف و بمقياس الكفاءه الإيمانيه،لأنها سوف تحقق هذا الهدف أفضل من غيرها.

و المرأه المشركه،لا تستطيع ان تكون عضوه صالحه فى مجتمع الاسره.و كذلك الرجل المشرك،فيضيع الطرف الثانى و تضيع الاسره.

أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الذَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ إِذْ مَعَرَفَهُ فَلَسَفَهُ الْحَكْمَ لَا تَحْتَاجِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ تَذَكُّرٍ،بما سوف يجره الزواج الى الاسره التى تتكون من مشرك و مسلم من ويلايت،و نزاعات و ثغرات داخل المجتمع الاسلامى.

و من الشباب اليوم من يختار زوجته من الغرب أو الشرق لمجرد انها تعجبه،فاذا به يتعرض لعدة مشاكل بعد عودته الى بلاده.إذ فارق القيم و التقاليد و التربيه و عموم الدين،تجعل زواجه جحيما.و كثيرا ما ينتهى بالطلاق.

و هم فى الأغلِب يبررون هذا الزواج،بادعاء ان الزوجه آمنت.و لكن اى ايمان،هذا الذى يدفع اليه الزواج فقط،و ليس معه ايه ممارسه ايمانيه،و لا حتى

من غير السبيل الفطرى. فإنهم سرعان ما يتوبون الى الله. و الله يحب المتطهرين الذين يلتزمون بحدود الله كامله لأنه أى اطارها تنمو قيم النظافه الروحيه و الجسديه.

الروحيه بالتقوى، و الجسديه بالاعتسال.

[٢٢٣]لما ذا المباشره الجنسيه هل لمجرد المتعه. كلا. بل ابتغاء فضل الله من الأولاد الصالحين. ان وجود الهدف الأسمى للغرائز عند المسلم يجعله يمارسها فى حدود تحقيق الهدف، و لا يسترسل معها الى حيث يحطم جسده و يلوث روحه.

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ .

الهدف منهن انجاب الأبناء.

فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ .

فى أى مكان و أى زمان. و لكن دون ان تستبد بكم الشهوه الجنسيه، بل و تذكروا الاخره و ما فيها.

وَ قَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ .

فقسموا أموالكم و أوقاتكم و طاقاتكم، بين شهوات الدنيا و فى طليعتها شهوه النساء، و بين تطلعات الاخره. ان فى ذلك ضمانا لالتزامكم بحدود الله فى ممارسه الشهوات.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ .

و التزموا بمناهجه فى التمتع باللذائذ.

وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ .

ص: ٣٨٧

غدا حيث يعاقب الفاسق أشد العقاب.

وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ .

المتقين و الملتزمين بحدود الله.

[٢٢٤] و التقوى يجب ان تكون حاجزا داخليا بين الإنسان و بين انانيته و ذاتيته. خصوصا فى مجال الصراعات الاجتماعيه، و بالأخص فيما يتصل بالخلافات العائليه. و الذى سيجسد التقوى، هو عدم استخدام اليمين فى إثبات الادعاءات الباطله. و إذا التزم الناس باليمين الصادقه، كما هو المفروض فى المؤمنين، فإنهم سيجدون حاكما عادلا بينهم، إذ يفصلون كل قضاياهم بمجرد ان يستحلف أحد الطرفين الاخر، و يتوقف صاحب الادعاء الباطل عن اليمين الكاذب و يعترف بخطئه.

لذلك شدد القرآن على اليمين و قال:

وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

[٢٢٥] و يبشرنا القرآن الحكيم بالعفو عن القسم الذى يتندر عن اللسان، دون وعى أو قصد. و انما يحاسب الله الإنسان على القسم الذى يعقد عليه قلبه، و يتعهد عليه تعهدا واعيا. و هكذا القسم نوع من العهد. و لذلك الحقوه بالعهد.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ .

ص: ٣٨٨

لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧) وَ
 الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
 بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
 (٢٢٨) الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا
 حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا
 أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
 سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ
 النِّسَاءَ فَلَبِغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَغْضُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ
 الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَنْ أَرْكَى لَكُمْ وَ أَطَهَّرَ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

اللغة

٢٢٦ [يؤلون] آلى الرجل من امرأته إيلاء من الإلية و الألوه و هى الحلف، و ائلى و تألى و فى التنزيل « وَ لَا- يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ
 مِنْكُمْ» و هو أن يحلف الا يقارب زوجته.

[تربص] انتظر.

[فاءوا] الفىء الرجوع يقال فاء يفىء فىئا إذا رجع. و فاء الغنى إذا تحول عن جهة الغداه برجوع الشمس. و هو ما نسخ الشمس.

و فى غنائم المشركين أفاء الله علينا منهم و هو من رجوع الشىء الى حقه و فلان سريع الفىء عمن غضبه أى الرجوع.

٢٢٧ [عزموا] العزم هو العقد على فعل شىء فى مستقبل الأوقات و هو إرادته متقدمه للفعل أكثر من وقت واحد يتعلق بفعل اللازم.

يقال عزم على الشىء عزم عزمًا.

٢٢٩ [إمساك] خلاف الإطلاق و الممسك البخيل و المسك الإهاب لأنه يمسك البدن باحتوائه عليه.

[تسريح] مأخوذ من السرح و هو الإطلاق و سرح الماشيه فى المرعى إذا أطلقها ترعى.

[أن يخافا] أى يظنا و قيل معناه أن يوقنا.

ص: ٣٩٠

[المعروف]المراد به هنا الحق الذى يدعو إليه العقل أو الشرع للمعرفه بصحته خلاف المنكر الذى يزجر عنه العقل،أو السمع لاستحاله المعرفه بصحته،فما يجوز المعرفه بصحته معروف،و ما لا يجوز المعرفه بصحته منكر.

٢٣٢[تعضلوهن]العضل الحبس و قيل هو مأخوذ من المنع و قيل هو مأخوذ من الضيق و الشده و الأمر المعضل بصعوبته و عضلت الناقه إذا احتبس ولدها فى بطنها.و تقول عضل المرأه يعضلها إذا منعها من التزويج ظلما و يقال للداء الذى أعيأ الأطباء علاجه داء عضال.

هدى من الآيات:

يبين القرآن هنا مجموعه من الحدود فى العلاقة الزوجية، و التى هى طائفه من حقوق المرأه فى الاسره، تستعرضها هذه الآيات من زاويه الطلاق. لان حاله الطلاق، تعتبر قمه النشاط فى العلاقة العائليه، و التى تتعرض حينها الحقوق للضياع.

فالحديث عنها يعنى الحديث عن الالتزام بالحقوق فى الحالات العاديه.

المسلم المتقى: هو الذى يلتزم بحقوق الناس، ابتداء من عائلته، ثم ليس فى الحالات العاديه فحسب، و انما فى الأوقات الصعبه أيضا كالطلاق.

فى البدء يذكر القرآن: جانبا من احكام الإيلاء حيث يحلف الزوج الا يباشر زوجته، فعليه ان يكفر عن حلفه و يباشرها أو يطلقها. و هذه حاله يدخل فيها الحلف طرفا فى الحقوق الزوجيه، و ذكرت هنا بمناسبه الحديث عن الأيمان الباطله.

باعتبار الإيلاء مثلا لاستغلال اليمين فى الإضرار بالآخرين.

ثم يستعرض احكام الطلاق، حيث يجب على المرأه أن تعتد حتى يستكشف ما فى رحمها من حمل. و خلال فتره العده، يجوز للزوج ان يرجع إليها.

و لا- يجوز ان تستمر عمليه الطلاق ثم العوده الا مرتين، ففى الثالثه لا بد لهم من الاختيار النهائى، فان استطاعا الالتزام بالواجبات الزوجيه فليبقيا على العلاقه، و الا فتسريح بإحسان.

و فى الطلقه الثالثه لا- تحل له الا بعد ان تتزوج من غيره، و بعد العده لا يجوز الإمساك بالمطلقه، لأنها حره كما لا يجوز له ان يمنعها من الزواج بمن شاءت.

و بمناسبه الحديث عن الطلاق، يأتي الحديث عن الرضاع باعتباره موضع تفاهم بين الزوجين، ثم يعود الحديث الى حقوق الزوج المتوفى عن زوجته، فعليها ان تبقى فى حداد أربعة أشهر و عشرًا.

و بعدئذ يواصل القرآن الحديث عن المطلقات، و يحذّر من ان يصبحن اداه لمتعه أهل الشيطان، بل السبيل الوحيد لهن الزواج من رجال آخرين.

و من حقوق المطلقات أيضا المهر. حيث يجب ان يدفع كله، بالرغم من الطلاق.

الا فى حاله واحده هى الطلاق قبل الدخول حيث يدفع نصف المهر.

و من الطلاق ينتقل القرآن الى الالتزام بالصلاه. خصوصا الوسطى لكى لا ننسى ربنا. فهو الذى يبارك تلك العلاقات و يحل المشاكل، و يعطينا ايمانا نقاوم به مغريات الشيطان و سليات أنفسنا.

و بعد ان يذكر بعض الحقوق المستحبه للنساء، كالوصيه لهن بالبقاء فى البيت بعد وفاه الزوج، أو الإحسان إليهن بعد الطلاق، بعدئذ ينتهى الدرس.

ان أسلوب عرض القرآن لحقوق المرأة هنا يختلف عن أسلوبه في السور الأخرى.

لأنه هنا يبين لنا: ضروره الالتزام التام بحدود الله، و في الأوقات الحرجه، حيث يكاد الشيطان يتغلب على اراده الإنسان. و لهذا تجد القرآن يذكرنا هنا بالتقوى مره بعد اخرى، و يطالبنا بتذكر الله و تذكر انه عليم بعباده و إنه بصير خبير. و علينا ان نحذره حذرا شديدا، كل ذلك ليكرس روح التقوى- في نفوسنا. تلك الروح التي هي واحده من أهم ميزات الشخصيه المؤمنه.

بينات من الآيات:

التقوى في العلاقة الزوجيه:

[٢٢٦] لا يجوز ان يضر الزوج بزوجه، فيجعلها في بيته دون ان يؤدي إليها حقوقها، و التي منها حقها في المتعه الجنسيه. بل عليه ان يباشرها لا- أقل مره كل اربعه أشهر. فاذا حلف يمينا ان يمتنع عن المباشره الجنسيه، لسبب أو آخر، فانه يمنح له فرصه اربعه أشهر. بعدها يجب عليه: اما العوده إليها و كفاره حلفه، و اما طلاقها.

جاء في الحديث المأثور عن الباقر و الصادق عليهما السلام انهما قالوا: «إذ الى الرجل، لا يقرب امرأته، فليس لها قول و لا حق في الأربعه أشهر، و لا إثم عليه في الكف عنها في الأربعه أشهر، فان مضت الأربعه أشهر قبل ان يمسه فما سكتت و رضيت فهو في حل و سعه، فان رفعت أمرها قيل له: أما ان تفيء فتمسها، و أما ان تطلق، و عزم الطلاق ان يخلي عنها» (١) **لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** بالرغم من ان نقض اليمين حرام. الا ان هذا اليمين مرتبط بحقوق الناس.

ص: ٣٩٥

و الله يغفر نقضه،لنبيه الصالحه وراء هذا النقض.

[٢٢٧] وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَعَلَيْهِمُ الْاِتِّمَامُ بِحَقِّقِ الزَّوْجَةِ وَتَقْوَى اللّٰهِ فِيهَا.

فَإِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [٢٢٨] بعد الطلاق الذى يقع بسبب أو آخر، يجب على المرأه ان تعتد و لا تتزوج خلال فتره تتحدد بعادتها بثلاثه قروء و السؤال ما هى القروء الثلاثه؟ جاء فى بعض كتب اللغه.. أن هنا فرقا بين (القرء) بفتح القاف. فهو للحيض و(القرء) بضم القاف فهو للطهر، و أن جمع الاول يأتي على (أقراء)، بينما يأتي جمع الثانى على (قروء).

و هكذا تكون الآيه داله على أنه تكفى حيضتان و ثلاثه مرات طهر. فاذا دخلت فى الحيضه الثالثه بانت. و على ذلك افتى المشهور كما

جاء فى حديث شريف عن زراره عن أبى جعفر عليه السلام «إن عليا كان يقول: انما القرء: الطهر، فيقرر فيه الدم فتجمعه، فاذا جاء الحيض قذفته، قلت رجل طلق امرأته من غير جماع بشهاده عدلين، قال إذا دخلت فى الحيضه الثالثه انقضت عدتها و حلت للأزواج، قلت: ان أهل العراق يروون ان عليا عليه السلام يقول: انه أحق برجعتها ما لم تغتسل من الحيضه الثالثه، فقال: كذبوا « (١) و هكذا إذا حاضت المطلقه ثم طهرت، حتى ثلاث مرات فقد خرجت من العده و إذا لم تحض تنتظر ثلاثه أشهر، تخرج بعدها من العده، و تصبح حره فى التصرف فى

ص: ٣٩٤

نفسها.

ان العده حق من حقوق الزوج على الزوجه كما هو حكم من احكام الله.ذلك انه فى هذه الفتره يراجع الزوج نفسه و قد يعود إليها،و حكم من الله،إذ انها تحافظ على ماء الرجل عن الاختلاط بماء غيره،و بالتالى تمنع ضياع نسب الأفراد.و ظهور طبقه من الشذاذ فى المجتمع.

وَ الْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ يَنْتَظِرْنَ فِتْرَةَ ثَلَاثَةِ مَرَاتٍ تَذْهَبُ عَنْهُنَّ عَادَتُهُنَّ الشَّهْرِيَّةَ (الحيض) فاذا ظهر خلال الفتره اثار الحمل فعليهن إظهاره.

وَ لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنْنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يُعَوَّلُتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِضْلَاحًا ففى هذا الوقت،وقت العده،يحق للزوج الرجوع بشرط ان يكون رجوعه الى الزوجه بعد تصميم على بناء حياه زوجيه عادله.

وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ لَيْسَ مِنَ الصَّحِيحِ تَحْمِيلُ الزَّوْجِ وَاجِبَاتٍ دُونَ أَنْ تُعْطَى لَهَا حَقُوقٌ،مثلا، حين يفرض عليها واجب التربص و الانتظار،يعطى لها حق النفقه خلال الفتره و الواقع: أن هذا قانون انسانى عام حيث يجب ان تربط الحقوق بالمسؤوليه فى اى تشريع.

وَ لِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ إِذْ جَعَلَ الرَّجُلُ هُوَ الْحَاكِمَ فِي مَحِيطِ الْإِسْرَةِ. و بيده الطلاق،و عليه النفقه،و له

الطاعه.

□
وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ عزيز في قدرته على الرجال و النساء.حكيم في تشريع الواجبات و الزام الناس بها.

[٢٢٩]الطلاق،لا يتكرر الى ما لا نهايه،ذلك ان تكرار الطلاق يجعل الزوج في وضع الحاكم المطلق الذي لا تتحدد تصرفاته.انما يمكنه ان يطلق فقط ثلاث مرات حيث تحرم عليه المرأه الا بعد ان تتزوج برجل.

□□
الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ و بعدهما على الزوج ان يختار أحد الأمرين.

□□
فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ و زواج صالح و معاشره معروفه.

□□
أَوْ تَشْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ أو إنهاء العلاقة الزوجيه للأخير،و اعطاءها حقوقها و اضافه الإحسان الى الحقوق.

و عند الطلاق يبقى المهر عند المرأه و لا يحل للرجل ان يسترجع المهر الا في حاله واحده هي:تنازل المرأه عن مهرها في مقابل قبول الرجل بطلاقها.إذا هي أرادت الطلاق.و بالطبع في هذه الحاله يجب ان يتدخل الناس ليعرفوا ما إذا كان طلب الطلاق من قبل الزوجه مستند الى تضييع الزوج لحقوق الزوجيه.و عدم رعايه حدود

ص:٣٩٨

الله فيها، أم نابع من شهوه أو غضبه عابره.

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا مِّنَ الْمَهْرِ.

إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ حَيْثُ وَصَلَتِ الْعِلَاقَةُ الزَّوْجِيَّةَ مَرَحِلَهُ بَعِيدَةً مِنَ الْحَسَّاسِيَّةِ، بِحَيْثُ يَصْعَبُ مَعَهَا الْإِتِّزَامُ بِالْحَقُوقِ الْمَتَقَابِلَةِ.

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ وَاعْطَتْ مِنْ مَهْرِهَا، ثَمْنَا لِطَلَاقِهَا.

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ الظَّالِمُونَ لأنفسهم و للمجتمع من حولهم ذلك ان هذه الحدود وضعت ضمانا للعدالة الاجتماعيه، و رعايه لحقوق الجميع، و من يجاوزها فهو الظالم الآثم.

[٢٣٠] و بعد الطلاق الثالث، تحرم على الزوج حتى تتزوج من رجل آخر زواجا دائما، و يباشرها الزوج، ثم ان طلقها تحل للزوج الاول.

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا يَجُوزُ الْعُودَةُ إِلَيْهَا، لِلْإِضْرَارِ بِهَا، بَلْ لِكَيْ يُؤَسَّسَ، فَعَلًا، حَيَاةَ عَائِلِيهِ مَتِينَةً وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

اي للعلماء الذين يتفهمون الحقائق، و يعرفون مدى اهميه العلاقه الزوجيه، و مدى ما تحتاج هذه العلاقه الى الضبط و التحديد، لان اندفاع شهوه الجنس من جهه، و نزغ النزاعات و السلبيات من جهه اخرى تجعلان العلاقه الجنسيه مهتره.

و بالتالى تهددان البناء الاسرى بالزوال، و لذلك بين الله حدودا حاسمه لهذه العلاقه حتى يحافظ من جهه على استقامه شهوه الجنس، و عدم انحرافها فى متاهات بعيده، و من جهه ثانيه يقلل من السلبيات و يحسم النزاعات.

ان المجتمع الصناعى اليوم يعانى من اهتزاز العلاقه الجنسيه. و يعانى لذلك من الكثير من السلبيات الناتجه عن انعدام الاسره و منها انعدام التكامل الخلقى و تراكم العقد و اشاعه الأمراض الخطيره.

[٢٣١] بعد العده تصبح المرأه حره، و على الزوج ان يفكر مليا فيما إذا يريد زوجته أم لا. فاذا أرادها فعليه ان يراجعها قبل انتهاء الفتره الممنوحه له. و الا فليس له حق فى منعها من التصرف فى شؤونها لأنها أصبحت حره.

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَ لَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا لَنْ تَضُرُّوا بَهْنَ، وَ تَمْنَعُوهُنَّ مِنَ الزَّوْجِ بِغَيْرِ كَمٍ، لَآنَ ذَلِكَ عَدْوَانٌ وَ ظَلَمٌ.

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ذَلِكَ ان حدود الله التى تحافظ على حقوق الناس هى فى مصلحه الجميع. فاذا تجاوزها شخص و اعتدى على حقوق الآخريين، فقد يأتى شخص آخر و يعتدى على حقوقه هو. و هكذا تعم الفوضى. من هنا و قبل ان يفكر الواحد فى ظلم الناس، لا بد ان يجعل هذا الظلم فى الإطار الاجتماعى العام و يحلل الموقف. هل يريد ان يعود

للمجتمع الظلم و الفوضى و.و.أم لا- إذا أحب ذلك فليقدم، و لينتظر النتائج السيئه.من هنا يذكر القرآن هؤلاء الظالمين بنعمه الرساله و يقول:

وَ لَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ فَهَلْ تَحِبُّونَ الْعُودَةَ إِلَى حِيَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، حيث لا كتاب فيه دستور حياتكم، و لا حكمه تشرح تفاصيل سلوككم..؟! وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هذه الفكره هي -فى الواقع- ضمانه تنفيذ حدود الله المبينه فى الآيات السابقه، و هي جوهر آيات هذا السياق، الذى يتحدث لنا عن التقوى فى مظاهرها المختلفه.

[٢٣٢]هل تستطيع الزوجه ان تعود الى زوجها الاول بعد انقضاء فتره العده؟ بالطبع يجوز لها إذا اختارت ذلك، و دون ان يتمكن زوجها من جبرها على ذلك.الا ان هناك بعض الأقارب(أبوها أو إختوتها أو أ.)قد يمنعونها من ذلك. و هم ظالمون.

وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ وَ لَا تَوْذُوهُنَّ.

أَنْ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ ذَلِكَ بَعْقِدٌ جَدِيدٌ، يحتاج الى تراض منهما معا، و ليس من الزوج وحده، و يكون بذلك معروفا.

ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ حَيْثُ أَنْتُمْ لَوْ مَنْعْتُمُ الْمَطْلُوقَةَ مِنْ زَوْجِهَا فَقَدْ لَا يَخْطُبُهَا أَحَدٌ، أَوْ قَدْ تَسْقَطُ فِي مَهَاوِي الرَّذِيلَةِ. أَوْ قَدْ تَرْبِطُهَا عِلَاقَةً غَيْرَ طَبِيعِيَةٍ مَعَ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ.

□ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ □ لَا تَعْلَمُونَ إِضْرَارَ الْكَبْتِ الْجِنْسِيِّ حَيْثُ يُؤَدِّي إِلَى انفجار خطرٍ.

وَالْوَالِدَاتُ يُرِضْنَ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِقَ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بَوْلِدًا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدٌ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاهُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرُضُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَثْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْتُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَغْرُمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧) إِفْطُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨) فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مِمَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩) وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِنَّ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَاللَّمُطَّلَقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

٢٣٣ [حولين] الحول السنه مأخوذه من الانقلاب فى قولك حال الشىء عما كان عليه يحول و منه الاستحاله فى الكلام لانقلابه عن الصواب وقيل أخذ من الانتقال فى قولك تحوّل.

[تكلف] التكليف الإلزام الشاق و أصله عن الكلف و هو ظهور الأثر لأنه يلزمه ما يظهر فيه أثره.

[وسعها] الوسع الطاقه مأخوذ من سعه المسلك الى الطلب.

٢٣٥]عرضتم[التعريض ضد التصريح و هو أن تضمن الكلام دلالة على ما تريد و أصله من العرض من الشيء الذى هو جانبه و ناحيه منه.

[خطبه]الخطبه المذكور الذى يستدعى به الى عقده النكاح أخذ من الخطاب و هو توجيه الكلام للافصام و الخطبه الوعظ المتسق على ضرب من التأليف.

[أكنتم]الأكنان الستر للشيء و الكنّ الستر أيضا و الفرق بين الأكنان و الكنّ أن الأكنان الإضممار فى النفس و لا يقال كنته فى نفسى و الكنّ فى معنى الصون و فى التنزيل «يَبْئُضُ مَكْنُونٌ».

ص:٤٠٤

٢٣٨ [حافظوا] الحفظ ضبط الشئ في النفس ثم يشبهه به ضبطه و المنع من الذهاب و الحفظ خلاف النسيان و الحفيظه الحميه و الحفاظ المحافظه.

[قانتين] أصل القنوت الدوام على أمر واحد و قيل أصله الطاعه و قيل أصله الدعاء في حال القيام.

٢٣٩ [رجالا] جمع راجل و هو الكائن على رجله واقفا كان أو ماشيا.

[ركبانا] جمع راكب و كل شئ علا شيئا فقد ركب.

ص: ٤٠٥

هدى من الآيات:

و بمناسبه الحديث عن الطلاق يبين الله حكم الرضاعه، إذ كثيرا ما يشملها الخلاف العائلي، فهل على الزوجه ان ترضع وليدها نعم، بمثل ما يجب على الزوج ان ينفق على الزوجه و على وليدهما، بيد ان حدود الرضاع و مقدار الإنفاق تتحدد بقدر المكنه و الاستطاعه، إذ ان الله لا يكلف الناس أكثر من طاقاتهم.

و على الزوجين ان يتشاورا في شؤون البيت و بالأخص في شؤون وليدهما، و يتخذا القرار المناسب في إنهاء فتره الرضاعه، كما ان بإمكان الزوج، آنثذ، ان يستأجر من النساء من ترضع ابنه، بشرط ان يدفع أجورها كامله.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢٣٣] وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ

ص: ٤٠٧

فهذه هي فترة الرضاعة الفطرية التي يحتاج الوليد خلالها الى لبن الام الذي هو أفضل غذاء للولد، خصوصا في أيامه الاولى. ولا ينبغي للام ان تتهرب من واجبها كأم و تخاطر بمصير ولدها لاسباب كماله تافهه. إذ يعتمد مستقبل ولدها على هذا اللبن و قد ثبت علميا ان كثيرا من الضعف و المرض في الأولاد، يأتي نتيجة عدم الرضاعة من لبن الام.

وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَلَا بُدَّ لِلرَّجُلِ مِنَ الْمَوْلُودِ لَهُ وَ لِيَدِّهَا لَهُ وَ فِي صَالِحِهَا، عَلَيْهِ الْإِبْخَالُ بِالنَّفَقَةِ، حَسَبَ الْمَعْرُوفِ وَ وَفْقًا لِمَسْتَوَى مَعِيشَتِهِمَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَسْتَخْفَ بِعَاطِفِهِ الْأَبُورِينَ فَيَلْحَقَ بِهِمَا ضَرَرٌ عَبْرَ الْوَلَدِ. كَانَ يَمْنَعَانِ مِنْ زِيَارَتِهِمَا أَوْ يَمْنَعُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ أَوْ الْعَكْسُ مِنْ لَذَّةِ الْجِنْسِ رِعَايَةَ لِحَقِّ الْوَلَدِ.

جاء في الحديث المأثور عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية في قوله تعالى: «لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ» قال عليه السلام «كانت المرأة ممن ترفع يدها الى الرجل، إذا أراد مجامعتها، فتقول: لا- أدعك، أنى أخاف ان أحمل على ولدى، و يقول الرجل للمرأة: لا- أجامعك أنى أخاف ان تعلقى فأقتل ولدى فنص الله ان يضار الرجل المرأة و المرأة الرجل «(1) يظهر من النص الثانى ان معنى ذلك: عدم جواز منع الأب من زياره ولده أو العكس إذا كان عنده.

ص: ٤٠٨

الحديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام: «لا ينبغي للوارث-أيضا- ان يضار المرأه فيقول: لا ادع ولدها يأتيها، و يضار ولدها ان كان لهم عنده شيء، و لا ينبغي أن يقتر عليه» (1) وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ عَلَى الْعَائِلَةِ.

فَإِنْ أَرَادَا فَضَالًا لِابْنَيْهِمَا عَنِ الرِّضَاعِ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ:

عَنْ تَرَضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ شَانِهِ شَأْنِ سَائِرِ أُمُورِ الْبَيْتِ وَ لَكِنْ بِشَرَطِ الْإِسْبَابِ ذَلِكَ فِي تَضْيِيعِ حَقُوقِ الْأُمِّ الَّتِي أَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، بَلْ عَلَى الْأَبِّ أَنْ يَنْفِقَ عَلَيْهَا بِقَدْرِ مَا أَرْضَعَتْ ثُمَّ يُعْطَى الْوَلَدَ لِلْمَرْضَعَةِ.

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّهَا التَّقْوَى. وَ أَنَّهُ الْإِلْتِمَازُ بِحُدُودِ اللَّهِ فِي قَضَايَا الْإِنْسَانِ الْاجْتِمَاعِيَةِ. يَنْقُذُ الْإِنْسَانَ مِنْ مَخَاطِرِ الْفَوْضَى وَ اللَّامِسْؤُولِيَةِ.

حق الزوج بعد الوفاة:

[٢٣٤] التسلسل الطبيعي لسياق الطلاق و الرضاعه و العده، يؤدي بنا الى

ص: ٤٠٩

١-٢) الميزان ج ٢ ص ٢٥٦.

الحديث عن التزام المرأة بالحداد على زوجها بعد الوفاة، كحق مفروض من حقوقه عليها. من جهة وعده تعتدّها منه من جهة ثانية.

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَهِنَّ حُرَّاتٌ فِي التَّصَرُّفِ بِأَنْفُسِهِنَّ، وَ
يستطعن الزواج ممن شئن دون تدخل الآخرين في حريتهن. اللهم الا بقصد الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و التواصي العام
بين المسلمين، لذلك كرر القرآن هنا و في آيات سابقه كلمه بالمعروف و قال هنا:

فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بِالْمَعْرُوفِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُنَّ مِنَ الْمَسْئُولَاتِ عَنْ تَصَرُّفِهِنَّ فِي أُطَارِ الْقِيَمِ الْعَامَةِ لِلْمَجْتَمَعِ،
و التي تسمى ب(المعروف) في لغة القرآن، اي القيم الرساليه التي تعارف عليها المجتمع، اما لو تعدين المعروف الى المنكر، فالكل
مسئول عنهن و عن تصرفهن، و عليهم ردعهن عن المنكر.

وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ يعلم تعديكم على حقوقهن، كما يعلم اهتمامكم بتوجيههن الى المعروف، و إذا لا تبرروا تدخلاتكم غير
المشروعه في تصرفاتهن بغطاء الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

كيف تختار زوجتك:

[٢٣٥] الشهوه الجنسيه لا بد ان تجد لها سبيلا نافعا للمجتمع و الا فهي تضر و لا

تنفع و السبيل الصالح هو الزواج، و الزواج يبدأ بالاختيار و فى عمليه الاختيار يتدخل الشيطان سلبيا. و يدعو الطرفين الى الفاحشه، و على المسلم ان يصبر و يتقى ربه فى هذا الوقت الحرج، و لا يخرج من حدود الشريعة، بل يجعل لقاءه بأنثاه تمهيدا للزواج بها، و بناء الاسره الفاضله. و مناسبه الحديث عن الخطبه هنا، هى الحديث عن المطلقات اللاتى يبحثن عن الأزواج بطريقه أكثر شجاعه من الفتيات الأبكار، حيث ان الأخيرات يغلف شهوتهن الجنسيه، لباس الحياء و الكبرياء.

وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَى فى الدعوه المبطنه لهن بالزواج، كأن يقول لها: دارى واسع، أو انا محتاج الى زوج. أو سوف أجد أثاث بيتى.. و هكذا..

أَوْ أَكَنْتُمْ فِى أَنْفُسِكُمْ وَ جعلتم الزواج مجرد مشروع تفكرون فى تطبيقه.

عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَ لَكِنَّ لَكُمْ لَأَنْ تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا لَان الشيطان قد يدخل بين الرجل و المرأه إذا اختليا ببعضهما.

إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا هو التفكير فى الزواج ذاته و ليس أشياء اخرى.

وَ لَا تَغْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ و ينتهى موعد العده.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ

فلا تعتدوا على حدود الله في خطبه النساء. ولا تستعجلوا في إنشاء علاقة جنسيه، ثم تفكروا في الزواج، و لكن لو فعلتم شيئا من ذلك، فلا تياسوا من روح الله، و عودوا الى رشدكم و توبوا الى الله.

وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ [٢٣٦] و إذا تزوجتم بواحدة من المطلقات أو غيرهن و لكن قبل ان تباشروهن، تبدل الرأى بسبب من الأسباب، فمن الممكن التراجع عن تكميل الزواج بعد دفع جزء من المهر. و لكن لو لم تحددوا المهر سلفا، فعليكم دفع مقدار من المال يتناسب مع مقدوركم الاقتصادى. فالغنى يدفع بقدره و الفقير بقدره.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ مَتْعَهُ تَقْدَرُ حَسَبَ وَضْعِ الزَّوْجِ غَنَى وَ فَقْرًا ف..

عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ وَ لَا يَكُونُ هَذَا الْمَتَاعُ بِهَدَفٍ غَيْرِ شَرِيفٍ وَ مُقَدَّمَةٍ لِلْمَنْكَرِ.

حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ و يعتبر هذا المتاع، فى الواقع، نوعا من الإحسان الواجب، إذ لم يحصل الزوج على ما يقابله من المتعه، و لكنه قد يمكن ان يسبب للزوجه نوعا من الأذى باقدامه عليها و تراجعه عنها.

ان تحديد مقدار المهر فى هذه الحاله يعود الى العرف العام حسب ظروف كل منطقه.

جاء فى حديث مأثور عن الصادق عليه السلام فى رجل طلق امرأته قبل ان يدخل

بها؟»، قال عليه نصف المهر ان كان فرض لها شيئاً، وان لم يكن فرض لها فليمتعها على نحو ما يمتع مثلها من النساء «
(١)[٢٣٧] تلك كانت إذا لم تحدد فريضة المهر. اما إذا حددت و طلقها الزوج قبل المباشرة، فان عليه ان يدفع نصف المهر.

وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً مَعِينَةً مِنَ الْمَهْرِ.

فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَنْ تَعْفَى النِّسَاءَ عَنْ نِصْفِ الْفَرِيضَةِ.

أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ أَوْلِيَاؤُهُنَّ الَّذِينَ يُمْكِنُهُمْ إِتِّسَاءُ عَقْدِ النِّكَاحِ.

وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ذَلِكَ ان الزوج لم يستطع ان ينتفع شيئاً بزوجه.

وَ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ أَي لَا تَنْسُوا انكم ذوى علاقه بينكم و عليكم المحافظه عليها و عدم قطعها بسبب سوء المعامله ذلك ان
هناك مجالات تنفع الأطراف فى المستقبل.

ص: ٤١٣

١-٣) الميزان ص ٢٥٨.

إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ و سوف يجازيكم بالحسنات، لو تحاببتم و أحسن بعضكم الى البعض الآخر.

المجتمع الاسلامى يجب ان يكون متينا الى درجه لا تؤثر فيه السلبات الطارئه.

فحتى الخلافات يجب ان تسوى بطريقه تخلف وراءها امكانات لانشاء وفاق أفضل ربما فى ميادين اخرى.

ان المسلم يجب ان يتفضل على اخوته، و لا ينتظرهم يتفضلون عليه.

[٢٣٨] ان العلاقة بين المسلم و المسلم يجب ان يباركها الله، حيث ان المسلم أخ المسلم فى الله، و كلما ضعفت هذه العلاقة بسبب

الخلافات الطارئه يجب ان تعالج عن طريق زخم ايمانى جديد. يمتن اخوه الايمان بين المؤمنين.

لذلك يوصى الله هنا و فى زحمه الخلافات العائليه بالعوده الى الصلاه باعتبارها وسيله التقرب الى الله. و يقول:

و قوموا لله قانتين:

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ يبيدو ان الصلاه الوسطى هى الظهر، حين يتوغل المرء فى شؤون

الدنيا، فالمحافظه على الصلاه فيه، يعطى المسلم مناعه من التأثير بسلبات الدنيا.

[٢٣٩] و المحافظه على الصلوات لا تختص بأيام السلم بل حتى فى الحرب يجب الاهتمام بها إذ انها تعطينا روحا جديده تساعدنا

على القتال و على الانتصار:

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا

ص: ٤١٤

فى حاله المشى إذا كنتم مشاه الجيش، أو فى حاله الركوب، و فى هذه الحاله عليكم أداء الصلاه باى شكل ممكن، و لكن بعدها يجب الاهتمام بشراط الصلاه بالكامل.

فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ اذكروا الله و تذكروا نعمه الهدايه الى الدين الجديد. حيث أنقذكم من الضلاله ان تذكركم له ضمان للمحافظه عليه. و التمسك الشديد به.

[٢٤٠] بعد ان أمرنا القرآن بالمحافظه على الصلاه فى كل حال و خصوصا فى حال اشتداد الخوف، لكى يزودنا بالتقوى فى مسيره الحياه الصعبه، بعد ذاك عاد ليين لنا بعضا من احكام الزواج المستحبه، و أبرزها اثنان: ان يوصى الزوج ببقاء زوجته فى بيته بعد وفاته الى عام، دون ان يجبرها الورثه على الخروج منه. و ثانيا:

ان يحافظ المرء على علاقته الانسانيه بزوجه المطلقه، فيتعهدا بالاحسان بالرغم من انتهاء علاقتهما الزوجيه. فقال عن الموضوع الاول:

وَ الَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّهُ لَأَرْزُقَهُمْ مِّمَّا عَالَمًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ اى يوصى بان تبقى الزوجه تتمتع بالنفقه و بالسكنى الى عام. و إذا وصى الزوج ذلك، فانه لا يعنى ان يفرض على الزوجه البقاء فى البيت، بل ان يكون لها الحق فى ذلك فقط.

فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ فهى حره. بعد انقضاء عده الوفاه فيما تفعل لنفسها تستطيع ان تتزوج، أو ان تعمل أو تسافر أو ما أشبه.

وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ يهيمن على اعمال عباده، بعزته، و يقدر لهم الجزاء المناسب بحكمته، و هذه الزوجه المتوفى عنها زوجها، لا تستطيع ان تخرج من عزه الله و حكمته ان خرجت من بيت زوجها لتفعل المنكر، و لذلك ليس من الصحيح: حجزها فى البيت، لان الله يكفيها.. فهو العزيز الحكيم.

[٢٤١] و عن موضوع استمرار العلاقة الانسانيه مع المطلقات بالرغم من انتهاء الروابط الزوجيه يقول ربنا:

وَ لِلْمُطَلَّاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ هذا فيما إذا انتهت فتره العده. اما خلالها فانها كالزوجه ما يجب عليها الإنفاق بالكامل.

[٢٤٢] و بانتهاء بيان القرآن لحدود العلاقة الزوجيه التى يجب الالتزام بها، و تقوى الله فيها. بذلك ينتهى فصل من فصول التربيه الاسلاميه للشخصيه المسلمه و بيان لمكوناتها الرئيسيه. و فى الختام يذكرنا القرآن بان التقوى بدورها نتيجته لنمو العقل فى المسلم، إذ ان آيات الله فى القرآن تستثير العقل، و تحرك طاقه التفكير فى الإنسان المسلم، فيتوجه المرء الى ربه، و يتقيه، و بالتالى يلتزم بحدود الشريعه فى كافه جوانب حياته، لذلك قال الله:

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

ص: ٤١٦

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذِيذٌ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَغَدُورٌ غَدُورٌ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَلَمَّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ إِنَّا كُنَّا نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأُتْبِئْنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ ابْتَلَاكُمْ وَعَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسِطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

[٢٤٣] أَلَمْ تَرَ [الرؤيه هنا بمعنى العلم و أَلَمْ تَرَ أَلَمْ تَعْلَمَ].

[٢٤٥] يقرض [القرض هو قطع جزء من المال بلا- عطاء على أن يرد بعينه أو يرد مثله بدلا منه و أصل القرض القطع بالناب يقال قرض الشيء يقرض إذا قطعه بناه و أقرض فلانا إذا أعطاه ما يتجازاه منه. و الاسم منه القرض].

[يضاعفه] التضعيف و المضاعفه بمعنى الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر.

[يقبض]القبض خلاف البسط يقال قبضه يقبضه قبضا و القبض ضم الكف على الشيء و قبض الإنسان إذا مات.

٢٤٦[الملاء]الجماعه الأشراف من الناس.و أصله الاجتماع فيما لا يحتمل المزيد و إنما سمي الأشراف ملاء لأنه لا مزيد على شرفهم و قيل لأن هيبتهم تملأ الصدور.

٢٤٧[اصطفاه]أختاره.

ص:٤١٨

[بسطه]فضيله فى الجسم و المال.

٢٤٨[التابوت]ما يوضع فيه الميت.

[سكينه]مأخوذه من السكون..و السكينه و السكن واحد و هو زوال الرعب.

٢٤٩[فصل]الفصل القطع و فصل بالجنود أى سار بهم و قطعهم عن موضعهم و فصل الصبى فصلا قطعه عن اللبن.

[يطعمه]يقال طعم الماء كما طعم الطعام.

ص:٤١٩

[جأوزه]المجأوزه من الجأوز يقآل جآز الشئ ء يجأوزه إذآ قطعه.

[فته]الطائفه من الناس.

ص: ٤٢٠

هدى من الآيات:

بالرغم من ان هذا الفصل يعالج فيما يترأى ظاهرا-موضوعات شتى،الا أنّ هناك حقيقه واحده،تربط بين تلك الموضوعات،و
انما تعالج هذه الحقيقه من خلال معالجه تلك الموضوعات،و هذا هو منهج القرآن الحكيم. إنّه لا يعالج الحقائق المجرده بل
ضمن تجسدها الواقعيه،و توجيهاتها التربويه،لقد رأينا كيف تحدثت الآيات السابقه عن التقوى،انما تحدثت عنها ضمن
الحديث عن مجموعه قضايا،فى الحرب،و فى السلم.فى الصراع الخارجى مع العدو،و فى الصراع الداخلى مع الناس و بصفه
خاصه داخل الاسره.

و هنا يعالج القرآن:موضوع الايمان بان الله هو الذى يقضى فى الحياه بحكمه، فييده الأمور مباشره،و أنّه ليس بعيدا.كما تتصور
اليهود،عن مباشره سلطانه الالوهيه سبحانه..

ان لهذه الحقيقه تجسده واقعيه فى الموت و الحياه،و فى الغنى و الفقر،و فى الملك

يؤتية من يشاء، وفي الانتصار يهبه لمن يشاء، وفي الرسالة ينزلها على من يشاء..

و ان لهذه الحقيقه توجيهات تربويه تتجسد في: القتال في سبيل الله من دون خشيه الموت (لان الحياه بيد الله)، و الإنفاق دون خشيه من الفقر، و الطاعه للحاكم بإذن الله و الالتزام بتوجيهاته، و الايمان بكل رسل الله، و الإنفاق في سبيل الله..

و قد ذكرنا القرآن بتلك التجسيدات الواقعيه، و هذه التوجيهات، من خلال قصص تاريخيه ذات عبره و إثاره. و ضمنها التوجيهات التربويه..

و لكن يبقى سؤال: الم يكن من الأفضل: ان يتحدث القرآن بشكل تجريدي محض، عن الحقائق الواقعيه، كما يفعلها مثلا الفلاسفه، و كتاب علم الكلام الاسلامي؟ الجواب.. كلا.. لان القرآن كتاب حياه و كتاب تزكيه، و لأنه كتاب حياه فهو لا ينقلنا من الحياه الى غياهب التجريدات الذهنيه التي لا تمثل الا نفسها، و لا تعكس الا خيالات فارغه أشبه ما تكون الى الاشكال الهندسيه و الحسابات الرياضيه لا- تعنى شيئا حقيقيا، بل يتحدث إلينا عن ظواهر الحياه ظاهره ظاهره منها ما انتهت و تتكرر، كالظاهره التاريخيه، و منها ما هي متلا- حقه كالظاهره الطبيعيه، و منها ما نصنعها كالحرب و السلام.. كل ذلك لتلتصق افكارنا بالواقع الخارجى أكثر فأكثر، ثم يعطينا: رؤيه نابعه من حقيقه عامه، تجاه هذه الظاهره، رؤيه تاريخيه، رؤيه طبيعيه، رؤيه في افعال الإنسان. فهو بذلك لا يفصلنا عن الواقع، بل يعطينا منظارا مكبرا و سليما ننظر من خلاله الى الحياه، ذلك المنظار هي الرؤيه و هي الحقيقه العامه (مثلا حقيقه هيمنه الله على الحياه)..

و من جهه أخرى: لا- يريد القرآن ان يشبع قلوبنا بحب الله، أو افكارنا بالاعتقاد بالله. من دون ان يكون لذلك الحب، و هذا الايمان: انعكاس عملى في

حياتنا، لذلك فكلما تحدث عن ظاهره تاريخيه. و أعطانا فيها رؤيه حقيقيه، أضاف إليهما عبره تربويه. و أمرا بعمل نقوم به.. و سوف تجدون هذا المنهج فى الآيات التاليه.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢٤٣] خشيه الطاعون، نزع أهل القرية من قريتهم، بيد ان الطاعون لحقهم و أفناهم فى الصحراء، و بعد فتره طويله مرّ بهم نبى فوجدهم عظاما نخره، فدعا ربه ان يحييهم فاستجاب له ربه.. هذه الواقعه تعكس حقيقه ان الله هو الذى يحيى و يميت.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَغَدُورٌ عَلَيْهِمْ فَضَّلِ عَلَى النَّاسِ يَتَجَسَّدُ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُمْ.

وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ رَبَّهُمْ عَلَى أَنَّهُ يَنْعَمُ عَلَيْهِمْ بِالْحَيَاةِ. وَ قَدْ يَكُونُ الْمَوْتُ أَيْضًا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ [٢٤٤] بَيْنَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ: مَعْرِفَهُ وَاهْبِ الْحَيَاةَ، ثُمَّ التَّسَارُعُ فِي تَقْدِيمِ حَيَاتِهِمْ لَهُ، لَوْ طَلَبَهَا مِنْهُمْ، لِأَنَّهَا مِنْهُ وَ إِلَيْهِ تَعُودُ.

وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَسْمَعُ الْأَصْوَاتَ الظَّاهِرَةَ، وَ يَعْلَمُ النُّوَايَا الْبَاطِنَةَ، فَلَا تَخْلَطُوا مَعَ اللَّهِ فِي قِتَالِكُمْ عَدْوَانًا أَوْ رِيَاءً، بَلْ لِيَكُنْ قِتَالُكُمْ خَالِصًا لِلَّهِ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

ان القتال فى سبيل الله يجسد الايمان بان الله هو واهب الحياه.. و المطلوب من

المؤمن ان يبلغ ايمانه بهذه الحقيقه الى هذا المستوى حتى يثبت صدق ايمانه بالله..

[٢٤٥] والله واهب ما فى الحياه من نعم كما هو واهب الحياه ذاتها،فهو الذى يوسع على من يشاء،و يقتر على من يشاء و لكن ليس عبثاً،و انما بمقدار عطاء الفرد فى سبيل الله،و تجارته معه تلك التجاره التى دعا الله إليها فى كتابه فى أكثر من مناسبة و هنا يدعو إليها و يقول:

مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَ هَلْ هُنَاكَ بَنكٌ فِى الْعَالَمِ يُعْطَى عَلَى الْمَائَةِ،ثَلَاثَ مَائَةٍ وَ أَكْثَرَ،و لكن الله يفعل و يطلب منا ان ننفق فى سبيله حتى يعوّضنا أضعافاً.

وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يُبْصِطُ فَبِيَدِهِ الْفَقْرُ،إِذْ يَقْبِضُ عَنِ الْفَقِيرِ يَدَ نِعْمَتِهِ،و بيده الغنى،حين يبسط على الغنى يد رحمته.هذا فى الدنيا.

وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فِى الْآخِرَةِ فَيَجْزَى الْمُعْطَى فِى سَبِيلِهِ أَجْرًا عَظِيمًا..

هذه الآيه تشمل تجسيدا حيا لصفه هيمنه الله على الحياه،و كما تشمل توجيها للإنسان انطلاقا من هذه الحقيقه،هو العطاء بلا خوف من الفقر و الفاقه.

أمروا بالقتال فتولوا

[٢٤٦]اخرجوا من بلادهم ظلما و عدوانا و طالبوا نبيهم،بان يختار الله لهم قائدا يحاربون أعداءهم تحت لوائه..و لكن حين بعث الله لهم قائدا وجدّ الجد،

ص:٤٢٤

يؤتى ملكه لمن يشاء.

[٢٤٨] بذلك أفحهمهم، ولكنهم تساءلوا و قالوا: من يقول أن الله قد بعث طالوت ملكا؟. هنا بين لهم علامه ملكه.

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ لَقَدْ كَانَتِ السَّكِينَةُ فِي التَّابُوتِ بَقِيَّةً تَرَاثَ الْأَنْبِيَاءِ وَ كَانَتْ كَافِيَةً لَهُؤُلَاءِ النَّاسِ بِالْإِعْتِقَادِ بَانَ طَالُوتَ مُلْكِهِمْ، وَ لَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَمْ يَقَاتِلُوا مَعَهُ كَمَا يَأْتِي. وَ كَانَ التَّابُوتُ - كَمَا جَاءَ فِي التَّفَاسِيرِ - هُوَ الصَّنَدُوقُ الَّذِي وَضَعَتْ أُمُّ مُوسَىٰ، وَ لِيَدِهَا، بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ. وَ بَقِيَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ إِلَى أَنْ وَرَثَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ مُلْكَ فِرْعَوْنَ، فَأَخَذَهُ مُوسَىٰ وَ وَضَعَ فِيهِ مَوَارِيثَ الْأَنْبِيَاءِ، مَضَافًا إِلَى وَدَائِعِهِ. وَ أَوْرَثَهُ وَصِيَّهُ (يُوشَعَ).

و كان التابوت (أو صندوق العهد) يعتبر أكبر من اللواء. و الشعار عند بني إسرائيل. و قد استولى عليه الكفار من عبده الأصنام في ارض فلسطين. و كانوا دائمي الحنين إليه. فلما أخبرهم (شموئيل) نبيهم بان الملائكة سوف تعيد إليهم صندوق العهد استبشروا، لأنهم علموا انه دليل أنصارهم على أعدائهم.

و تضيف التفاسير: أن الكفار، لم يهنأوا بالصندوق، إذ توالى عليهم النكبات، فتطيروا بالتابوت. و استقر رأيهم ان يعلقوه بين بقرتين، ثم يهجموا بهما في الصحراء. لتذهب به انى شاءت الأقدار و كان ذلك الوقت مصادفا لذات الفتره التى انصب الله -عبر شموئيل- طالوت ملكا على بني إسرائيل، و وعدهم بان تحمل الملائكة إليهم التابوت. فوجه الملائكة البقرتين الحاملتين للصندوق باتجاه ديار بني إسرائيل. و هناك أقوال أخرى. فى هذه القصة التاريخيه إلا ان المهم عندنا عبره

ص: ٤٢٧

ماذا ترمز بالنسبة إلينا السكينه و البقيه،انهما ترمزان الى ضروره توفر صفتين فى القيادة.

١-الثقه بها،و اشاعه الاطمئنان فيمن حولها،و ذلك عن طريق التجرد للحق، و عدم الاستسلام للقوى الضاغطة،و عدم تفضيل طائفه من الناس على طائفه.

٢-هذه واحده و اخرى الاصاله و الارتباط بتراث الامه الحضارى و القدره على التعامل مع هذا التراث تعاملًا ايجابيا مستمرا،ان تجارب الامه النضاليه عبر القرون أفضل ينبوع يلهم الناس الصبر و اليقين و التضحيه من أجل القيم الرساليه.

[٢٤٩]اختار طالوت جنوده،و توجه لتقاء العدو،و لكنه كان مَحْنُكًا لم يغامر بمواجهه العدو قبل ان يقوم بمناوره عسكريه،الهدف منها اختبار جنوده،فَمَرَّ في طريقه بنهر عذب و كان جنوده يعانون من عطش شديد،فنهاهم عن ان يشربوا أكثر من كف من الماء فقط،و كانت المفاجأه: أن أكثرهم فشلوا فى الاختبار.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ الْمَاءَ بِمِقْدَارٍ مَا تَحْتَوِيهِ يَدُهُ فَقَطْ.

عُرِفَهُ بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَ هُنَا امر طالوت الذين لم يصبروا عن العطش قليلا،بان يعودوا ربما الى احضان أمهاتهم،انهم ليسوا رجال حرب،الحرب بحاجه الى خشونه و طاعه،و لا تنفعها الميوعة و الخذلان،و سار بعيدا عن النهر بجيش صغير،و لكنه قوى المعنويات نوعا ما.

فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ وَكَانَ جَالُوتَ يَمَثُلُ جَيْشَ الْكُفْرِ الَّذِي خَرَجَ إِلَى جُنُودِ طَالُوتَ لِلْحَرْبِ، فِي جَيْشِ ضَخْمٍ، كَثِيفِ الْعَدَدِ، وَلَكِنْ قَلِيلِ الْمَعْنَوِيَّاتِ، وَبِالطَّبَعِ أَرْهَبَ عِدَدِ الْجَيْشِ الضَّخْمِ وَمُعَادَاتِهِ الْكَثِيرَةِ، الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ بَشَرٌ، يَبِيدُ أَنْ رُوحَ الْإِيمَانِ اسْعَفَتْهُمْ وَذَكَرْتَهُمْ بِالْآخِرَةِ وَبِأَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَقَاوِمَةِ حَتَّى يَجْزِيَهُمُ الْجَنَّةَ، هُنَالِكَ أَطْمَأَنَّنُوا بِالْإِيمَانِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ وَيتصورون أنفسهم امام الله أبدا، ويستمدون منه القوة والعزم قالوا:

كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ إِذْ لَا يَهُمُّ عِدَدُ الْجَيْشِ بَلْ إِيْمَانُهُمْ بِقَضِيَّتِهِمْ، وَتَضْحِيَّتِهِمْ مِنْ أَجْلِهَا.

اشاره

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذَا لَمْ نَكُن لَهَا بَٰرِزِينَ ۗ وَجَاءَتْهُمْ جُنُودُهُمْ مُّشْرِكِيَّيْنًا يَغْتَبِطُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَئِن لَّا نَكُن لَّآيَاتِ اللَّهِ قَائِمِينَ ۗ لَئِن لَّا دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعِيدٍ مِمَّا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)

اللغه

٢٥٠ [برزوا] البروز أصله الظهور و منه البراز و هى الأرض الفضاء.

٢٥٤]خله[خالص الموده و الخليل الخالص الموده من الخله لتخلل الأسرار بينهما و قيل لأنه يمتنع من الشوب فى الموده.

ص: ٤٣١

هدى من الآيات:

لنصر شرطان: الصبر و اليقين اما الصبر فهو تحمل المصاعب و المكاره الجسديه و النفسيه و التطلع الى المستقبل و التعويض به عن مشاكل الحاضر، و اما اليقين فهو يعطيك الاندفاع و التضحيه و الثقه بالمستقبل و هؤلاء جنود طالوت سألوا الله ان يزودهم بالصبر و اليقين - و فى ذات الوقت كانوا يسعون من أجل توفر هاتين الصفتين فى أنفسهم إذ كل دعوه الى الله بتحقيق شىء لا تستجاب لو لم يسعى المرء عمليا من أجل تحقيقه و قد جاء فى الحديث.. يكفى من الدعاء مع العمل ما يكفى من الملح فى الطعام..

بينات من الآيات:

[٢٥٠] وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا اى اشمنا بصبر منك حتى لا نتزعزع بايه صعوبه.

وَبَيَّنَّا أَقْدَامَنَا أَيَّ ارْزُقْنَا الْيَقِينَ حَتَّى تَطْمَئِنَّ نَفُوسُنَا وَتَتَرَسَّخَ خَطَانَا عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ وَهَذِهِ وَتِلْكَ تَمْهِيدٌ لِلْهَدْفِ الْأَكْبَرِ وَهُوَ النَّصْرُ الَّذِي سَأَلُوهُ آخِرًا وَقَالُوا..

وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [٢٥١] أثمرت دعواتهم و جهودهم..

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ إِنْ لَمْ يَنْصُرُوا عَلَيْهِمْ إِذْ إِنْ الصَّبْرَ وَ الْيَقِينَ كَانَا مِنْ عَطَاءِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَ الدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَ بِالتَّالِيِ اسْتِجَابَةِ اللَّهِ وَ كَانَ هُنَاكَ شَابٌ صَالِحٌ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ بَرَزَ فِي الْمَعْرَكَةِ اسْمُهُ دَاوُدَ.

وَ قَتَلَ دَاوُدُ الْجَالُوتَ وَ لِأَنَّهُ قَتَلَ الْجَالُوتَ وَ كَانَ صَالِحًا فَقَدْ التَفَتَ حَوْلَهُ الطَّائِفَةُ الْمُؤْمِنَةُ وَ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ رِئِيسُهُمْ طَالُوتَ وَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِمَ.

وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَ جَعَلَهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ بِإِذْنِ اللَّهِ كَمَا تَأْتِي قِصَصُهُ فِي مَنَاسِبَاتٍ أُخْرَى..

و لكن هنا يريد القرآن ان يذكرنا بان الملك لله يؤتیه من يشاء و علينا ان نطلبه منه كما أن النصر و الغنى و الحياه منه.

لقد بين القرآن الحكيم فى مناسبات عديدة فلسفه الجهاد و ابرز اهدافها و بمناسبة الحديث عن داود ذكر هذه الفلسفه هنا أيضا و قال:

وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ حيث يهيه من عباده المؤمنين امه رساليه تقوم بالدفاع عن مبادئ اللّٰمه المتمثله فى الحق والعداله والحريه و..و..و تحارب كل من تسول له نفسه بالظلم والجور والاستعباد وتنقذ الناس منه ان هذا فضل كبير على الناس و لو لا هذه الامه إذا لأصبحت الحياه البشريه اسوأ من حياه الغاب يأكل فيها القوى الضعيف و يأكل الضعيف من هو أضعف منه، ويعيش الناس الخوف و الفقر و الحرمان.

و كلما كانت هذه الامه أكثر نشاطا و ايمانا تكون مبادئ اللّٰه أفضل تطبيقا اما إذا تراخت الامه عن واجبهها(كما نحن فى عصرنا)فان الفساد سيعم الأرض.

٢٥٢]و كما الحياه و الغنى و الملك و النصر من الله كذلك الهدى منه فهو الذى يهدينا الى منهاج الحياه و أساليب مكافحه الفقر و الوصول الى الملك و النصر و ذلك عن طريق رسالاته التى يختار لها رجالا أمناء من عباده و يبعثهم أنبياء بها. تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ [٢٥٣] تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ كَمَا موسى عليه السلام.

و رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ كَمَا إِبْرَاهِيمَ إِتَّخَذَ خَلِيلًا وَ جَعَلَ لِلنَّاسِ إِمَامًا.

وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَيْدَهُ بِالْعَصْمَةِ التى منعه من اى نوع من الفحشاء و المنكر و لقد أيد الله سائر

الأنبياء بها أيضا بيد ان عيسى كفر فيه بعض الناس و زعموا انه هو القدوس بذاته و دون تأييد من الله فنفى ربنا ذلك.

إذا الرساله من الله و هى تعطى للأنبياء على شكل متفاوت حسب كفاءات الأنبياء و مصالح الله فى العباد و هنا يبرز سؤال: إذا كان الله يهدى الناس فلما ذا اختلف اتباع الرسل من بعدهم لماذا لم يهدهم الله جميعا هدى واحدا و تركهم يقتل بعضهم بعضا..

يجيب القرآن: ان الله لا يهدى الناس كرها و انما يوفر لهم فرصه الهدايه فمن اهتدى فلنفسه و من ضل فعليها هكذا أراد الله للدنيا ان تكون مختبرا للمعادن الناس و قاعه امتحان لمدى ايمانهم و لا يسأل الله عما أراد.

وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ اتِّبَاعٍ حَيْثُ تَقَاتَلُوا.

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَلَمْ يَكُنْ اخْتِلَافُهُمْ لِنَقْصٍ فِي هِدَايَةِ اللَّهِ لَهُمْ بَلْ لَخَلَلُ فِي إِيمَانِهِمْ بِهَا وَ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَاتِهَا.

وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا وَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ عَلَى الْحَقِّ..

فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ فَلَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ صَاحِحَةً بِمَجْرَدِ انْتِهَابِهَا (كانوا) من اتباع الرسل بل كانت

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ و هنا ابرز القرآن-مره اخرى-هيمنه الله على الحياه و ان ما يجرى فيها من خير و شر، لا يدل على اعتزال الله سبحانه للسلطات و لا على انه مغلوب على امره لا يسعه منع حدوث الشر كلا و لا على انه راض بما يقع على الناس فى الدنيا من شرور بل لأنه يريد اختبارهم فتركهم الى أجل مسمى و هو قادر على أخذهم إذا شاء بسطوته العزيزه و قدرته الواسعه التى لا يعجزها شىء.

[٢٥٤] ما ذا تعنى هذه الحقيقه بالنسبه لنا، انها تعنى اننا لسنا مخلوقين عبثا و لا متروكين هكذا الى الأبد بل ان هناك فرصه قصيره أمامنا لتجربه ايماننا و ارادتنا فعلينا استغلال هذه الفرصه بالعطاء و الإنفاق قبل ان تنتهى الفرصه..

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ شَيْئًا حَتَّى يَبِيعَهُ.

وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ و ليس هناك من صديق و حتى لو كان فلا يستطيع ان يفعل لنا شيئا. لأنه هو الآخر مبتلى و مغلوب على امره إذا دعنا نفكر فى ذلك اليوم و ننفق..

وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ و الكافرون هم الظالمون يظلمون أنفسهم و لا يبعثون لحياتهم الاخرى خيرا..

و مناسبه الحديث عن الإنفاق قد تكون تكميلا للحديث عن القتال فى سبيل الله فى الآيات السابقه إذ يتحدث القرآن عنه إذا تحدث عن القتال على الأكثر.

اشاره

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَ أُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعِيدٌ مُؤْتِنًا فَاذْكُرُوا اللَّهَ مِمَّا تَدِينُوا اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْ بِهِنَّ رَهْنًا فَجَعَلَ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)

اللغة

٢٥٥[الحى]هو من كان على صفه يجب لأجلها أن يدرك المدركات إذا وجدت.

[القيوم]من القيام و هو القائم بتدبير خلقه.

[سنه]النوم الخفيف و هو النعاس.

[نوم]النوم خلاف اليقظه،و هو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد اليه و قيل هو موت خفيف و الموت نوم ثقيل.

[يحيطون]يقال لمن أحرز شيئاً أو بلغ علمه أقصاه قد أحاط به.

٢٥٨]بهت[انقطع و تحير و يقال بهت الرجل أبهته بهتانا إذا قابلته بكذب فالبهت الحيره عند استيلاء الحجه لأنها كالحيره للمواجهه بالكذب لان تحير المكذب فى مذهبه كتحير المكذوب عليه و منه قوله أ تأخذونه بهتانا كأنه قال أ تأخذونه ادعاء للكذب فيه.

ص: ٤٣٨

٢٥٩]خاويه[أصل الخواء الخلاء و الخواء الفرجه بين الشئين لخلو ما بينهما و خوت الدار تخوى خواء فهي خاويه إذا باد أهلها لخلوها منهم و الخوى الجوع خوى يخوى خوى لخلو البطن من الغذاء.

[عروشها]أبنيتها و قيل الخيام و هى بيوت الاعراب و قيل خاويه على عروشها أى بقيت حيطانها لا سقوف عليها و كل بناء عرش و عريش مكة أبنيتها و العريش البيت لارتفاع أبنيتها.

ص: ٤٣٩

هدى من الآيات:

من خلال القصص السابقة، ذكرنا القرآن ببعض أسماء ربنا الحسنى و فى طليعتها انه يهب الحياه و الغنى و الملك و النصر و أخيرا الهدى. و الواقع ان الغنى و الملك و النصر و الهدى ليست الا- بعضا من مظاهر الحياه التى يهبها الله للإنسان. و فى هذه الآيات يتابع القرآن تذكركه بربنا و بيانه لصفاته الحسنى، و التى منها قدرته على بعث الناس من جديد.

فالآيه الاولى و التى تسمى بآيه الكرسي، و قد جاء فى السنه الشريفه اهتمام بها و توجيه الى قراءتها، لأنها تلخص صفات الله التى تساهم معرفتها فى تربيته النفس البشريه. فهو الذى يدبر الحياه و يحفظها فى كل لحظه، و لو لا حفظه للحياه إذا لزلت. بعدئذ يوجهنا القرآن الى الناحيه العمليه للايمان بان الله حى قيوم، و هى ضروره التسليم لله وحده، و التمرد ضد كل سلطه لا تستمد شرعيتها من قيم الله، و التى يسميها القرآن بالطاغوت. ثم بين القرآن ان الايمان بالله و بقدرته الواسعه

يدعوننا الى الايمان باليوم الآخر، حيث ان الله قادر على ان يحيى الموتى. فليست هنالك ايه صعوبه فى اعاده الناس الى الحياه للحساب.

بينات من الآيات:

[٢٥٥] فى حاله الرخاء لا يكتشف البشر شيئاً اما فى الشده فانه يستثير عقله، و يحاول ان يفهم الحياه بعمق، حتى يرفع حاجته و إذا اشتدت حاجه الإنسان و استبدت به الضراء، واعيته مذاهب الحياه، فأثـه -اثـذ- يتوجه الى ربه، و يجأر اليه، و تسقط امامه كل الأصنام التى كان يعبدها.

بهذه المناسبه سمي العرب ربهم ب(إله) لأنهم يألهون اليه، و يتوسلون به أشد التوسل، عند ما تصيبهم الضراء. و الكلمه المفضله فى لغه القرآن للدلاله على ربنا هى كلمه(الله) و هنا تبدأ آيه الكرسي بهذه الكلمه لاستثاره ضمير الإنسان بأن الذى تجأر اليه و تتوسل به، هو وحده الجدير بان يكون ربك الحقيقى.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَكِنْ مَا هِيَ صِفَاتُ رَبِّي؟ أَنَّهُ يَتَمَيَّزُ بِسَلْسَلَتَيْنِ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَسَنَى تَتَّصِلُ الْوَاحِدَهُ بِأَسْمَائِهِ الذَّاتِيَّةِ، فَهُوَ عَالِمٌ، قَدِيرٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، يَرِيدُ مَا يَشَاءُ، وَ لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَ هُنَاكَ كَلِمَةٌ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ الصِّفَاتِ هِيَ (الْحَى). وَ السَّلْسَلَةُ الثَّانِيَّةُ تَتَّصِلُ بِكُلِّ أَعْمَالِهِ وَ مَظَاهِرِ خَلْقِهِ لِلْأَشْيَاءِ، فَهُوَ فَعَالٌ لَمَّا يَشَاءُ، خَالِقٌ، رَازِقٌ، رَحْمَنٌ، رَحِيمٌ، مَنْعَمٌ وَ... وَ... وَ تُشِيرُ إِلَى هَذِهِ السَّلْسَلَةِ كَلِمَةُ (الْقِيَوْمِ) وَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَائِمٌ بِذَاتِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ، وَ تَقُومُ بِهِ الْأَشْيَاءُ فَلَا يَسْتَغْنَى عَنْهُ شَيْءٌ. وَ هُنَا يَذَكِّرُنَا الْقُرْآنُ بِاللَّهِ عِبْرَ صِفَتَيْنِ (الْحَى-الْقِيَوْمِ)، وَ يَبَيِّنُ بَعْضًا مِنْ مَظَاهِرِ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ فَيَقُولُ:

الْحَى الْقِيَوْمُ

ص: ٤٤٢

فمن مظاهر صفه الحى تعالىه عن النعاس (السنه و النوم).

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ وَمِنْ مَظَاهِرِ الْحَيِّ، أَنْ رَبَّنَا وَاسِعَ الْقَدْرَةِ فَهُوَ مَالِكٌ كُلِّ شَيْءٍ، نَافِذٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَمْرُهُ وَمَشِيئَتُهُ، لِأَنَّ

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلِذَلِكَ فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ.

مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَحْتَمِ عَلَيْهِ أَمْرًا بَلْ إِنَّمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَدْعُوهُ، فَيَسْتَجِيبُ لَهُ أَنْ يَشَاءَ أَوْ لَا يَسْتَجِيبُ.

ان ملوك الأرض يعتمدون، فى سيطرتهم على الناس، على مجموعه من ذوى النفوذ، وهؤلاء يشفعون فيمن يخصصهم. و لكن الله، تعالى سلطانه عن اى تدخل من اى أحد، حتى الأنبياء و المرسلون و الملائكة المقربون، ليسوا سوى عباد مكرمين.

و من مظاهر اسم الحى، علم الله بكل شىء و تعالىه عن العقول ان تسمو الى جنبه.

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ يَعْلَمُهُمْ وَيَعْلَمُ مَا سَبَقَ وَمَا يَأْتِي مِنْ حَيَاتِهِمْ، وَعِلْمُ اللَّهِ وَاسِعٌ يَشْمَلُ كَافَةَ جَوَانِبِ الْبَشَرِ.

وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ

و بينه هو لهم.

هذا هو الحى، مطلق الحياه، ابدى الحياه، واسع العلم و المقدره سبحانه. انه ربنا الجدير بنا ان نتخذه وليا، و ليس هؤلاء العباد المرابين الأموات، الذين يستبد بهم النوم و الجهل، و لا يملكون شيئا.

و صفه «القيوم» نابعه من صفه الحياه، ان الله الحى بذاته الذى يملك ما فى السماوات و الأرض و يحيط علمه بما فيهما، هو القيوم عليهما.

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ (١) السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ عرشه و سلطانه و امتداد نفوذ مشيئته، واسع للسماوات و الأرض. فكل شىء تحيط به قدرته، و يدبر أموره و يصرف شؤونه ليل نهار، دون ان تتعبه اداره ملكوت السماوات و الأرض، أو ان تحجبه المجرات الكبيره بما فيها من شمس و أقمار، عن اداره ما فى الذره المتناهيه فى الصغر بما فيها من نواه و توابع.

و لَا يُؤْدُهُ حِفْظُهُمَا لأنه تعالى عن التعب و الإعياء، انه يقول للشىء كن فيكون.

وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ على لأنه حى تعالى عن اى صفه عجز. و عظيم لأنه قيوم على كل شىء.

[٢٥٦] هذا هو ربنا و هذا علاه و عظمته و هذه قدرته و سلطانه، أفتتخذ بعد ذلك

ص: ٤٤٤

١- ١) جاء فى حديث مأثور عن الامام على عليه السلام: «ان السماء و الأرض و ما بينهما من خلق مخلوق فى جوف الكرسي، و له اربعة أملاك يحملونه بأمر الله». (الميزان الجزء ٢- ص ٣٤١)

إلها من دونه، أو قائدا لا يرضى ربنا به. ان القلب الذى عمّر بالايمن بالله، كيف يعظّم أحدا سواه، أم كيف يعبد إله من دون الله، و كيف لا يثور ضد هؤلاء الاقزام الذين يطغون فى الأرض بغير الحق و يأمرون الناس بطاعتهم.

□ لا إكراه فى الدينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ □ و لا يحتاج الى بيان آخر، ان الله هو لا اله الا هو و على الناس ان يطيعوه و يتخذوه وليا من دون الشركاء و الطواغيت.

□ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى □ لا انفِصَامَ لَهَا □ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ □ لأنه استعداد حرّيته و انسانيته، و استطاع ان يستثمر طاقاته فى السبيل الأقوم.

و ايه قوه هى أقوى من الإنسان حين يكفر بالطاغوت، و يتمرد على كل سلطه تستعبده و تستغله، ثم يؤمن بالله و يعمر قلبه بالثقه و الأمل و التواضع للحق و التسليم له؟! ان القوه الحقيقيه فى هذا الكون هى قوه الحرّيه (الكفر بالطاغوت) و قوه الحق (الايمن بالله). و الله يؤيد بنصره من يشاء، و هو سميع لما يقولون من كلمه كفر أو ايمن، و عليهم بما يضمرون من نيه صالحه أو خبيثه.

[٢٥٧] ان فى الحياه سلطه حقيقيه واحده- متمثله فى سلطان الله- و قدره و قضائه، و بالتالى سننه الحتميه، و انظمتها التى لا تتحول و لا تتبدل. و من خضع لهذه السلطه، و اتصل بها، و استمد منها القوه و الشرعيه، استطاع ان يسخر الحياه، و يصبح خليفه عليها من قبل تلك السلطه. و من كفر بها و تمرد عليها، و فتش عن سلطات وهميه و استسلم لها، ظل عبدا و تاه فى ظلمات لا يبصر.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ لِأَنَّهُ وَلِيَهُمْ و سِيدُهُمْ، و هم اتصلوا بسلطانه، و استمدوا منه القوه و الشرعيه و النور.

و الهدى الذى لا يحصل عليه الإنسان ما دام مستعبدا للطواغيت.

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ إِذَا فالإنسان الذى لا يخضع لله، لا يتمرد على الطاغوت، لأنه أساسا يكفر بالله استجابته لضغط الطاغوت المتمثل فى المجتمع الفاسد، و النظام الفاسد و الاقتصاد الفاسد و..و.. من يستعبده الطاغوت، فأول ما يسلبه منه، قدرته على التفكير و استقلاله فيه، فلا يرى الا ما يراه الطاغوت. و لا يعمل الا بما يملى عليه. من هنا يفقد عقله الذى وهبه الله للإنسان.

ان الشرط الاول للفكر السليم، هو التحرر من الاستعباد و التبعية. لان العقل لا يتحرك الا بوجود الثقة و الحاجه. و الرجل الذى أتى له الثقة بذاته أو الشعور بالحاجه الى التفكير، ما دام لا- يحتاج الى التفكير، و لن يطبق نتائج الفكره لو قدر له عرضا ان فكر فى شىء.

و التفكير السليم، هو الشرط الاول للقوه فى الحياه. من هنا ركز القرآن الحكيم على ان الايمان بالله يعطى صاحبه التحرر، و التحرر يعطيه القوه (التمسك بالعروه الوثقى) و العلم (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).

و لكن اى ايمان هذا الذى يعطينا القوه و العلم.. انه الايمان الواعى، لا الايمان المكروه عليه فهو الآخر نوع من الاستعباد و الخضوع للطاغوت. أ رأيت لو آمن شعب بالله لان السلطه السياسيه فيه أجبرته عليه، هل هذه حريه أم استعباد..؟ بالطبع

استعباد، لان هذا الشعب سوف يكفر بالله لو ان السلطه السياسيه امرته بالكفر. من هنا تحدث القرآن في بدايه الحديث عن الحريه الدينيه و قال: لا إكراه فى الدين.

[٢٥٨] من الذى يمثل السلطه الشرعيه الحقيقه فى الحياه، الله أم الطواغيت؟ انه الذى يمنح الحياه لمن يشاء و يقدر له الموت حينما يشاء، الذى يجعل الحياه تستمر بتزويدها بمقوماتها من نعم لا تحصى، الذى يدبر الشمس التى تطلع كل نهار لتملأ الدنيا دفئا و نورا و حياه من هو غير الله سبحانه.. و لكن الظالمين لا يفقهون.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ .

فبدل ان يشكر ربه على الملك الذى آتاه، انقلب على ربه و طغى فى الأرض.

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ و ليس ربي مثلك أنت الطاغوت العاجز.

قَالَ أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ أمر باثنين حكم عليهما بالاعدام، ثم عفى عن واحد و قتل الثانى، و لكن هل كان بإمكانه ان يعيد المقتول الى الحياه؟ كلا. بيد ان إبراهيم لم يشأ ان يجادله بل انه هز فطرته بصوره عنيفه تجعله امام الواقع بلا لبس و لا تشويه.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ و لكن لماذا لم يؤمن؟ لأنه كان ظالما، و الظالم يحجبه ظلمه عن الحق. انه لا يفكر الا بمصالحه و اهوائه و شهواته.

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الرؤساء و الملوك الذين يحاربون الدعوات الاصلاحيه، و الأغنياء و المترفون الذين يناهضون الثورات، و الأحرار و الرهبان و العلماء الذين يعادون الأفكار التقدميه، انما هم ظالمون و يخشون العدالة و الإصلاح. و كل ظالم اختار عمليا سبيل الاعتداء على حقوق الناس، فهو سيقف فى صف الباطل-فكريا- كما وقف فى صفه -عمليا- و يكفر بالحق عاجلا أم آجلا.

[٢٥٩] اما الذين التزموا بالحق عمليا و لم يعتدوا على حقوق الناس، فسوف يهديهم الله، لان فطرتهم سليمه و لا تحجبهم عن رؤيه الحقائق سوى الغفله التى يكشفها الله عنهم، فاذا بهم يبصرون الحقائق مثلهم مثل عزيز و إبراهيم، حيث هداهم الله الى نفسه حين عرفهم انه هو واهب الموت و الحياه جميعا، و انه قادر على ان يحيى الموتى.

ان سياق الآيات لا يزال يحدثنا عن تدبير الله سبحانه مباشره للحياه، و يلهمنا افكارا-عملية-مستوحاه من هذه الحقيقه و لقد رأينا آيه الكرسي كيف انتهت بنا الى ضروره رفض حكم الطواغيت، اما هنا فينتهى بنا السياق الى ضروره الايمان بالبعث انطلاقا من الايمان بقدره الله الواسع. لنعد الى الآيه و لنستمع الى قصه عزيز الذى هداه الله الى نفسه.

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ وَ كَانَ مَعَ عَزِيرٍ حِمَارَهُ وَ طَعَامَهُ، الحمار كان قد أصبح رميما، اما طعامه فلم يزل طريا كذلك أراد الله ان يبين لعبده قدرته و تدبيره المباشر لشؤون الحياه فقال له:

فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ اى لم يتعفن..بالرغم من مرور مائه عام.عليه اما الحمار فقد انتهى الى رميم و لكن سيعثه الله من جديد.

وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ حيث ان الله أحياك،من بعد موت دام مائه عام، و أحيأ أمامك حمارك لتنظر اليه،و تنقل الى الناس كيف،و بأيه صوره يحيى الله الموتى.كذلك أحر الله احياء الحمار حتى تتم العمليه امام عينه.

وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا نرْكَبها بعضها على بعض و نرفعها الى بعضها-بدقه-.

ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و هذه هى الحقيقه التى لا بد ان نفهمها جيدا.هى ان قدره الله ليست محدوده كما هى قدراتنا.

[٢٦٠] و قصه عزيز تشبه قصه إبراهيم،العبد الصالح،الذى هداه الله الى نفسه،و قال عنه:

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَيُوتَ قَالَ أَوْ لَعَمْرُتُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَ لَكِن لِّيُطَمِّنَنَّ قَلْبِي ذلِكَ ان الايمان درجات أعلاها:درجة اليقين و الاطمئنان،الذى يطرد تماما شيطان الشك من النفس،و لا يعود الإنسان يرتاب أبدا.و هذا النوع سَمَى فى ايه

اخرى ب(عين اليقين).

□ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَهُ مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ (١) إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً تُسَمِّى بِاسْمَائِهِنَّ الواحد بعد الآخر..الغراب، الحمام،العصفور،و هكذا..

□ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فهو قادر و يفعل بقدرته فى الحياه ما يشاء فهو عزيز الجانب لا يغلبه أحد و لا شىء و هو حكيم لا يتصرف عبثا و من دون هدف..

ص: ٤٥٠

١- ١) صرهنّ:بضم الصاد ياحدى القراءتين من صار يصور إذا قطع أو أقال،و بكسر الصاد على القراءه الاخرى.من صار يصير ياحدى المعنيين و قرائن الكلام تدل على اراده معنى القطع،و تقديمه يالى تدل على تضمين معنى الاماله،فالمعنى:اقتطعن ممبلا إليك أو أملهن إليك قاطعا إياهنّ.(المصدر-ص ٣٧٤)

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سِنْعًا فِي سَوَابِلِ فِي كُلِّ سُتْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْمَأْذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إِنْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثِيَّتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصْحَابُ الْكِبَرِ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْطَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦) أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩) وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) إِنْ تَدِيدُوا الصَّدَقَاتِ فَنَعَمْ أَهِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُوتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا إِنْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْئَلُونَ فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْيَاءً مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْئَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)

٢٦١] أنبت [النبت الحشيش و كل ما ينبت من الأرض يقال نبت نبتا.

٢٦٣] غنى [الغنى الواسع الملك و الله غنى بأنه مالك لجميع الأشياء لأنه قادر عليها لا يتعذر عليه شيء منها و الغنى ضد الحاجة و الغنى الكفاية.

٢٦٤]مَن]المن هو ذكر ما ينقص المعروف كقول القائل أحسنت الى فلان و أنعشته و أصل المن القطع و منه قوله « لَهْمُ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ » أى غير مقطوع. و سمي ما يكدر المعروف منه لأنه يقطع الحق الذى يجب به.

[آذى]اضرر يتعجل وصوله الى المضرور.

٢٦٥]بربوه[الربوه المرتفع من الأرض.

[طل]المطر الصغار يقال أطلت السماء فهى مطله و روضه مماطله نديه.

ص:٤٥٢

٢٦٦ [إعصار] الإعصار غبار يلتف بين السماء و الأرض كالتفاف الثوب فى العصر.

٢٧١ [الصدقات] الفرق بين الصدقه و الزكاه لا تكون الا فرضا

ص: ٤٥٣

و الصدقه قد تكون فرضا و قد تكون نفلا.

[تخفوها]تستروها.

٢٧٣[سيماهم]السيماء العلامه التى يعرف بها الشىء الشىء و أصله الارتفاع لأنه علامه رفعت للظهور و منه السوم فى البيع و هو الزياده فى مقدار الثمن الارتفاع فيه عن الحد.

[إلحافا]إلحاحا فى المسأله و قيل الحف شمل بالمسأله و هو مستغن عنها و اللحاف من هذا اشتقاقه لأنه يشمل الإنسان فى التغطيه.

ص:٤٥٤

هَدَى مِنْ آيَاتِ:

الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ نَتِيجَةُ مَبَاشِرِهِ لِلإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ عِلَامَتُهُ عَلَى عَمَقِ الإِيقِينِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ القَادِرُ عَلَى الكَوْنِ وَ أَنَّهُ وَاهِبُ الحَيَاةِ وَ الغِنَى وَ المَلِكُ وَ الهَدَى.

وَ شَخْصِيَةِ المَسْلَمِ تَتَمَيَّزُ بِأَنَّهَا مَعْطَاءٌ، وَ عَطَاؤُهَا لَيْسَ مِنْ أَجْلِ شَهْرِهِ أَوْ رِيَاءٍ، بَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَ وَفْقَ المَنْهَاجِ الَّذِي رَسَمَ لَهُ اللَّهُ.

وَ القُرْآنُ تَحَدَّثُ عَنِ الإِنْفَاقِ فِي أَكْثَرِ السُّورِ، الأ- أَن حَديثُهُ هُنَا يَتَمَيَّزُ بِالجَوَانِبِ النَفْسِيَةِ لِلإِنْفَاقِ، وَ التِّي تَعَالَجُهَا سُورَةُ البَقَرَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، فَالإِنْفَاقُ هُنَا جَاءَ كَمَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ اليَوْمِ الآخِرِ.

فَفِي الآيَةِ الأُولَى نَجِدُ التَّوْجِيهَ إِلَى ضَرُورِهِ أَن يَكُونَ الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ فِي الثَّانِيَةِ وَ الثَّالِثَةِ وَ الرَّابِعَةِ الأ يَكُونُ وَرَاءَهُ مَنْ وَ لا أَدَى. أَمَّا الخَامِسَةُ فَهِيَ تَضْرِبُ مِثْلًا عَلَى الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَيْفَ أَنَّهُ يَثْبِتُ الإِيمَانَ، أَمَّا الآيَةُ السَّادِسَةُ فَهِيَ تَأْمُرُ بِأَنَّ

يكون الإنفاق من المال الطيب و ليس الخبيث و هكذا..

بينات من الآيات:

[٢٦١] الله هو واهب الحياه و واهب نعمها، و الآن يطلب منا ان نقدم له بعضا مما أعطانا، حتى يعوضنا عنه أضعافا مضاعفه، إن ما نقدم لله لن يضيع، بل مثله كالحبه التي ندفنها تحت الأرض، فهي لا تنتهي، بل الاخرى التي ناكلها هي التي تنتهي، أما هذه التي سترناها تحت الأرض، فهي تنمو و تنمو حتى تصبح مئات الحبات، هذا صنع الله، انه يأخذ منك قدرا بسيطا من المال تنفقه في سبيله فيضاعفه لك.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [٢٦٢] قد يكون الإنفاق في سبيل الله في ظروف صعبه، كان يكون صاحبه قليل المال، ولكنه ينفق على من هو أفقر منه، أو يؤثر الآخرين على نفسه و بها حاجه، أو يتحدى بالإنفاق سلطات الطاغوت، أو يداوى جرح مظلوم. و انثذ يكون الجزاء بقدر المشقه، و بحسب الظروف الموضوعيه و النفسيه التي تكتنف الإنفاق، و الله يعلم بهذه الظروف تماما، و قادر على ان يضاعف العطاء بسببها.

إذا الإنفاق في سبيل الله نوع من الاستثمار في الحياه الدنيا و الآخرة، و لكن هذا الاستثمار مهدد بالخساره، لو لم يحافظ عليه صاحبه، و يقاوم شهوه الشهرة و السلطه، و لا يتبع إنفاقه باليمن و الأذى.

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مِمَّا انْفَقُوا، مَنَّا وَلَا أَدَىٰ فَلَإِ يَشْبَعُ شَهْوَةُ الشَّهْرَةِ، أَوِ السُّلْطَةِ، فِي نَفْسِهِ عَنِ طَرِيقِ الْإِنْفَاقِ، فَيَتَعَالَىٰ عَلَىٰ

الفقير، أو يتجبر عليه بغير حق، و يكون لنفسه طبقه ضد طبقه الفقراء.

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [٢٦٣] ثم يؤكد القرآن هذا الشرط الصعب فى الإنفاق، و الذى يحتاج تحقيقه الى ترويض شديد للنفس الاماره بالسوء، و ردع دائم للشهوات الشيطانيه فيها.

يؤكدده و يقول:

قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى فلو لم يدفع الغنى ماله للفقراء، و لكنه يجالسهم و يحسب نفسه واحدا منهم و يعتبرهم إخوانه، و لم يتسلط عليهم، بل إذا صدرت منهم خطيئه صبر عليها، و غفرها لهم. هذا أفضل عند الله من ان يدفع ماله بدافع السيطرة عليهم، و تذليل كرامتهم، و تكوين حاله طبقه فى الامه.

هكذا يرفض الإسلام اى نوع من الإنفاق المشروط من قبل الأغنياء يكرّس كبرياءهم المزيفه، و تسلطهم اللامشروع.

وَاللَّهُ غَنِيٌّ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ إِنْفَاقِ الْمَرَاتِينِ وَلَا غَيْرِهِمْ وَأَمَّا الْمُحْتَاجُ هُوَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَهُوَ سَبْحَانَهُ.

حَلِيمٌ لَا يَأْخُذُ النَّاسَ بِالْعَذَابِ بَلْ يَتْرِكُ الْمَجَالَ مَفْتُوحًا لَهُمْ لِيَتُوبُوا حِينَمَا يَغْلِبُهُمُ الشَّيْطَانُ.

ص: ٤٥٨

[٢٦٤] ويتابع القرآن الحديث عن ذات الفكره بكلمه توجيهيه للمؤمنين يحذر فيها من ان صدقاتهم سوف تتبخر، بل و تحترق، بمجرد استخدامها فى سبيل السيطرة على الفقراء و المحرومين، و لا- تعود الصدقات سببا لنمو المال، و لا لرحمه الله فى الآخره.

و يضرب لنا مثلا موضّحا و يقول: أ رأيت كيف يبطل الإنسان عمل الخير؟ انه أشبه شىء بأرض جبلية صماء، جمع الفلاح حفنه من التراب عليها ليزرع فيها، و لكن سيول المطر ذهبت بتلك الحفنه من التراب، فعادت الأرض كطبيعتها الاولى، لا- تصلح للزراع، هكذا..الذى ينفق ماله، ثم يستخدم إنفاقه للسيطره كالصحراء لا تصلح لنبات الخير..

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْمَأْذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ رَبُّهُ رِثَاءَ النَّاسِ حَتَّىٰ يَرَاهُ النَّاسُ فَيَرْضَوْا عَنْهُ، وَيَقْدِرُونَ جُودَهُ، وَبِالتَّالِي يُتَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ.

وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ حَتَّىٰ يَكُونَ عَطَاؤُهُ فِي سَبِيلِهِ، فَهُوَ لَا يَعْمَلُ لَوَجْهِهِ.

وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا دَامَ إِيمَانُهُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ضَعِيفًا فَهُوَ يَبْحَثُ عَنِ الشُّهُرَةِ وَ السَّمْعَةِ، النَّتَائِجِ الْعَاجِلَةِ، فَسَعِيهِ يَكُونُ لِلدُّنْيَا وَحْدَهَا..دُونَ
ان تدخل فيه حسابات الآخره..

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا الصَّفْوَانُ: الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ الْمُسْتَوِيهِ، وَ الْوَابِلُ: الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الْوَقْعُ، وَ الصَّلْدُ:

الصخره الملساء التى لا تنبت شيئا.

□ □ لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا لِأَنَّهُمْ أَبْطَلُوا اسْتِمَارَهُمْ، و لم يبق لديهم شىء فى بورصه الآخره.

□ □ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ بل تتحول قلوبهم كتلك الصخره الصماء، لا تزرع فيها الهدايه، لأنها -أساسا- لا تطلب الهدايه، بل تعشق السلطه و السيطره و التكبر على الناس.

[٢٦٥] و هناك مثل آخر، يعاكس هذا المثل تماما، إنه مثل المؤمنين المخلصين لله فى إنفاقهم: إنهم سوف يحصلون على ثلاث فوائد، الاولى: اكتساب مرضاه الله، و الثانيه: تزكيه أنفسهم و تربيتها على التقوى و العطاء، و الثالثه: جنى ثمار العطاء فى شكل ثواب عظيم فى الدنيا و فى الآخره.

□ □ □ □ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِأَنَّ الْإِيمَانَ، كأيه موهبه اخرى، تزداد كلما استفاد الإنسان منها، كالاراده تقوى كلما تحدث الصعاب، و المعرفه تزداد كلما انتفع بها صاحبها فى العمل، و الحب ينمو كلما اهتم به صاحبه، و هكذا الايمان يثبته العمل الصالح و ينميه.

كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ فَهِيَ جَنَّةٌ أَسَاسًا.. لا مجرد صخور، كذلك قلب المؤمن، ارض قابله للزراعه..

□ □ □ أصابها وابلٌ عن طريق العمل الصالح المركز.. كالانفاق فى الظروف الحرجه، حيث انه

سوف يضاعف من قوه الايمان، و ثباته فى النفس.

فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِْبْهَا وَأَبْلُ فَطَلَّ إِذَا ان طبعه الجنة، أنها تستدر الرطوبه و تكتنفها فى الفضاء، فلا بد ان يصيبها طل، مطر خفيف، أو رطوبه مفيده، كذلك القلب المؤمن حتى و لو لم يواجه بنجاح تحديات خطيره (كالانفاق فى المجاعه) فانه سوف يمارس الأعمال الصالحه اليوميه، مما يحافظ على ايمانه.

وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَلَا تَفَكَّرُوا فِي النَّاسِ وَلَا تَرَاؤُوهُمْ، كَفَى بِاللَّهِ رَقِيبًا عَلَى أَعْمَالِكُمْ، وَ كَفَى بِهِ مَثِيبًا.

[٢٦٦] و يضرب الله: مثلا- رائعا لما يصيب الإنسان من خيبه أمل بسبب إحباط اعماله، يوم يحتاج الى الجزاء، فيكتشف أن لذه الشهره. أو السيطره التى أرادها من عمله فاتبعه بالمن و الأذى، قد ذهبت بخيراته، و أصبحت هباء منثورا، يقول ربنا:

أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ كَمْ يَحْتَاجُ هَذَا الْمَسْكِينُ إِلَى هَذِهِ الْجَنَّةِ، التى هى خلاصه جهوده فى الحياه الدنيا..؟ و لكن كيف به إذا أحاط الخطر بجنته.

فَأَصَابَهَا إِغْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ هَلْ يُمْكِنُ تَصَوُّرُ خَيْبِهِ أَمَلُ هَذَا الشَّيْخِ الْمَحْرُومِ مِنْ جَهْدِهِ، كَذَلِكَ هِيَ حَالُهُ ذَلِكَ

ص: ٤٦١

الذى أنفق أمواله رجاء الثواب، ثم بعث بنار المنّ والأذى، فالتهمت ثواب إنفاقه، و يوم احتاج الى ذلك الثواب لم يجده، و وجد الله هناك أعدّ له نارا لاهبه، جزاء رِيائه و كبريائه السخيفه.

كذلك يُبينُ اللهُ لكم الآياتِ لعلَّكم تتفكروْنَ [٢٦٧] إذا الشرط الاول للإنفاق الصالح: ان يكون فى سبيل الله، و الشرط الثانى الا يتبع بالمن و الأذى، فلا يستثمر من أجل تكريس الطبقيه فى المجتمع، و الشرط الثالث يبينه القرآن فى هذه الآيه و يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ فعليكم باختيار أفضل ما عندكم، سواء حصلتم عليه بالجهد، كما المال و البناء، و ما صنعتم بأيديكم، أو لم تصرفوا فيه جهدا، كما الزرع و الضرع.. المهم ان تختاروا أفضل أموالكم لتقدموه لله، و لا تتوجهوا نحو الخبيث، حتى تختاروه للإنفاق، و فكروا لو عكست الآيه و كنتم أنتم الفقراء و غيركم ينفق عليكم هل كنتم تقبلون بهذا الخبيث؟ وَ لَسْتُمْ بِأَخَذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا و تتساهلوا.

فِيهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ و ليس بحاجة الى انفاقكم، فهو غنى و هو حميد فى غناه. يتفضل عليكم من بحر

غناه فيحمده الجميع و أنتم-عباد الله المؤمنين به-تخلّقوا بأخلاق ربكم،و أعطوا من غناكم شيئاً يحمدكم الناس عليه.

[٢٦٨]و لا تستجيبوا لصراخ الشيطان الذى يناديكم من داخل أنفسكم:

لا- تنفقوا لأنكم سوف تصبحون فقراء لو أنفقتم،كلا- إنّ الإنفاق يدور الشروه بين الناس،و يسبب انتعاش الاقتصاد،و بالتالى استفاده الجميع،و حين يدعوكم الى العطاء،فانه يدعوكم الى أفضل منه،و من جهه اخرى،الشيطان يخوفكم من الفقر، فتمسكون أيديكم فيكرهكم الناس،و تنتشر البغضاء،و تولد منها الفحشاء،أو ليس الأفضل هو الإنفاق،حتى ينتشر بدل الحقد:المحبه و الوثام.

□ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ لِأَنَّهُ يَخُوفُكُمْ مِنْهُ أَجَلٌ،و لكن لماذا يريد الإنسان المال؟أ ليس حتى يتصرف فيه بحريه؟أما إذا جاءه الفقير،فانه سوف لا يتصرف فى المال،و إذا فما الفرق بينه و بين الفقير الذى لا يملك شيئاً،كلاهما لا يملك قدره التصرف فى المال.

و من يخشى الفقر يهضم الحقوق و يظلم الناس و يشيع الفحشاء فى المجتمع و هذا من عمل الشيطان.

□ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ مَتَمِّثِلَهُ فِي السَّلَامِ دَاخِلَ قَنَوَاتِ الْمَجْتَمَعِ.بالاضافه إلى تزكيه النفس من رواسب الذنوب،و النجاه من النار فى الاخره.

و فَضْلاً مَتَمِّثِلاً فِي مَرْدُودِ الْعَطَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَيْثُ يَنْزِلُ بِالطَّبَعِ عَلَى الْمُنْفِقِ بِالْخَيْرِ

الكثير.

□
وَ اللَّهُ وَاسِعٌ الْعَطَاءِ.. إِذَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِهِ.

عَلَيْمٌ بِمَنْ يَنْفِقُ فَيَجَازِيهِ خَيْرًا مِنْ لَدُنْهِ.

[٢٦٩] هذه حكمه و علم للحياه، و معرفه بالقوانين الثابته التي تحكمها، أن العطاء يزيد من المال و البخل ينقصه.. و لكن ليس كل الناس يملكون الحكمه التي هي خير كثير، لأن التعرف على الحياه طريق للسيطره عليها.

□
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعَقْلَ، وَ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ عَقُولِهِم بِالْتَنْبِيهِ وَ التَّذْكَرِ، لِأَنَّ الْعَقْلَ يَكْتَشِفُ الْأَشْيَاءَ وَ يَحِيطُ بِهَا عِلْمًا، بِشَرَطِ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا، وَ مَهْمَةُ التَّذْكَرِ التَّوْجِيهِ إِلَى الْعَقْلِ.

[٢٧٠] تأثير العطاء فى الرخاء الاقتصادى، تأثير فطرى ترعاه سنه الله فى الحياه، سواء عرف الناس بالعطاء أم لا، لأن علم الناس أو جهلهم، بالعطاء ليس له اثر فى مدى تأثير العطاء فى نمو الاقتصاد، و يكفى: أن الله يعلم بذلك، و هو الذى يزيد الثروه بالإنفاق لا الناس.

□
وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا

ص: ٤٦٤

فيجزي به خيرا، سواء كان انفاقكم بسابق نذر أو لا، أما الذين لا ينفقون أموالهم ولا يفون بندورهم، فحتى لو اعتقد الناس أنهم فعلوا ذلك، فلن ينفعهم ادعائهم بالإنفاق، أو ادعائهم به في نمو أموالهم، أو في منع الكوارث عنهم.

وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ يَمَكِّنُهُمْ مِنْ نَصْرِهِ الظَّالِمِ، الَّذِي لَا يَدْفَعُ حَقُوقَ النَّاسِ أَوْ حَقُوقَ اللَّهِ.

[٢٧١] مهدت الآيه السابقه للحديث عن كتمان الإنفاق، و جاءت هذه الآيه تشرحه بوضوح أكثر.. ما دام الإنفاق في سبيل الله و ليس بهدف الاستعلاء على الناس، فهو عمل صالح و لا يضره علم الناس به، و لكن كتمانه أفضل، لأنه ابعده عن هواجس النفس و وساوس الشيطان..

إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ خصوصاً إذا كان ذلك يشجع الآخرين على العطاء.

وَ إِنْ تُخْفُوهُمَا وَ تُؤْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فلستم بحاجة أبدا الى علم الناس.. بل الله يعلم، و هو يزيدكم بالإنفاق خيرا، و يدفع عنكم الضر، و يكفر بعض السيئات..

[٢٧٢] و الإنفاق انما هو في سبيل الله، و ليست القيادة الاسلاميه إلا قناه للمال المنفق توصله الى مستحقه، و ليست مسئوله عن إنفاق الأغنياء أكثر من ذلك..

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

انما المسؤول الاول عن اعمال الشخص هو ذاته، لان فوائده و اضراره تصيبه مباشرة.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَلَا يَحْسِبُ إِنْفَاقَ عِنْدَ اللَّهِ، إِلَّا ذَلِكَ الْإِنْفَاقَ الْخَالِصَ لَوَجْهِ اللَّهِ.

وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهِ اللَّهِ وَ الْإِنْفَاقَ لَا يَخْتَصُّ بِالْمَالِ، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَشْمَلَ أَي شَيْءٍ يَمْلِكُهُ الْمَرْءُ كَالجَاهِ حِينَ يَبْذُلُهُ فِي خَيْرِ الضَّعْفَاءِ، وَالْعِلْمُ يَدُلُّ بِهِ الْجَهَالُ إِلَى الْخَيْرِ، وَ كُلُّ شَيْءٍ يَنْفَقُ فَهُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي كِتَابٍ، مَجْزَى بِهِ غَدًا.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظَلِّمُونَ [٢٧٣] إِلَى هُنَا عَرَفْنَا شُرُوطَ الْإِنْفَاقِ الصَّالِحِ، يَبْقَى أَنْ نَعْرِفَ: أَيْنَ نَنْفِقُ الْأَمْوَالَ وَ لِمَنْ؟ يَجِيبُ السِّيَاقُ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ بِسَبَبِ مَنَعِ الْعَدُوِّ لَهُمْ، كَالَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا لِلطَّاعُونَ.. أَوْ بِسَبَبِ الضَّعْفِ وَ الْمَرَضِ كَالْمَحَارِبِينَ الْقَدَامَى الَّذِينَ أَكَلَتِ الْمَعَارِكُ شِبَابَهُمْ، ثُمَّ أَصْبَحُوا ضَعْفَاءَ، لَا يَسْتَطِيعُونَ امْتِهَانَ عَمَلٍ، وَ لَا يُمْكِنُهُمُ الْعُودَةُ إِلَى عَمَلِهِمُ السَّابِقِ.

يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ

لأنهم لا يسألون أحدا شيئا لكرامتهم و عفه نفوسهم..

تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ لَا يُسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [٢٧٤] و كلمه اخيره فى الإنفاق فى سبيل الله على الإنسان الا يضع حدا لانفاقه بل عليه ان ينفق، أنى وجد ثغره فى المجتمع يحاول سدها بإنفاقه، و يكون من الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ

ص: ٤٤٧

اشاره

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرِهِ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

اللغة

٢٧٥ [الربا] الزيادة من قولهم ربا الشيء إذا زاد و الربا هو الزيادة على رأس المال و أربى الرجل إذا عامل فى الربا

و منه الحديث «من أجبى فقد أربى».

[يتخبطه] التخبط أصله الخبط و هو الضرب على غير استواء و الخبط ضرب البعير الأرض بيده و يقال للذى يتصرف فى أمر و لا يهتدى فيه فهو يخبط خبط عشواء. و التخبط المس بالجنون و التخيل لأنه كالضرب على غير استواء فى الادهاش.

٢٧٦ [يمحق] المحق نقصان الشيء حالا بعد حال يقال الله يمحقه محقا فانمحق و امتحق أى هلك و تلف بذهابه حالا بعد حال و المحاق آخر الشهر لانمحاق الهلال فيه.

[أثيم]المتمادى فى الإثم.

٢٨٠[نظره]تأخير.

[ميسره]الميسر و الميسور بمعنى اليسار و الغنى و السعه.

ص:٤٦٩

هدى من الآيات:

من الناس من ينفق فى سبيل الله على الضعفاء، و منهم من يعكس تماما فيستغل الضعفاء، و بينى كيانه الاقتصادى على انقاض ثرواتهم المحدوده، هؤلاء هم المرابون الذين يتحدث عنهم القرآن هنا، لأنهم الوجه المتناقض مع المنفقين الذين تحدث عنهم الدرس السابق.

و الآيه الاولى تحدثت عن النتائج المره للخلط بين البيع و الربا، و بينت الآيه الثانيه الفرق بين المنفق فى سبيل الله و المرابى، فالأول يضاعف له الله و الثانى يمحقه.

و بعد ان وجه القرآن الانظار الى الصلاه و الزكاه باعتبارهما وسيلتى خلاص للمؤمن من ضغط الشهوات و منها شهوه الاثراء السريع بالربا، بعدئذ وجه نداء آخرا للمؤمنين بترك الربا و الاكتفاء فقط برأس المال، و لم يكتف القرآن بذلك. بل

امر فى الآيه التالىه بأن يعطى مهله كافيه لمن لا يستطيع تسديد ديونه، اما الآيه الاخيره فقد ذكرتنا بالتقوى، تلك الصفه النفسيه التى يكون تجنب الربا واحدا من مظاهرها.

بينات من الآيات:

آثار الربا:

[٢٧٥]التجاره تزيد العقل، لأنها تحمل بين طياتها مخاطر الخساره، فيفكر صاحب التجاره بكل أسلوب ينجح تجارته و يجنبها الخساره، و بالتفكر المستمر ينمو العقل اما لو اطمأن الإنسان الى مصدر ثابت من الربح يأتيه بلا تعب فلما ذا يفكر؟! انه يعطل عقله لأنه لا- يحتاج اليه شيئاً فشيئاً يضم العقل حتى ينتهى، و الربا هو ذلك المصدر الثابت الذى ينتظره كل الكسالى حيث يأملون ان تكون لديهم ثروه معينه يقروضونها للفقراء مقابل جزء من جهدهم، سواء خسر أولئك الكادحون أم ربحوا، و بذلك فان اخطر إضرار الربا هو تشجيعه على تكوين طبقه من المترفين و المعتوهين فى المجتمع.

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ لَا يَجْهَدُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّمَا يَقُومُونَ وَيَتَحَرَّكُونَ لِمَجْرَدِ اللّٰهُوِ حَيْثُ يَخَالِطُهُمْ خَبْلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ.

إن هذا الخبل نتيجة طبيعیه لا اختيارهم السىء منذ البدايه، حيث انهم اختاروا الربا، و خلطوا بينه و بين البيع، فخالطهم الخبل و أصبحوا معتوهين طبيعياً، لخلطهم

الباطل بين البيع و الربا.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ زعموا انه كما يجوز التعامل بالبيع و الاكتساب به، كذلك يجوز الاكتساب بالربا، فالبيع عندهم هو الربا بالضبط، و لكن بصوره اخرى: أنت فى البيع تعطى سلعه و تأخذ ثمنًا، و هنا تعطى قرضا و تأخذ إيجاره. كلا..

وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا بِالطَّبَعِ لَيْسَ عِبَثًا إِنَّمَا لِهَدَفٍ مُّحَدَّدٍ هُوَ: منافع البيع و إضرار الربا.

فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ رَأْسِ أَمْوَالِهِ، وَ هُوَ مَرْجُو لِأَمْرِ اللَّهِ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبُهُ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِ.

وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [٢٧٦] و الربا يسبب تكوين طبقه من المترهلين و العاطلين عن العمل المنتج، فيؤخر اقتصاد المجتمع، و هو فى ذات الوقت يمتص جهود الفقراء، و لا- يشجعهم على العمل الجاد، بينما الإنفاق فى سبيل الله، و إعطاء الفقراء صدقات لرفع عوزهم، و تهيئه رأس مال لهم، سوف يسبب فى تدوير الثروه، و تحريك عجله الاقتصاد، و تشجيع العاطلين على العمل من هنا تقع الصدقات، فى مواجهه الربا تماما.

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَ يُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَ الصَّدَقَاتِ دَلِيلٌ عَلَى إِيْمَانِ الْمُنْفِقِينَ وَ شَكَرِهِمْ لِنِعْمَةِ الثَّرَوَةِ، بينما الربا دليل كفر المرابين الحقيقى! بالله، بالرغم من تظاهرهم بالايمن كما انه عمل اجرامى

واثيم.

وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ وَ ربما جاءت كلمه الكفار بصيغه المبالغه للدلاله على ان المرابى يكفر مرتين، مره حين لا يدفع للفقراء الصدقه، و مره حين يمتص جهود الفقراء بالربا.

ما هو العلاج؟

[٢٧٧] كيف نتخلص من الربا؟ ان القلب البشرى يهوى الثروه، و من الصعب التخلص من هذا الهوى؟ يقول القرآن الحكيم: أن طريقه الخلاص من شهوه الثروه هى الايمان بالله، و العمل الصالح، و الصلاه، و الزكاه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ [٢٧٨] ان تنميه التقوى فى النفس هى مسئوليته المسلم نفسه، فعليه الا- ينتظر شيئا يريه، أو شخصا يعظه، بل ليكن واعظ نفسه و مربيها، و ليتخلص من السليات و فى طبيعتها الربا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فاذا كانت بينكم و بين الناس ربا، فارضوا منهم فقط برأسمالكم، و اعفوهم عن الربا.

[٢٧٩] إذ لو لم تتقوا الله، فان الله يعلن عليكم حربا تتمثل فى تخلف

ص: ٤٧٣

فتصادكم، و اشاعه الخلاف بينكم، و تسلط العدو عليكم، و نزول الكوارث الطبيعيه بكم. و غيرها..

فَمَنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لَا تُظْلَمُونَ [٢٨٠] يمكنكم استعادة رؤوس أموالكم التي دفعتموها للمقترضين دون أخذ الربا منهم، و لكن لا يجوز لكم الضغط عليهم.

وَ إِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ الَّذِي اسْتَدَانَ مِنْكُمْ.

فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ فَلَا بَدَ مِنْ إِعْطَاءِ مَهَلِهِ حَتَّىٰ يَقْدَرَ عَلَى الْوَفَاءِ، وَ الْأَفْضَلُ مِنْ إِعْطَاءِ الْمَهَلِ هُوَ التَّغاضي رَأْسًا عَنِ الدِّينِ، وَ اعْتِبَارُهُ صَدَقَهُ.

وَ أَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ [٢٨١] صحيح ان من الصعب عليكم ذلك، و لكن يجب على الإنسان ان يتجاوز الدنيا في سبيل الحصول على الآخرة، فغدا لا تنقذ الإنسان من عذاب الله ثروته أو شهرته.

وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ

ص: ٤٧٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)

التقوى و الأنظمه الاجتماعيه

هدى من الآيات:

تكميلا للحديث عن الإنفاق و الربا، تحدث القرآن فى الآيتين ما قبل الأخيرتين من سوره البقره عن التقوى فى الدين. مما يحتاج اليه المجتمع، و أمر ألا- يعتمد أحد الطرفين على حسن سلوك الطرف الآخر، بل يضبط عمله، فيكتب دينه الى أجله و يستشهد عليه. و الكتابه تكون بيد أمين، يملى عليه صاحب الدين فيكتب. و ان لم يكن هناك كاتب، فلا بد أن يقبض صاحب الحق رهينه.

إن حكم الدّين، مثل بسيط و واضح للعلاقه التكاملية بين التقوى كرادع نفسى للمسلم عن الظلم، و بين الأنظمه الاجتماعيه التى تمنع الظلم. فلا يمكن أن يكتفى المجتمع بواحد عن الآخر. إذ قد يكون الظلم ناشئا من عامل السهو و الغلط و النسيان، و قد تكون التقوى ليست قويه الى درجه منع الظلم، و لكنها إذا قرنت بالأنظمه الاجتماعيه تصبحان معا عامل ردع ضد الظالم.

لهذا نجد: ان الله يأمر بالتقوى لتكميل ثغرات الانظمه، فالكاتب و الشهيد

و صاحب الحق و من يقترض منه، يجب ان يتزود كل أولئك بالتقوى، حتى يمكنهم التعامل من دون ظلم. الكاتب يكتب بالعدل، و الشهيد يقوم بالشهادة لله، و صاحب الحق لا يسأم من كتابه دينه صغيرا أو كبيرا، و من عليه الحق (المقترض) لا يضار بالكاتب و الشهيد، كل هذه ثغرات قانونيه لا تسد إلا بالتقوى. و تأتي آيه الدين لتكمل حديث القرآن هنا عن التقوى و ربطها بالأنظمة الاجتماعيه.

بينات من الآيات:

كتابه الدين:

[٢٨٢] من هنا يقرر القرآن أن من المفروض أن يكون الدين الى أجل مسمى، و أن يكتب حتى تسهل المطالبه به، و بالتالى لا يحجم أحد عن إقراض أخيه بحجه الخوف من المماطله فيه أو إنكاره.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِحَدِيثٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَ هُنَا تَلْقَى الْمَسْئُولِيَه عَلَى الْمُتَقَفِينَ، فعليهم أن يراعوا العدل فى الكتابه فلا يزيّدوا أو ينقصوا، و أن يتحملوا مسؤوليتهم فى الكتابه فلا يحجموا عنها بسبب أو بآخر.

وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ وَ لِيَتَذَكَّرَ الْكَاتِبُ ان الله هو الذى زوده بنعمه العلم، فعليه أن يؤدى شكر هذه النعمه باستثمارها فى خدمه المجتمع، فلا يمتنع عن الكتابه و ليكتب.

كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لِيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ أَى فليكتب الكاتب حسب ما يمليه عليه المقترض لا حسب ما يمليه الدائن،

لان المقترض هو الذى سوف يطالب بالمال فى الأجل المحدد، و عليه أن يعترف سلفا بما يمكن فرضه عليه.

وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا وَ هُنَا يَأْتِي دُورُ التَّقْوَى حَيْثُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَتْلَعَ الْمُقْتَرِضُ فِي الْأُورَاقِ، فَلَا يَعْتَرِفُ حِينَ الْكِتَابَةِ بِكُلِّ الْمَالِ الَّذِي اسْتَدَانَهُ، أَوْ بِالْأَجْلِ الْمَحْدَدِ لَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ وَ لَا يَغْيِرَ فِي الْكِتَابَةِ الرَّسْمِيَّةِ، مِنْذُ الْبَدءِ، تَمْهِيدًا لِأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ.

فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا كَانَ يَكُونُ مَرِيضًا أَوْ صَغِيرًا.

أَوْ لَا- يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْمَلَ هُوَ بِأَيِّ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ كَانَ يَكُونُ مَسَافِرًا، أَوْ شَخْصًا كَبِيرًا لَا- يُمْكِنُ حُضُورُهُ عِنْدَ الْكَاتِبِ أَوْ مَا أَشْبَهَ، فَاتِّدَّ يَقُومُ وَ كَيْلَهُ وَ وَلِيَهُ بِالْإِمْلَاءِ عَلَى الْكَاتِبِ، وَ يَعْتَبَرُ إِقْرَارُهُ وَ تَعَهْدُهُ كَافِيَيْنِ لِمَطَالَبِهِ مَوْكَلَهُ أَوْ وَلِيَهُ بِالْحَقِّ.

فَلْيُمْلَأْ وَ لِيَهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ عَلَى الْوَرَقَةِ الرَّسْمِيَّةِ.

فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ مِنَ الَّذِينَ تَقْبَلُ شَهَادَتَهُمْ لِمَزِيدِ الثِّقَةِ فِيهِمْ، وَ لَكِنْ لِمَاذَا تَخَلَّفَتِ الْمَرْأَةُ عَنِ الرَّجُلِ فِي الشَّهَادَةِ؟ السَّبَبُ أَنْ الْمَرْأَةَ قَدْ لَا تَضْبِطُ الشَّهَادَةَ بِسَبَبِ انْصِرَافِهَا عَنْهَا، وَ انْشِغَالِهَا عَادَةً

بأمور أخرى، فكان من المفروض أن يزداد العدد لمواجهة النقص في النوعية.

أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَإِذَا طَلَبَ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْحُضُورَ فَعَلَيْهِمُ الْحُضُورُ لِأَنَّهُ مِنْ دُونِ حُضُورِهِمْ قَدْ يَضِيعُ الْحَقُّ.

وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَيَجِبُ أَنْ يَكْتُبَ دِينَهُ أُنَى كَانَ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا.

وَلَا تَسْتَمُّوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَّا أَجَلَهُ لِأَنَّهُ مِنْ دُونِ الْكِتَابَةِ يَتَعَرَّضُونَ لِلنِّزَاعِ، وَالنِّزَاعُ قَلِيلُهُ كَثِيرٌ، وَقَدْ يَمْنَعُ النَّزَاعُ الصَّغِيرَ مِنْ تَدْوِيرِ الثَّرْوَةِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

ذَلِكُمْ أَفْسَيْطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأُذُنِي إِلَّا تَزْتَابُوا فَاللَّهُ يَحِبُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَضَعُ حُدَايَ الْأَكْلِ الْمَالَ الْحَرَامَ، وَهُوَ يَسْهَلُ عَلَيْهِ الشَّهَادَةُ، لِأَنَّ النَّصَّ الْمَكْتُوبَ دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى الْحَقِّ، وَهُوَ بِالتَّالِيِ يَمْنَعُ انْتِشَارَ الرِّيبِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَاللَّاتِقَةَ الَّتِي تَتَسَبَّبُ بِدَوْرِهَا فِي تَحْجِيمِ الْمَعَامَلَاتِ التِّجَارِيَةِ.

إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِلَّا تَكْتُبُوهَا فَلَا يَكْتُبُ لِتَسْهِيلِ عَمَلِيَةِ التِّجَارَةِ مِنْ يَدِ تَاجِرٍ إِلَى آخَرَ، مِمَّا يَعْرِفُ بِالطَّبَعِ مَوَاقِعَ تَدَاوُلِ السَّلْعَةِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لِلنِّسْيَانِ، كَمَا أَنَّ الْإِنْكَارَ فِيهَا أَوْ السَّرْقَةَ غَيْرَ وَارِدٍ بِسَبَبِ طَبِيعَةِ انْكِشَافِهَا لَدَى النَّاسِ.

وَأَشْهَدُوا إِذَا لَبَّيْتُمْ لَانَ ذَلِكَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ، وَ أَعْدَ لِلْخِلَافِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ. خِصُوصًا فِي الصِّفَاتِ الْكَبِيرَةِ كَالْعَقَارَاتِ.

وَأَلَّا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ أَى لَا يَجُوزُ الْإِضْرَارُ بِهِمَا بِسَبَبِ شَهَادَتِهِمَا بِالْحَقِّ.

وَ إِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ فَالْإِضْرَارُ بِالْكَاتِبِ أَوْ الشَّهِيدِ يَجْعَلُهُمَا يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ وَ يَجَارُونَ الْأَقْوَى، وَ قَدْ تَكُونُ أَنْتَ الْأَقْوَى الْيَوْمَ، أَمَّا غَدًا فَيَكُونُ خِصْمُكَ هُوَ الْأَقْوَى، بَيْنَمَا تَكُونُ أَنْتَ صَاحِبَ الْحَقِّ ضَعِيفًا. وَ إِذَا انْتَشَرَ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِضْرَارُ بِالْكَاتِبِ وَ الشَّهِيدِ، وَ بِالتَّالِي انْتَشَرَتِ الْكُتَابَاتُ الْوَجَاهِيَّةُ وَ شَهَادَةُ الزُّورِ، آتَتْهُ قَدْ تَصَبَّحَ أَنْتَ ضَاحِيَهُ هَذَا الْفُسُوقِ، لِذَلِكَ قَالَ الْقُرْآنُ: (فُسُوقٌ بِكُمْ) أَى فَسَادٌ يَشْمَلُكُمْ كَلِّكُمْ، وَ هُنَا ثَغْرُهُ قَانُونِيَّةٌ تَسُدُّهَا التَّقْوَى، إِذْ يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَزِمَ الْجَمِيعُ بِعَدَمِ الْإِضْرَارِ بِالْكَاتِبِ وَ الشَّهِيدِ التَّرَامَا نَابِعًا مِنْ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ، حَتَّى لَا يَنْتَشِرَ الْفُسَادُ وَ الْفُسُوقُ. وَ أَخِيرًا يَذْكُرُنَا اللَّهُ بِعِلَاقَةِ التَّقْوَى بِالْعِلْمِ، وَ يَبَيِّنُ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ التَّقْوَى نَابِعَةً مِنْ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، فَانَ الْعِلْمُ هُوَ الْآخِرُ نَعْمَهُ مِنْ نَعْمِ اللَّهِ، فَعَلِينَا أَلَّا نَكْتَفِيَ بِوَاحِدٍ عَنِ الْآخِرِ.

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هَذِهِ الْآيَةُ أَطْوَلُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ، وَ تَنَاوَلَتِ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ، بَيْنَ الرُّوحِ وَ الْجِسْمِ، بَيْنَ الْإِيمَانِ وَ الْعِلْمِ، وَ بِالتَّالِي بَيْنَ النَّصَائِحِ الْخَلْقِيَّةِ وَ الْإِنْظَمَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَ هِيَ تَوْصِي بِضُرُورِهِ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ عِبْرَ أَى وَسِيلَةٍ مَادِيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ مَشْرُوعَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَ يَدْعُ الْبَابَ مَفْتُوحًا أَمَامَ بَعْضِ الْوَسَائِلِ الْحَدِيثِيَّةِ الَّتِي تَكْشِفُ

صاحب الحق مثل التحقيقات الجنائية، طبع الأصابع، الكشف العلمى على الخط، جهاز الكذب عن طريق تسارع نبضات القلب..و ما أشبه. إن كل وسيلة ماديته توصلنا الى اليقين التام و العلم القاطع بالحقيقه يأمر الإسلام بها، و يعتمد عليها جنباً الى جنب اعتماده على روح التقوى النابعه فى النفوس.

[٢٨٣] و تكميلاً للحديث عن الدين يتحدث القرآن عن الرهن فيقول:

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَيْرٍ و لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ الرهن يساعد على استمرار العلاقه التجاريه بين الناس، فعملية الرهن ليست مفروضه لذاتها، بل بهدف المحافظه على حق الدائن.

فَإِنْ مِنْكُمْ بَعْضٌ بَعْضًا فليؤدّ الذى أوْتِمنَ أمانته و لِيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ فما دام الشخص وضع ثقته فيك فلا تخنه فى أمانته، و اتق الله لأنه سيطلبك بحق صاحب الأمانه، و يأخذه منك عاجلاً أو آجلاً.

وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ و مَنْ يَكْتُمُهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ و اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ فإذا كان أحد من الناس يعرف أمانه عند أحد، فليشهد لصاحب الأمانه و لا يكتُم الشهاده. فإن ذلك سوف يسبب نقصاً فى إيمانه.

ص: ٤٨٢

اشاره

لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَ اِنْ تُبَدُّوا مَا فِيْ اَنْفُسِكُمْ اَوْ تَخَفُوْهُ يُحٰسِبِكُمْ بِهٖ اللّٰهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ (٢٨٤) اٰمَنَ الرَّسُوْلُ بِمَا اُنزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُوْنَ كَجُلٍّ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَ مَلٰئِكَتِهٖ وَ كُتِبَهِ وَ رُسُوْلِهٖ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُسُوْلِهٖ وَ قَالُوْا سَمِعْنَا وَ اطَعْنَا غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا وَ اِلَيْكَ الْمَصِيْرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْرَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيهَا مَا اِكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُوَاخِذُنَا اِنْ نَسِيْنَا اَوْ اَخْطَاْنَا رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلٰى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحْمِلُنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهٖ وَ اَعْفُ عَنَّا وَ اِعْفِرْ لَنَا وَ اِرْحَمْنَا اَنْتَ مَوْلَانَا فَاَنْصُرْنَا عَلٰى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ (٢٨٦)

اللغة

٢٨٦ [إصرا] كل ما عطفك على شيء من عهد أو رحم. و أصل الباب العطف فالاصر الثقل لأنه يعطف حامله بثقله عليه.

و مسقطات الأحكام

هدى من الآيات:

فى الدرء الأخر من هذه السوره، يحدد الله بعض بنود المسؤليه و التى تزرعها التقوى فى النفس، فيبين..

أولاً: ان الله يحاسب الإنسان على كل عمل، و على كل نيه سواء أظهرها الإنسان أم لا. فما دامت النيه «الإرادة» هى منشأ العمل، فان الله يحاسب عليها.

ثانياً: أهم مسؤليه على الإنسان و هى مسؤليه الايمان بالله و رسوله و الاعتقاد أبداً بالتقصير امام الله.

ثالثاً: يبين حدود مسؤليه الإنسان، انها فى إطار قدراته. فبقدر سعه قدرات الإنسان تتسع مسؤلياته، و كل إنسان يتحمل مسؤلياته دون مسؤليات الآخرين.

و هنا استثناءات فى المسؤليه منها: الخطأ و النسيان و الحرج و العجز (الضرر).

هذه الاستثناءات خاصة ليست دائمية بل فى ظروف معينه (كالجهاد فى سبيل الله) لا- يستثنى عن المسؤليه شىء. ذلك لان النسيان ينشأ من اللامبالاه، و الخطأ ينشأ من عدم الجديه. أما الحرج و الضرر، فهما يرافقان ظروف الجهاد بصورة طبيعيه. و تنتهى سوره البقره بالدعاء بالانتصار على الكافرين، و هو التطلع العظيم الذى يبقى دافع الأمه نحو التقدم و البناء، و المحور الذى تلتف حوله فئات الأمه فتبتعد عن الشرذم.

بينات من الآيات:

اشاره

[٢٨٤] إصلاح الأمه يبدأ من إصلاح أفرادها، و يبدأ إصلاح الفرد بتزكيه نفسه و تصحيح منطلقاته و أهدافه.

ذلك لان كل شخص يعمل وفق ما تمليه أهدافه، و ينظر الى أحداث الحياه و يحدد مواقفه منها حسب منطلقاته. و القرآن الحكيم يحتمل الإنسان مسؤليه إصلاح منطلقاته و أهدافه حين يحمله مسؤليه أفكاره. فلست حرا فى أن تفكر ما شئت، ذلك لان بعض تلك الأفكار من أبنيه الشيطان التى تكبر و تكبر حتى تصبح أعمالا خبيثه. فعليك أن تفرض على قلبك رقابه شديده، حتى لا تدخلها كل فكره خبيثه و هاجسه انحرافيه. و عليك أن تعرف ان علم الله و قدرته و سلطته تحيط بك و بالسموات و الأرض فانتهبه لكل أعمالك.

لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِى الْاَرْضِ وَ الْاِنْسَانُ بَعْضٌ مَّا فِى الْاَرْضِ.

وَ اِنْ تُبَدُّوا مَا فِى اَنْفُسِكُمْ اَوْ تُخَفُّوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهٖ اللّٰهُ فَيَغْفِرُ

لِمَنْ يَشَاءُ وَ هُم الَّذِينَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ، هُوَ لَآءِ يَقْبِضُونَ عَلَى الْأَفْكَارِ الْمَتَسَلِّلَةِ الدَّخِيلَةِ إِلَى قُلُوبِهِمْ وَ يَطْرُدُونَهَا، فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ اللَّهُ، بَعْدَ أَنْ يَحَاسِبَهُمْ حِسَابًا يَسِيرًا.

وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ قَادِرٌ عَلَى الْحِسَابِ الدَّقِيقِ لَمَّا يَجْرَى فِي النُّفُوسِ، وَ قَادِرٌ عَلَى الْجَزَاءِ. وَ رُبَّمَا هَذِهِ الْآيَةُ جَاءَتْ لِتُبَيِّنَ مَسْئُولِيَةَ الْإِنْسَانِ تَجَاهَ أَفْكَارِهِ تَكْمِيلًا لِّبَيَانِ مَسْئُولِيَّاتِ الْبَشَرِ.

[٢٨٥] فالإنسان إذا مسئول عن تصرفاته و مسئول عن أفكاره، و عليه فهو مسئول عن الإيمان أو الكفر في قلبه. ان الإيمان عمل مسئول لصاحبه، ذلك لان كل بشر يولد بالفطره التي يستطيع أن يعرف الله بها، لو لا انه يطمر فطرته في تراب الشهوات، و يحتجب وراء سحب الأساطير و الخرافات، فلا يؤمن بالله. إلا الذين يستجيبون لفطرتهم و يستنبرون بنور العقل و يخرقون به حجب الغفله و الأساطير، انهم يصممون على أن يقاوموا ضغوط الهوى باتجاه الفكر، و أن يتبعوا هدى العقل في الإيمان بالله.

من هنا فالمؤمنون هم الذين يتحملون مسئوليتهم تجاه ما يجرى في قلوبهم فيختارون الايمان.

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ هَذِهِ هِيَ عُنَاوِرُ الْإِيمَانِ الْأَسَاسِيَّةِ وَ هِيَ قَاعِدَةُ بِنَاءِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي يَلْخُصُّهَا الْقُرْآنُ فِي نَهَايَةِ هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنْهَا بِشَكْلِ مَسْهَبِ الْإِيمَانِ بِمَا

انزل الله من كتاب، والإيمان بالرسول جميعاً دون حساسية تجاه رسول، إذ أن أية حساسية من هذا النوع تضر بالإيمان ذاته.

فاليهود مثلاً الذين لم يؤمنوا بالنبى محمد صلى الله عليه و آله انطلاقاً من حساسيتهم تجاه العرب، كانوا كفاراً حتى برسالة موسى، لأن رساله موسى، لم تكن عنصريه، بل إلهيه و هم حوّلوها الى عنصريه.

و الإيمان بالملائكه هو رمز الإيمان بهيمنه الله و سلطانه فى كلّ شىء، و انه الذى يدبر ما فى الكون من فوق عرشه العظيم الذى وسع السماوات و الأرض.

و هذا الإيمان يدفع بصاحبه الى السماع و الطاعة. السماع لفهم كتب الله و رسالاته. و الطاعة لرسول الله و رجال دعوته.

و قالوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ و الإيمان يدفعك الى الشعور بالمسؤوليه و الخشيه من الذنب و الاهتمام بالمغفره، كما ان الإيمان بالله يدفعك الى الإيمان بأن مصير العباد اليه، و أنه يجازى على الحسنات و انه قادر على أن يبعث الموتى.

إطار المسؤوليات:

[٢٨٦] ما هى حدود المسؤوليه و بالتالى حدود التقوى التى تحدثت عنها الدروس السابقه؟ أهم هذه الحدود:

١-القدره. ان القدره شرط عقلى للتكليف، و لذلك لا يكلف الله أحدا على أعمال الآخريين لأنه لا يقدر عليها فبقدر استطاعتك يكلفك الله، و لن يكلف الله

أحدا الا بما يقدر.فلو استطاع شخص التأثير على الناس باتجاه الخير،فسوف يكلف بهم بقدر استطاعته،و فى حدودها و لا يكلف الطفل الذى لا يميز شيئا،و لا المجنون ،و لا المريض بما يعجز عنه،و لا المعدم.

و لا يحتمل الله الإنسان مسؤليه الهواجس التى تتراحم فى قلبه من دون إرادته منه(كالحسد الذى لا يطيعه صاحبه أو كالتشكك فى الخلق،و التشاؤم الذى لا يتبعه صاحبه،و نيه السوء التى لا يحققها صاحبها و هكذا).

و التكليف يقدر أيضا بالعمل سلبا و إيجابا..فبقدر عملك الصالح تجازى بالخير،و بقدر عملك السيء تعاقب بالسوء.و لا ينفعك عمل غيرك كما لا-تضررك ذنوبه،أبوك،مجتمعك،قادتك،أثمتك،كلّ يعمل لذاته،و أنت تعمل لنفسك و انما عملك يشفع لك.

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۚ وَاللَّهُ خَلَقَ مَا يَشَاءُ مِنْ اللَّامِبَالِاهِ.و من هنا نجد ان الله وضع على بعض أنواع الخطأ كفاره ليردع الناس عنها، و ليزيدوا من اهتمامهم بأنفسهم و لا يتورطوا فيها.مثل كفاره الخطأ فى الحج و كفاره قتل الخطأ.

٣-النسيان هو الآخر معفى عنه بالرغم من انه يقع فى حدود قدره الإنسان أيضا.فبالاهتمام تستطيع ألا تنسى شيئا.

من هنا جاء تعبير القرآن عن رفع مسؤليه الخطأ و النسيان بصورة دعاء.بينما كان التعبير عن رفع مسؤليه العجز-بشكل قاطع-قال الله:

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ-التكالييف التي تسبب ضررا لحياء الإنسان و ابتعادا عن سنن الله، كالرهبنة و الاعتزال عن الناس و الامتناع عن الزواج أو عن أكل الطيبات، ان هذا النوع من التكالييف كانت في الأمم لاسباب مرحليه، و لكنها انتفت في الإسلام لأن الإسلام ليس دينا مرحليا بل دين أبدي، للبشر.

٥- في الإسلام خفت التكالييف المجهده و التي سميت بالخرج فإذا أصبح الصوم مرهقا لصاحبه و سيتنفد كل جهده و كل طاقته، يجوز له آئذ أن لا يصوم. و كذا الحج و كل التكالييف. لذلك قال:

رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ هذِهِ هِيَ حُدُودُ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَ هِيَ مُشْكَلُهُ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ فِي الذَّنْبِ حَتَّى دَاخَلَ هَذِهِ الْحُدُودَ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْعَفْوِ. الْعَفْوُ عَنِ الذَّنْبِ وَ التَّغَاضِي عَنْهُ، وَ عَدَمُ الْعِقَابِ عَلَيْهِ، أَمَّا الْغَفْرَانُ فَهُوَ مَحْوُ الذَّنْبِ مِنْ قَائِمِهِ الشَّخْصِ وَ تَصْفِيهِ آثَارِهِ.

و الإنسان بحاجة الى عفو الله و غفرانه، كما يحتاج الى توفيق الله له بان يصلح من نفسه ما أفسده الذنب عليه.

إن كل ذنب يخلف في ذات الشخص و داخل مجتمعه آثارا، و على الإنسان الذي يتوب الى الله من ذنوبه أن يقوم بجهد مكثف بإصلاح ما أفسدته الذنوب، و هنا يحتاج إلى رحمة الله.

وَ اغْفُ عَنَّا وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

و هذا الدعاء الأخير هو تطلع الأمة الى المستقبل، هذا التطلع الذى يعتبر هدف الأمة المقدس الذى يتمحور حوله كلّ أبنائها.

إنّ أمة بحاجه الى هدف يكون بمثابة جبل يشد بعضهم ببعض، وقناه تصب فيها جهود الأمة، ومقياس لمدى تقدم الأمة أو تخلفها، ودافع قوى لأبناء الأمة بالتضحية و العطاء و النشاط و التعاون.

و الأمة الإسلاميه تتطلع الى يوم تنتصر فيه على الكافرين، و تحقق مبادئ الإسلام فى الأرض، و تحمل الخير لجميع الناس. انها تتطلع الى تطبيق رسالتها فى الأرض، و لذلك فهى ليست أمة عدوانيه، أو عنصريه، أو استعماريه، إنها أمة تبنى ذاتها لتهيئها للعطاء.

ص: ٤٩١

سوره آل عمران

اشاره

ص: ۴۹۳

فضل السوره:

عن ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه و ملائكته حتى تجب الشمس»

و عن بريده عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «تعلموا سورة البقره و سورة آل عمران، فإنهما الزهراوان، و انهما تظلان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيابتان، أو فرقان من طير صواف» مجمع البيان ص ٤٠٥

لما ذا الاسم؟

لماذا سميت هذه السوره باسم «آل عمران»؟ هل لأنهم كانوا يشكلون التجمع الايماني الصادق و بما ان سوره «آل عمران» تتحدث عن الامه الاسلاميه كتجمع مبدئي يتمحور حول الايمان بالله و الحق. فقد سميت بآل عمران كمثل واقعي لهذا التجمع؟ أم لأن التجمع الايماني يتمحور حول اشخاص، هم رسل الله في الأرض، و هؤلاء الأشخاص هم صفوه الناس الذين اختارهم الله بحكمته البالغه لما علم فيهم من إخلاص لله، و صدق في العمل من أجل الله و «آل عمران» هم مثل بارز لهؤلاء الصفوه فكانت السوره باسمهم.

سواء كان هذا أو ذاك السبب في تسميه السوره، فان الله خلد هذه العائله الكريمه بذلك، لكي تكون قدوه للإنسان المسلم، و للاسره المسلمه، و بالتالي

ما هو الإطار العام؟

قيمتان تحكم الناس: قيمه رسالات الله، و قيمه الأرض و فيها من زخرف الحياه و الدنيا. تتجلى قيمه الرساله فى الايمان بالله، و التسليم له، و اتباع الحق الذى أوحاه الله، و طاعه رسل الله بلا تفریق بينهم. و بالتالى قيمه مسئوليه الإنسان الكامله عن اى تصرف يقوم به.

و تتجسد قيمه الأرض فى تقديس البشر لذاته، و الاعتقاد بالتميز العنصرى، و من ثم القومى، و الاقليمى، و الطبقي، و التنصل عن بعض المسئوليه اعتمادا على العنصرية.

و تتحدث سوره «آل عمران» عن التقابل بين قيمتى السماء و الأرض، فى الحقل الاجتماعى حيث تبين لنا أن الامه الاسلاميه، انما هى تجمع مبدئى، تستمد تلاحمها من قوه الرساله، و تتمحور حول قيم الايمان بالله و التسليم له (الإسلام) و الخضوع للحق و تقبل المسئوليه، و بالتالى الجهاد الذى هو قمه المسئوليه و التضحيه.

و تتحدث هذه السوره عن الوحده المبدئيه التى تربط رسالات السماء ببعضها، كما تربط عناصر الأمه فيما بينها، و كذلك تفصل بين الامه الاسلاميه و بين الأمم العنصرية الاخرى، فالمبدأ هو المقياس و هو القيمه، فهو الذى يفصل بين الأخ و أخيه، و هو الذى يربط بين العربى و الأعجمى.

و من هنا تشير آيات سوره «آل عمران» الى فكره (العنصرية) و التى تتجسد فى عباده اشخاص، و اتخاذهم آلهه من دون الله، (كمثل عيسى عند النصارى). باعتبار هذه الفكره هى جذر فكره العنصرية، و التى هى أخبث ثمره لتقديس الذات. لذلك

يفصل القرآن الحديث حولها.

و هذه السوره، تتحدث فى البدء عن الله الذى انزل الكتاب بالحق، ليهدى الناس، و لأن الله لا يخفى عليه شىء، فهو أحق ان يهدى الى الحق.

و الكتاب الذى يمثل الدين الحق، لا ريب فيه، و إنما يختلف فيه البعض لأنهم يبتغون الفتنة، و يعتمدون تحريف الكتاب بسبب ابتعادهم عن المسؤولية، فهم لا يؤمنون باليوم الآخر، و يزعمون ان أموالهم تغنيهم عن العذاب.

إن الشهوات هى وراء انحراف الناس عن الحق، و إنما الخلاص منها بالإيمان بالآخره، و بما أعد الله للصابرين عن الشهوات من أجر عظيم.

و رساله الله الى الإنسان واحده، لأنها تشع من ذات المشكاه، بيد أن اختلاف الناس فيها نابع من أنفسهم المريضه، التى تريد الظلم و البغى و لكى تتخلص البشريه من الاختلاف، فلا بد ان يتكامل ايمانها بالله، و يتعد عن العنصريه، و يعرف أن الله يراقب تحركاته، و يؤمن بيوم الجزاء و يتبع رسل الله.

و قد اختار الله رسله لأنهم أتبعوا الله و أخلصوا له العباده، فليست هنالك ايه عنصريه، و ليس عيسى الآ- عبدا لله. امتحنه الله فاختره لرسالته. و إذا لم يكن عيسى الآ عبده، جزاه الله بصالح عمله فهل يقدر البشر ان يتقدموا بلا عمل صالح، و لمجرد انهم من عنصر مقدس؟! إن العنصريه هى اسوأ ما تعانىه البشريه، و هى الطرف المعاكس و المتناقض تماما مع الرساليه.

و سوره «آل عمران» تنسف فكره العنصريه من جذورها البعيده، و تتحدث طويلا عنها من خلال بيان مفصل لقصه عيسى، و من خلال الحديث عن إبراهيم

الذى قدّسه اليهود، و زعموا أنهم أولياء الله لمجرد أنهم أبناء إبراهيم.

كما ان هذه السوره تتحدث عن الوحده داخل التجمع الايماني، و ما يجب ان تكون عليه الوحده من صفات.

و كلمه اخيره: ان سوره «آل عمران» تتحدث مباشره عن المسؤوليه، باعتبارها أهم نتائج التجمع الايماني، و فى نهايات السوره-
تتضح-فكره المسؤوليه و يضرب السياق أمثله توجيهيه لها، أبرزها الجهاد فى سبيل الله.

و بمناسبة الحديث عن المسؤوليه، تتحدث السوره عن الجزاء، و تبين ان كلّ من عمل صالحا سيجزى بعمله، و أنّ من الخطأ
تصنيف الناس حسب انتماءاتهم العنصريه، أو ولاءاتهم الدينيه.

هذه الفكره هى التى تختتم السوره آياتها بها و نستوحى منها ضروره الاعتماد على العمل فى سبيل الله.

ص: ٥٠٠

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤) إِنَّ اللَّهَ
لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦)

اللغه

٦[يُصَوِّرُكُمْ]:التصوير جعل الشيء على صورته لم يكن عليها.

[الأرحام]:جمع رحم و أصله الرحمه.و ذلك لأنها مما يتراحم به و يتعاطف يقولون وصلتك رحم.

[يشاء]:المشيئه هي الاراده.

اشاره

بين الوحده و العنصريه

هدى من الآيات:

بعد ان يذكرنا الدرس الأول من سوره آل عمران بربنا الذى لا اله الا هو الحى القيوم، بيصّرنا بأن الكتاب الذى نزله الله على قلب الرسول حق. و انه يصدق ما مضى من كتب. و ان منزلّه هو الذى انزل من قبل التوراه و الإنجيل، مما يوحى بوحده رسالات الله. أو ليست جميعا هدى للناس. و أنّه لقرآن كريم يفرق بين الحق و الباطل، و ينذر الكافرين به بعذاب شديد نازل من عند عزيز منتقم.

و الذى انزل الفرقان حكيم خبير بمصالح عباده. لا- يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء. و هو الذى يحيط علما بطبائع البشر. أو ليس قد صوّرهم فى الأرحام كيف يشاء. سبحانه لا شريك له و هو العزيز الحكيم.

بينات من الآيات:

[١] الم .

كلمات مضيئات، معجزات لا يعرف مداها الا الله و النبى صلى الله عليه و آله و الراسخون

ص: ٥٠٢

فى العلم.

[٢] اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ .

كلمه التوحيد هى النقطه الاساسيه التى تتمحور حولها الامه الاسلاميه.فهى خلاصه قيمها(لان القيم مستوحاه من الله)،و هى رمز وحدتها.و هى قاعده قيادتها،لذلك بدأت السوره بهذه الكلمه:أما «الْحَيُّ الْقَيُّومُ» فهما اسمان من أسماء الله تعالى،يرمز كل واحد منهما الى جانب من فكره السوره.

الْحَيُّ اسم يرمز الى أهم الصفات الذاتيه لله،صفه القدره و الاراده و العلم،إذا العاجز و المجبور،و الجاهل،يفقد من حياته بقدر عجزه و جبره و جهله.و تعالى الله عن الموت بكل اشكاله و صورته،انه الحى مطلق الحياه.

ما هو القيوم؟ الحياه التى لعيشها ليست موجوده فقط،و انما هى منظمه أيضا تنظيما دقيقا، و كل نظام بحاجه الى من يقوم به،و يهيمن عليه.فمن هو قائم بتنظيم هذه الحياه الواسعه؟ إنه الله الذى يشمل قيامه بالحياه على كل مرافقها،انه يقوم بنظام حركه المجزءه، لكى لا- تصطدم نجومها مع سائر المجردات كما يقوم فى ذات الوقت بنظام الذره، لكى تبقى الكترولونات و البروتونات تدور حول بعضها.

و كما فى الكون كذلك فى المجتمع،يجب ان يسود نظام الإسلام،ذلك النظام الذى أوحى به الله سبحانه،الذى لا يعلم فقط نظام الطبيعه-و بينها طبيعه الإنسان-و إنما يقوم أيضا بتسيير هذا النظام.

ص:٥٠٣

الْقِيَوْمُ هو صيغه الكثرة من القيام، والقيام استخدم في آيات الكتاب في معنى النظام أكثر من مره واحده ولأن الله حي و قيوم، فهو الذى يجدر ان ينظم حياتنا الاجتماعيه و يقوم عليها قياما، و هذه بالذات هى فكره هذه السوره من بدايتها الى نهايتها. إذا السوره ما هى الا ترسيخ لاسمى الحى و القيوم. و تبسيط لهما و ربطهما بسائر مرافق الطبيعه و الحياه.

[٣] نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ .

لأن الله حي و قيوم فانه نزل الكتاب تنزيلا متدرجا حسب الحاجه اليه، و الكتاب لم يهبط على جبل، بل على بشر كسائر البشر. إلا أنه بشر يتميز باتباعه للحق و تجسيده له.

و الحق الذى نزل به القرآن على النبى، هو التعبير الموجز عن التوافق بين الطبيعه و حياه الإنسان. و إن التشريع السليم للحياه ينبغى ان يكون متناسبا مع الطبيعه، و خالق الطبيعه العليم بها، و مدبر شؤونها، و القيوم عليها، أجدر بأن يشرع للحياه و ينظمها، و يقوم على تسيير هذا النظام.

و التشريع الموحى فى الكتاب (القرآن) قديم قدم الإنسان ذاته و قدم حاجته الى النظام، و علم الله هو الآخر قديم. لذلك كان كتاب الله الأخير مصدقا لكتبه الاولى. لاین المشكاه التى أضاءت الحياه بالقرآن، هى التى أعطتهم الإنجيل و التوراه. فكل هذه الأنوار آتیه من مصباح واحد.

[٤] مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ

عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ .

و القرآن و الإنجيل و التوراه، و كل رسالات السماء نور واحد يستهدف غايه واحده هي توفير الهدى للناس. و لماذا الهدى، لان فى الحياه خير و شر، صحيح و سقيم، صالح و طالح، فكيف يميز الإنسان الخير عن الشر. أو ليس بمقياس؟ و بميزان و بقيم و بالتالى بفرقان يفرق بين الحق و الباطل. و من هنا أنزل الله «الفرقان».

الذين يهتدون بالرسالات السماويه و يتمسكون بالفرقان، يميزون به الحق عن الباطل، و الخير عن الشر، فطوبى لهم، أولئك لا خوف عليهم. أما «الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ» فما ذا تنتظر لهم، هل تنتظر كفايه الدرب و بلوغ الهدف؟ كلا بل «لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» و اى عذاب أشد من الضلال، و من الانفلات فى فوضى الحياه و الوقوع فى المهالك.

و الله سبحانه لا يتركهم يعانون من عذاب شديد فى الدنيا فحسب، بل يقف لهم بالمرصاد لياخذهم فى الحياه الآخره أيضا. «وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ» و حين يكون العزيز (القوى المقتدر) ذو انتقام فيا للمأساه، و يا للنهايه المروعه.

و الكتاب هدى و فرقان لسبب بسيط، هو ان الله باعث الكتاب حى و قيوم فهو حى لا- يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء.

[٥] إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ و قيوم، يهيمن على نظام الحياه من أكبر الأشياء الى ابسط شىء.

[٦] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ هناك حيث لا تمد اليه يد الأبوين و لا يمتد اليه علمهما، هناك الله اللطيف يقوم

بفعل التصوير حسب ما يشاء. لأنه مطلق المشيئة واسع المشيئة، لا- تخضع مشيئته سبحانه لضغوط أو حتميات، كما هي مشيئته الإنسان، تخضع لضغوط الشهوة و حتميات العجز و الجهل و..و..

و إذا كان كل شيء ضمن عرض علم الله حيث لا يخفى منه شيء، و كل شيء في رحاب قدره الله-حتى في الأرحام يصورنا- كيف يشاء فانه الرب الأحد.

□ □ □
لا إله إلا هو العَزِيزُ الْحَكِيمُ .

و اسمى « الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »هما معا مظهر المنظم الحقيقي. فالقائم بالنظام ينبغي ان يتمتع بالقدره «العزه» و«العلم اى الحكمة» و نجد هذين الاسمين فى القرآن كلما ذكرت انظمه و تشريعات.

و العزه هى المظهر الاجتماعى للقدره، كما ان الحكمة هى الجانب العملى من العلم. و لذلك جاءتا عند الحديث عن التشريع دون اسمى القدير العليم.

ص: ٥٠٦

إشارة

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَنْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧) رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ لَجَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِعَذُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتٌّ مِثْلَهُمْ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادُ (١٢) قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الْتَقَتَا فَنه تَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)

اللغة

٧[محكمات]:المحكم مأخوذ من قولك أحكمت الشيء إذا ثقفته و أتقنته.

[أم الكتاب]:أصله.

[متشابهات]:أى يشبه بعضها بعضا فيغمض الأخذ من الشبه لأنه يشبهه به المراد.

[زيغ]:ميل.[الراسخون]:الثابتون ٨[هب]:الهبه تملكك الشيء من غير ثمن و الهبه و الصله و النحله نظائر.

١١ [كدأب]:الدأب العاده.يقال دأب يدأب إذا اعتاد الشىء و تمرن عليه.

١٢ [تحشرون]:الحشر الجمع مع سوق.[جهنم]اسم من أسماء النار و قيل أخذ من الجهنام و هى البئر البعيده.[المهاد]:القرار و هى
الموضع الذى يتمهد فيه أى ينام فيه مثل الفراش.[لعبره]:آيه

ص:٥٠٨

بين حق التأويل و فتنه الباطل

هدى من الآيات:

أ رأيت كيف تتوحد حبات المسبحة؟ إنها تنخرط جميعا فى خيط واحد أو رأيت كيف تتوحد أوراق الشجره الكثيفه؟ إنها تلتف حول الفروع التى تتمسك-هى بدورها-حول الساق الغليظه الضاربه بجذورها فى الأرض.

كذلك أبناء آدم لا-يمكن ان يتحدوا من دون جبل يعتصمون جميعا به،أو أصل راسخ يلتفون حوله.فما هو ذلك الجبل فى رؤيه الإسلام؟ انه كتاب الله المتجسد فى رسول الله،أو فى من هو امتداد حقيقى لشخصيه رسول الله صلى الله عليه و آله .

ولأن سورة «آل عمران»تتحدث لنا عن التوحيد و الوحده. سواء على صعيد المؤمنين برسالات السماء جميعا أو على صعيد المسلمين فقط،فإن القسم الأول من هذه السوره تتحدث عن كتاب الله ثم عن رسله إلى الناس.

ما هو كتاب الله، لماذا لا يؤمن به الناس و ما هو مصير الكافرين به؟ حول هذه الاسئلة تبحث آيات هذا الدرس:

بينات من الآيات:

كيف تكون رساله عامه؟

[٧] هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ النَّاسِ مُسْتَوِيَاتٌ مُخْتَلَفَةٌ، وَكَتَابَ اللَّهِ جَاءَ لِلنَّاسِ جَمِيعًا، فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يُرْسَلَ اللَّهُ رِسَالَهُ وَاحِدَةً لِجَمِيعِ النَّاسِ عَلَى اخْتِلَافِ مُسْتَوِيَاتِهِمْ؟ الْجَوَابُ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ كِتَابَهُ عَلَى دَرَجَاتٍ أَيْضًا. لَيْسَتْ كُلُّ آيَاتِهِ لِكُلِّ النَّاسِ أِنَّمَا فِيهَا آيَاتٌ عَامَةٌ يَفْهَمُهَا الْجَمِيعُ، وَهِيَ بِمِثَابَةِ قَاعِدِهِ رَاسِخَةٌ تَبْنِي عَلَيْهَا سَائِرَ الْأَفْكَارِ وَالْأَحْكَامِ. وَفِيهَا آيَاتٌ خَاصَةٌ لَا يَفْهَمُهَا إِلَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيحًا كَبِيرًا مِنَ الْعَقْلِ وَالْمَعْرِفَةِ. وَبِالطَّبَعِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ بِدَوْرِهِمْ مُتَفَاوِضُونَ بَيْنَهُمْ فِي دَرَجَاتٍ، فَقَدْ تَكُونُ الْآيَةُ الْوَاحِدَةَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ وَاضِحَةً، وَلا تَكُونُ وَاضِحَةً عِنْدَ مَنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْهُ عِلْمًا.

القسم الاول من الآيات تسمى «المحكّمات» و القسم الثاني «متشابهات» و على الإنسان ان ينظر الى الآيات، فاذا فهمها و تبصر ما فيها من رؤى و أفكار أخذ بها. و إذا لم يفهمها فليس له ان يضيف إليها من آرائه شيئًا، و يفسرها على هواه، انما يجب عليه أن يسأل أهل الذكر، الراسخين في العلم. فعسى أن يأخذ مما لديهم ذكرًا و علما في ذلك. و قبلئذ يكتفى بالآيات المحكّمات اللاتي هن أم الكتاب.

ان التفسير الخاطئ لنصوص الكتاب يسبب الاختلاف في الدين، و إنما جاء

الدين ليجمع الناس فحين يتخذ أداه للفرقه لا- يكون هناك دين حقيقى. و بذلك يكون التفسير الخاطى وسيله لهدم الدين أساسا.

بين المحكم و المتشابه:

و من هنا ركز القرآن الحكيم على تفسير هذه الناحيه، و اعطى فى بدايه حديثه عن القرآن «القاعده العامه» التى تصلح ان تكون طريقا لفهم القرآن الحكيم، و هى قاعده «المحكم و المتشابه» حيث يجب على الإنسان ألا يأخذ من آيات القرآن إلا الآيات التى يفهمها جيدا، و تكون واضحه امامه و ضوحا تاما.

و لو اكتفى كل إنسان بالأفكار الواضحه جدا، و لم يقل شيئا لا يعلمه، لم يخلط العلم بالجهل، و لم يأخذ الفرد غرور العلم. بينما لو عكس فاشبع نهم روحه الى العلم بأفكار خاطئه لا تختلط عنده العلم بالجهل، و انتشر بغرور العلم، و ركن الى الجهل و تبدل فكره، و لم ينفعه علمه.

و الوقوف عند الآيات المحكمات دون تجاوزها الى المتشابهات، يعنى أيضا تربيته العقل عند الإنسان، و تنميه قدرته على كشف الحق عن الباطل، و العلم عن الجهل.

لماذا الاختلاف فى الدين؟

و بعد بيان قاعده المتشابه و المحكم، بين القرآن بوضوح، و بتفصيل سبب الاختلاف فى الكتاب، و بالتالى فى الدين. و بالرغم من أن السبب واحد، إلا انه يتدرج فى مراحل ابتداء من الزيغ فى القلب و انتهاء بالكفر و مروراً بالتكذيب.

الف: اما عن الزيغ فقال ربنا:

ص: ٥١١

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

ما هو الزيف؟:

الزيف هو الانحراف و الانصراف عن الحق.و يعتقد ان القرآن يفسر الخطأ الانساني تفسيراً نفسياً فلا يخطأ الإنسان إلا بسبب انحراف في نفسه من عقده الضعه،أو ترسب الأفكار الوراثة،أو الاستسلام لأفكار المجتمع أو الجماعه التي ينتمى إليها،أو الخضوع لضغوط الشهوه،أو التسرع في إصدار الحكم بهدف الراحة أو بسبب توتر النفس.

و حين تنتهي مشكله الإنسان النفسيه بتنميه إرادته و مقاومه الضغوط،فان العقل ينطلق للبحث السليم و سيصل -بالطبع-الى المعرفه.

و قد يطرح سؤال:كيف تكون المشكله العقلية مرتبطه بالمشكله النفسيه،علما بأن وعى الإنسان قادر على ان يكون حاجزا يقف أمام خلط أحكام النفس و أمانيتها،مع بصائر العقل و أفكاره.

الجواب:إن محيط النفس و العقل هو محيط واحد،و حين تهوى النفس شيئاً فانها تقوم بالتسويل للعقل،و التزيين له،حتى تحجبه عن الرؤيه تماماً،خصوصاً إذا استجابت اراده الإنسان(و هى القوه الحاسمه عند الإنسان،التي تختار العقل أو الهوى)لنفس،فانها تحاول القيام بعملية خداع ذاتي،و أكثر ما يقع الناس فى الخطأ هو بسبب الخداع الذاتى.حيث يصعب عليهم أو يستحيل فى بعض المراحل تمييز بصائر العقل و أفكاره عن أهواء النفس و امنياتها.

من هنا تكون التربيه النفسيه طريقاً لتحرير العقل من أغلالها.اما إذا انحرفت النفس فان العقل سيتاثر سلبياً.

من هنا اعتبرت الآيه الكريمه زيغ النفس و انحرافها سببا للتأويل الباطل و حذر من أى نوع من الزيغ.

التأويل:

بعد وجود الزيغ فى القلب نبدأ عمليه التأويل، و هى تطبيق القيم العقليه و الرساليه على أهواء الذات، فمثلا: يتم تطبيق قيم العدالة و المساواه على هوى الذات كيف؟ يقول من ابتلى بانحراف فى نفسه: إنه ليس من العدالة ان أكون فقيرا و الناس أغنياء، فعلى ان أسرق من الناس لجبر فقرى. أو يقول الديكتاتور ان ضروره النظام تفرض علينا كبت حريات الناس، و هكذا يتم تحريف القيم باتجاه الهوى. أو بتعبير القرآن تأويلها بما يتناسب و الأهواء الذاتيه.

الفتنه:

و التأويل يأتى بعد الفتنة، إذ الفتنة هدف التأويل و هى ظلم الناس، إذ لا ينحرف البشر الا استجابته لضغوط شهوات الذات، التى تدعو بالطبع إلى اغتصاب حقوق الآخرين، مما يسمى بالفتنة فى منطق القرآن.

ان علامه الانحراف هى التأويل غير العلمى، و علامه التأويل غير العلمى هى استهداف الفتنة. و باستطاعتنا ان نكشف الانحراف العقلى من المظاهر الاجتماعيه (الظلم الاجتماعى). فالنتائج السلبيه للفكره تكون ابسط دليل على خطأ الفكره ذاتها. من هنا نبه القرآن الى ان الفكره الخاطئه هى التى تستهدف نتائج ظالمه.

و قال:

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ يَعْنِي إِنَّ الْمُنْحَرِفِينَ نَفْسِيَا هُمُ الَّذِينَ يَتْرَكُونَ آيَاتِ الْوَاضِحَةِ إِلَى الْآيَاتِ

ص: ٥١٣

الغامضه لتأويلها حسب أهوائهم و بهدف ظلم الناس و غضبهم حقوقهم.

من يعلم التأويل؟

وَمَا يَكْفُرُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَلَا- يوجد التأويل الصحيح اى: التطبيق الصحيح لقيم الوحي، أو العقل على الموضوعات الخارجيه، إلا عند الله و عند الراسخين فى العلم. فمن هم هؤلاء الراسخون فى العلم؟ انهم أولئك الذين لم يكتفوا بالعلم بالأشياء فقط، انما يركزون أيضا فى العلم، و يكثرن النظر فيه حتى ترسخ أقدامهم فى ارض العلم، و هناك يعرفون كيف يطبقون العلم على الواقع.

إن تطبيق القيم الرساليه على الواقع الموضوعى، لا يتم سليما إلا إذا توافرت شروط ثلاثه تشير إليها الآيه الكريمة و هى:

١-سلامه النيه.

٢-العلم بالقيم علما راسخا.

٣-العلم بالواقع علما راسخا.

و كلمه اخيره: ان هذه الآيه لتدل على ان أهم مسؤوليات رجل العلم تطبيق القيم على الواقع تطبيقا نزيها.

الايمان قبل المعرفه

ثم تتحدث الآيه عن علاقته الايمان بالمعرفه، و تؤكد ان المعرفه هى وليده الايمان،

ص: ٥١٤

و ليس العكس..و السبب ان الشرط المسبق للمعرفه هو الاستعداد النفسى لتقبلها و التسليم لها متى ما ظهرت له.

ان الفرد الذى يتكبر-سلفا-على الحق،و يستبطن فى نفسه رفض الحق أن جاءه فسوف لن يصل الى المعرفه و إنما يعرف الراسخون فى العلم التأويل الصحيح للقرآن،لأنهم يؤمنون به سلفا و لا يريدون تكييف القرآن حسب أهوائهم،انما يبتغون الاتباع و التسليم.

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ هناك قضايا واضحه كالفضايا التى تحدثت الآيات الماضيه عنها،و لكنها تحتاج الى التنبيه إليها، فمن يتنبه انما الذى يمتلك اللب يتذكر و من لا يمتلك كيف لا يتذكر و بما ذا يتذكر انما باللب فما هو اللب؟ هل هو العقل باعتباره جوهر الإنسان و لبه، أم ان أولى الأبواب هم الذين لا- يهتمون بالقشور و الظواهر،و انما بالحقائق التى تكشف الظواهر عنها.

[٨]من الذى يكشف انحراف النفس(زيغ القلب)غير الإنسان ذاته.

و بالرغم من ان الآخرين قد يساعدونه فى التنبيه الى زيغه و انحرافه،الا انهم لا يقدررون على إصلاحه إلا إذا أراد هو.

الوعى الذاتى لا يصلح القلب بعد الزيغ فحسب،انما يمنع عنه الزيغ فى المستقبل أيضا.لذلك تجد الراسخين فى العلم يتوسلون إلى الله من أجل الا تزيغ قلوبهم.

و بهذا الدعاء يخلق الله فى أنفسهم مناعه عن الزيغ و وعى ذاتى لاكتشافه متى تسرب إلى قلوبهم،فهم يكررون أبدا:

رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ

الْوَهَّابُ إنَّ الرِّحْمَةَ الهَابِطَةَ مِنَ اللَّهِ أَقْسَامٌ. و لكن أهمها هي المعرفة التي يمن بها الله على البشر سواء وحيًا بالقرآن، أم إلهامًا. و ينمى الدعاء تطلع المؤمنين الراسخين في العلم الى المعرفة و لذلك فهم يرددون هذا الدعاء و يطلبون الرحمة (المعرفة) من الله. و أساسا الروح العلميه بحاجه الى تربيته و تنميه، و بهذا الدعاء ينمى المؤمنون هذه الروح.

الايمان باليوم الآخر..حجر الزاويه فى المعرفة:

[٩] كما الجبال الراسيات تحفظ الأرض من ان تميد، و كما القواعد تحفظ البناء من الزلزله و الانهيار، كذلك الايمان باليوم الاخر حجر الزاويه فى البناء الذهني للمؤمن، فمن دونه يتوتر القلب و لا- يستقر على اتجاه، كيف ذلك..؟ إن القلب البشرى كسفينه تتقاذفه الأهواء، فمن ضرورات الحياه، الى مطامع الشهوات، الى ضغوط المجتمع، الى حتميات الطبيعه. تعصف جميعها بالنفس و تحدث فيها طوفانا عاتيا. و العقل كسكّان متين، يحاول توجيه السفينه فى خط مستقيم، و لكنه يعجز عن التحكم بالسفينه من دون الاستعانه بالثقل الذى يرسبها به. و ثقل النفس هو الايمان بالحياه الاخره، إذ عن طريق هذا الايمان تطمئن النفس، و يحدث فيها نوع من التوازن.

فاذا عصفت شهوه الجنس بالنفس و أرادت ان تستبد بتوجيهها، جاء الايمان بالحياه الاخره ليخفف من ضغط هذه الشهوه، و يقول لصاحبها كلا.. ليست هذه الشهوه هي كل شيء فى الحياه إذ هذه الحياه بالذات ليست كل الحياه، انما الدار

الآخره هي الحياه الحقيقيه،و بهذا تطمئن النفس و يستطيع ان يحكم توجيهها العقل.

و قبل ان يذكرنا القرآن فيما يلي من الآيات بالعوامل النفسيه التي تسبب زيغ القلب،و بالتالي انحراف البشر،انطلاقا من مبدأ القرآن الآنف الذكر.

ان مشكله الإنسان في العلم مشكله نفسيه،و قبلئذ ذكرنا القرآن باليوم الآخر باعتباره حجر الزاويه في توجيه النفس البشريه.
و قال على لسان الراسخين في العلم.

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ و ما دام الإنسان يتمثل غدا امام الله فعليه ان يفكر و يتذكر و لا يسترسل مع رياح الهوى.عليه ان يعي ذاته.

ان فلسفه القرآن تقول:»

حب الدنيا رأس كل خطيئه»و بالتالي«التجرد عن حب الدنيا رأس كل فضيله»و من هنا كلما تذكر الإنسان«المعاد» كلما اطمأنت نفسه و كان اقدر على توجيه شهواته.

الاعتماد على الله فقط

[١٠]اعتمادا على المال أو الولد يتكبر المرء على الله و على رسالاته و يحسب أن ماله يخلده و ان أبناءه سينصرونه من دون الله.

و لكن متى ما عرف الإنسان نهايته الحتميه و أنه حين يقف أمام الله سيحاسب حسابا عسيرا،فلا بد انه يسلم للحق.

يقول القرآن بصراحه:

ص:٥١٧

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ وَحِينَ يَذْكُرُهُمْ بِمَصِيرِهِمُ الْأَسْوَدَ حِينَ يَتَحَوَّلُونَ إِلَى مَجْرَدِ وَقُودٍ لِلنَّارِ، فَلَا بَدَّ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ يَرِغَمُ أَنْوْفَهُمْ وَيَحْطَمُ كِبْرِيَاءَهُمْ.

[١١] و كمثل من التاريخ:

كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِعَذُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ إِنَّ «آلَ فِرْعَوْنَ» وَصَلُوا قَمَهُ التَّقَدُّمِ الْمَادِي فَهَلْ انْتَصَرَ لَهُمْ تَقَدُّمُهُمْ مِنَ اللَّهِ، وَهَلْ نَفَعَتْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ وَأَعْطَتْهُمْ مِيرَاةً لَتَكْبَرِهِمْ أَوْ لِمَقَاوِمَتِهِمْ الْحَقِّ.

[١٢] و باختصار فان الاستكبار عن الحق، لا ينفع الإنسان لا في الاخره و لا في الدنيا، فاما الآخره:

قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ غَلَبَتْ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ [١٣] و اما في الدنيا فان شواهد التاريخ تتوالى لتدل على أن أهل الحق هم الغالبون في الدنيا، و لهم النصر و المجد.

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ - واضحه و علامه اكيد - فِي فِتْنَةِ التَّمَّتِ فِيهِ تَقَاتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - و الحق - وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ - و كل وسائل النصر الماديه من نصيب الكفار - وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ فلما ذا التكبر عن الحق ما دام الباطل ذلك في الدنيا و عذاب في الآخره. ان التكبر عن الحق و الاحساس بالتعالى و المجد، يشكل نسبه ٥٠٪ من أسباب الكفر،

ص: ٥١٨

و يجب معالجه هذه الشذوذ فى النفس بتذكيرها بعاقبه المتكبرين فى الدنيا و الآخره حتى تخشع النفس و تقنت للحق. ثم ذكّرت الآيه أن فى هذه الحقائق عبره لأولى الأبصار..فما هى العبره؟ و كيف يستفيد منها الإنسان؟ العبره هى -مثلا-الانتقال من الدليل الى معناه، و من رؤيه ظاهره الفقر الى سببها الاجتماعى.

الذين لا يملكون الأبصار يجمدون على الظواهر و لا ينتقلون منها الى الحقائق، فاذا رأى ظاهره الفقر فى المجتمع جمدها و لم يستدل بها على وجود الطبقيه فى المجتمع، أو وجود التخلف الفكرى و الصناعى و..و..

اما الذين يملكون الأبصار فإنهم لا- ينظرون الى الظاهره فحسب بل الى أسبابها التى يرونها من خلالها، و العمليه تسمى عبور أو «عبره» اى انتقالا من على جسر الظاهره الى شاطئ الحقيقه.

و ظاهره انتصار المؤمنين بالحق أبدا تكشف عن السبب وراءه و هو ان التكبر عن الحق ذل حاضر فى الدنيا. انما هذا الكشف يختص بمن يبصر أما من يغض طرفه عن الحقيقه فحتى الشمس يمكن ان تخفى عليه.

إشارة

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ (١٤) قُلْ أَتُبِتُّكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسِيئِينَ بِالنَّاسِ بِالْإِسْحَارِ (١٧) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

اللغة

١٤[الشهوات]: جمع شهوه و هي توقان النفس الى المشتهى.

[القناطر]: جمع قنطار و هو المال الكثير العظيم.

[المسومه]: من قولهم أسحت الماشيه و سومتها إذا رعيتها.

١٧[القانتين]: المطيعين.

[الأسحار]: جمع سحر. و هو الوقت الذى قبيل طلوع الفجر أصله الخفاء لخفاء الشخص من ذلك الوقت.

١٨ [شهد]: حقيقه الشهاده: الاخبار بالشىء عن مشاهده أو ما يقوم مقام المشاهده.

١٩ [الدين]: الطاعه و أصله الجزاء و سميت الطاعه دينا لأنها للجزاء.

[الإسلام]: أصله السلم معناه دخل فى السلم، و أصله التسليم لأنه تسليم لأمر الله. و هو تأديه الطاعات على السلامه من الإدغال.

ص: ٥٢١

بين آفاق المستقبل و شهوه الحاضر

هدى من الآيات:

النفس البشريه بين العقل و الشهوه:

[١٤]النفس البشريه، تفضّل العصفور الواحد فى اليد على عشره على الشجره، حتى إذا كان المرء قادرا ان يصيد العشره بقليل من الجهد.

من هنا يفضل البشر الشهوات الحاضره على التطلعات البعيده المدى، فالطالب يفضل الراحة و الكسل عن تحصيل العلم، على الميزات التى يحصل عليها بعد التخرج، كما يفضل العامل صرف راتبه بالكامل فى سبيل راحته، على تحويله الى رصيد، يشتري به أسهما فى شركه رابحه.

و عقل الإنسان، يدفعه أبدا الى الموازنه، بين المستقبل و بين الحاضر فيأمر الطالب بالاكْتفاء بشيء من الراحة، و الجهد من أجل الحصول على راحه أكثر بعد التخرج و كذلك يأمر العامل بادخار علاوه معاشه من أجل أيام ضعفه.

ص: ٥٢٢

و العلاقة بين الدنيا و الآخرة هي ذات العلاقة بين الحاضر و المستقبل إذ تدعونا الشهوات الى صرف كل طاقاتنا فى الدنيا حتى إذا انتقلنا الى الدار الآخرة لا نجد فيها شيئاً بينما العقل يدعونا الى الموازنة بين الدنيا و الآخرة.

و حين يتطلع الإنسان الى الآخرة، فإنّ مستقبل دنياه أيضاً مضمون، إذ كل عمل يوفره البشر للآخرة يعطيه مردوداً دنيوياً أيضاً.

بينما حين يهتم المرء فقط بالدنيا و شهواتها الحاضرة يكفر بالمستقبل لأنه لا يراه بل لا يريد ان يراه و هكذا تحجب عنه جدران الشهوات، النظر الى رحاب المستقبل الواسع.

و حب الإنسان للشهوات طبيعى، كما ان تطلع البشر الى مستقبل الحقيقه فطرى إلا أنّ المهم الا يختار المرء الواحد على الآخر. من هنا عبّرت الآيه عن الشهوات بأنها زينت للنفس.

و شهوات النفس تتدرج الى أنواع هي:

(١) شهوه الجنس - و البنين.

(٢) شهوه الخلود و متطلباته من الثروه الطائله كقناطير من الذهب و الفضة، و القنطار يعنى فى عرفنا غاصه النقد.

(٣) شهوه الرئاسة و الفخر، و متطلباتهما من الخيل المسوّمه، اى المعروفه لمن هي، و الانعام و الحرث.

تقول الآيه:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقُنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ

ص: ٥٢٣

الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الْعَاجِلَةَ يَجِبُ أَنْ تَبْقَى فِي حُدُودِهَا الْمَعْنِيَّةِ وَ ذَلِكَ بِالتَّفَكُّرِ فِي أَنَّ هُنَاكَ تَطْلَعُ اسْمِي مِنْهُ يَجِبُ أَنْ يُوَازِنَ بِهِ الْإِنْسَانُ حَيَاتِهِ. ذَلِكَ التَّطَلُّعُ هُوَ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَمَاذَا عِنْدَ اللَّهِ؟ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ أَيِ الْمُسْتَقْبَلِ الْمَضْمُونِ، وَ الْجَيْدِ.

[١٥] قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَُمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَمْ يَسْتَرْسِلُوا مَعَ الشَّهَوَاتِ إِلَى نَهَايَةِ الشُّوْطِ، أَمَا وَجَّهُوا شَهَوَاتِهِمْ حَسَبَ تَطْلَعَاتِ عَقُولِهِمْ. وَ قِيمَ دِينِهِمْ لِهَؤُلَاءِ عِنْدَ اللَّهِ.

جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ هَذِهِ تَشْبَعُ فِي الْإِنْسَانِ الْإِحْسَاسَ بِطَلْبِ ضَرُورَاتِ حَيَاتِهِ.

خَالِدِينَ فِيهَا وَ هَذِهِ تَشْبَعُ فِيهِ تَطْلَعُهُ إِلَى الْخُلُودِ.

وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ يُوَازِنُ بِهَا الْمُؤْمِنُ شَهْوَةَ الْجِنْسِ فِي الدُّنْيَا.

وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ .

يَشْبَعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ حَبَهُ لِلْمَدِيحِ فِي الدُّنْيَا.

إنك ترى كيف ان الذى اتقى فى الدنيا من الإفراط فى الشهوات، نال فى الآخره عن كل شهوه دنيويه اتقى منها ما يتناسب معها من نعم عظيمه. و بذلك يتم التوازن فى قلب المؤمن، بين حاضر شهوات الدنيا، و مستقبل تطلعات الآخره.

معنى التقوى

يبقى ان نعرف أن التقوى هى رقابه ذاتيه، إذ ليس هناك من شخص يراقبك أو يحاسبك، على مدى توجيهك لشهوات ذاتك، إنما أنت تراقب نفسك و تحاسبها، حتى إذا ذهبت الى الله لا يفاجئك حسابك العسير.

و هذا ما يؤكد قول الله فى نهايه الآيه:

وَ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ إِذْ مَا دَامَ اللَّهُ يَحَاسِبُ الْإِنْسَانَ، فعلى الإنسان أن يخشى المفاجئه السيئه امام الله العليم فيتقى الله ما استطاع.

[١٦] من المتقى؟ و كيف يوازن المتقى بين شهوات الدنيا و تطلعات الآخره؟ و بالتالى كيف يربى ذاته لتقبل الحقيقه؟ للتقوى منطلق نفسى، و مظاهر خارجيه، فمن وجدهما فى ذاته فليعرف انه تقى فعلا.

الجذر هو الايمان بالحساب، و إن الذنب سيحاسب عليه حسابا عسيرا.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قَدْ آذَيْنَاكَ الْإِنْسَانَ فِي أَنْ يَدَّعَىٰ فِي الْإِنْفِ أَنْ يَمْنَعَهَا مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الشَّهَوَاتِ.

[١٧] أما مظاهر التقوى الخارجيه فهي الصفات النفسيه التاليه و المتدرجه على بعضها:

(أ) الصبر الصبر عن الشهوات و عن الاسترسال معها الى مرحله الإفراط. إنها الصفة الأولى و الأساسيه فى شخصيه المؤمنين باليوم الآخر، و حين يصبر عن الشهوات يبتعد عن الزيغ و آئذ يكون صادقاً.

(ب) الصدق و هو تعبير عن الاستقامه على الحق، و اى انحراف يطرأ على قلب الإنسان فلا بد ان يظهر فى كلامه بصوره أو بأخرى. إذ لا يمكن ان يستمر الإنسان فى الانحراف العملى دون ان يظهر فى قوله.

و الذى يلتزم بالصدق فلا بد ان يحاول إصلاح انحرافه. و قد جاء رجل الى الامام الصادق عليه السلام و طلب منه ان ينصحه و يوجز. فقال له: لا تكذب.

(ج) القنوت.

بعد ان تتربى النفس على الصبر عن الأهواء و الصدق، فإنها تستعد لقبول الحق.

إذ تكون آئذ قانته مسلّمه للحق، إذ تزول من طريقها آئذ العقبه الرئيسيه التى تمنع من اتباع الحق و هى اتباع الهوى.

(د) الإنفاق.

ص: ٥٢٤

و ايسط و أهم مظهر للقنوت للحق هو العطاء. إذ ما دامت النفس شحيحة فليس من المؤكد انها تتبع الحق فعلا.

(ه) الاستغفار بعد ان تعرف النفس شحها، و تخرج من سجن الذات الى رحاب الحق، عليها ان تتحدى ضغوط الحياه لكى لا تزين الباطل للنفس، فتحتاج النفس الى تصفيه ذاتيه للرواسب اليوميه التى تلحق بها، و ذلك بالاستغفار فى الأسحار.

ان الاستغفار أشبه شىء بحمام دوش يستعمله العمال كلما آووا إلى بيوتهم فينظفون أنفسهم من آثار العمل، بالرغم من انهم عملوا المستحيل من أجل تجنبه خلال النهار.

هذه هي الصفات الظاهره للتقوى. و هي كما تقول الآيه:

الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُتَّقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِاللَّسْحَارِ

بين الوحدة و التوحيد:

[١٨] بعد الحديث عن الروح العمليه فى الآيات السابقه، و تصفيه العقبات النفسيه التى تعترض طريق الايمان الصحيح، دخل القرآن فى صلب الموضوع الرئيسى و هو التوحيد و الوحده فذكر أنّ الله لا اله الا هو.. يقوم بالنظام العادل و المتمثل فى الإسلام، الدين الوحيد لله، و هو لا- يعنى الخضوع لفئه من الناس، و لا- حتى لشخص معين، إنما يعنى التسليم لله وحده. و بذلك يضع القرآن أرضيه الوحده بين أبناء الرسالات السماويه.

قد ينكر أحدنا اعترافه بالله، و لكنه يعرف قبل غيره أنّ أفكاره ليست سوى تكبير

يتكلف به تكلفاً، وإنه حين يستغشى ثيابه بالليل و يبدأ يفكر بعيداً عن التكبر و المصلحه، آتئذ يؤمن بربه ايماناً أقوى من إيمانه بنفسه.

إن هيمنه الله على كل مرافق الحياه، و تجليه للناس فى آيات الطبيعه حيناً، و فى خلجات القلب أحياناً، هى أكبر شاهد على أنه لا اله الا هو، و هل يكون شىء أكبر من الله و كل نظام قائم به، أو يكون شىء أكثر ظهوراً من الله و السموات و الأرضون آياته؟! ان الله هو ذاته دليل ذاته و هاد العباد اليه. و هو دليل الى كل شىء غيره.

من هنا قالت الايه:

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ وَ حِينَ تَشْهَدُ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُو الْعِلْمِ فَلَيْسَ ذَلِكَ سِوَى دَلِيلٍ بَسِيطٍ جَدِداً. أمام شهاده الله ذاته إلا أنها قد تنفع الذين تغربهم الطبيعه بقوتها أو بغموضها، فيقول لهم القرآن إن الملائكه الموكله بالطبيعه و أولو العلم العارفين بالطبيعه هم بدورهم مؤمنون بالله.

و أكبر صفات الله العدل الذى يجريه فى الطبيعه، حيث يسنن للحياه سنناً يجريها عليها بقدره و سلطان. فلا يدع جانباً منها يطغى على جانب آخر. فقط الإنسان أكرم به بالحريه، و لكنه حدد حريره بوقت، فبعده يعيده الى حدوده بالقوه إن لم يعد إليها بالهدايه.

من هنا قال الله:

قَائِمًا بِالْقِسْطِ اى مطبقاً للنظام العادل فى الحياه.

ص: ٥٢٨

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ و من أولى بتطبيق العدالة فى الحياه من العزيز(المقتدر)الحكيم(الخبير بالأمر).

[١٩] كانت هذه تقدمه جديده لبيان إن لله دينا واحدا فقط، قد تختلف بعض تفاصيله من عصر لعصر و لكن أصوله هى تبقى واحده. و تجرى عليها الأمم المسلمه جيلا بعد جيل.

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ و لكن لماذا يختلف الناس إذا فى الدين؟ هل لان الله هو الذى أوحى باختلاف الرسالات بالطبع لا..بل لأن الاختلاف نابع من اختلاف الطبيعه، و المصلحه، لا من اختلاف الرساله و العقل.

وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فجذر الاختلاف نابع من البغى و هو استهداف الظلم و اغتصاب حقوق الآخرين و حين يسود السلام قلب الإنسان، و العدالة علاقات الناس مع بعضهم، فسوف يزول الاختلاف و تنتهى أسبابه من واقعه.

و الاختلاف فى الدين بمشابه الكفر بآيات الله، و إذا ماذا تنفع قشور الدين إذا جردت من اى مضمون؟ ماذا ينفع الايمان بآيات الله إذا فسدت هذه الآيات بما يخالف معناها؟ ماذا ينفع الدين الذى اتخذه أداه للبغى، و الظلم الاجتماعى، و سببا للاختلاف و ضرب الناس بعضهم ببعض؟ من هنا قال الله تعالى:

وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ و كيف يحاسب الناس الذين يكفرون بآياته؟

بالطبع هناك طرق لا تحصى و لكن أبسطها هو عدم الانتفاع برسالته التيره، إذ إنّ الرساله النافعه هي التي تعرف بتفسير الله و بيانه و ليست التي تفسرها أهواء الناس و التي تضر و لا تنفع.

فمثلا: حين كانت رساله النبي عيسى عليه السلام تعنى عند تابعيه الإخاء و النشاط و الطيب، اعطت المسيحيه لهم التقدم و الهناء، أما حين أصبحت تعنى التعصب و الجهل و الاختلاف، أعطتهم التخلف و العذاب.

[٢٠] ان الدين يجب ان يتخذ أرضيه مشتركه للتوافق. و بالطبع لا- يكون الدين هكذا إلا- إذا كان مخلصا و مجردا عن الأهواء المتمثله فى المصالح العنصريه و الولاءات الماديه، و بالتالى مجردا عن ايه صبغه جاهليه هنالك فقط يكون الدين وسيله جمع لا وسيله تفرقه.

متى يكون الدين مجردا عن الماديات؟ حين يكون الايمان بالله و حده القيمه الاجتماعيه، من هنا دعت رساله الإسلام أبناء الرسالات السابقه الى هذ القيمه و قالت:

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ .

إن القرآن جرّد رسوله من مسؤوليه القبول أو الرد من قبل أبناء الرسالات السابقه، و لخص مسؤوليته فى البلاغ لكى لا يرقى الى نقاء التوحيد فى رسالته ادنى شك.

ان الطريق الوحيد للوحده هو إخلاص كل الأطراف لذات المبادئ الواحده حتى تكون بمثابة بوتقه ينصهر الجميع فيها.

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (۲۱)
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (۲۲) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ
إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (۲۳) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (۲۴) فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْنَا لَهُمْ لَيُّومٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (۲۵)

هدى من الآيات:

يتحدث القرآن هنا عن قوم من أتباع الديانات السابقه، تفشت فيهم صفات سيئه بسبب ضعف الروح الدينيه فيهم. و هذه الصفات هي التي تهدد وحده الأمم.

من هذا الجانب يتحدث القرآن عنها و هي:

أولاً: إنهم قاموا بتصفيه رجال الله في الأرض و هم الأنبياء عليه السلام و المطالبون بالعداله من الناس.

ثانياً: انهم كانوا لا يتحاكمون الى كتابهم إذا اختلفوا بينهم، انما يتولى الفريق المتضرره مصالحه-بحكم الكتاب- يتولى عن الكتاب، و بذلك يبقى الدين معطلا عن التأثير الاجتماعى.

ثالثاً: الفكر العنصرى المنتشر فيهم، و اعتقادهم انهم أفضل من غيرهم، لا بأعمالهم انما بأجسامهم و دمهم و نسبهم.

و هذه الأسباب الثلاثة لا تختص باليهود فقط، و انما قد تهبط كل امه مؤمنه الى دركها، و ربما لذلك لم يذكر القرآن اسم اليهود.

بينات من الآيات:

كيف يتسافل الإنسان؟

[٢١] كيف يهبط الإنسان الى مستوى متدن فى الأخلاق و يقتل رجلا لا لشيء الا لخالصه، أو صدقه، و نقاء إيمانه، و حبه لله و للمجتمع. ان الإنسان لا يهبط فجأه الى هذا المستوى السحيق، إنما فى البدايه يكفر بآيات الله، و حين يختار موقف الكفر ينظم الى صفوف المعارضه، و تنمو فى قلبه السلبيات الصغيره..حقده على رجال الله. حسده من تقدمهم، اعتبارهم أعداء مصالحه. اعتبارهم أعداء وطنه و.و حتى يغطى العداة كامل قلبه. و هناك يقدم على تصفيتهم جسديا، فيصل به الأمر الى قتل الأنبياء و هناك يستحق العذاب الأليم..يقول الله:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ .

إنهم قتلوا الأنبياء و الصالحين لأنهم يأمرون بالقسط، بالعدالة، بالمساواه، فكيف يرضى الطغاه و الظالمون و المستكبرون بالقسط؟ فلكى يفتحوا طريقهم الى الظلم كانوا يقتلون رجال الله الذين يضعون من أنفسهم سدا امام رغبات الظالمين.

و العذاب الأليم الذى ينتظر هذه الفئة يتلخص فيما يلى:

[٢٢] حبط أعمالهم فى الدنيا و الآخرة. إذ ماذا تنفع الصلاه مع الظلم، أو الحج مع الاغتصاب، أو إنفاق جزء من ثروه حصلت كلها من طريق غير مشروع.

و بالتالى: ماذا تنفع سائر الواجبات إذا جردت من روحها الحقيقيه و أهدافها

و من هنا قال عنهم ربنا:

أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا إِذْ لَا تَعطِيهِمُ الوُظَافِ الدِّينِيَه المجرده عن الايمان الحقيقى لا تعطيههم المردود الدينوى الذى لا بد ان تعطيه. فالصلاه لا تهذب نفوسهم، و الحج لا يحافظ على وحدتهم، و الزكاه لا ترفع الطبقية عنهم و كذلك حبطت اعمال هؤلاء فى (الآخره) لأنه كما جاء فى آيه اخرى: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» .

وَ الْمَآخِرَه وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ فلا تنصرهم أعمالهم المحبطه. كما لا ينتصر لهم تاريخهم الحافل بالجرائم أو انتمأؤهم الكاذب الى الرساله.

تفسير الدين على الهوى:

ثم تناولت الآيات المشكله الثانيه و هى تفسير الدين حسب أهوائهم..فقالت:

[٢٣] أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ ان هذا الكتاب هو كتاب اليهود الذى جاء ليرفع اختلافهم و يوحد طاقاتهم.

فبدل ان يتحاكموا اليه، و يتنازل كل فريق عن أهوائه، و آرائه، و مصالحه، تسليما لأمر الكتاب و خضوعا لحكمه، بدلا من ذلك أعرضوا عن الكتاب و بذلك جردوا واقعهم الاجتماعى من أهم منفعه فيه.

ان ايه امه رساليه لا تستطيع الاستمرار و التصاعد إذا لم تجعل كتابها المقدس فوق رغباتها و مصالحها، و الأمه الاسلاميه لا تخرج بالطبع عن هذه القاعده.

و لكن يبقى سؤال:العله وراء رفض الاحتكام الى الكتاب؟ تجيب الآيه التاليه:

[٢٤] ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فالفكره العنصريه هى التى فرّغت واقع الامه من الروح الرساليه، و أبقّت الطقوس مجردة من محتوياتها الاجتماعيه الاصلاحيه. إذ الامه لا ترى فى البدء تفضيلا لها على سائر الأمم الا بقدر توفر قيم الحضاره فيها من التعاون على البر و التقوى و النشاط و التنظيم و لذلك تتسابق على بلوغ المزيد من هذه القيم. و لكنها قد تصل الى درجه من التشبع الحضارى فتتحول نظرتها الى ذاتها، و تحسب أنّها مفضّله على غيرها لما فيها من روح الهيه، و ما فى غيرها من طينه العبوديه، و آنئذ لا تجد فى ذاتها باعشا الى عمل الخير، أو رادعا عن فعل الشر. فما داموا قد خلقوا لرضوان الله و الجنه، خيرا عملوا أم سوء، و ما دام أعداؤهم قد خلقوا السخط الله و النار، مهما عملوا من خير أو شر فلما ذا يجهدون أنفسهم بعمل الخير أو التسابق الى المكرمات.

ان خطوره القضيه تكمن فى تسرب هذه الفكره العنصريه الى مفاهيم الدين نفسه، فاذا بهم يفسّرون الدين بطريقه لا تدعو الى العمل الصالح. و الايمان الصادق، بقدر ما تدعوا الى تمجيد ذوات و تقديس أسماء، و انتماءات كاذبه.

من هنا قال الله سبحانه:

وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ اى تفسير مفاهيم دينهم.

ص: ٥٣٥

مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ بِحَيْثُ سَرَبُوا وَادْخَلُوا أَفْكَارَهُمُ الشَّاذِهَ فِي تَفْسِيرِ نصوصِ الدِّينِ. و عوضاً من ان يفسروا الاحداث وفق رؤى دينهم و بصائره،فسروا الدين وفق افكارهم الكاذبه.

[٢٥]كلا: ان الله حين يجمع الناس في اليوم المعهود و الموعود الذي لا ريب فيه يوم القيامة، يجمعهم في صعيد واحد، دون ان يفضل بعضهم على بعض، بحسب أو نسب، هناك يأخذ كل شخص نصيبه بالكامل و دون تفسيرات عنصريه.

ان مجرد التفكير بذلك اليوم يجعل الفكره العنصريه بلا دليل، و بالتالى يفندها من الأساس، إذ ان أساس الفكره العنصريه مبنى على حب الذات، و المغالاة في تعظيمها و بالتالى تقديسها و جعلها قيمه اساسيه. فاذا تصورنا-و لو مجرد تصور- اننا سنقف للحساب امام الله، فان تقديس الذات سيدوب في النفس ليعود إليها الخشيه على الذات من سوء العمل.

من هنا يتساءل القرآن.

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ مِنْ خَيْرٍ وَ شَرٍّ وَ جُوزِيَ جَزَاءً كَامِلًا عَلَى أَعْمَالِهَا.

وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ وَ كلمه اخيره: قلنا سابقا ان الايمان بالآخره حجر الزاويه في فكر المسلم. و أقول الآن انه كذلك حجر الزاويه في التفكير السليم، إذ انه مثلا يناقض التفكير العنصرى، و فيما يلى من الآيات سنجد ان الله يذكرنا بالآخره، عند ما يذكر بضروره إصلاح الفكر، أو إصلاح النفس في اى جانب من الجوانب.

ص: ٥٣٦

اشاره

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلِيمٌ
كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۶) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (۲۷) لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا
مِنْهُمْ تَقَاءً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (۲۸) قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۹) يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (۳۰)

اللغه

۲۶[تنزع]:المنزع قلع الشىء عن الشىء.

۲۷[تولج]:الإيلاج الإدخال.

ص: ۵۳۷

اشاره

فى المنظور القرآنى

هدى من الآيات:

يبدو ان سوره آل عمران تدخل مع هذه الآيات فى رحاب موضوعها الرئيسى و هو ضروره الالتفاف حول القيادة الصحيحه، و نبذ القيادات الدخيله و ضروره ذلك فى الوحده. فتهىء النفوس-قبل ذلك-بيان ان الملك لله، و ان القدره المطلقه بيده.

ثم ينهى عن قبول قياده كافره الا-عبر التقيه، ثم يأمر بالطاعه للقياده الاسلاميه و يربط بين طاعه القياده الرساليه الصحيحه و بين الايمان بالله. بل بينها و بين حب الله.

ثم-حذر من طرف خفى-الذين لا يتبعون القياده: بأنهم كفار يتعرضون لسخط الله تعالى.

بينات من الآيات:

لمن الملك؟ لله

[٢٦]الله وحده يملك الملك و يعطيه لمن يشاء و علينا ان نلتمس الملك، من الله

ص: ٥٣٩

و ليس من عند الكفار يقول الله:

قُلِ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلِيمٌ
كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

و لكن السؤال: لمن يعطى الله الملك؟ هل لكل من هب و دب؟ أم لكل من تمنى على الله و ربي فى نفسه أحلاما ذهبية؟ بالطبع لا.. إنما هناك سنن جعلها الله فى طبيعه و هدى البشر الى تلك السنن عبر مناهج أوحى بها عن طريق أنبيائه و هدى العقول إليها. و ليس من ريب ان أولى تلك السنن، هى الالتفاف حول القيادات الرسالية التى يتحدث عنها القرآن فيما يلى.

شموليه القدره الإلهيه:

[٢٧] و ليس الحياه الاجتماعيه فقط بيد الله، و انما أيضا طبيعه. و الذى بيده الطبيعه أولى بقياده الحياه الاجتماعيه، فالله هو الذى نتوجه اليه قائلين:

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَ
حتى الرزق الذى ينزل على الإنسان من تعاقب الليل و النهار. فانه من الله، يعطيه لمن يتبع مناهجه و سننه التى غرزها فى الطبيعه، و أوحى بها الى العقول و الرسل.

بين مفهومى القدره و القياده:

[٢٨] و ما دام الله هو الذى بيده الملك، فلما ذا تبعيه المسلم للكفار؟! و من هنا:

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ يَبْدُو أَنْ أَمَّهُمْ مَعَانِي (أَوْلِيَاءَ) - الْمُنَاسِبُ أَيْضًا مَعَ السِّيَاقِ - هُوَ الْإِئْمَةُ وَالْقَادَةُ.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِذْ يَرَفُضُ اللَّهُ انْتِمَاءَ النَّاسِ إِلَى رِسَالَتِهِ لَفْظِيًّا، دُونَ انْتِمَائِهِمْ إِلَيْهَا عَمَلِيًّا..

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً أَي تَخَشَوْا مِنْ بَطْشِهِمْ، وَآئِذْ سَيَكُونُ التَّسْلِيمُ لَوْلَا يَتَّخِذُ تَسْلِيمًا ظَاهِرِيًّا فَقَطْ.

بَيْنَمَا يَحْتَفِظُونَ بِانْتِمَائِهِمْ الْحَقِيقِي لِرِسَالَتِهِمُ الصَّحِيحَةِ.

أَنَّ التَّقَاةَ مِمَّا يَمَارِسُهُ النَّضَالُ سَرِيهَ ضِدَّ الطَّغَاةِ، وَهِيَ عَمَلِيَّةٌ صَعْبَةٌ لَيْسَتْ فَقَطْ لِاحْتِمَالَاتِ الْخَطَرِ الَّتِي تَهْدِدُ الرِّسَالَةَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ، وَ
إِنَّمَا - أَيْضًا - لِاحْتِمَالِ الْاسْتِسْلَامِ لِأَعْرَافِ السُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ وَوَالَّتِي لَا بَدَّ أَنْ يَتَصَارَعَ الرِّسَالَةَ مَعَهَا طَوَالَ الْفَتْرَةِ الَّتِي يَقُومُ بِالْعَمَلِ
السَّرِيِّ.

أَنَّ مِثْلَ الرِّسَالَةِ هُنَا كَمِثْلِ الدُّكْتُورِ الَّذِي يَعَالِجُ طَائِفَةً مِنَ الْمَجْدُومِينَ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي جَسَدِهِ مَنَاعَةٌ كَافِيَةٌ، تَسْرِي إِلَيْهِ عَدُوَّ
الْجَذَامِ..

وَمِنْ هُنَا يَذَكِّرُ الْقُرْآنُ هَؤُلَاءِ الْعَامِلِينَ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَحْذَرُوهُ.

وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ حَيْثُ يَحَاسِبُ النَّاسَ لَيْسَ عَلَى شَكَلِيَّاتِ الْوِلَايَةِ فَحَسَبٌ، وَانَّمَا أَيْضًا عَلَى رُوحِ الْإِنْتِمَاءِ
أَيْضًا. أَي عَلَى مَا يَجْرِي فِي الْقَلْبِ مِنْ ارْتِبَاطٍ صَادِقٍ.

[٢٩]النضال، ضد الطغاه-و هو الوجه الحاد للتوحيد و إخلاص العباده لله.

انه-بحاجه الى ضمير دينى حى.و هذا الضمير الدينى يصنعه الاحساس الدائم برقابه الله على الإنسان، و هيمنته المطلقه على اعماله.من هنا ذكرنا القرآن:

قُلْ إِنْ تَخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوهُ يَغْلَبْكُمْ اللَّهُ .

ان العمل لا يكون صالحا أو فاسدا، إلا حسب موقعه الذى يجعل فيه،و الهدف الذى يتوخاه صاحبه.

فالصلاه قد تكون رياء و قد تكون لله،و الصلاه هى هى،لا تتغير فى ظاهرها اما واقعها فيختلف من الأرض الى السماء.

من هنا تكون تعاليم السماء لتزكية النفس،و تطهير الروح من النيه الفاسده، و الهدف الطالح.

إن الله يعلم خبايا النفس البشريه،و يحاسب الناس على الأهداف الحقيقيه التى يريدون تحقيقها بأعمالهم..

وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَنْ هُنَا فَنَ انحرافات البشر النفسيه،و ما وراءها من انحرافات ماديه جميعا، يحيط بها علم الله و قدرته،احاطه تامه.ثم إن الله بعلمه يحصى الأخطاء،و بقدرته يجازى عليها:

وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ان قوه الجباره لن تكون أكبر من قوه الله، فلما ذا يرهبهم الإنسان؟! [٣٠] او يتجلى علم الله و قدرته فى يوم البعث:

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّراً امامها، حيث تتجسد الأعمال و تتحول الى حقائق مشهوده يراها الإنسان، و كم هى ممتعه و رائعه ان يجد الإنسان خير عمله، حيث قد ذهب عناؤه و انتهت صعوباته، و بقيت عاقبته الحسنى.

و لكن ماذا عن الأعمال السيئه:

وَمَا عَمِلْتُمْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً حيث تلاشت اللذه البسيطة، و بقيت عواقب الذنوب.

ان المجرمين يفرون من عواقب أعمالهم بشتى الوسائل الممكنه، و لكن هل ينجحون؟ كلا. كذلك المذنبون فى الدنيا، سيلاقون عواقب أعمالهم.. من هنا يقول الله:

وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ان الحذر هو الضمير الحى الذى ينبض فى داخل النفس، و الذى يراقب بدقه نتائج الأعمال، و التحذير الذى يوجهه الله للإنسان، نابع من رحمه الله التى تبقى الملقاً الأخير للإنسان فى الأرض..

وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ

ص: ٥٤٣

اشاره

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۳۱) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (۳۲) إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (۳۳) ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (۳۴) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (۳۵) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (۳۶) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (۳۷) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (۳۸) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا لِمَقْدَمِهِ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (۳۹) قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ لِي غُلَامًا وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (۴۰) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَخِّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِنِّكَارِ (۴۱)

اللغة

۳۱ [تحبون]: المحبه هي الاراده. الا- انها تضاف الى المراد تاره و الى متعلق المراد اخرى تقول أحب زيذا و أحب إكرام زيذ و محبه الله تعالى للعبد هي اراده ثوابه، و محبه العبد لله هي إرادته لطاعته.

۳۳ [اصطفى]: اختار و اجتبي و هو مأخوذ من الصفوه و الصافي النقى من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل الله خلوص هؤلاء القوم من الفساد بخلوص الصافي من شائب الأذناس.

۳۵ [محررا]: يحتمل أمرين «أحدهما» المعنى من الحرية يقال

حررته تحريرا أعتقته و«الآخر» من تحرير الكتاب يقال حررت الكتاب تحريرا أى أخلصته من الفساد و أصلحته.

٣٦]وضعها]: ولدتها.

٣٧]فتقبلها]: قبلها.

[كفلها]: ضمنها من كفل و كافل إذا تكفلت مؤنته.

[المحراب]: مقام الامام من المسجد و أصله أكرم موضع فى المجلس و أشرفه، و يقال للمسجد أيضا محراب و قيل انه أخذ من الحرب لأنه يحارب فيه الشيطان.

ص: ٥٤٥

٣٩[سيدا]:السيد مأخوذ من سواد الشخص فقيل سيد القوم بمعنى مالك السواد الأعظم.و هو الشخص الذى يجب طاعته لمالكة هذا إذا قيد و إذا أطلق فلا يستعمل الا لله سبحانه.

[حصورا]:ممتنع عن الجماع و يقال للذى يكتم سره حضور.

٤٠[عاقرا]:من الرجال الذى لا يولد له و من النساء التى لا تلد.

٤١[رمزا]:الإيماء بالشفيتين و قد يستعمل فى الحاجب و اليد و الاول أغلب.

[العشى]:من حين زوال الشمس الى غروبها،الأبكار:من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى.

ص:٥٤٤

إشاره

و بصائر القرآن

هدى من الآيات:

من خلال قصه واقعيه لرجال عاشوا و خلفوا لنا عبرا..آل عمران و آل إبراهيم.

و من خلال تجربته حيه لا تزال تتفاعل في الحياه.تحدث آيات القرآن عن حقائق كليه،و بصائر عامه،تكون هدى للناس جميعا و في كل عصر.

و من ابرز تلك الحقائق:ان العنصريه أخبث ثمار قيمه الأرض،قيمه التراب و التمحور حول الذات و تقديسها و جعلها المقياس الأفضل.

أقول:هذه العنصريه هي الطرف المتناقض تماما مع حقائق الكون،و سنن التاريخ.و انها فكره.متخلفه و باطله،و تحمل في طياتها اخطر النتائج ضد الإنسان و بوجه خاص ضد من يحملها.

و لا بد ان تتجسد العنصريه في شكل تقديس ذات بشري،قد يكون هو «عيسى»،أو«عزير»،أو«محمد»،أو«علي»(عليهم جميعا صلوات الله).و جعله

فى مصاف الله.

و تنتشر القداسه بعدئذ فى اتباع «عيسى» عليه السلام، و أبناء «عزيز» عليه السلام و أقاربه، و جماعه «محمد» عليه السلام و طائفه «على» عليه السلام، و إذا بها تتحول الى فكره باطله، تزعم ان مجرد الانتماء الجسدى أو اللفظى، لهو يكفى لخلاص الإنسان من المسئوليه. فى الوقت الذى لم يستطع أولئك الرجال ان يصلوا الى تلك الدرجات العاليه من، دون العمل الصالح المخلص لله، و العبوديه المطلقه لسلطانه العظيم.

من هو عيسى، انه مجرد عبد لله. كانت امه مريم و كانت جدته امرأه صالحه.

و كان هو من أنبياء الله. و حملّه المسئوليه و كان أهلا لها.

ان معالجه السياق لمشكله تقديس الذوات، من خلال تقديس أنبياء الله العظام، أفضل و سيله لضرب هذه الفكره، التى هى قاعده التمييز العنصرى.

و السبب ان الله فضل أنبياءه، و أكرمهم، و حملهم اقدس رساله، و خصهم بأكبر نعمه، هى العبوديه لله. و لكن مع كل ذلك لم يرتفعوا الى درجه القداسه الذاتيه، التى تبعدهم عن مسئوليه أعمالهم. فكيف إذا قدسنا بشرا عاديين، أمثال فرعون و هامان أو آخرين.

إن الشعوب الاسلاميه تردت اليوم الى حضيض تقديس الذوات التاريخيه، و المعاصره. فهى تقدس السلاطين، و الخلفاء، و العلماء، السابقين الى درجه تحجبها عن تقييم أعمالهم، و افكارهم. كما تقدس السياسيين و القاده المتسلطين عليها، و هذه فكره متخلفه تجدها أيضا فى الشعوب البدائيه.

و القرآن كتاب هدى و نور جاء لينقذ الإنسان من اغلاله الفكرية، و الاجتماعيه، و لا ريب انّ من أسوأ تلك الأغلال:

ص: ٥٤٨

هو تقديس الذوات فجاءت فى هذه السوره، قصه آل عمران كدليل على ان الله لم ينتخب أنبياءه عبثا، بل لأنهم كانوا من ذريه طيبه. فبدأت الآيات: بالأمر بالاتباع و الطاعه لكتب الله و رسله، ثم بينت طريقه اصطفاء الله لرسله. الذين لا يختلفون عن بعضهم فى شىء، فذكرت بأن التريبه الصالحه، و صدق إيمان الأم، و تقوى الأب، هذه هى من عوامل الاصطفاء.

لقد كانت مريم صديقه، لأن أمها نذرتها لله. اما يحيى فقد أصبح نبيا صالحا، لان أباه دعا ربه. و لم تصبح مريم صديقه، بنذر والدتها فقط، كما ان يحيى لم يصبح نبيا، لدعاء والده فقط. بل لعملهما أيضا.

بينات من الآيات:

كيف نحب الله؟:

[٣١] هل يكفى ان نحب ربنا حبا صوفيا ساذجا، كلا، الحب الصادق هو الذى يعكسه العمل الصالح و الا فهو ليس سوى خداع للذات. و الله لا يحب أحدا من دون العمل. بيد ان العمل لا يمكن ان يكون لله، الا عن طريق الرسول. إذ لا يوحى الله الى كل إنسان و فرد. فاذا حاول كل منا ان يستكشف الدين من خلال عقله، فان انحرافات كثيره سوف يقع فيها، بسبب امتزاج عقله بهواه، و علمه بشهواته من هنا جاءت الايه:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ اتَّبِعِ الرَّسُولَ يَسْتَدْرِجْ غَفْرَانَ اللَّهَ، و لا ين مجرد الاتباع تنازل عن ذاته الإنسان، و ارتفاع الى مستوى التسليم لله، فهذا العمل العظيم يشفع لصاحبه فى بعض الذنوب الصغيره.

[٣٢] اتباع الرسول يتم بتطبيق رساله الله التي نزلت عليه، واتخاذ أسوه حسنه فيما قام به من عمل، أو تميز به من سلوك. ولكن الاتباع وحده لا يكفي، بل يجب طاعه الرسول أيضا. وذلك فيما يرتبط بالقضايا التي تحدث يوميا، وتتجدد، من حرب و سلم، و اقتصاد و سياسه، و اجتماع و عمران، و بالتالى فى كل الحقول الحياتيه المتجدده و طاعه الرسول فى هذه القضايا جزء من طاعه الله:

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَمَا كَانَ طَاعَهُ اللَّهُ وَاسِعَةً وَ شَامِلَةً، كَذَلِكَ طَاعَهُ الرَّسُولَ.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وَ هُوَ الَّذِي يَرْفُضُونَ طَاعَهُ الرَّسُولِ هُمْ بِمِثَابِهِ الْكَافِرِينَ إِذْ أَنْ أَمَّهُمْ فَوَائِدُ الْإِيمَانِ التَّسْلِيمِ لِلَّهِ، لَيْسَ فِي الْقَضَايَا الثَّابِتَةِ مِنْ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ فَقَطْ، بَلْ وَ فِي الْوَاقِعَاتِ الْمَتَطَوِّرَةِ، الَّتِي تَتَرَكَّزُ فِيهَا ضَغُوطُ الْحَيَاةِ بِشَكْلِ حَادٍ، وَ لَا تَدْعُ صَاحِبَهَا يَطِيعُ الْقِيَادَةَ الرَّسَالِيَّةَ، إِلَّا بِصُعُوبَةٍ بِالْغَيْهِ.

[٣٣] و لكن لماذا نتبع الرسول و نطيعه؟ أ فليس من الأفضل أن يتبع كل منا عقله، و يطيعه فى قضاياها، مسترشدا بالتعاليم الدينيه؟ لماذا يضع بينه و بين الله واسطه بشر آخر هو الرسول، أو القياده التي تجسد رساله الدين؟ الجواب: ان البشر الذين يأمر الله عباده باتباعهم، ليسوا كسائر البشر انما هم صفوه الله فى الأرض. اختارهم الله بعد ان ابتلاهم، و وجدهم أهلا لرسالته.

و اتباعهم، و طاعتهم، ضمان للبشريه من الانحراف عن خط رساله، و الاختلاف فيما بينها فى زحمه الحياه، و تحت ضغوط الأهواء الشديده:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ

[٣٤] ولم يكن هذا الاصطفاء بسبب عنصري و الدليل على ذلك ان الله اختار آدم و آدم أب الناس جميعا. ثم اختار من آل إبراهيم و من آل عمران، أنبياء دون ان يميز واحدا على آخر. فلم يكن عنصر آل عمران أفضل من سائر فصائل آل إبراهيم المنحدرين من غير عمران.. بل هؤلاء بعضهم من بعض دون تمييز:

ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تَخْفَى الصُّدُورُ، فيختار من عباده، من يرى فيه صلاحه الاختيار. و لا يختار رسله من عنصر معين انى كانوا.

في رحاب الاختيار:

[٣٥] و لنستمع الى قصه واحده لهذا الاختيار، و لتبدأ القصة من هناك، من داخل القلب الطاهر و النية الصادقه و الايمان التائب:

إِذْ وَآلَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ انها كانت كأيه امرأه اخرى، حملت بجنين، و أخذت تفكر في مصير الجنين الجديد. لم تفكر في ان يصبح رجلا ثريا، أو ملكا كبيرا، أو عالما، أو طبيبا، أو مهندسا أو ما أشبهه. و لم تحلم بأيامها معه في المستقبل، حيث يساعدها على مشاكل الحياه حين تضعف مقاومتها للمشاكل. كلا لم تفكر امرأه عمران بهذه الأحلام الماديه، بل فكرت في رساله الإنسان في الحياه، و هى عباده الله، و العمل في سبيله.

فندرت ان تجند ابنها لهذه الغايه، و تحرره من ايه روابط اجتماعيه، اخرى، حتى يتفرغ في سبيل الله ثم تضرعت الى الله ان يتقبله بفضله.

[٣٦] و كانت هذه أمنيته امرأه عمران طوال فتره الحمل، حتى إذا وضعت أنثى

صعقت، و كأن آمالها قد خابت، حيث زعمت ان الأنتى لا تستطيع ان تتفرغ للعمل الجهادى فى سبيل الله.

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ فَهِيَ لَيْسَتْ أُنْثَىٰ كَأَيْهَ أُنْثَىٰ. انها صديقه تكونت فى رحم امرأه عمران المؤمنه الصادقه، و نمت فيها روح الرساله بسبب ايمان أمها، و عملها الصادق أيام حملها لها، و لكن امرأه عمران قالت:

وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

آثار التريبه على نمو الطفل:

[٣٧] و كان لهذا الايمان الصادق اثر فى مستقبل مريم..ذلك لان ايمان الام، و تربيتها، يؤثران ايجابيا فى تنميه فطره الايمان فى الوليد. و قد رأينا كيف ان امرأه عمران، تضرعت الى الله بان يعيذها من الشيطان، و تعنى ضراعتها، انها أخذت تعمل من أجل هذه الغايه أيضا، إذ الدعاء هو قمه العمل الجهادى عند المؤمنين، و ليس أبدا بديلا عن العمل. من هنا كان للدعاء و العمل اثر ايجابى كبير على مستقبل مريم:

فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَ أُنَبِّئُهَا بُرَاتًا حَسِينًا وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا إِنْ الْإِيمَانَ كَسَكَه الْحَدِيدَ لَوْ وَضِعَ قَطَارٌ عَلَيْهَا. ساعدت على استقامته و تقدمه.

كذلك الايمان، لو رافق حركه النمو عند الطفل منذ البدايه، ساعد على استقامه الطفل فى كافه جوانب تربيته. و ذلك بألا تنمو فيه صفة على حساب صفة. فلا دلال على حسابه المسئوليه. و لا كبت على حساب الشعور بالكرامه، و لا حب على

حساب الاستقلال، و لا جفاء على حساب العلاقة الاجتماعيه.

كما يساعد جو الايمان فى البيت، على تعزيز روح الالتزام فى نفسه الطفل.

ذلك لان الطفل الذى لا يرى الذين من حوله ينفذون برامج محدده، و بإخلاص و اطمئنان، فهو الاخر يحب ان ينفذ برامج مثلها من دون ضغط.

كل ذلك ساعد على إنبات مريم نباتا حسنا، و كان من أفضل نعم الله على مريم، انه كفلها زكريا ذلك الشخص العالم، و النبى العظيم، الذى أفنى عمره فى الله، و خدمه لعباد الله. و هكذا يكون دور المربى الصالح، فى تنميه كفاءات الطفل، حيث أثمرت تربيته الصالحه، و دعاء أم مريم، و تربيتها فى تكوينه مريم التى اتجهت كليه الى الله تعالى، و أخذت تقف ساعات طويله، تتضرع الى الله و قابلها ربها بفضله و ذلك:

كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هَذِهِ مَرْيَمُ وَ أَوْلَئِكَ أَهْلِهَا، وَ تِلْكَ تَرْبِيَّتُهَا، وَ هَذَا كَفِيلُهَا، وَ هَذَا مِنْ فَضْلِ وَ نَعْمِ اللَّهِ عَلَيْهَا.

كيف يختار الله الرسل؟:

[٣٨] لنترك مريم موقتا الى قصه اخرى تبين كيف يصطفى الله رسله.

بين الله ببساطه لماذا فضلت مريم، و الآن يبين ان كل من اتبع ذات الطريق فسوف يصل الى النتيجة التى وصلت إليها مريم. فهذا زكريا. حين وجد عند مريم رزقا فى غير موسمها، و من غير الطرق العاديه، عرف ان الدعاء الى الله، زائدا العمل الخالص لله، ينفع الإنسان فى الوصول الى طموحاته، و غاياته بالطرق غير الطبيعيه.

لذلك توجه الى الله، بهدف تحقيق امنيه قديمه عنده:

هٰنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ وَ بِالطَّبَعِ كَانَ زَكَرِيَّا كَأَيِّ نَبِيٍّ آخَرَ، يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجِيبُ الدُّعَاءَ، وَ لَكِنْ وَجَدَ مَنَاسِبَهُ صَالِحَةً لِلدُّعَاءِ وَ نَبَهُ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ بِكَلِمَةِ (هٰنَالِكَ) لَكِي تَكُونَ لَنَا عِبْرَةً، تَدُلُّ عَلَيَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَمْتَنُ إِلَى أَحَدٍ بِقَرَابَةٍ، بَلْ يَجْزِي كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ صَالِحًا. فَلَمْ تَكُنْ مَرْيَمُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي أُجِيبَتْ فِيهَا دَعْوُهُ وَالدَّتْهَا، بَلْ زَكَرِيَّا هُوَ الْآخِرُ اسْتِفَادَ مِنَ الْوَضْعِ، وَ دَعَا رَبَّهُ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ.

[٣٩] فَتَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ كَمَا كَانَتْ مَرْيَمُ مِنْ قَبْلِ قَائِمِهِ فِي الْمِحْرَابِ، فَكَانَ يَأْتِيهَا الرِّزْقُ مِنَ السَّمَاءِ.

أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِبَيْحِيٍّ مُصِدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ تَلِكِ الْكَلِمَةِ الَّتِي هَبَطَتْ عَلَيَّ مَرْيَمُ بَعْدَئِذٍ فِي شَكْلِ عِيسَى، حَيْثُ كَانَ يَحْيَى نَبِيًّا تَابَعَا لِعِيسَى وَ مُصَدِّقًا بِهِ:

وَ سَيِّدًا بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ تَابَعَ لِعِيسَى، إِلَّا اتَّبَاعَهُ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ تَابَعًا مِنْ إِيْمَانِهِ بِاللَّهِ، فَلَمْ يَفْقِدْهُ كِرَامَتَهُ وَ سِيَادَتَهُ.

وَ حَصُورًا مَعْصُومًا عَنِ الذُّنُوبِ، وَ بِصِفَةِ خَاصَةِ الْفَوَاحِشِ الْجَنَسِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ شَائِعَةً

يومئذ،و التي قتل بعدئذ في مقاومته لها.

وَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ [٤٠] كان زكريا قد دعا ربه،حين وجد عند مريم رزقا-دعا ربه-في قمه تأثره بالحادثه،لأنها ذكرته بأمنيته القديمه.اما الآن و هو في المحراب،فقد نسي نفسه و أمنياتها،و حتى يكون قد نسي حادثه الدعاء.انه الآن متوجه الى الله وحده،خالص لله وجهه،لذلك فوجئ ببشاره الملائكه:

قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ [٤١] كان مجتمع بنى إسرائيل انئذ فاسدا،الى درجه انهم كانوا يرتابون حتى فى زكريا.و الآن لو ذهب الى الناس،و أخبرهم بان الله رزقه يحيى من امرأه عاقر، فكيف يصدقونه..لذلك:

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَ ذَلِكَ فِي صِيَامٍ صَامَت،و اعتزال ظاهر عن الناس.الذين فسدت ضمائرهم، و أخذوا يتشككون فيه.ان نوع العباده كان ينسجم مع نوع المجتمع.

وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ فمزيدا من الارتباط بالله،عن طريق ذكر الله و تسبيحه ليل نهار،هو الكفيل بإعاده ثقه الناس بالنبي.إذ النبي لا يعرف بكثرة المال،أو كثره الحديث،بل بالتوجه الى الله،و الدعوه اليه.و هذا من ابرز علامات الأنبياء دائما..

و على الناس ان يفكروا هم بأنفسهم،ان زكريا لا يمكن ان يكون كاذبا،فيأتى

بولىء من الشارء (ءاشا لله) و ىسميه ابنا له، ان على الناس ان يعرفوا نبهم بعقولهم، لا بمزىء من ءوارق الطبعه. و المءمع الذى لا ىرىء ان ىءرف على رسوله، لا ءنفعه ءوارق الطبعه، كما لم ءنفع مع أقوام المرسلين السابقين. لعله لهذا لم ىزوء الله زكريا بآيات ءارقه للطبعه. بل امره بالمزىء من ءطىق شريعءه و فى ذلك أكبر ءليل على صءقه.

ص: ٥٥٦

اشاره

وَ إِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (۴۲) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ أَسْمِعِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (۴۳) ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذِ يَخْتَصِمُونَ (۴۴) إِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَ جِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (۴۵) وَ يُكَلِّمُ الذَّا سَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهَلًا وَ مِنَ الصَّالِحِينَ (۴۶) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمَسَّ مِنِّي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۴۷) وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ (۴۸) وَ رَسُولًا- إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِي الْأَكْمَةَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبَيِّنُ لَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۴۹) وَ مَصِدْقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا (۵۰) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (۵۱)

اللغة

۴۴[انباء]: أخبار.

۴۵[المسيح]: أي مسح من الاقدار و طهر.

[وجيها]: كريما على من يسأله فلا يرده لكرم وجهه.

ص: ۵۵۷

٤٦ [كهلا]: ما بين الشاب و الشيخ. و قيل الكهوله بلوغ أربع و ثلاثين سنه.

ص: ٥٥٨

أشاره

النشأه الى خصائص الرساله

هدى من الآيات:

كنا نتابع رحله الرساله مع «مريم»، و بالمناسبه مع «زكريا» حيث اختار الله ابنه رسولا ليس عبثا و لا بمحض الصدقه.. بل لما تمتع به زكريا من إخالص، ثم دعوته الصادقه الى الله. و نعوذ الى «مريم» لنرى كيف انها بدورها تضرعت الى الله فوهب لها غلاما زكيا.

ذلك الغلام كان «عيسى» الذى اختاره الله للرساله منذ الولاده.. كرامه لمريم الصديقه، و لأم مريم الصالحه، ان الله لم يبعث رسله منذ الولاده إلا فى قصتى يحيى و عيسى، لكى لا يعتقد الناس بألوهيه الأنبياء، فلو كان الأنبياء آلهه إذا لكانوا أنبياء منذ الولاده، و لما ابتلوا و افتتنوا و خرجوا من مصنع الابتلاء و من ثم اختيروا أنبياء.

أما يحيى و عيسى عليه السلام فلم يكن اختيارهما عبثا، بل كرامه لوالديهما، و جزاء

حسنا لآعمالهما الصالحه، و الله لا يعاقب أحدا بسبب ذنب غيره، و لكنه قد يكرم أحدا بسبب حسنه غيره.

و تبين آيات القرآن هنا بعضا من معاجز «عيسى»، و يشير القرآن بأنها كانت بإذن الله، لكي ينسف الدليل الثانى الذى تمسك به النصارى فى اتخاذهم عيسى إلهها، أما الدليل الأول و هو ولادته من دون أب، فيبينه حين يقارن بينه و بين آدم الذى خلقه من التراب فهو أولى إذا باتخاذها إلهها.

و تبين الآيات خلاصه لدعوه عيسى عليه السلام و التى كانت خالصه لله، و أخيرا، ينهى الحديث ببيان إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ و علينا جميعا التسليم له، و بالتالى: فان عيسى لم يكن سوى عبد مطيع لله، و الآيات عموما تعالج فكره العنصرية من زأويتها الدينيه كما يأتى الحديث عنه.

بينات من الآيات:

إشاره

[٤٢] لم تصبح مريم صديقه و والده عيسى، لمجرد دعاء أمها، و تربيه زكريا كفيها بل و أيضا لقيامها بواجبها، فى عباده الله..

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ [٤٣] و لكن لا يعنى اصطفاك انك غير مسئوله عن عمل، و لا مكلفه بواجب، بل بالعكس تماما تتضاعف مسؤولياتك و أعمالك.

يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ فالخضوع لله و التسليم لأوامره، و التجرد عن الذات (القنوت)، ثم التطبيق

العملى لهذا الخضوع (السجود)، ثم التطبيق الاجتماعى له (الركوع مع الراكعين)، هو الواجب المضاعف على مريم، الذى استتبعه اختيارها للرسالة.

إذا.. مريم لم تسقط عنها التكاليف بسموها الى درجه الصديقين، بل ازدادت للدلاله على خطأ الفكره العنصريه.

[٤٤] و كانت من نتيجة طهاره مريم و تسليمها المطلق لله، ان أخذ الناس يختصمون أيهم يكفل «مريم»، فاحتكموا الى القرعه بطريقه فريده. انهم يأتون البحر و يلقون فيه أقلامهم، فالقلم الذى يغوص فى الماء يحظى صاحبه بشرف كفاله مريم، حيث كان ذاك هو «زكريا» كما بين القرآن سابقا.

ذَلِكَ مِنَ الْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ [٤٥] هذه هى مريم و تلك قصتها.. قصه امرأه صالحه تضرعت لربها، فولدت مريم الصديقه، التى لم تكتف بطهاره مولدها، بل أتعبت نفسها فى ذات الله فأصبحت صديقه.

أما قصه عيسى عليه السلام فقد ابتدأت من كرامه الله لمريم التى جزاها لأنها أحصنت فرجها بان رزقها ولدا من غير أب..

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

أسماء عيسى و خصائصه:

انه كلمه من الله. لأنه أخلص نفسه و أخلصه الله للدعوه اليه و اصطنعه

لنفسه. وانه كلمه من الله، لان الله يخلق كل شىء من خلال السنن الكونيه، أما «عيسى» فخلقه بكلمه، كما خلق كذلك آدم من قبل فقال له (كن) فيكون.

ان إرادته الله و مشيئته الحره تتجسد فى أمر إلهى، يسميه القرآن بالكلمه، لان كل امر يصدر منا نحن الذين يتحدث القرآن لنا و حسب مستوى فهمنا، يعبر عنه بالكلمه و لكن لماذا سماه الله ب (المسيح)؟ لأنه:

لم يختار لنفسه منزلا بل انتقل من موقع لموقع، يدعو الناس الى الله.

و عيسى لم يكن ابنا لله. بل لمريم. و لذلك نسبه الله إليها بينما نجد القرآن يذكر أنبياءه من دون نسبه الى أب، أو أم، أو عشيره. فلا نجد فى القرآن مثلا التعبير عن نبينا ب (محمد بن عبد الله).

وَجِبْهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَ مِنْ أَكْثَرِ وجاهه و شهره و تقديرا من «عيسى»، الذى يقدره اليوم الملايين؟! أما عند الله فهو نبى و جيه، و من الأنبياء أولى العزم، الذين فضلهم الله على العالمين و جعلهم مقربين اليه سبحانه.

[٤٦] وَ يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا. وَ مِنَ الصَّالِحِينَ فهو لا- يدعو الناس فقط، بل و يدعو نفسه الى الله، و يعبد الله سبحانه يا خلاص.

[٤٧] قَالَتْ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي وَلَمَّا وَلِمَ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «مريم» الصديقه ارتاعت و امتلكها التعجب و الدهشه، كيف يرزقها الله

ولدا؟! و هكذا كانت القضية غيبية، متصله بإرادة الله، و لم تكن طبيعیه مرتبطه بسموّ مريم الى درجه الالوهيه، أو سمو عيسى الى هذه الدرجه. و إلا فان العمليه لم تكن عجيبه بالنسبه الى «مريم» نفسها.

انما كانت خلقه الله لعيسى تماما كخلقته لكل شىء فى الكون، لم يكن، ثم كان بإرادة الله، و بكلمته لها (كن)، فهل صحيح ان نقول ان الله ولد الأشياء لمجرد انها لم تكن، ثم كانت؟! كذلك غير صحيح أن نتصور عيسى ابنا لله، لمجرد انه ولد بصوره غير طبيعیه.

[٤٨] و عيسى لم يكن إلهًا، بل بشرا علمه الله الأسماء، و لو كان ذا طبيعه الهيه، إذا لما احتاج الى تعليم الله له لأن من يتصف بالالوهيه يعلم الأشياء ذاتيا، أما عيسى فقد أعطاه الله من علمه بقدر ما شاء.

وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ لَعَلَّ الْكِتَابَ هُوَ الدِّسْتُورُ الثَّابِتُ الْمُتَّصِلُ بِالرُّؤْيِ الْعَامَةِ فِي الْحَيَاةِ. أما الحكمة فهى التشريعات العمليه الخاصه ذات الصبغه التطوريه و الكتاب كان يتمثل فى التوراه، أما الحكمة فكانت موجوده فى الإنجيل.

[٤٩] و بعد ان علمه الله الكتاب و الحكمة، اختاره نبيا، و أعطاه صفه الرساله عطاء، دون أن يمتلكها ذاتيا، كما يمتلك أحدنا مثلا عينه.

وَ رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَيْسَتِ الْآيَةُ مِنْى بِلِى مِنَ اللَّهِ وَ أَنَا وَاسِطُهُ نَقْلَ فَحَسْبُ، و هكذا لم تكن معاجز «عيسى» دليلا على انه ابن الله، إذ كانت تلك المعاجز- فى الواقع من الله- و إنما ظهرت على يد عيسى، كما ان العين مثلا آيه عظيمه من آيات الله، و لكنها

تظهر فى جسدى و جسدك. فهل هى دليل على اننا آلهه «سبحان الله».

من هنا نجد كلمه «اذن الله» تتكرر فى المقطع التالى، للدلاله على ان كل تلك المعاجز هى من الله.

أَنى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ تَمْثالاً و اجعله..

كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا حياً يطير فى السماء كأى طير آخر كل ذلك..

بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْمَأْكَمَةَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبَيِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فى يَوْمِكُمْ فاذا كاتب لأحدكم قرصان من بر و شعير، أكل أحدهما فانى أخبر أيهما أكل، و أيهما احتفظ بها.. كل هذه المعاجز لا يقدر عليها البشر فهل استطاع البشر أن يحول قطعه طين الى طير حى فيه مليارات الخلايا، و كل خليه معجزه الهيئه؟ لا يستطيع البشر أن يصنعوها و لو اجتمعوا عليها. أم هل استطاع كل أطباء العالم أن يحققوا حلم الإنسان بإحياء الموتى؟ و لكن عيسى قدر عليه بإذن الله.

إِنَّ فى ذلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ أما إذا عاندتم فان ملايين الآيات لن تنفع الجاحد.

وحده الرسالات فى المبدأ و الهدف:

[٥٠] رسالات السماء واحده، و ابسط دليل على صدقها جميعا هو وحدتها. إذ

ص: ٥٦٤

مستحيل على البشر ان يوحد أفكاره بهذه الدرجه، مع اختلاف و الظروف و الضغوط، و الثقافات و، و.

انك لا تجد كاتيين يتحدان في أصول الفكر، أو في تفاصيله، حتى و لو كانا توأمين يتيمان الى مذهب واحد، و يعيشان في أرض واحده، و يعملان من أجل هدف مشترك فكيف بشخصين عاشا في عصرين متناقضين، و يختلفان عن بعضهما في كل شيء، إلا في التفكير؟! اهل يمكن ذلك لو لم يكن مصدر الفكر واحدا؟ و بالطبع لم يكن «عيسى» مقلدا لموسى عليه السلام، بل كان مشرعا أيضا، و مطبقا لشريعته بإذن الله، و حسب الظروف المختلفه، و لكن مع كل ذلك فقد ظلت أصول فكره، و طريقه معالجته للقضايا، و أهدافه التشريعيه واحده لأنهما رسولان من إله واحد..

وَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَ لِأَحَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتَكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِدْقِ النُّبُوهِ وَ ضَمَانِ سَلَامِهِ التَّطْوِيرِ، انه من عند الله.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا [٥١] وَ أَهْمَ وَ أBRZ الأدله على صدق الأنبياء في دعوتهم، انهم لا يدعون الناس الى أنفسهم، بل الى الله الذي يلزمون أنفسهم بأوامره و يخلصون له العباده، ثم يأمرون الناس بمثل ذلك و عيسى فعل مثل ذلك، و هو دليل على انه بشر و انه رسول، فهو ليس إليها يدعو الناس الى ذاته، كما انه ليس سلطانا يفعل مثل ذلك باعتبار ان السلاطين يستحيل أن يدعو الناس الى غير أنفسهم.

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

ص: ٥٦٥

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَإِشْهَدُ بِأَنَا مُسْلِمُونَ (۵۲) رَبَّنَا
آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (۵۳) وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (۵۴) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي
مُتَوَفِّيكَ وَ رَافِعِيكَ إِلَىٰ وَ مَطَهَّرِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ لَجَّاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (۵۵) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (۵۶)
وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (۵۷) ذَلِكُمْ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ
الْحَكِيمِ (۵۸) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (۵۹)

و مراحل انتصار الرسالات

هدى من الآيات

كان عيسى بشرا رسولا، تلك هي خلاصه الآيات في الدرسين السابقين و في هذا الدرس أيضا، و لكن القرآن يعالج هذه الفكرة هنا من وجهات عديده:

أولاً: من جهه موقف الحواريين، و هم الرعيل الاول من المؤمنين بعيسى، موقفهم منه، و انهم لم يتخذوه إلهًا كما فعل التحريفيون، و لو كان عيسى إلهًا لحق لأولئك قبل غيرهم ان يكشفوه، لأنهم عاصروه مباشره.

ثانياً: من جهه نهايه «عيسى» الخارقه، حيث رفع الى السماء فهي لا تدل على انه ابن الله. بل لا يعدو ذلك ان يكون معجزه كسائر معاجزه.

و يختم القرآن هذا الدرس بدليل بسيط على ان عيسى لم يكن إلهًا، هو ان مثله كمثل آدم. فهل آدم إله لأنه خلق من غير أب؟ و في بدايه الدرس يبين القرآن المراحل الاجتماعيه لانتصار رساله «عيسى» و هي

ذات المراحل التي تجتازها أية رسالته،متصله بجهود البشر أنفسهم،و ليست دليلا على ان الله يحب عنصرا و يفضله على غيره،فلم يتقدم الحواريون لمجرد حبهم لعيسى،بل للجهد المكثف الذي بذلوه عبر المراحل التاليه:

(أ)مرحلة الفرز و اعتزال الاكثريه الضالاه.

قَالَ مَنْ أَنْصَرَ إِيَّيَّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَرُ اللَّهُ (ب)مرحلة الحرب و تخطيط كل طرف بالانتصار على غيره و تقدم صاحب التخطيط الأفضل (وَ مَكَّرُوا وَ مَكَّرَ اللَّهُ).

(ج)مرحلة الانتصار على العدو.

بينات من الآيات:

أشاره

[٥٢]عرف عيسى عليه السلام انهم يخادعون،و لا- يخلصون الايمان بالله بالرغم من انهم كانوا ينافقون له و يتظاهرون بأنهم مؤمنون،فلم ينتظر عيسى عليه السلام ان يبادروا بالقضاء عليه،بادر بالاعتزال عنهم مقدمه لحربهم و الانتصار عليهم،و دائما تمر على الدعوات الرساليه هذه المرحله حيث تتكون العناصر الاوليه لها فتفصل عن المجتمع الفاسد،و تكون لنفسها مجتمعا مثاليا يتفاعل و يتزايد عناصره و يحارب و ينتصر..

كذلك فعل عيسى عليه السلام .

ميزان العاملين

فَلَمْ يَأْخُذْ عِيسَىٰ مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالِ مَنِ أَنْصَرَ إِيَّيَّ إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَرُ اللَّهُ طلب من الناس ان يحددوا مواقفهم،فاختارت طائفه منهم«الرساله»سماهم

ص: ٥٦٩

القرآن بالحواريين..فقررُوا اتِّبَاعَ عِيسَى وَ إِخْلَاصَ الْعِبُودِيَةِ لِلَّهِ وَ الْإِسْتِعْدَادَ لِلتَّضَحِّيَةِ.

آمَنَّا بِاللَّهِ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِاللَّهِ إِيمَانًا صَادِقًا وَ سَلِمُوا لِلَّهِ أَنْفُسَهُمْ.

[٥٣]ان إيمان هذه الطائفة بالله كان عميقا و خالصا من المصالح و الأهواء، و من الريب و الشك، و كان بهدف واحد هو مرضاه الله سبحانه، انه كان إيمان العارفين، و كل دعوه تنتصر إذا امتلكت عناصر مخلصه، مثاليه فى إيمانها، و تقدم ذاتها ببساطه تامه الى الله و دون تعقيد، أو فلسفه، أو تردد..

من هنا نجد هذه الطائفة تعبر عن إيمانها بهذا الدعاء الدافى الصادق.

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا نَزَلَتْ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ [٥٤] فى مواجهه هذه الطائفة كانت الاكثرية الضاله، التى حاولت ان تخطط لضرب هذه الطائفة بشتى الاساليب، و كلها فشلت لأن هذه الطائفة الصغيره كانت تتمتع بإيمان صادق، و بخطه ذكيه مستوحاه من الله سبحانه و معتمده على إيمان أصحابها.

وَ مَكْرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ان أصحاب الرساله السابقين يتمتعون بميزات لا توجد فى مجتمعاتهم، فهم مؤمنون، و مضحون، و نشطون، و متحدون، و يمتلكون القدره على المبادره و الحسم، و ليس كذلك مجتمعاتهم المترهله.

النهايه المعجزه

[٥٥] و انتهت حياه عيسى (عليه السلام) بان رفعه الله اليه، و لكنه كان يتطلع

الى يوم تنتصر رسالته و أصحابه فطمأنه الله على ذلك.

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي فَخَرْتُكِ وَأَرْفَعُكِ إِلَيَّ وَ مُطَهِّرُكِ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ان التوفى هنا يدل على ان الله رفع عيسى بجسمه و روحه معا لان الكلمه تدل على الأخذ بالكامل.

و جاءت كلمه (و رافعك) شرحا لمعنى كلمه الوفاء.

اما كلمه (و مطهرك) فتشير الى التهمه الرخيصه،التي أراد اليهود الصاقها بعيسى فطهره الله منها حين استعادته (توفاه) منهم و من مجتمعهم الفاسد.

ثم بين القرآن ان الله سوف يجازى اتباعك و أعداءك مرتين.ففى الدنيا يجعل اتباعك فوق أعدائك و فى الاخره يحكم بينهم بالحق.

[٥٦] فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدَبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَ لا ينفع لهم انتمائهم الكاذب الى موسى عليه السلام، أو نسبهم الشريف الذى يربطهم بالأنبياء، بل سيأخذهم العذاب الشديد فى الدنيا، متمثلا فى الذله، و المسكنه، و التشرد، و فى الاخره متمثلا فى الجحيم و ساءت مصيرا.

[٥٧] وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَ لأنه لا يحب الظالمين، فأولى به ألا يظلم أحدا من عباده، فلا يبخس أحدا

حقوقه، كلاً انه سوف يوفيهها بالكامل، و دون ان ينقص منها شىء، و دون ان يعطى جناحه بلا شىء من العمل الصالح، و الجهد، و مخالفه الهوى، ان الأجر هناك بقدر العمل.

فلتعتبروا يا أولى الألباب

[٥٨] تلك كانت قصص عيسى و قصص المعاصرين له، فهل هى مجرد قصه كلاً.. انها أولاً آيات تدل على حقائق، و أبرزها ان أنبياء الله كانوا بشراً، و ان الله اختارهم لرسالته حين وجدهم أكفاء، و قدراء على العمل الصالح. و ليس اعتباطاً و لا لأنهم كانوا من عنصر أفضل من غيرهم، هذه حقيقه واحده نستفيدها من قصص عيسى، و هناك حقائق اخرى نجدها وراء هذه القصص.

و هناك عبر و عظات نستفيدها من هذه القصص، أبرزها ما نتذكر به تذكر حكيم تفيدنا بصيره علميه فى الحياه، و علماً نافعاً.

من ضروره العمل الصالح و الاجتهاد، محاربه العناد فى أنفسنا، حتى لا يصبح مصيرنا كاليهود بل حتى نرتفع الى درجه الحواريين الصديقين.

لذلك لخص القرآن فلسفه القصص السابقه بالقول:

ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ [٥٩] و بين القرآن بعدئذ الحقيقه البارزه فى قصص عيسى و قال:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فليس «عيسى» ابناً لله، كما ان آدم لم يكن ابناً له، بل ان تلك القدره التى قالت للترباب كن.. فكان رجلاً سوياً و أصبح آدم أب البشر، تلك القدره هى التى

خلقت عيسى من غير أب.

و كذب اليهود حين كذبوا مريم و اتهموها بالإثم، لأن مريم كانت صديقه يعرفها الجميع، و لان الله قادر على ان يخلق عيسى من غير أب، كما خلق آدم من التراب.

ص: ٥٧٣

اشاره

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (۶۰) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَآبَاءَكُمْ وَ
 نِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (۶۱) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ
 وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (۶۲) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (۶۳) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
 أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَا مُسْلِمُونَ (۶۴) يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (۶۵) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ
 عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (۶۶) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
 مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (۶۷) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (۶۸)

اللغة

۶۱[نبتهل]:فيه قولان«أولاهما»بمعنى الاتعان.و بهله الله أى لعنه الله.أما«الآخر»بمعنى الدعاء بالهلاك فالبهل كاللعن و هو المباعده
 عن رحمه الله.

۶۴[كلمه]:كلام فيه شرح قصه و لذلك تقول العرب للقصيده كلمه.

[سواء]:عدل و قيل سواء مستو.

٤٥[ت٤آون]:الءآآ هو ما ٤تضمن آآه أو شبهه فى صوره الءآه و الءآه هى ال٤٤ان.

ص:٥٧٥

إشاره

و أساس الوحده

هدى من الآيات:

كانت قصص عيسى و يحيى تمهيدا جيدا لدحض العنصريه.ذلك الانحراف الكبير الذى وقعت فيه اليهود و النصارى و ابتعدوا به عن المحور الاساسى للأمه الرساليه ألا و هو«الحق».

و فى هذا الدرس يبين القرآن محوريه«الحق»،و يطرح بعض الحجج القاطعه عليه،أو بتعبير أفضل يبين لنا كيف نكتشف الحق و بأيه وسيله،فيذكرنا.

أولا:بأسلوب المباهله.

ثانيا:ب طرح برنامج للوفاق الرسالى،الذى يعتمد بالاساس على توحيد الله و مخالفه التحزب و العنصريه.ثم يعالج قصه إبراهيم الذى جعله اليهود و النصارى مقياسا للحق،و يبين انه مقياس باطل.

أولا:لان إبراهيم لم يكن يهوديا أو نصرانيا.

ص: ٥٧٦

ثانياً: لأنه كشخص لا يصلح مقياساً للحق، بل إنما كان إبراهيم نبياً لأنه اتبع الحق.

ثالثاً: وأخيراً، ليس الانتماء إلى إبراهيم بالنسب، أو بالكلام، بل بالاتباع الصادق. وبعدهذا يتابع السياق في الدروس القادمة مواقف أهل الكتاب من رسالته الجديدة والتي منها توسلهم بأساليب التضليل السافله ككتمان الحق، أو تلبيسه بالباطل، أو الايمان ثم الارتداد، لا لقاء الشك في النفوس. ثم يناقش بعض الآثار العمليه للفكره العنصريه متمثله فى الخيانه بالامانه.

و يبين أخيراً: دور علماء الدين و الثقافه، المنحرفين فى تضليل الجماهير، بإعطائهم ثقافات مريضه و مسمومه و كيف ان هذا الدور يناقض دور عالم الدين أو المؤمن الصادق.

بيانات من الآيات:

إشارة

[٦٠] إن الحق مقياس التقييم السليم. لا الرجال و لا العنصر و الحق من الله.

فهو الذى يهدى اليه، و هو الذى يجزى عليه، و هو الذى يضمن تنفيذه بالتالى شئنا أم أبينا. و لأنه من الله فلا أحد يستأثر به، أو يحكم باسمه الناس، و يتخذهم عبيداً، لأن الله رب الجميع، و ليس لطائفه دون اخرى، و لأن الحق لله فهو لا ريب فيه، لأن مصدر الشك هو الهوى و المصلحه و الجهل، و تعالى الله عنها.

دلائل صدق الرساله

إننا قد نشك فى دعوه مصدرها رجل، و عنصر، أو قوم أو أهل إقليم، لأننا نعرف ان الرجل قد يكون جاهلاً أو ساذجاً أو خبيثاً، و انه قد يتأثر بضغوط مصالحه أو مصالح عنصره أو إقليمه أو قومه. بيد ان الله لا يرقى اليه شك من هذا النوع أو من غير هذا النوع سبحانه.

ص: ٥٧٧

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ [٦١] يقين الرسول برسالته شاهد حق على صدقها، ذلك ان هذا الايمان لا يجتمع أبدا مع كذب الرسول أو خداعه للناس، ولكن كيف يمكن للناس ان يكتشفوا صدق الرسول في ايمانه برسالته و يقينه التام بمضمونها؟ هل من خلال أقواله فحسب؟ كلا.. بل من خلال ممارساته العملية، و من خلال جهاده و تضحياته و عطائه، و أيضا من خلال عمله الابتغال حيث تقف طائفتان متعارضتان امام الله و يدعوان على الكاذب منهما، و بالطبع سيسقط آئذ القناع عن تلك الوجوه الكاذبه و تشرق الحقيقه من أفق الصادقين.

المباهله وسيله لكشف الحق:

و الابتغال-بالتالى- هو نوع من التحاكم امام الغيب حيث يراجع كل طرف ضميره و يحتكم الى تقواه.

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَلَا تُجَادِلْهُ فِيهِ فَتَكُونَ كَالَّذِينَ لَا يُفْقَهُونَ إِيمَانَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَالَّذِينَ لَا يُفْقَهُونَ إِيمَانَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ سَيُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ اللَّهُ عَظِيمٌ ذُو الْعَرْشِ الْمُبِينُ

العلم ليس لفظا و لا كلمات تحريره، انما هو كشف عن واقع ملموس فى الخارج إذا.

فَقُلْ لِمَا أَدْعُوا نَدْعُ آبَاءَنَا وَ أُمَّهَاتِنَا وَ آبَاءَكُمْ وَ أُمَّهَاتِكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلُ إِلَى اللَّهِ وَ نَتَضَرَّعُ فِي أَنْ يَكْشِفَ الْحَقِيقَةَ.

فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ وَ هُنَا لَا يَسْتَطِيعُ الْكَاذِبُ أَنْ يَسْتَدْرِجَ اللَّعْنَةَ عَلَى نَفْسِهِ فَيَفْتَضِحَ، وَ قَدْ فَعَلَ

الرسول مره واحده هذه العمليه، حيث جمع أهل بيته و ذهب الى مواجهه نصارى «نجران» للابتهال و لكنهم انسحبوا و افتضحت دعواهم.

[٦٢] ثم إن الحق من الله، و الاحتجاج فيه يتم عبر الابتهال الى الله، و لكن اين يوجد كلام الله؟ في «القرآن». حيث يحدثنا من خلال قصصه الواقعيه عن الحق، فالحق في منهج القرآن ليس ألفاظا و لا قواعد مجردة، انما هو بصائر تعطى من خلال قصص واقعيه.

تلك القصص تنتهى الى إقرار حقيقه التوحيد التى تعطى بصيره تامه و تفسيرها صحيحا لكافه ظواهر الحياه.

و لكن ليس التوحيد الاعتزال عن الحياه الاجتماعيه بل التوحيد الذى يعكسه قصص القرآن التاريخيه يهدينا الى رب يهيمن على الحياه و يدبرها و هو عزيز حكيم.

فلأنه عزيز تتجلى قوته فى الحياه و لأنه حكيم يستخدم علمه. انظروا الى القرآن ماذا يقول:

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٦٣] و من لا يتبع الحق فهو يتبع الباطل، و سوف لا ينتج إلا الفساد. و الله ليس بعيدا عنه بل هو عليهم به يراقبه و يأخذه على حين غفله.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ [٦٤] كان الابتهال أسلوبا يهدف: اقناع الكفار من أهل الكتاب بالرساله، و الأسلوب الآخر: هو طرح طريقه للوفاق تتضمنه هذه الآيه، التى دعت الى المساواه على صعيد التوحيد، حيث لا- يشرك بالله شيئا فى التفكير و السلوك و تسقط كل القيم الاجتماعيه غير قيمه الحق فلا عنصر و لا رجل و لا قوم و لا.. و لا.. و لا..

لتسقط جميعا، لأنها شرك بالله ثم ليسقط الاستعباد فلا يتخذ البعض أربابا من دون الله.. فلا قياده و لا استعباد و لا ظلم و لا كبت. هذه هي دعوه التوحيد الحقيقيه، المساواه فى عالم يسوده الحق و تنعدم فيه قيم الضلال و ترتفع قيمه التسليم لله وحده دون اى نوع من الاستعباد.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ هَذِهِ هِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ الَّتِي تَعْنَى عَدَمَ الشَّرْكِ بِاللَّهِ فِي الْقِيَمِ.

وَلَا نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا كَمَا تَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةُ عَدَمَ الشَّرْكِ فِي الْقِيَادَةِ وَالْمَحَافَظَةَ عَلَى الْحَرِيَةِ الشَّخْصِيَّةِ.

وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ وَ سَوْفَ لَا نَطْبِقُ هَذِهِ الْمَبَادِئَ مَزِيدَهُ بَلْ لِأَنَّهَا تَمَثِّلُ مَبَادِئَنَا الْحَقِيقِيَّةَ الَّتِي تَحْكُمُ دَاخِلَ مَجْتَمَعِنَا.

تطبيق المبادئ وسيله الخلاص

و من الذى لا- تعجبه هذه المبادئ، اى مجتمع أم أى فرد(المساواه-الحق- الحرية)العالم اليوم يبحث عن وفاق، و خطر الحرب الذريه يهز أعماقه، و لكنه سوف لا- يجد الوفاق إلا- ضمن هذه المبادئ، لتسقط قيم العنصريه، و الاقليمييه و استعباد الإنسان للإنسان، و كبت الحريات و لترفع قيمه التوحيد و التسليم لله وحده و ليرى العالم كيف يتحقق الوفاق.

و حتى داخل المجتمعات الصغيره بل داخل تجمع صغير لو سادت هذه المبادئ لكانت وسيله للتلاحم الأ-كثر، و الانتاج الأفضل، لو سادت قيمه المساواه امام القانون، و قيمه التوحيد و عدم الاعتقاد بأيه قيمه ارضيه باطله، و قيمه الحريه و عدم الاستعباد.

ان هذه الآيه تجسد جوهر سوره آل عمران.. فهى دعوه الى الوحده و على أساس الحق و بناء التجمع التوحيدى الذى يتمحور حول الحق و ينبذ القيم الباطله.

[٦٥] حين رفعت الآيه السابقيه لواء المساواه و عدم استعباد فريق لفريق، فانها تضمنت دعوه صريحه لنبذ صنميه و عباده الأشخاص، و التمحور حولهم و محاوله الانتساب إليهم.

تلك الحاله التى تقف امام وحده المجتمع البشرى، كما انها تعترض طريقه نحو التقدم و الصعود، حيث يفقد البشر قدرته على الإبداع. و ثقته بذاته من أجل التقدم.

و ضربت هذه الآيه مثلا على ذلك من واقع إبراهيم عليه السلام، حيث حاولت اليهود و النصارى الارتباط به، و الاختلاف عليه، و محاوله كل فريق دعم فريقه باسمه، متناسين ان عظمه إبراهيم لم تكن بسبب عنصره المتفوق، أو بسبب لوالده أو قومه أو إقليمه بل لأنه سلم نفسه لله و أخلص فى التوحيد.

و لو انهم اتبعوا مله إبراهيم فى التوحيد، إذن لوحدتهم تلك المله، بدل ان تفرقهم، و لما فكروا تفكيرا حزبيا ضيقا، و لم يحاول كل فريق ان يكون لجماعته أشد من انتمائه للحق.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ

بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ان عليكم ان تجعلوا إبراهيم رمزا للوحده، لا سببا للتفرقه و الجدل الطائفي بينكم ذلك لأن الاختلاف جاء بعد إبراهيم لا قبله.

[٦٦] ثم يتابع القرآن حديثه و يقول:

ان التعصب يدعو صاحبه الى العمى، حيث انه لا يفكر تفكيرا علميا، بل يحاول إثبات جانبه بأى ثمن فإبراهيم كيف يمكن ان يكون يهوديا؟ و اليهوديه متأخره عنه، أم كيف يكون مسيحيا؟ هـا أنتم هؤلاء حـاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون و الأفضل ان نوحده الله و نسلم له حتى نبتعد عن العصبية الطائفية، و نستفيد من العلم و العقل.

[٦٧] من كان -إذا- إبراهيم؟ انه كان عبدا لله و لم يكن منتميا لطائفه أو عنصر. و بذلك أصبح عظيما.

ما كان إبراهيم يهوديا و لا نصيرانيا و لكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين انه رفض الانحرافات الاجتماعيه التي سادت مجتمعه، و حنف و مال عنها ثم توجه الى الله و وحده فعبده، و بالتالى تحرر من ضغط الجبت و الطاغوت، فلم يخضع لايه قوه فكرية أو اجتماعيه أو سياسيه غير الله.

[٦٨] هذا إبراهيم فمن أراد ان يهتدى اليه فليبدأ برفض مجتمعه الفاسد،

و ليمل عنه باتجاه معاكس تماما الى الله، و ليسلم نفسه لله و الحق، و ليتحرر من كل القوى المستعبده للبشر هذا هو الانتماء الصحيح لإبراهيم، و لا تجده الا في النبي محمد صلى الله عليه و آله و المؤمنين به.

□
إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ أَخْلَصُوا التَّوْحِيدَ لِلَّهِ.

□
وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَ لِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

ص: ٥٨٣

أشاره

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِ اللَّهُكُمْ وَمَا يُضِ لُمُونَ إِلَّا أَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (۶۹) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۷۰) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۷۱) وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَ أَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (۷۲) وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحْجَبُ أَوْ يُؤْتَى مِنْ يَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (۷۳) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (۷۴) وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنِ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (۷۵) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَ اتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (۷۶)

اللغة

۶۹[ودت]:أى تمت.

۷۲[وجه النهار]:أوله و سمي وجها لأنه أول ما يواجهك منه.

ص: ۵۸۴

إشارة

عصبيه و تضليل

هدى من الآيات:

ما هي مواقف أهل الكتاب من الرسالة الجديدة «الإسلام» الذي اتبعه إبراهيم؟ ان أهل الكتاب أهم ما يميز مواقفهم، هو التعصب الأعمى لطائفهم على حساب الحق، انهم لا يفكرون في أن يهتدوا، بل يحاولون تضليل المؤمنين أيضا، و مع علمهم بان الرسول حق، فهم يكفرون به، انطلاقا من عصبيتهم الطائفية، و عنصريتهم القومية، و يستخدمون وسائل ما كره و غير شريفه في إضلال المؤمنين، مثل ان يتظاهروا في الصباح انهم مؤمنون، ثم يكفرون مساء، لعلهم يضععون إسلام المؤمنين بالرسول، أو انهم يشيعون في أوساطهم فكره الطائفية، و يحاولون اللعب بمشاعر الناس الاستقلالية، و ينفخون في كبريائهم القومية و يقولون لهم لماذا تتبعونهم دعوهم، فهم يتبعونكم، فأنتم أولى بالاتباع، و كأن المسلمين يدعونهم الى اتباع أنفسهم.

ص: ٥٨٦

و تبرز هذه المواقف كأسوأ ما تكون في العنصريه،التي تدعى ان اليهودى لا يعذب شيئا،إذا خان الناس من غير اليهود.انظر كيف تنحرف المفاهيم،بسبب العصبية الطائفية.

و يرد القرآن-كما نبين قريبا-هذه الأفكار و تلك المواقف بحجج قويه.

بينات من الآيات:

نتائج التعصب:

[٦٩]ان أهل الكتاب ليسوا سواء،هذا ما توحى به هذه الآية و تبينه آيه تأتي لتؤكد لنا:ان جزاء العصبية ليست عصبية مثلها،بل التقييم السليم،و الاحتكام الى الحق فقط،فاذا قالوا لنا أنتم كلكم منحرفون،لا نرد عليهم القول ذاته فنقول:

بل أنتم المنحرفون جميعا،بل نقول الحق أبدا.فليس كلّ الطوائف من أهل الكتاب يكفرون بنمط واحد،انما هناك طائفه من أهل الكتاب يودون تضليل المؤمنين بالرساله الجديده،و هم يستفيدون من الدين المنحرف السابق،سواء كانوا الكبراء أو الأحرار أو الأثرياء أو من أشبه.

و لكن هذا التضليل سوف يسبب لأنفسهم مزيدا من الضلاله،إذ ان الذى يحاول تضليل غيره سوف تتكرس فى نفسه الأفكار الباطله،التي يلوك بها من أجل اقناع الآخرين بها،ذلك لأنه سوف يفتش عن بعض الأدله الباطله،التي تدل عليها،و يكررها،حتى يصدق هو بها،كما و تأخذه حاله التحدى،و الاعتزاز بالإثم،و لا ينظر الى الأفكار المعاكسه لفكرته.كل ذلك سوف يسبب له مزيدا من الضلاله.

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ [٧٠]العصبيه أعمى لا بصيره لها..انها تسبب الكفر بالحق بكل صراحه، فاذن من يخسر بالكفر؟ أو ليس الكافر نفسه؟! يا
أهل الكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ هل هناك فائده في الكفر بآيات الله الواضحه.

[٧١]انهم لم يكونوا يكفرون بالحق فقط، بل يحاولون إضلال المؤمنين بشتى الوسائل،التي منها أولا:خلط الحق بالباطل و دمج
الباطل به،و خداع البسطاء فيه، و هم أهل الكتاب الذين أوتمنوا عليه..

يا أهل الكتاب لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ هل هذا في كتابكم أم من أجل تحقيق أهوائكم الضاله.

و الأسلوب الثانى:كتمان جوانب من الحق،من أجل ألا تصبح حجّه عليهم أمام الناس..

وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انه الحق من ربكم..

ان الله حمل أهل الكتاب مسئوليه بيانه للناس،و كانت ثقه الناس بهم آتية من منطلق انهم سوف يحققون مسئوليه العلم التى على
أكتافهم،و لكنهم خانوا الله و خانوا بالجماهير،حين كتموا الحق،و خلطوه عمدا بالباطل.

[٧٢]و قاموا بخطوات عمليه ما كره،لزرع الشك بالحق فى قلوب البسطاء من

أتباعهم أن يؤمنوا بالرسالة الجديدة.

فلقد كانوا يتظاهرون بالإيمان في فتره من الوقت، ثم يكفرون و يعودون لجماعتهم، ويقولون: نعم خدعنا و آمننا لاننا كنا طيبى القلب، و مخلصين، و لكننا اكتشفنا انهم على باطل.

وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَ أَكْفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ انظر كيف يؤدي الكفر بالحق الى اتخاذ مواقف خطيره ضد الحق، و من أجل إضلال الناس عنه.

[٧٣] و كانوا يثيرون فى أنفس اتباعهم العصبية الجاهليه البعيده كل البعد عن روح الدين، فيقولون لهم: دعوهم هم يتبعون دينكم، لأنكم أنتم أصحاب الدين الحقيقى. علما بأن الدين لله ليس لهؤلاء و لا لأولئك.

وَ لَا تَتَّبِعُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ وَ لَيْسَ هُدَىٰ عَنصَرٍ أَوْ قَوْمٍ مَّعِينٍ، ثم ان الرسالة التى هبطت على قلب محمد صلى الله عليه و آله، هى مكمله لرساله الله و خاتمه لها.. بينما رسالات الله السابقه لم تكن بذلك المستوى.

أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ: فلا تراتبوا فى دينكم، لمجرد ان طائفه من الأخبار يؤمنون ثم يكفرون، أو لمجرد انهم يقولون اننا حمله الرسالة التقليديون، فكيف انتقلت رساله؟ الى العرب و هم ليسوا بمستوى حمل الرسالة كلا: ان الله يعلم أين يضع رسالته.

أَوْ يُخَاجُوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ لَيْسَ يَخْتَصُ بِفَضْلِ اللَّهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، لَأنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَ تَفَضَّلَ عَلَيْهِمْ بِرِسَالَتِهِ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْعَرَبَ. وَ الْخَلْقَ أَمَامَهُ سَوَاءً، وَ أَمَّا خَصَمُهُمُ الْآنَ بِالرِّسَالَةِ لَمَّا عَلَّمَهُ مِنْ كِفَايَاتِ حَمَلِهَا فِيهِمْ.

وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ .

وَ لِأَنَّهُ وَاسِعٌ لَا- يَخْتَصُّ فَضْلَهُ لِجَمَاعِهِ دُونَ أُخْرَى، وَ لِأَنَّهُ عَلِيمٌ يَجْعَلُ فِي كُلِّ فِتْرَةٍ رِسَالَتَهُ فِي مَوْقِعٍ مَعِينٍ، تَبَعًا لِلْحَكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَةِ.

[٧٤] يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

[٧٥] لِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ الْيَهُودَ تَارَهُ، وَ الْعَرَبَ تَارَهُ. وَ بِالطَّبَعِ أَنَّ هَذِهِ الْعَنْصَرِيَّةَ لَمْ تَكُنْ جِزَاءً مِنْ رِسَالَتِهِمُ السَّمَاوِيَّةِ، بِدَلِيلِ أَنَّ بَعْضَهُمْ- وَ هُمُ الْمَتَمَسِّكُونَ جِدًّا بِرِسَالَتِهِمْ- كَانُوا يُؤَدُّونَ الْأَمَانَ، حَتَّى الْقَنْطَارَ مِنَ الذَّهَبِ.

وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا وَ تَطَالَبَهُ بِهِ بِقَوِّهِ حَتَّى تَسْتَلِمَ أَمَانَتَكَ مِنْهُ، وَ لَكِنْ لِمَاذَا يَخُونُونَ الْأَمَانَ؟ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ فَلَا يَحَاسِبُنَا اللَّهُ عَلَى الْخِيَانَةِ بِالْعَرَبِ الْأُمِّيِّينَ، أَوْ بِالْأُخْرَى عَلَى الْخِيَانَةِ بِكُلِّ شَعْبٍ غَيْرِ شَعْبِ الْيَهُودِ، الَّذِي نَزَلَتْ عَلَيْهِ وَ مِنْ أَجْلِهِ فَقَطَّ رِسَالَهُ السَّمَاءِ.

وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ

إذ لم ينزل الله ديناً عنصرياً لناس دون ناس. ولكن دوافع هؤلاء الحقيقيه هي دوافع مصلحيه، و عصبيه، و لذلك يتلبسون بالدين عمداً.

[٧٦] و قد رأينا كيف ان الله يمدح طائفه من اليهود، لأنهم يؤدون الأمانه، ان ذلك دليل بسيط على ان رساله السماء لا تعترف بالعنصريه أبداً، و القيمه الوحيده عندها هي العمل الصالح.

بِأَيِّ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ سِوَاكَ كَانَ ذَلِكَ الْعَهْدُ، هُوَ الْمَالُ كَمَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، أَوْ كَانَ الْعِلْمُ الَّذِي حَمَلَهُ إِيَّاهُ اللَّهُ لِكَيْ يَنْشُرَهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَ لَكِنِ الْعَصْبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ الْعَمِيَاءُ، هِيَ الَّتِي أَمَلَتْ عَلَى الْيَهُودِ مَخَالَفَةَ الْهَدْيِ مِنْ رَبِّهِمْ لِمَجْرَدِ أَنْزَلِهِ عَلَى الْعَرَبِ، وَ الْوَأَقِعَ إِنَّ هَذِهِ الْعَصْبِيَّةُ انْتَهَتْ بِهِمْ إِلَى عُنْصَرِيَّةِ عَمِيَاءٍ، فَإِذَا بِهِمْ تَجَدُّهُمْ يَخُونُونَ أَمَانَاتِ النَّاسِ -مِثْلًا- مِنْ دُونِ أَيِّ حَرْجٍ، بِزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَحَاسِبُونَ عَلَى الذُّنُوبِ الَّتِي يَرْتَكِبُونَهَا فِي حَقِّ الْأَمِيِّينَ.

ص: ٥٩١

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عِزَابٌ (۷۷) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (۷۸) مَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلَّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (۷۹) وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۸۰) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمِهِ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (۸۱) فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (۸۲) أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (۸۳) قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (۸۴) وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (۸۵)

اللغة

۷۸ [يلوون]: أصل اللّيّ القتل من قولك لويت يده إذا قتلها و منه لويت الغريم.

۷۹ [ربانيين]: الرباني هو الرب يرب أمر الناس بتدبيره

و إصلاحه إياه يقال رب فلان أمره إذا دبره و أصلحه فيكون العالم ربانيا لأنه بالعلم يرب الأمر و يصلحه. قيل أنه مضاف الى علم الرب و هو علم الدين الذى يأمره به الا انه غير فى الاضافه ليدل على هذا المعنى فليل لصاحب علم الدين الذى امر به الرب ربانى.

ص: ٥٩٣

تبرير الهزائم و تفجير الطاقات

هدى من الآيات:

بالرغم من أن آيات الدرس السابق كانت عامه، إلا أن رجال الدين التحريفيين و انصاف المثقفين كانوا أولى الناس بها، إذ انهم هم ابرز (أهل الكتاب). فالكتاب يعرفونه قبل غيرهم و يدرّسونه و يعلمونه الآخرين فهم أهله بالاولويه..

و الحديث فى هذا الدرس يتركز على هؤلاء بالذات، و يبدأ بان العلم أمانه، و الذين لا يتحملون مسؤليه العلم لبعض المال، و يخونون أمانته ينالون جزاءهم فى الآخره.

و خيانه العلم قد تكون بالتفسير الخاطى للدين. بتحريف معانى نصوصه و جعلها تتوافق و مصالحه الدينيه.

و هؤلاء ليسوا أمناء الله على رسالته، انما امناءه الأنبياء الذين يخلصون الدعوه

الى الله لا الى أنفسهم، ولا الى الملائكة أو الأنبياء، و يصدق بعضهم ببعض، ووفقا للميثاق الذى اتخذه الله منهم قبل ان يحملهم مسئوليه رساله. أن يؤمنوا بالنبي الذى يبعث إليهم و ينصروه. فوافقوا جميعا عليه. و اشهدوا الله على أنفسهم.

و هذا فى الواقع هو الإسلام بمعناه الصادق، فهو مجرد كامل عن الذاتيه، و تسليم مطلق لله. تماما كما أسلمت السماوات و الأرض لسنن الله.

و بالنسبه لنا يعنى هذا الإسلام، الايمان بجميع الرسل انطلاقا من وحده الرسالات السماويه، التى سيبحثها القرآن فى الدروس التالیه مباشره.

بينات من الآيات:

الرساله مسئوليات و واجبات:

[٧٧] رساله الله مسئوليه كبيره يحملها الإنسان فى الحياه، و تتركز عند الأنبياء و الصديقين، و عند الذين ينصبون أنفسهم دعاه الى الدين. و هى - فى ذات الوقت - مسئوليه ثقيله و ذات قيمه كبيره، لأنها أداه لتوجيه الناس الى الحياه السعيده و الى مقاومه الجبت و الطاغوت، و لنا أن نتصور ان قدره الإنسان فى ضبط نفسه عن شهواته متصله بفهمه الصحيح لرساله الدين فى الحياه. إذ انها هى التى تحذره من مغبه الاسترسال مع الشهوات.

و تبين له ان لقمه واحده يمضغها الإنسان بشهواته، قد تمنعه من الأكل الهنىء طول حياته. و ان ساعه واحده من الغفله و اللإ-إراده، قد تجعل حياته و الى الأبد جحيما لا يطاق، و ان اى شهوه طائشه، أو جريمه، أو ذنب، أو هفوه، توجب عليه الحساب و العقاب الأليم فى الآخره. و بالتالى رساله الدين تجعل إرادته الإنسان قويه و قادره على ضبط الشهوات و توجيه طاقاته نحو الجد.

أما لو جاء رجل دين منحرف، و من أجل المماشاه مع أصحاب الشهوات و الربح عليهم. و جمع أكبر عدد منهم حوله، بزر لهم سيئاتهم و هون عليهم امر العقاب و أخذ ينشر فيهم أفكارا من قبيل ان الله غفور رحيم، أو ان الأنبياء و الأولياء يشفعون لك ذنوبك، و انك سوف توفق للتوبه و هكذا. فان النتيجة ستكون خطيره، إذ ان اداه الضبط تتراخى فى النفس و تندفع الشهوات فى كل اتجاه. و قد يقدم صاحبها على أكبر الجرائم اعتمادا على تلك التبريرات السخيفه.

ان مجازر الحروب الصليبيه ارتكبت بفعل تحريف رساله الدين، و تحويلها من أداه لضبط الشهوات الى أداه لتبريرها.. بل و تكريسها و اعطائها الشرعيه.

كما ان هتلر كان قد استغل فى مجازره الرهيبه بعض رجال الدين التحريفيين، الذين زوروا له الدين، و رسموا له الصليب المعكوف..

و إسرائيل تقترب الآن الجرائم باسم الدين، و لكن أى دين ذلك الدين الذى يبرر الجرائم بدل أن يدينها.

هذا عن الجبت. أما الطاغوت المتمثل فى السلطات الديكتاتوريه و المستغله و المستعبده للبشرية. فان القوه الوحيده التى تستطيع ان تتحرك ضدها- هى قوه الشعب، الذى يجب أن يحافظ على حريته و ثرواته و يجاهد ضد مستغليه. و لكن الشعب بحاجه الى سلاح فكرى يساعده فى تجميع قواه، و توحيد طاقاته، و تبرير تضحياته... و ذلك السلاح هو الدين. و لكن يشترط ألا يسرق رجال الدين سلاح الشعب منه، و يبيعه الى الطواغيت، بِثَمَنِ بَخْسٍ - دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ .

و لنا أن نتصور كم ألف جريمه ترتكب فى كل يوم بسبب خيانه رجال

الدين لرساله الدين. و كم يستعبد ملايين الناس لهذا السبب و هل لها قيمه الدراهم التى يقبضها هؤلاء الخونه لقاء تلك الجرائم الكبيره التى يتحملون وزرها.

من هنا نجد القرآن شديدا مع هؤلاء و يقول:

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا فَمَهْمَا يَكُونِ الثَّمَنُ الَّذِي يَاقْبِضُهُ الْإِنْسَانُ لِقَاءَ جَرِيمَتِهِ بِحَقِّ الشُّعُوبِ، فَهُوَ قَلِيلٌ وَالْعَهْدُ وَالْإِيمَانُ سَيَتَحَدَّثُ عَنْهُمَا الْقُرْآنُ فِي الْآيَةِ (٨١).

أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ بِلَا رَصِيدٍ، بِالرَّغْمِ مِنْ بَعْضِ مَظَاهِرِ الطَّاعَةِ الَّتِي عِنْدَهُمْ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ.

إذ انهم يبيعون دينهم فى الدنيا، فلا يبقى منه شىء للآخرة، و أولئك هم الأذلون فى يوم القيامة، إذ انهم طلبوا من وراء بيعهم للدين الحصول على بعض الجاه - فجزاهم ربهم بعقاب مناسب حين إذ لهم فى القيامة.

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هَؤُلَاءِ دَائِمًا يَزُكُونَ أَنفُسَهُمْ، وَ يَجْعَلُونَهَا مَقْدَسَهُ، وَ مَتَعَالِيَهُ عَنِ النُّقْدِ، وَ أَى نَقْدٍ يُوْجِهُ إِلَيْهِمْ يَعتَبِرُونَهُ نَقْدًا مُوجِهاً إِلَى الدِّينِ، وَ يَكْفُرُونَ صَاحِبَهُ لِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ جَزَاءً لِلذَّاتِ البَسيطَةِ الَّتِي اسْتَفَادُوا بِبَيعِهِمُ الدِّينَ.

[٧٨] ان ملايين الناس يتمردون على الدين ذاته بسبب وصاياه هؤلاء الخونه على رسالته المقدسه. إذ ان هؤلاء يصورون الدين اداه للتبرير. و للكسل، و الجمود و الاستسلام للطاغوت، و الرضا بالاستعباد، و هذا التفسير الماكر يستخرجونه من بعض النصوص بطريقه ماكره.

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ وَ التَّعْبِيرُ (يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ) تعبير دقيق لحاله هؤلاء النفسيه و السلوكيه فهم من الناحيه النفسيه يحاولون تحريف الدين و إلوائه بأى شكل من الاشكال، و هم من الناحيه السلوكيه يعيشون الكتاب على صعيد الألسن فقط دون أن تتعمق رؤى الكتاب فى قلوبهم، أو تظهر فى حياتهم. انهم اتخذوا الكتاب أحرفا يتعاملون بها كما يتعاملون مع قطعه حلوى يصنعون منها ما يشاءون صوراً شتى حسب المواقع و حسب الظروف المصلحيه.

[٧٩] ان الكذبه الكبيره التى قالها هؤلاء الخونه- من رجال الدين و العلم التحريفيين-هى عباده عيسى، و اتخاذه إلهاً من دون الله، و مثله عباده سائر الأنبياء و الأولياء، و العظماء. و كان الهدف الخيىث وراء هذه الكذبه:

أولاً: التعصب المذهبى، حتى لا يتحول النصرارى مثلاً الى مسلمين بفعل الاعلام الاسلامى أو لا يتحول أهل مذهب الى مذهب أو جماعه حزب الى حزب ثان.

ثانياً: ان يعطوا لأنفسهم نوعاً من القداسه المزيفه، فاذا كان عيسى إلهاً فالأخبار أنبياء أو انصاف آلهه، ان عباده الذوات تقع بالضبط فى الطرف الآخر

لعباده الله و ان التمحور حول الأشخاص متناقض تماما للالتفاف حول الحق، كما ان هؤلاء الخونه يريدون إبعاد البشر عن الحق و عن الله معا.

فإنهم يشيعون عباده الذوات فى الناس تلك التى يقول عنها ربنا:

مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ كَعِيسَى الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَكَانَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَىٰ دَرَجَةِ الْحِكْمِ وَالنُّبُوَّةِ..

ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْكُنُ ذَلِكَ. أَوْلَا: لِأَنَّهُ يَعْلَمُ قَبْلَ غَيْرِهِ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ يَمْلِكُهُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا يَعْمَلُ عَمَلًا يَسْلُبُهُ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ.

ثانيا: لان الله لا يختار لنبوته رجلا خائنا حاشاه.

وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّائِينَ هَذِهِ دَعْوَةُ عِيسَى إِلَىٰ رِجَالِ الدِّينِ، قَالَ لَهُمْ كُونُوا رِجَالِ دِينِ تَقْدِرُونَ رَبِّكُمْ قَبْلَ ذَوَاتِكُمْ وَقَبْلَ مَصَالِحِكُمْ، لِمَاذَا؟ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ أَنْ دَرَسَ الْكِتَابَ وَتَعَلَّمَهُ لِأَخْرِيْنَ يَحْمِلُكُمْ مَسْئُولِيَهُ كَبْرَىٰ، هِيَ ضَرُورَةُ التَّطَوُّعِ لِلَّهِ وَعَدَمُ التَّفَكِيرِ أَبَدًا فِي ذَوَاتِكُمْ، تَمَامًا بِعَكْسِ عِبَادَةِ الذَّاتِ.

[٨٠] كذلك لم يكن عيسى عليه السلام ليأمركم باتخاذ الملائكة و النبيين أربابا، مثلما فعلت النصارى حين دخلت فى ثقافتهم الأفكار الصنميه المشركه من مذاهب

منحرفه، فزعموا: أن كل القوى الكونية، و التي تمثلها الملائكة، أرباب والهه صغار، يقاومون ضغط الإله الكبير في العرش (سبحانه)، و يشفعون للناس رغما عليه.

و بالتالى يجب توزيع العباده بين الله، و بين تلك الأرباب، حيث تقسم مع الله سلطان الله و يقول الأخبار عنه:

ما لله لله، و ما لقيصر لقيصر. و بالتالى يحدث فصل بين الدين، و السياسه، بين الاخره و الدنيا و هكذا..

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

الالتزام بالمسؤوليه ضمان الاستقامه:

[٨١] و ان أهم مسؤوليه من مسئوليات العلم و الدين و رسالتهم المقدسه الإخلاص للحق، و الابتعاد عن الذاتيه بكل صورها، و عدم استخدام العلم و الدين من أجل دعم المذهبيه، و العنصريه الضيقه، و بالتالى من أجل حرمان الآخرين و استعبادهم و استغلال ثرواتهم.

ان العالم اليوم يعانى من استخدام تقدم العلم فى نشر الدمار فى الأرض. ان نصف الأبحاث العلميه فى العالم تتركز من أجل صناعه و توقيه آله الحرب. و القسم الأ-كبر من النصف الثانى يشغل من أجل السيطرة على الشعوب المحرومه. و هذا بعيد عن رساله العلم و خيانه لأمانته و مخالفه لعهد الله مع العلماء. و قديما كان الدين يستغل من أجل ذات الأهداف. كان رجال الدين هم الذين حصروا أنفسهم فى اطار العنصريه و الاقليميه و القوميه و ساعدوا-بذلك- الطواغيت فى فرض أنفسهم على الشعوب، و فى استغلال و استعباد الشعوب، و فى إثارة الخلافات المصلحيه بينها.

بينما كانت رساله الدين الحقيقيه واحده، و رمزا للوحده و نقطه التقاء بين الناس، و أداء جمع و إصلاح بينهم.

و فى هذه الآيه يذكرنا القرآن بهذه الرساله، عبر الحديث عن الأنبياء، و كيف ان الله تعالى أخذ منهم الميثاق و العهد، بأن يصدق بعضهم ببعض، و ان ينصر بعضهم بعضا، و بالتالى ألا يتفرقوا فى الدين بأى شكل من أشكال التفرقه، و نجد فى الآيه تأكيدات شديده على هذه المواثيق.

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ أَى لانى حملتكم رساله الدين و العلم، الدين المتمثل فى الكتاب، و الحكمة المتمثله فى تطبيق الدين على واقع الحياه، و الذى يحتاج بالطبع الى المعرفه بالحياه (العلم).

ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ أَمْرهم بان يؤمنوا بالرسول، و ينصرونه، و جعل الأمر بصيغه مشدده للتأكيد عليه ثم:

قَالَ أَ أَفْرَزْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي طلب منهم الإقرار و سمي عهده هذا (بالإصر) - و هو الحمل الثقيل - من أجل بيان اهميته، حتى إذا اقدموا على إعطاء الميثاق يعرفون اى عمل عظيم يقدمون عليه، فلا يمتنعون فى المستقبل عن أدائه.

قَالُوا أَفْرَزْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ انه بعد الإقرار، طلب منهم الشهاده و كأنه أمرهم بالتوقيع النهائى على ورقه

التعهد، كل ذلك من أجل التأكيد على رساله الدين، و العلم فى الحياه.

[٨٢] ثم أكد الله أهميه هذه الرساله بالوعيد و قال:

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ و بالطبع لا يتوانى أنبياء الله عن هذه الرساله، و لكن اتباعهم هم الذين يتولون و ينالون نصيبهم من الفسق، بالرغم من مظاهر الدين التى يتقنعون بها.

[٨٣] هذا دين الله دين واحد، ذا قيمه واحده، هى قيمه التوحيد و التسليم لله و لا مكان فيها لقيم الأرض أو العنصر و اللغه.

و الذين يتولون عن رساله الدين و يحورونها عن خطها الصحيح! انما يتبعون غير دين الله بل دين الأرض، أو العنصر أو اللغه و يقول لهم الله:

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ فهم مضطرون الى العوده الى دين الله، الى سنن الحق الحاكمه على الكون لأنهم لا يمكنهم البقاء طويلا فى مواجهه كل قوى الكون، و إذا ماتوا فهم يرجعون الى الله.

[٨٤] ما هو دين الله؟ دين الله دين الوحده بين جميع رسالات الله.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ

ص: ٦٠٣

مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ هذا دين الله: الايمان بما انزل على الأنبياء الأسبقين من كتاب، و ما أوتى الأنبياء الآخرون من كتاب و حكمه و معاجز (و ربما كان التعبير ب«أوتى» فى الأنبياء الآخرين للدلالة أيضا على المعاجز التى ظهرت على يد موسى و عيسى).

[٨٥] و هذا هو الإسلام الحقيقى، الإيـمان بالله، و بجميع أنبيائه، دون تفریق بين كتاب عربى و آخر عبرى، بين مكة و القدس، بين عنصر العرب و عنصر اليهود.

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ الإسلام بمعناه الحقيقى، الذى يعنى التسليم لله و الايمان بجميع أنبياء الله دون تفریق بينهم، الإسلام بمعناه الحقيقى، الذى يعنى التعالى عن قيم الأرض الى قيم السماء و الترفع على حواجز المصلحه، و الحساسيه، و القوميه، و اللغه، و العنصرية، و الاقليميه، و الالتقاء على صعيد الله و الحق و الحريه و العداله و المساواه.

اشاره

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَاهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (۸۶) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (۸۷) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (۸۸) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (۸۹) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ إِزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (۹۰) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (۹۱) لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (۹۲)

اللغه

۸۸[ينظرون]: يؤخرون.

۹۱[أفتدى]: من الفديه و هي البدل من الشيء في ازاله الاذيه

ص: ۶۰۵

و منه فداء الأسير لأنه بدل منه فى إزالة القتل و الأسر عنه.

٩٢[البر]: أصله السعه و معناه النفع الواصل الى الغير مع القصد الى ذلك و ضد البر العقوق.

ص: ٦٠٦

هدى من الآيات:

إن الذى يكفر ببعض رسالات الله فكأنه كفر بها جميعا، لماذا؟ لأنه ينطلق فى كفره بهذه الرساله من قيمه ذاتيه، أو أرضيه، تتناقض مع قيمه التوحيد. فهو -مثلا- يكفر بالرسول محمد صلى الله عليه و آله لأنه عربى، فهو ينطلق إذا من قيمه العنصريه المتناقضه مع قيمه التوحيد، التى نزلت على النبى موسى عليه السلام. و لن يقبل الله منه الإيمان، لأنه فى الواقع يعنى لا- إيمان مطلقا بالله و بحاكميته المطلقه على الكون.

فى هذا الدرس تعالج الآيات قضيه الارتداد بهذا المفهوم، و بعد أن تبين أن الله لا يهدى المرتدين لأنهم تعمدوا الكفر بعد الإيمان، و الله لا- يجبر أحدا على الايمان بعدئذ يبين أن هؤلاء ملعونون عند الله، و بعيدون عن قيم الله، و ملعونون عند الملائكه، فهم بعيدون عن سنن الحياه و ملعونون عند الناس فهم بعيدون عن الجماهير.

ثم يقسم المرتدين الى ثلاثة أقسام:

(أ)الذى يتوب و يصلح ما أفسده.

(ب)الذى يزداد كفرا،و لا يتوب إلا عند ما يحضره الموت.

(ج)الذى لا يتوب حتى يأتيه الموت.

و يبين أن القسم الأول فقط،تقبل توبته،أما الآخران فإنهما لن تقبل توبتهما.

و الارتداد-عموما-يحصل بسبب متاع الحياه الدنيا،و على الإنسان أن يقاوم إغراء الدنيا،و على الإنسان أن ينفق ما تحبه نفسه حتى يحبه الله.

بينات من الآيات:

اشاره

[٨٦]الذى يكفر بالرساله عن جهل،ثم لا يظلم نفسه و لا يظلم الناس،فان عاقبته قد تنتهى بخير،و لكن الذى يكفر بالرساله بعد ايمان بها قلبا،ثم يظهر إيمانه أيضا بالشهاده بها علنا،و يقتنع بكل ذلك اقتناعا عقليا،ثم يكفر ابتغاء مصلحه ذاته؛فانه لا ينال الخير و لا- يهديه الله لماذا؟ لأنه ظالم و كيف؟الذى يكفر بعد الإيمان،فانما ينطلق كفره من قيمه ذاته، أو عنصريه،أو إقليميه،أو ما أشبه، و كل هؤلاء يظلمون الناس طبيعيا،كما يظلمون أنفسهم أ ترى من يعبد شهواته،أو عنصره لا يظلم الآخرين؟ و الظلم يتناقض و الهدايه.ذلك ان الظلم يحجب العقل،و يفسد الضمير، و يضعف الاراده فى النفس.

ص:٦٠٨

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ إيمانا قلبيا أو ظاهرا.

وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ شهاده فى الظاهر.

وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ حَتَّى اقْتَنَعُوا عَقْلِيًّا، وَ بِالنَّالَى كَفَرُوا بَعْدَ تَكَامُلِ عُنَاصِرِ الْإِيمَانِ.

وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لان هؤلاء هم ظلمه بتقديسهم قيم غير قيمه التوحيد، و انطلاقهم منها فى طريق الكفر بالله.

جزاء الارتداد:

[٨٧] أول و آلم جزاء يناله علماء السوء، ان الله يسلب منهم العقل، و يجعل بينهم و بين الحقيقه حجابا من شهواتهم، و أهوائهم، فلا يرون شواهد الحق فى الواقع.

و الجزء الثانى: هو انهم يبتعدون عن رحاب الله، إذ يسلب منهم الله نعمه الإيمان، و لا يتذوقون حلاوه مناجاه الله، و الارتباط الروحى به. و بالنالى يبتعدون عن كل القيم الساميه، كقيم الحق، و قيمه الحريره، و الكرامه، قيمه العداله، و المساواه. و تتحجر قلوبهم، فلا تخشع لذكر الله أبدا.

و الجزء الثالث: هو انهم يبتعدون عن القوى الفاعله فى الكون (و التى يهيمن

عليها الملائكة)، كنتيجة طبيعیه لضالّتهم عن الحقائق، و عن القيم السامیه.

ان سنن الله في الحياه لا يستطيع ان يستثمرها الإنسان في صالحه، إلا إذا عرفها معرفه تامه، و كان له تطلعات سامیه، أراد ان يحققها من خلال السنن تلك، و هؤلاء لا يعرفون السنن، و لا يمتلكون التطلعات السامیه التي تصنعها القيم، و بتعبير آخر ليست لهؤلاء رساله في الحياه، و الحياه ترفض الخضوع لمن لا رساله له فيها.

أما الجزء الرابع و الذي يأتي نتيجه لما سبق فهو:

الابتعاد عن الناس، ذلك ان الناس ينفضون عنم ليست له هدايه، و لا روحانيه، و لا قدره على استغلال الحياه، فلما ذا يلتف حولهم الناس.

و لنا ان نتصور عمق الخيبه التي تصيب هؤلاء الخونه، انهم خانوا رساله الله، للحصول على مرضاه الناس، فخرسروهما معا، ذلك هو الخسران المبين .

و القرآن يسمي الابتعاد ب(اللعنه)، لأنها تعنى الطرد و الابعاد بذله و صغار، و هي تتناسب مع حاله العقاب.

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [٨٨] و هذه اللعنه تبدأ في الدنيا و لكنها تستمر الى الآخرة، و تتحول هناك الى صوره عذاب أليم، لا يخفف عنهم أبدا.

خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ أي لا يمهلون لاعاده النظر في واقعهم، بسبب ارتدادهم عن الرساله بعد العلم بها.

[٨٩] ولا يعنى هذا الواقع المرّ الذى انتهى اليه خونه الرساله، ان أبواب رحمة الله سدّت فى وجوههم، كلا ان رحمة الله واسعه، و لكن يجب عليهم أن يتوبوا و أن يحاولوا إصلاح ما أفسدوه بأعمالهم السابقه، مثلا السعى من أجل هدايه من أضلوا من الناس.

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ [٩٠] لو تاب خونه الدين فى المراحل الاولى من حياتهم، حيث تنفع التوبه فى إصلاح الناس، و حيث ان الرساله لا تزال ناشئه، و حيث تكون التوبه خالصه لله، و دليلا- على تبدل حقيقى فى الموقف. لو تابوا آنشد قبلت توبتهم. و لكن لو استمروا على الضلاله، و قاموا بكلّ الفساد الممكن ضد الرساله، حتى إذا انتشرت الرساله و خسروا كلّ مواقعهم، تابوا لكى يكسبوا عطف الرساله الجديده، هؤلاء لا تقبل توبتهم، لان توبتهم ليست فى الله، بل من أجل تغطيه فشلهم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ اِرْتَدَّوْا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ أَيَّ انهم لا يهتدون أبدا و ان توبتهم ليست حقيقه بل طمعا فى الدنيا.

[٩١] و يشبه أولئك الذين يستمرون على الضلاله حتى يدركهم الموت، انهم من أهل النار، و لكنهم يأملون لو انهم يملكون ثروه الدنيا، و يدفعونها من أجل إنقاذ أنفسهم من نار جهنم، و لكن هيهات. ان هؤلاء ضيعوا على أنفسهم فرصه جيده فى الدنيا و الآن لا ينفعهم الندم.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تُوُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءٌ

الْمَارِضِ ذَهَابًا وَ لَوْ أَفْتَدَيْتَنِي بِهِ أَوْلَيْتَكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ انهم فى الدنيا خانوا رساله من أجل الحصول على بعض الثروه، و بعض الأنصار، و هناك فى الآخره، لا تنفعهم ثرواتهم، و لا أنصارهم شيئاً.

[٩٢] و كان عليهم أن يضحوا فى الدنيا ببعض الثروه، و بعض الناس، من أجل مرضاه الله. ذلك ان مرضاه الله لن تنال بدون تضحيه، و بدون التغلب على حب الذات من أجل الله.

لَنْ تَدَّالُوا الْعِبْرَةَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ بِمَا تَنْفِقُونَ فى سبيله، و لا- يخذعكم الشيطان و يقول لكم: اعملوا من أجل الناس، انهم يعطونكم الجزاء العاجل، أما جزاء الله فلا يعلم هل يأتى أم لا.

وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ و كلمه أخيره: ان رجال الدين هم المهّدون قبل غيرهم بخطر الابتعاد عن روح الدين، لان الناس لو ابتعدوا عن الدين فالأمل معقود برجال الدين، أن يهدوهم و قد يستجيب الناس لهدايه رجال الدين، لأنهم يعترفون بدور أولئك فى الموعظه و الهدايه، و لكن لو فسد رجال الدين فمن الذى يهديهم؟ و حتى لو افترضنا أن الناس يعطونهم فإنهم بالطبع يتعالون على الناس، و لا يستمعون الى موعظتهم.

اشاره

كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِيدُونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠)

اللغة

٩٦[بكه]:و أصل بكه البكّ و هو الزحم يقال بكه يبكه إذا زحمه فبكه مزدحم الناس للطواف و هو ما حول الكعبه من داخل المسجد الحرام،وقيل سميت بكه لأنها تبك أعناق الجبابره.إذا لحدوا فيها بظلم و لم يمهلوا و البك دق العنق.

[مباركا]:من الثبوت اى كثير الخير و البركه.

۹۹ [تېغونھا]: تطلبونھا.

[عوجا]: میل.

ص: ۶۱۴

اشاره

و أساس الكفر

هدى من الآيات:

حرم يعقوب على نفسه بعض الطعام و كان ذلك من أجل ترويض نفسه على الزهد انطلاقاً من قاعده «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» و أكرم الله يعقوب بهذه النيه الصادقه فحرم على بنيه (بنى إسرائيل) تلك الأطمعه اقتداءً بأبيهم إسرائيل (يعقوب). و كان تحريم الطعام قانوناً مؤقتاً ذا هدف محدد.

و لكن بنى إسرائيل تشبثوا بهذه المحرمات الوقتيه و اتخذوا منها ذريعه لعدم الاعتراف بالنبي محمد، و لو انهم راجعوا التوراه لوجدوا كيف انها كانت محرمات وقتيه، و ذات صبغه خاصه.

و هذا مثل لنوع الحجج التى يستند إليها علماء بنى إسرائيل فى رفضهم للرساله الجديده، و هو يعتمد على القشريه و الجمود على الأشخاص و على سيرتهم.

و يعارض القرآن مثل هذه الحججه حين يطرح إبراهيم كشخصيه بديله عن

يعقوب يوحد بين جميع الديانات.

و يستدل على ذلك بان إبراهيم كان أبا للجميع و هو بانى الكعبه التى يقدها العرب، و هناك دلالة واضحة على ذلك فى مقام إبراهيم، و فى أن الدعوه الى الحج دعوه عامه تشمل القادرين، ثم يذكر القرآن أهل الكتاب بان خلافهم هذا يسبب فى ابتعاد الناس عن الدين.

و يوجه خطابه الى المسلمين فيدعوهم الى الحذر من اتباع أهل الكتاب لأنهم ليسوا فى الواقع -دعاه للدين انما خونه للرساله و هم يدعون الى الكفر.

بينات من الآيات:

تقديس الأشخاص يعرفل سبيل الوحده:

[٩٣] كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ إِسْرَائِيلَ اسْم يعقوب و هو الجد الأ-على لقبائل بنى إسرائيل. و قد حرم على نفسه بعض أنواع الطعام فاتبعه بنوه على ذلك و لم يكن هذا التحريم شريعته الهيه ثابتة.

و الشواهد على ذلك موجوده فى كتاب التوراه ذاته.

قُلْ فَاتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ و سوف تجدون فيه كيف ان تحريم الطعام لم يكن ابديا و بالتالى فان رساله محمد جاءت لتحلله عليكم.

[٩٤] و لكن بنى إسرائيل تشبثوا بهذا التحريم و جعلوه ذريعه لرفض الإسلام و بالطبع انعكس هذا الرفض على أنفسهم و كانوا هم قبل غيرهم الخاسرين بهذا

ص: ٦١٦

الرفض.

فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ اى بعد مراجعه التوراه.

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [٩٥] ان الالتصاق بالاشخاص التاريخيين كثيرا ما يصبح عقبه فى طريق الوحده بين (أصحاب الرساله) وعلينا ان نعرف ان أولئك الأشخاص كانوا امه قد خلت لها ما كسبت و لنا ما كسبنا، و لا ندع حياه أولئك وسيله للتفرقه.. ثم فى مواجهه أولئك الأشخاص يوجد آخرون يوحدون بين أصحاب الرساله، دعنا نركز الضوء عليهم و نقوى الانتماء بهم حتى تشتد صلاتنا ببعضنا البعض أكثر فأكثر..

فمثلا: إذا كانت العرب تختلف عن اليهود فى يعقوب فانها تجتمع فى إبراهيم دعنا نتجه الى إبراهيم و نكتشف فى شخصيته رمز وحده الرسالات.. و هى الكعبه.

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مائلا عن الشرك، و رافضا للطاغوت المتسلط على رقاب الناس باسم قيم الشرك.

وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فلا عبد الطاغوت، و لا اتخذ العجل إلها من دون الله و لا قال: ان عيسى ابن الله.

[٩٦] و ان رمز وحده الرسالات هو بيت الله الحرام لأنه كان قبل كل بيوت العباده.

ص: ٦١٧

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ فِي بَيْتِ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَيْتَ اللَّهِ الْأَوَّلَ وَمَنْ أَبْرَزَ تِلْكَ الْآيَاتِ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ. وَهُوَ تِلْكَ الصَّخْرَةُ الَّتِي كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقِفُ عَلَيْهَا لِبِنَاءِ الْبَيْتِ وَوُجُودِهَا وَتَكْرِيمِ النَّاسِ لَهَا بِالصَّلَاةِ لِلَّهِ عِنْدَهَا، لِذَلِكَ عَلَى أَنَّ بَانِي الْبَيْتِ هُوَ إِبْرَاهِيمَ.

وَمَنْ هُوَ إِبْرَاهِيمَ؟ إِنَّهُ الْأَبُّ الرَّوْحِيُّ لِرِسَالَاتِ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثِ، وَالْجَدُّ الْأَعْلَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ، وَمَوْضِعُ احْتِرَامِ الْجَمِيعِ. فَلْتَلْتَقِ كُلُّ الرِّسَالَاتِ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَتَجْتَمِعَ عَلَيْهِ إِنَّهُ بَيْتُ الْأَمْنِ، بَيْتُ الْإِسْلَامِ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْجَمِيعُ، دُونَ اخْتِلَافٍ فِي اللُّغَةِ أَوِ اللَّوْنِ أَوِ الْعَنْصَرِ أَوِ الْمَذْهَبِ، وَيُحْتَرَمُ فِيهِ الْجَمِيعُ، وَيُعْطَى لِلْجَمِيعِ حُرِّيَّةُ الْكَلَامِ، حُرِّيَّةُ الْحَوَارِ وَالنَّقْدِ وَبِالتَّالِيِ.. التَّفَاعُلِ الثَّقَافِيِّ وَالْحَضَارِيِّ.

إِذَا فَبَيْتِ اللَّهِ مَوْضِعُ التَّقَاءِ فَعَلَى لِكُلِّ الرِّسَالَاتِ لِكُلِّ الْمَذَاهِبِ وَبِذَلِكَ يَكُونُ أَفْضَلُ إِدَاةٍ لِلوَحْدَةِ الْحَقِيقَةِ، الْوَحْدَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى أُسَاسِ التَّعَارُفِ وَالتَّحَاوُرِ وَالتَّعَاوُنِ.

[٩٧] الدَّعْوَةُ إِلَى الْحَجِّ عَامَةً وَشَامِلَةً وَلَا تَخْصُ جَمَاعَةً دُونَ أُخْرَى وَعَلَى كُلِّ مَنْ يَسْتَطِيعُ تَلْبِيَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى الْحَجِّ دُونَ تَلَكُّوْهُ. وَمَا دَامَتِ الدَّعْوَةُ عَامَةً فَانْ نَوَازِعَ الْعَنْصَرِيَّةِ أَوِ الطَّائِفِيَّةِ الَّتِي تَمْنَعُ الْحَجَّ هِيَ كُفْرٌ بِالنَّعْمَةِ وَتَمْرُدٌ عَلَى دَعْوَةِ الْوَحْدَةِ وَرَفْضٌ لَهَا وَصَاحِبُهُ يَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّتَهُ الْكَامِلَةَ.

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

و حج البيت يعنى الذهاب اليه و تقصده من بعيد و الاستطاعه هى:القدره الجسديه و المالىه و الامنيه.

من معانى الكفر:

و الكفر هنا يحمل معنيين:

الاول:الكفر بالله فى رفض تنفيذ أوامره و منها الحج.

الثانى:الكفر بنعمه الحج حيث الحريره و البركه و الهدى و بالتالى حيث الوحده الرساليه،و الكلمه تعريض واضح باهل الكتاب الذين لا يطبقون فريضه الحج الى البيت بالرغم من ايمانهم بان إبراهيم هو الذى بناه.

و كلمه اخيره:الحج الذى شرعه الله لجميع الناس و جعله رمزا للوحده و موقعا للتفاعل الحضارى قد انتهى اليوم الى مجموعه طقوس فارغه لا تشمل واحده بالمائه من منافعه العظيمه بسبب ابتعاد الامه عن روح التعاليم الإلهيه و بسبب سيطره الطواغيت على شئون الامه.

و لو لا- هذا الفهم القشرى لدور البيت فى الوحده و فى التعارف و التفاعل و التعاون،و لو لا- الطواغيت الحاكمه على البلاد الاسلاميه لرأينا اذن كيف كان الحج قادرا على تحقيق دوره الحضارى فى وحده الامه و تقدمها و تطورها و تغلبها على مشاكلها الداخليه،و تحدياتها الخارجيه.

[٩٨]و لكن أهل الكتاب يكفرون مره واحده بكل تلك الآيات العظيمه للحج و التى فى طليعتها ما ذكرت فى الآيه السابقه،و يتساءل القرآن لماذا هذا الكفر الصريح..

ص:٦١٩

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِالَّذِينَ بَرَأْتِ اللَّهُ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ وَ سَوْفَ يَحْسَبُكُمْ عَلَىٰ هَذَا الْكُفْرِ، لَأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ انْحِرَافَاتٍ عَمَلِيَّةٍ.

[٩٩] والكفر يبدأ قليلا و يزداد حتى يصل الى درجه العمل من أجل إضلال الآخرين..

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصِيدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِعُونَهَا عَوَجًا وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَصُدُّونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هُوَ صِرَاطُ اللَّهِ وَ سَبِيلُهُ، وَ كَانُوا يَرِيدُونَ أَنْ يَنْحَرِفَ السَّبِيلَ إِلَىٰ حَيْثُ تَتَحَقَّقُ أَهْوَاؤُهُمْ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا شُهَدَاءَ، وَ الْمَفْرُوضُ فِي الشَّهِيدِ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْكُذْبَ وَ أَنْ يَصَدُقَ بِالْحَقِيقَةِ وَ أَنْ كَانَتْ مَخَالَفَهُ لِأَهْوَاءِهِ.

أهل الكتاب هم حملة علم الدين،الذين يفترض فيهم انهم يدعون الى الله،لا- ان يقطعوا طريق السالكين الى الله،و يحرفون طريقهم بسبب طائفياتهم أو حزبياتهم أو مذهبياتهم الضيقه،و هذا الواقع هو الذى يعيشه كثير من حملة الدين حتى اليوم،لا يخلصون لدعوتهم بقدر ما يخلصون لحزبهم أو مذهبهم أو طائفتهم و هم بذلك السبب الرئيسى لكفر طائفه كبيره من البشر.

وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [١٠٠] ان أهل الكتاب بدأوا بالكفر بالرساله الجديده ثم صعّدوا الموقف فأخذوا يمنعون جماعتهم من الايمان بهذه الرساله بشتى الوسائل،ثم صعّدوا الموقف و حاولوا.

تضليل المؤمنين من غير جماعتهم، أولئك الذين كانوا مشركين من قبل و كان المفروض بأهل الكتاب (و هم المؤمنون) أن يفرحوا بتحولهم الى الايمان و لكن النظره الطائفية الضيقه هى التى أعمت قلوبهم و لا- تزال تعمى قلوب كثير من دعاه الدين حتى اليوم.

و من هنا حذر القرآن المسلمين من المسحه الدينيه التى تكسوا وجوه فريق من أهل الكتاب، الكفار برسالة الله، وقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ

ص: ٦٢١

اشاره

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۰۱) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (۱۰۲) وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (۱۰۳) وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (۱۰۴) وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اِخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (۱۰۵) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (۱۰۶) وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (۱۰۷) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (۱۰۸)

اللغة

۱۰۱ [يعتصم]: يمتنع.

۱۰۳ [تقاته]: من وقيت.

[بحبل]: السبب الذي يوصل به الى البغيه كالحبل الذي يتمسك به للنجاه من بئر أو نحوه و منه الحبل للأمان.

[شفا]: حرف.

ص: ۶۲۲

١٠٤]أمه]:اشتقاقها من الأمّ الذي هو القصد من اللغه و تستعمل على ثمانية أوجه منها الجماعه و منها اتباع الأنبياء لاجتماعهم على مقصد واحد. و منها القدوه لأنه يأتى به الجماعه و منها الدين و المله كقوله انا وجدنا آباءنا على امه و منها الحين و الزمان إلخ.

ص:٦٢٣

هدى من الآيات:

«وحده رسالات الله» كان موضوع الدرس السابق، اما موضوع هذا الدرس فهو «وحده الامه الاسلاميه» التي تتمسك برسالة الله الواحده، حيث يعالجها القرآن من عدو وجوه أبرزها: ان أهم شروط الواحده وجود رابطة مشتركه بين افرادها وفتاتها و رابطة الواحده الاسلاميه كتاب الله و القياده الاسلاميه التي تجسد هذا الكتاب، و مزيد من الاعتصام بهما يعنى مزيدا من التفاعل و التماسك، و ليس من الممكن ان نطلب الواحده من دون مبدأ. و نظره الى الورا، الى الجاهليه، تكشف لنا كيف لم يقدر العرب من توحيد أنفسهم - بالرغم من ايمانهم بالوحده و بضرورتها الحياتيه لهم - حتى جاءت رساله فوحدهم الله بها.

و لأن الواحده مبدئيه فلا بد ان توجد فى الأمه فئه تتطوع للمبدأ، و تدافع عنه، و تراقب مدى تنفيذ الأمه له، حتى لا يتراخى الجبل الذى يشد الامه ببعضها.

و الواحده المبدئيه هى التي يباركها الله و لا يبارك الله وحده امه من دون

خضوعها لقيم الله، إذ أنّ الله سيفصل الذين لا يخضعون لقيمه عن المؤمنين في يوم القيامة و يفرق بينهم، بينما يجعل المؤمنين في منزله واحده.

و نحن كذلك يجب ان نفكر في يوم القيامة حيث يفصل الله بين الناس و نطبق في الدنيا القيم الالهيه، و الفكره التي يكررها القرآن خلال حديثه عن الوحده هنا، هي: ان الخلاف غير المبدئي يساوى الكفر بالقيم التي تربط الامه ببعضها فاذا لم يتراخ جبل القيم الذى يعتصم به الجميع، لا يمكن ان توجد ثغره بين المؤمن و أخيه المؤمن.

بينات من الآيات:

الوحده بالاعتصام بالله:

[١٠١]الذين يتبعون أهل الكتاب يكفرون بالرساله و ذلك لأنهم يتركون النبع الصافى الى الرافد البعيد أو حتى الى السواقى الملوثة، يتركون رسول الله، و هو منهم و بعث فيهم، و يتركون كتاب الله، و قد نزل عليهم و بلغتهم، يتركونها الى رسول توفاه الله من زمان بعيد، و الى كتاب عملت فيه يد التحريف.

وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اما من يترك الله الى شهواته فسوف تنحرف به الطرق الى كل واد سحيق.

ان الايمان بالله و التسليم للحق، و مخالفه الهوى و الشهوات هو الضمان الأكيد لاستقامه الإنسان فى الحياه إذ لا ينحرف البشر الا باتباعه هواه أو خضوعه لشهواته.

و الاعتصام بالله يعنى -حسب دلالة السياق- الالتزام بكتاب الله- و يقول

رسول الله الذى يجسد ذلك الكتاب لا يمكن فصلهما عن بعضهما أبداً لذلك تجد القرآن بَدَل التعبير فلم يقل -من يعتصم بهما(كتاب الله و رسول الله) بل قال بالله، للدلالة عن انهما شىء واحد.

[١٠٢] من السهل ان يؤمن البشر بربه و بكتبه و رسله و لكن الصعب هو تحديه لشهواته، حيث تثور عليه كما يثور البركان و يتحدى الضغوط حين تتراحم عليه من كل جانب، إلا إذا خشى الإنسان ربه، و تذكر عظمته و تذكر الموت و الحساب، و بالتالى أصبح متقياً.

و إذا تراخى الإنسان امام شهواته أو ضغوط الحياه فانه قد يموت فى لحظه تراخيه و ابتعاده عن الايمان فيموت كافراً، و لذلك كان على الإنسان ان يصمم على المقاومه حتى الموت، متحدياً كل الضغوط، هكذا يأمرنا الله.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ «حق تقاه الله» هو التصميم على الاستمرار فى خط رساله حتى الموت.

و مناسبه الحديث عن الاستقامه و الاستمرار هنا هى مقاومه ضغوط الانحراف باتجاه الكفر بعد الايمان الذى تحدث عنه القرآن فى الآيه السابقه و كذلك بمناسبه الحديث عن ضروره الوحده إذ الاختلاف لا ينشأ إلا لضعف التقوى على النفوس.

[١٠٣] الاعتصام بكتاب الله و بالرجل الذى يمثل هذا الكتاب هو جبل الله الذى تحدثت عنه. الآيه الاولى، و هذه الآيه، و هو الطريق الوحيد للوحده الحقيقيه التى بدونها لا معنى للوحده. بل للدجل و النفاق.

وَ اعْتَصِمُوا بِجَبَلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا

الهدف المشترك و المصلحه المشتركه و المصير الواحد و..و..،قد يكون سببا للوحده،و لكن بشرط وجود إيديولوجيه واحده يتمسك بها الجميع فتعطيهم رؤيه مشتركه تجاه الوضع.

و إذا افترضنا شعبنا(كالشعب العربى)ذا هدف مشترك هو التخلص من إسرائيل،و مصلحه مشتركه هو تطوير ثرواته القوميه و له مصير واحد،فأما التقدم و الاستقلال أو التخلف و الاستعباد.

و لكن لو لم يكن للشعب العربى إيديولوجيه واحده فانه يختلف على بعضه فى طرق تحقيق الهدف،الانتماء الى الكتله الشرقيه أو التحالف مع الغرب،أو الحياد الايجابى،الاقتصاد الحر،و الاشتراكيه،الحزب الواحد أو تعدد الأحزاب.

و كذلك يختلف فى أساليب الوصول الى المصلحه و بالتالى فى ابعاد المصير الواحد.من هنا يركز القرآن على اهميه الاعتصام بحبل الله(كتاب الله و القياده المنبعثه منه)لتحقيق الوحده،و يذكرنا بظروف العرب قبل الإسلام و يقول:

وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا الْاِخْوَهُ الْعَرَبِيهِ لَمْ تَأْتِ بِسَبَبِ الدَّمِ الْمَشْتَرِكِ
أو اللغه الواحده،أو حتى الأرض، و المصلحه،و المصير الواحد،بل جاءت بعد ان منّ الله عليهم بنعمه الكتاب،فاذا بالفكر يتوحد،و العواطف تتفاعل، و تتحقق الاخوه.و لو لا نعمه الكتاب لكانت الخلافات تهددكم بالدمار.

وَ كُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ و تعرفون ان الاخوه القائمه بينكم ليست سوى نتيجه الايمان بالله و الاعتصام بحبله.

و يا ليت العرب اليوم تذكروا وحدتهم، و عرفوا كيف كانت و لماذا، و عادوا الى نعمه الايمان التى تؤلف بين قلوبهم و تجعلهم اخوه صادقين.

كيف نحافظ على الوحدة:

[١٠٤] للمحافظه على الوحدة.. لا بد من المحافظه على القيم التى وحدت الناس.. و المتجسده فى كتاب الله.. فبدون قيمه العدالة الاجتماعيه كيف يمكن مطالبه المظلوم بالوحده مع الظالم، و من دون قيمه المساواه كيف يمكن للمستعبد ان يسكت عن المستغل.. و من دون قيمه التقوى كيف تثق الجماهير بالحكام.. أو كيف يثق الحكام بالجماهير.

من هنا و لأجل المحافظه على القيم التى تضمن الوحده لا بد من وجود طائفه نذرت نفسها لله.

و لَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ و هذه الطائفه يجب ان تكون رمزا للقيم و رمزا للوحده، لتشكيل قوه معنويه هائله للمحافظه على الوحده داخل المجتمع الاسلامى.

[١٠٥] و عاد القرآن يأمرنا بالوحده و يبين بان الاختلاف بعد الايمان يعقبه عذاب عظيم و سواد الوجه.

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ان دراسه تجارب الأمم رؤيه واضحه لاوضاعنا تلك الأمم تفرقوا فاذا كل طائفه منهم تتشكل حسب قيم ارضيه زائفه-قيمه الدم و اللغه و الإقليم و المصالح العاجله،و كان تمسكهم بتلك الروابط أشد من تمسكهم بالدين-فلذلك اختلفوا فيما بينهم..لأن هذه القيم مختلفه و لا تنتج إلا الاختلاف فابتلوا بعذاب عظيم فى الدنيا و فى الآخره.

[١٠٦] يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ان الاختلاف المشروع الوحيد هو بين الكفر و الايمان لأنه الخلاف الذى يعترف به ربنا هناك عند الحساب الحق..و الكفر بعد الايمان..هو الاختلاف حسب القيم الارضيه الزائفه بعد تمسك الامه بقيمه واحده هى قيمه التوحيد.

ان الايمان بالأرض و تقديس التراب و الوطنيه و محاربه الناس من أجلها نوع من الكفر بقيمه التوحيد التى تجعلك تؤمن بالله و بكل إنسان مؤمن به،فى اى ارض عاش..و كذلك الايمان بسائر القيم الزائفه،من هنا نعرف ان الاختلاف كفر.

[١٠٧] وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لأنهم بقوا ملتزمين بقيمهم و بوحدتهم.

[١٠٨]الوحده حسب قيم السماء خير للناس و تقدم و رفاهيه،و الله يبين ذلك من أجل ان يصل البشر الى مستوى رفيع من التقدم و الرفاه.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ

اشاره

وَاللَّهُ مَنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (۱۰۹) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلدَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (۱۱۰) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ (۱۱۱) ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ أَيَّنَّ مَا تُقْفُوا إِلَّا- بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْوُ بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (۱۱۲) لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (۱۱۳) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يُؤْمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (۱۱۴) وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (۱۱۵) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا- أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (۱۱۶) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (۱۱۷)

اللغة

١١٦ [تغن عنه]: تدفع عنه ضررا.

١١٧ [صرّ]: برد شديد و أصله الصرير. و قيل الصر صوت النار التي كانت في تلك الرياح و يجوز ان يكون الصر صوت الرياح الباردة الشديده. و ذلك من صفات الشمال.

ص: ٦٣١

هدى من الآيات:

فى هذا الدررر يتابع الرىاق حدرته عن المرؤوليه الاجتماعيه تجاه القيم المقدسه، حيث يجب على الجميع ان يحافظوا عليها و يعرفوا ان محافظتهم عليها هى ضمان استمرار تقدمهم و عزهم، و ان التهاون فيها سيؤدى بهم الى الذله و غضب الله و المسكنه، و يأتى القرآن الحكيم بمثلين للالتزام بالمرؤوليه الاجتماعيه، واحد من واقع الامه الاسلاميه، حيث انها لم تستطع ان تصل الى مستواها من المجد.. الا بفضل قيامها بهذه المرؤوليه ثم يقارنها بمثل آخر من واقع اكثره أهل الكتاب الذين تركوا هذا الواجب فضربت عليهم الذله و المسكنه.

و حين يتحمل أبناء الامه مرؤوليتهم الاجتماعيه فان ذلك سوف يعطيهم الوحده المبدئيه ذات الرابطه الايمانيه. إذ انه ينمى روح القيم الساميه فى الامه لتشد بعضهم الى البعض شدا متينا.

و فى آخر الدررس، ينسف القرآن الاسس الفكرية التى تعتمد عليها اكثره اهل الكتاب فى كفرهم، و هى: الأموال، و المصالح، ثم الأولاد و الطموحات، ثم حب الخلود فى الدنيا. و يبين ان كل تلك القواعد تنقلب عليهم فى الآخرة، حيث انها لا تنفعهم شيئاً و ان كل ما ينفقون فى هذا السبيل أشبه شىء بزراعة تطوف عليها رياح هوج فتهلكها.. ان كل اتعاب الفلاح ستذهب ادراج الرياح، بسبب ظلمه لنفسه، و عدم اهتمامه بموقع زراعته الا يزرعها فى حقل مكشوف، كذلك الكفار كلما ينفقونه فى الدنيا لا تنفعهم شيئاً فى الآخرة.

بينات من الآيات:

[١٠٩] بالرغم مما قد يلاحظه الناظر الساذج فى أحداث الكون و بالذات الظواهر الاجتماعية فيها، من انها ترتبط بهذا العامل أو ذاك. فانها محكومة بسنن فطرية عامه أجراها الله فى الحياه، و هو يدبرها من فوق عرشه العظيم، ان تقدم الأمم أو تخلفها، عزها أو ذلها، رفاهها أو شقاءها، ليست كل تلك الظواهر الاجتماعية صدفا عارضه، هى أشبه شىء ببناء البيت أو زراعه الحديقه، بل يخضع لقوانين ثابتة وضعها الله، إذ كل الأمور مرجعها النهائى هو الله سبحانه.

وَاللَّهُ مَنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْمَآرِضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ [١١٠] و من هذه السنن التى أحكمها ربنا، و دبرها، و أجراها فى الكون، أن الأمه لا تصبح خير امه، الا إذا تحملت مسئوليتها الاجتماعيه، ذات الرؤيه الواضحه بإخلاص كاف.

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ فَانْتُمْ أُمَّةٌ خَيْرٌ (و ليس أمه شر، و هى قد) (أخرجت) حيث صنعتها الرساله

و لم تصنع نفسها بنفسها، ثم هي (للناس) و ليست عليها، إذ مسئولية الامه الاسلاميه هي الدفاع عن المحرومين و المظلومين، و توفير السعاده و الأمان لجميع الناس، و ضمن هذه المسئوليه الاجتماعيه هو انكم:

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ لَا - يعنى مجرد الأمر اللسانى، بل يعنى السعى وراء تحقيق المعروف بشتى الطرق.. و كذلك النهى عن المنكر، و لكن الامه الاسلاميه التى تحمل هذه الرساله الاجتماعيه، تنطلق فيها من قاعده صلبه هي الايمان بالله، إذ ان مصدر التحسس بالمسئوليه الاجتماعيه هو الايمان بالله، و باطل أو لا- أقل محدود ذلك التحسس الاجتماعى الذى لا يستمد قوته من الايمان بالله.

□
وَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ أَهْلَ الْكِتَابِ هُمْ بِدَوْرِهِمْ مَهِيئُونَ لِتَحْمِلِ هَذِهِ الْمَسْئُولِيَه، إذ انكم- أيها المسلمون- لم تتحملوا هذه المسئوليه لأنكم عرب، أو ان نبيكم شخص محمد صلى الله عليه و آله بل إن الله حملكم رسالته، كما حمل أهل الكتاب رسالته. و إذا تحملوا هم بدورهم هذه المسئوليه أصبحوا- كما أنتم- خير أمه أخرجت للناس.

□ □
وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ وَ فِي الْآيَاتِ التَّالِيَه يَضْرِبُ اللَّهُ سَبْحَانَه مَثَلًا لِلْفَاسِقِينَ مِنْهُمْ ثُمَّ مَثَلًا لِلْمُؤْمِنِينَ.

بين الفسق و الإيمان:

[١١١] أما الفاسقون فإنهم أذلاء، ضعفاء بفسقهم و انحرافهم، و هم لا

يستطيعون إلا الحاق أذى بسيط بكم، وحين القتال ينهزمون ثم ليس هناك فئه تنصرهم كما ان بعضهم لا ينصر بعضا.

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ فَأَدْبَارَ تُمَّ لَا يُنْصَرُونَ [١١٢] انهم أذلاء أين ما وجدهم الناس مارسوا معهم أساليب التذليل، و ليس أمامهم إلا- طريق واحد للخلاص من هذه الذله هو العوده الى كتاب الله و اتباع سنن رسول الله. أو الارتباط بالامه الاسلاميه المتقدمه عليهم. فاذا اعتصموا بحبل الله «كتاب الله و القياده الاسلاميه» فإنهم سوف يصبحون أعزاء بذلك، و ان اعتصموا بحبل من الناس (الامه الاسلاميه) فإنهم سوف يصبحون أقوياء بالتبعيه و التحالف مع الامه القويه.

و الا فهم أذلاء و الذله تؤدي بهم الى المسكنه..و الفقر و ذلك بسبب فرض الأقوياء عليهم التخلف و الاستغلال.

ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تَقُفُوا أَي فِي أَي بِلَدٍ تَوَاجَدُوا هُمْ وَ الْمُسْلِمُونَ الْأَكْثَرُ قُوَّةٍ مِنْهُمْ.

إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْوُ بَعْضٍ مِنَ اللَّهِ يَتَمَثَّلُ فِي الْخَلَفَاتِ الْمَدَاخِلِيَّةِ، وَ فِي التَّخَلُّفِ وَ الْإِسْتِعْبَادِ، وَ حَتَّى الْكَوَارِثِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَلَاخَقُهُمْ بِسَبَبِ تَخَلُّفِهِمْ وَ جُحُودِهِمْ.

وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ وَ هِيَ الْفَقْرُ الْمَدْقَعُ أَوْ الْفَقْرُ بِذَلِهِ وَ صَغَارُ.

و يبقى السؤال: لماذا انتهى بهم الحال الى هذه الدرجه من الانحطاط؟ و الجواب: لأنهم لم يتمسكوا أساسا بحبل الله و المتمثل فى كتابه و رسله لماذا؟ لأنهم كانوا يعصون الله فى الأمور الصغيره، و شيئا فشيئا تزايد عصيانهم و تمردهم الى درجه الكفر بآيات الله و كانوا يعتدون على الناس، ثم تصاعد عدوانهم حتى اعتدوا على حياه قادتهم الأنبياء.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكُمْ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ ان العصيان هو التمرد على الحق، و هو يؤدى الى الكفر أ لم يقل ربنا: «تُمْ كَانْ عَاقِبَهُ الَّذِينَ أَشَاءُوا الشُّوَايَ...» و الكفر بآيات الله يستدرج الإنسان الى الكفر بالسنن و القوانين الفطريه التى جعلها الله للكون، و بالتالى الكفر بالحقائق كلها.

أما كيف ينتهى الاعتداء على الناس الى الاعتداء على حياه الرسل؟: لأنهم سوف يدافعون عن الناس بكل وسيله، و يدافع المعتدى عن نفسه و يقتل الأنبياء.

و إذا ذهبت آيات الله و أنبياءه، فان الحياه ستصبح فوضى و يحكمها الذله و المسكنه.

[١١٣] هذا مثل سىء لأهل الكتاب، أما المثل الآخر فهو يتجسد فى طائفه صغيره يقومون بالعدل، و يؤمنون بالكتاب و يخضعون لله.

لَيْسُوا سِوَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَوْامِرِ اللَّهِ، مِنْفَذَةٌ لَهَا.

ص: ٦٣٦

يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ حَيْثُ تَنَامُ الْأَعْيُنُ، وَتَسْتَقِظُ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَخْمَدُ نِيرَانَ شَهَوَاتِهِمْ، وَحَيْثُ لَا عَيْنَ تَرَاقِبُهُمْ فَيَسْتَهْوِيهِمُ الشَّيْطَانُ بَرِيَاءً، أَوْ سَمِعَهُ، وَالمَلاحِظَ فِي القُرْآنِ أَنَّهُ يَأْمُرُ بِالتَّبَتُّلِ فِي اللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنَ النَّهَارِ.

وَ هُمْ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ.. فَهَمُ يَنْفَعُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ عَمَلِيًّا، وَيَخْضَعُونَ لَهَا سَلُوكِيًّا. وَ لَا يَتَلَوْنَهَا مَجْرَدَ لِقَلْقِهِ لِسَانًا.

[١١٤] يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يُؤْمَرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ فَلَيْسَ أَمْرُهُمُ بِالْمَعْرُوفِ إِلَّا نَابِعًا مِنْ شَخْصِيَّتِهِمُ الْمُحِبَّةِ لِلْخَيْرِ، بِدَلِيلِ مَسَارِعَتِهِمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَ قِيَامِهِمْ بِهَا قَبْلَ غَيْرِهِمْ.

وَ أَوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ [١١٥] هُوَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ، وَ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ لِسَبَبِ أَوْ لآخر.

وَ مِنْ دُونِ عُنَادٍ، أَوْ تَمَرْدٍ لِأَمْرِ اللَّهِ بِاتِّبَاعِ رِسَالَتِهِ النَّازِلَةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ مَعَ ذَلِكَ فَهَمُ يَجْزُونَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ بِالْكَامِلِ..

وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ وَ هَذِهِ الْآيَةُ تَنْفِي الرُّؤْيَا الْقَشْرِيَّةَ لِلانْتِمَاءِ لِلْإِسْلَامِ بِالاعتقادِ بَانَ مَجْرَدِ أَنْ يَكُونَ الْفَرْدُ يَشْهَدُ بِشَهَادَةِ الْإِسْلَامِ كَلَامِيًّا فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَ مَنْ لَا يَشْهَدُ بِذَلِكَ فَيُكْفَرُ وَ هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ كَلَامًا.. اللَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ قَبْلَ الْأَقْوَالِ.

[١١٦] لما ذا يكفر من يكفر؟ لأنه يغتر بماله أو أولاده. ولكن ماذا تفعل الأموال والأولاد بعد الموت؟ لماذا يخادعون أنفسهم و إلى متى؟ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ والحديث عن الكفار هنا يأتي بمناسبة أهل الكتاب، الذين كفروا بالرسالة و ناصبوا العداء. حيث يبين القرآن الحكيم في الدرس القادم الموقف الذي يجب أن يتبناه المسلمون من الكفار.

ان كثرة الثروه الماديه أو الطاقه البشريه لن تغنى عن الحق شيئاً،و علينا ألا نخضع للكفار بمجرد انهم يملكون الثروه أو الكثره.

[١١٧] اما أعمالهم و أموالهم و حتى بعض الصالحات التى يقومون بها،فانها سوف تذهب هباء منثورا ذلك لأنها لا تعتمد على قاعده صلبه. أ رأيت لو أن الدكتور اشتبه فى تشخيص المرض منذ البدايه ثم أتعب نفسه فى اختيار الدواء المناسب، و اهتم كثيرا بصنع الدواء، هل ينفعه ذلك شيئاً؟ أو إذا ضل الطيار طريقه، فلم يعرف هل هو بالاتجاه يمينا أو يسارا، فهل ينفعه التعب فى توضيح الاستقامه فى التحليق؟ كذلك الكفار أخطئوا فى فهم الحياه أساسا فلا ينفعهم معرفه بعض الجزئيات. لذلك فكل جهودهم تقع فى اطار ذلك الفهم الخاطئ و تصبح هى الاخرى عبثا بلا فائده..

مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ وَ ذَهَبَتْ بِكُلِّ جُودِهِمْ فِي لِحْظَاتٍ، إِذْ أَنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَ لَمْ يَخْتَارُوا مِثْلًا

مکانا مناسباً للزراعة، فهل الله مسئول عن بعث رياح هوج؟! كلا انهم هم المسؤولون..

وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ

ص: ٦٣٩

إشارة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَهُ مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ
 أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا
 آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعِيثَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِعَذَابِ الصُّدُورِ (١١٩) إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَ
 إِنْ تَصَبَّحْتُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ
 تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
 (١٢٢) وَ لَقَدْ نَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِنَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ
 بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ
 الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا- مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)
 لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبَتُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ
 (١٢٨) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩)

اللغة

١١٨ [بطانه]:خاصه الرجل الذين يستبطنون أمره مأخوذه من بطانه الثوب الذى يلى البدن لقربه منه.

[لا يألونكم]:لا يقصرون فى أمركم ولا يتركون جهدهم،و يألو أى يفتر و يقصر و يضعف.

[خبالا]:الشر أو الفساد.و منه الخبل للجنون لأنه فساد العقل.

[عنتم]:أصل العنت المشقه و عنت الرجل بعنت اى دخلت عليه المشقه.

١١٩ [الأنامل]:أطراف الأصابع.

١٢١]تبوى]:يتخذ مواضع للغير.يقال بوات القوم منازلهم و بوات لهم أى أسكنتهم إياها.

١٢٢]تفشلا]:تجينا.و الفشل الجبن.

١٢٣]بدر]:ماء بين مكة و المدينة.

[يكفيكم]:حسبكم.

[يمددكم]:يعطيكم حالا بعد حال.و منه المد فى السير اى الاستمرار.

ص:٦٤١

[فورهم]:أى على الابتداء وقيل الفور القصد الى الشيء بحده.

١٢٧[يكتبهم]:يخزيهم و يدلهم و أصل الكبت شده الوهن الذى يقع فى القلب.

١٢٩[ما]:ذكر لفظ لأنها أمم من من فانها تتناول ما يعقل و ما لا يعقل لأنها تفيد الجنس.

ص:٦٤٢

هدى من الآيات:

هؤلاء الكفار من أهل الكتاب كيف يجب أن يكون موقف المسلمين منهم؟ انه يجب ان يكون موقفا متصلبا، يعتمد على المبدأ، وليس على المصالح، أو الصداقات الشخصية.

ان بعض المسلمين كان يحب أهل الكتاب، باعتبارهم أقرب من الناحية الثقافية، الى المسلمين من المشركين. و لكن القرآن نهاهم عن ذلك، و يبين ان مجرد كفر أهل الكتاب برسالتكم، و اتخاذهم موقفا سلبيا منكم. يدعوهم الى اعتبار أى انتصار لكم موجهها ضدهم، و بالتالى فهم يتميزون غيضا من أى تقدم لكم، و يفرحون كلما أصابتكم سيئه.

و عليكم ألا تهنوا و تدعوا الى الوحده مع هؤلاء خوفا من مجابتههم، بل عليكم ان تلتزموا بالصبر، و التقوى حتى تدفعوا شرهم. و كدليل تاريخى على أن الصبر و التقوى

كفيلان يحرز النصر، يضرب القرآن مثلا من واقع الامه فى حرب بدر، كيف نصرهم الله و هم اذله، و بالتالى كيف يمدد الله المسلمين بالملائكه، لتطمئن قلوبهم، فيحاربوا العدو، و ينصرهم الله عليه.

و هناك ثلاث نهايات تنتظر العدو: فاما يكسر الله جناحا من أجنحتهم بالحرب، و بذلك يحطم جانبا من قوتهم العسكريه. و أما أن يصيبهم الله بنكسه نفسه، فيعودوا من ساحه القتال، و هم مصابون بخيبه أمل، انهم لم يحققوا أهدافهم بالرغم من التضحيات التى قدموها، أو انهم يعودون الى رشدهم و يستقبلون رساله فيتوب الله عليهم، ذلك ان التوبه لا تخص الرسول، أو أحدا من المسلمين ان الله هو الذى يقرر من يتوب عليه من عباده، و من يعذبهم، ذلك لان له ما فى السماوات و الأرض.

بينات من الآيات:

مبدئيه الوحده الإسلاميه:

[١١٨] الوحده القائمه بين المسلمين، هى وحده مبدئيه، و لذلك لا يجوز ان تلعب فيها الأهواء و المصالح الخاصه، فيفضل أحد المسلمين واحدا من الكفار، و يجعله لمصلحه أو لهوى، أقرب الناس اليه، و من حاشيته و جهاز عمله، بل عليه ان يختار رجاله من المسلمين أنفسهم، بالرغم من الحساسيه، أو من الضرر الذى قد يلحق به مؤقتا من جراء ذلك، إذ ان الضرر البسيط يعوض، و لكن نفاق الكافر، و عدم إخلاصه، و تحينه الفرص بالمسلم، حتى يوجه إليه ضربه قاضيه، كيف يعوض..

انهم لا يمنعون عنكم أى ضرر، قليلا أو كثيرا، لأنهم غير مخلصين، و فى الواقع يفرحون، كلما ارهقكم شىء، و الدليل واضح من ألسنتهم، حيث انهم يقولون كلاما يحمل فى تضاعيفه ما يخفونه فى صدورهم، ذلك ان الإنسان مهما حاول

إخفاء شىء، فانه يظهر فى فلتات كلامه، و شوارده، و سقطاته، و بالتالى فى لحن قوله.

و أنتم قادرون لو تدبرتم قليلا، أن تكتشفوا هذه الحقيقه من خلال كلامهم..

أما صدورهم فقد ملئت غيظا و ضيقا عليكم. هذه هى الآيات الواضحه التى بينها الله لكم، بيقى عليكم أن تثيروا عقولكم، و لتفهموا الحقيقه بأنفسكم.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا بَطَانَةَ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَى الْفِرْدِ وَ الْخَبَالِ: الضَّرر.

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ يَحِبُّونَ عَنَتِكُمْ وَ ارهَاقِكُمْ وَ مَا يُؤْذِيكُمْ.

و لم يقل من كلامهم، لان ظاهر كلامهم لا تبدو منه البغضاء. و لكن ما يصدر من أفواههم من الغلط، أو أسلوب الكلام، أو حتى ملامحهم أثناء الكلام، هى التى تدل على حقيقه ما فى قلوبهم..

وَمَا تُخْفَىٰ صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ [١١٩] الاله الاسلاميه تعمل من أجل الناس جميعا. و ضمنهم بالطبع الكفار و بصفه خاصه المحرومين منهم و المضطهدين. و لهذا فان المسلمين يكون الحب للناس جميعا، بيد ان الكفار الذين اتخذوا موقفا سلبيا من المؤمنين، و اعتبروهم خارجين عن الشرعيه، يختلف الوضع عندهم. انهم ينافقون ظاهرا، و يكونون أشد البغض للمؤمنين، و يعتبرون أى تقدم يصيب المسلمين ضررا عليهم، فيشتد غيظهم.

و ضيقهم. و تصرفاتهم الانفعاليه، و غير الحكميه نابعه كلها من هذه النفس المعقده، و المتميزه غيظا.

لَمَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ بَيْنَمَا هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، وهذا هو الفرق، أنتم لا تحملون حقدًا على رسولهم أو كتابهم، بينما هم يحملون هذا الحقد و ينعكس عليهم.

وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ إِذْ ان صاحب الغيظ الشديد يعض أنامله، للتخفيف عن غيظه الذي يثقل صدره.

قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا تَصُدُّونَ لِذَلِكَ لَا يَنْظِلِي عَلَيْهِ النِّفَاقُ، ثم انه لا ينصركم ايها المنافقون على المسلمين، لأنكم أنتم الحاقدون بالباطل عليهم، و نصر الله يصيب أصحاب القلوب الطيبة و النيات الصافية.

[١٢٠] و من طبيعه هذه الفئه، الحسد الشديد، الى درجه انهم ينتظرون أى نوع من الأذى بكم، و يستاءون إذا أنعم الله عليكم بأى خير.

إِنْ تَمَسَّدِيكُمْ حَسَنَةً تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يُضْرِكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ
الصبر هو التفكير فى المستقبل، و بعد النظر، و عدم حساب بعض الخسارات البسيطة إلا بالقياس الى الأرباح الكبيره، التى تأتى فى المستقبل، أما التقوى، فهى الالتزام بخط الإسلام، و عدم الانحراف تحت ضغط المشاكل، أو بعض الخسارات أو حتى النكسات. و التقوى تعنى هنا أيضا العمل. حتى لا- يكون الصبر انتظارا سلبيا محضا، انما انتظارا ايجابيا، يرافقه العمل الجاد من أجل تعويض الخساره،

و الضرر و تحويل النكسه الى انتصار.

و الكيد يعنى:الخطط التى يتبعها العدو،و هى لا تضر الامه التى تصبر و تتقى.

الامه المستعده للتضحيات،و الواعيه الملتزمه بالواجبات.

ثم ان قدره الله الهائله،تقف وراء المؤمنين،فهو محيط بما يعمل الكافرون، و علينا ألا نستسلم نفسيا لهم،بمجرد انهم اصابونا بنكسه أو هزيمه،أو حتى عده هزائم.

دروس من معركة بدر:

[١٢١]و للمثل على هذه الحقيقه يكفيننا أن ننظر الى حرب بدر.و ما فيها من دروس و عبر للامه،و هى الحرب غير المتكافئه،و الاولى من نوعها فى مواجهه الامه لاعدائها،و لقد كانت ذات دروس تلخصها الآيات التاليه:

ألف:ان الرسول و هو القائد الأعلى لقوات المسلمين المسلحه،لم يكتف بأنه على حق،و انه رسول من الله،و ان الله سينصره.انما قام بالاعداد العسكرى، و بنفسه فى ميدان المعركه.

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ فَاُولَئِكَ سَبَقَتْ الْقَوْمَ بِالْغَدْوِ،و هو الذهاب صباحا مبكرا،ثانيا:ابتعدت عن أهلك،و وضعت نفسك فى المعركه،و هذه صفه هامه فى القياده أن تستعد هى للتضحيه أيضا..ثالثا:أخذت تحدد مواقع المؤمنين القتاليه،استعدادا للهجوم..

وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يسمع أوامرک،و وقع نشاطاتک الظاهره،و يعلم بما تكن صدور المؤمنين و هو

يحدد نتائج المعركة، بما يسمع، وما يعلم من أعمال ظاهره، وقلوب طاهره.

[١٢٢] بآء: ان الرسول واجه مشكله حرجه جدا، هي مشكله الخلاف بين طائفتين من رجاله (المهاجرين، و الأنصار) بسبب توزع ولائهما بين الله، و بين الأرض، و العشيره، و ما أشبهه. و لكن الرسول (و الإسلام عموما) عالج هذه المشكله معالجه جذريه، عند ما ذوب الكيانات الطائفيه فى بوتقه الايمان بالله، دون أن يعتمد على طائفه دون اخرى، و بذلك ضمن جيشا عقائديا، يحارب من أجل المبدأ، و ليس من أجل الرياء، و التنافس الطائفي.

إِذْ هَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشَلُوا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمُ اللَّهُ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ مع ان الله ولى الطائفتين، فإنهما كادتتا تفشلان بالخلاف، و هذا الخلاف كان نابعا من الاحساس بالضعف، حيث كان أهل المدينه منهزمين نفسيا امام أهل مكه، و يتصورون ان الرسول حملهم أكثر من طاقتهم، حين أخرجهم لقتال أهل مكه، و لكن الله بين لهم انه لا داعى للخوف، ما دام المؤمن يتوكل على الله.

[١٢٣] و نتيجته للاعداد الاستراتيجي، و الاعداد الايدولوجي، و الإخلاص لله، نصر الله الامه.

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ فلا داعى للخوف كما لا داعى للخلاف، انما يجب التقوى لله سبحانه بالتزام أوامره كامله، و إذا التزم الإنسان أوامر الله فهو شكر نعمه السابقه، و عموما الشكر يعنى -فيما يعنى-: التفكير فى أسباب النعمه، بهدف المحافظه على تلك الأسباب، و بالتالى المحافظه على النعمه ذاتها، بينما كفر النعمه يعنى العكس

تماما.و ذلك بالتفكير بان النعمه ابدية،و بالتالى إهمال المحافظه عليها،و على العوامل التى أدت إليها،حتى تزول النعمه تماما.

كمثل النصر،لا يجوز لنا ان نركن اليه،و نترك الاستعداد للمعركه القادمه،إذ ان النصر نعمه،و لها عواملها.و من أبرز عوامل النصر الاستعداد.و علينا الاحتفاظ بتلك العوامل.و الاحتفاظ بعوامل النصر،يسميه القرآن هنا بالتقوى،حسبما يبدو.

[١٢٤]جيم:التعبئه المعنويه ذات أثر كبير فى الحروب،و الإسلام يوليها اهتماما كبيرا و أهم عنصر فيها،الإيمان بالنصر(بعد الإيمان بالقيم التى يحارب من أجلها الجندى).

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ كُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِينَ [١٢٥]و الملائكه وقفوا بجانبكم،و لكن دون أن يعنى ذلك انهم حاربوا بديلا عنكم انما هبطوا بعد تحقق أمرين:أولا:لم يأتوا إلا- بعد ان عملتم أنتم بكافه واجبات الحرب(الصبر و التقوى بالتفسير السابق للكلمتين)،و لم تبق لديكم حيله لسرعه مداهمه العدو لكم.

بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوَكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ أَى يقتلون العدو و يخلفون فيه علامه.

[١٢٦]ثانيا:ان أهم خدمه أداها الملائكه لكم،هى اعاده الثقه بأنفسكم، و اطمئنان قلوبكم بالنصر.

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا لَكُمْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُكُمْ بِهِ أما النصر الحقيقي فهو من الله و ليس من الملائكة،و الله قادر على ان ينزل نصره بألف سبب و سبب،و لكنه لا ينزله من دون كفاءه من ينزله عليه.

وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ فهو عزيز(قادر و يستخدم قدرته)،و هو حكيم لا ينصر من ينصره عبثا،و بدون أن يوفر هو أولا مؤهلات النصر في ذاته.

[١٢٧]دال:أهداف القتال الاستراتيجيه ثلاثه:فاما شل القدره العسكريه للعدو،أو تحطيم الروح المعنويه له،أو تحييده موقتا،و يكون أمره الى الله في المستقبل..

لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا حَتَّى يَكْسِرَ جَنَاحَهُمْ وَيُشَلَّ قَدْرَهُمُ الْعَسْكَرِيَّةَ..

أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ و يفكروا في أنفسهم هؤلاء أقوياء،و لا نستطيع أن نقاومهم فتحصل عندهم خيبه أمل تكبت طاقاتهم في المستقبل..

[١٢٨] لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأِنَّهُمْ ظَالِمُونَ فيدفع شرهم عنك،ثم ماذا يفعل بهم الله،فهذا أمر آخر ليس للامه ان تبحث عنه،فاما يتوب عليهم إذا تابوا،أو يأخذهم الله بظلمهم بطريقه اخرى غير هزيمتهم

على أيديهم، ذلك لان الظلم نار تلتهم صاحبه، سواء وجدت قوه اجتماعيه تعجل في ضرب الظالم، أم لا..

[١٢٩] و الله قادر على أن يتوب، كما هو قادر على ان يعذب الظالمين بطريق أو بآخر..

وَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

ص: ٤٥١

اشاره

يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَاْكُلُوْا الرِّبَا اَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ (۱۳۰) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ (۱۳۱) وَ
اَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُوْلَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ (۱۳۲) وَاسْأَلُوْا اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ عَزُوْضَةً لِّسَمِّ الْاَوَاتِ وَالْاَرْضِ اَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ
(۱۳۳) الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاٰظِمِيْنَ الْغَيْظَ وَالْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ (۱۳۴) وَ الَّذِيْنَ اِذَا فَعَلُوْا
فَاحِشَةً اَوْ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاَسَدَتْ غُفُوْرًا لِّذُنُوْبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوْبَ اِلَّا اللّٰهُ وَ لَمْ يُصِرُّوْا عَلٰى مَا فَعَلُوْا وَ هُمْ يَعْلَمُوْنَ (۱۳۵)
اُولٰٓئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِيْنَ فِيْهَا وَ نِعْمَ اَجْرُ الْعَامِلِيْنَ (۱۳۶)

اللغة

۱۳۴ [الكاظمين]: اي لا ينقمون إذا امتلأوا غضبا، أو غيظا.

۱۳۵ [فاحشه]: أصلها الفحش و هو الخروج الى عظيم القبح.

[يصروا]: يقيموا على الذنب. وقيل أصله الثبات على الشيء.

هدى من الآيات:

يبين القرآن في الدروس السابقة: موقف الأمة من أهل الكتاب الكفار، برسالة محمد صلى الله عليه وآله، و بعد هذا الدرس يستمر السياق في الحديث عن المواجهه المسلحه بين المؤمنين و الكفار، و لكن هنا نجد ان الحديث توجه الى طائفه من السلوكيات الايمانيه داخل المجتمع الاسلامي، لماذا و ما هي مناسبه ذلك؟ لدى التدبر في الآيات السبع من هذا الدرس، نجد عدده نواهي و أوامر تجمعها فكره واحده هي: ضروره تمتين الجبهه الداخليه، عند المواجهه مع العدو، و بناء إنسان رسالي ذا شخصيه صادقه، و مجتمع المساواه، و المواساه، و المطيع لله و للرسول بدافع الضمير الايماني.

من هنا نجد الحديث عن القضايا التاليه:

١- حرمة الربا: باعتباره أكبر خطر لوحده الامه، و مثاليته الرساليه، و هو

ص: ٦٥٤

ثغره اقتصاديه كبيره.

٢- ضروره تقوى الله و طاعه رسول الله، باعتبارهما دعامين للمجتمع الاسلامى.

٣- المسارعه فى الخير، و وجود دافع ذاتى لدى المسلم فى القيام بالواجبات.

٤- الإنفاق فى سبيل الله، و كظم الغيظ، و العفو، و الإحسان باعتبارها سلوكيات اجتماعيه تمتن علاقه الامه ببعضها، كما تربى صاحبها على التضحيه من أجل الله، بكل شىء بالمال بعزه الذات و غروره.

٥- الاستغفار بعد الذنب، باعتباره أكبر وازع نفسى يمنع من الذنب.

ان بناء الإنسان، و المجتمع ذى المواصفات السابقه، هو الاعداد الحقيقى للمعركه مع العدو، و الا فان الحرب تصيح خاسره، و بلا محتوى رسالى صالح.

بينات من الآيات:

خطر الربا:

[١٣٠] الربا: أو الفائدة على المال، التى تتضاعف بصوره طبيعيه كلما ازدادت السنين كلما ازداد الفقير مسكنه، و الغنى شبعاً و جشعاً انه-خطر كبير على وحده الامه الاسلاميه- و بالتالى خطر على الشخصيه الرساليه المثاليه، التى يقدمها المجتمع الاسلامى نموذجاً للحياه السعيده، و خطر فى المواجهه مع العدو.

ان «الربا» قد يبدأ بذره صغيره، و لكنه ينمو فى نفس الغنى، حتى يصبح شجره خبيثه للجشع، و ينمو فى نفس الفقير حتى يصبح جداراً ضخماً من الكراهيه.

و ينمو داخل المجتمع حتى يصبح طبقه مقيته، و تصل درجه الطبقه الى حد تعاون

المرابى مع العدو الخارجى ضد أمته و شعبه.

و الإسلام حرم الربا، و لوح بان عذاب المتعاطين له كعذاب الكفار، و قال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [١٣١] وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَ لَا يَمْنَعُ الرِّبَا الْإِيتِيقَ دَفِينَهُ فِي النَّفْسِ، ذلك ان الربا هو رمز الاستغلال البشع و الإسلام لم يحرم الرمز فقط، بل و حرم الاستغلال بكل أنواعه و صورته، حرم الاحتكار، و حرم الغش، و حرم الاسترسال فى الربح، و حرم السرقة ظاهره و باطنه، و حرم الرشوة، و حرم تحديد حريه التجاره، و الصناعه، و الزراعه لمصلحه الأغنياء.

لذلك يجب ان يكون المجتمع المسلم ضمير حى يتمثل فى تقوى الله، حتى يكف عن الاستغلال، و يتطهر من الجشع المؤدى اليه، و آئذ فقط تتحقق السعاده و الفلاح للمجتمع (لعلكم تفلحون)..

[١٣٢] حين يتطهر المجتمع من الاستغلال، يتطهر من أكبر أسباب التمرد و النفاق، و يستعد للطاعه للرسول، خصوصاً فى تحكيم الرسول فى الخلافات العريه و القوميه، و المصلحيه، بين فئات المجتمع، لذلك ذكر القرآن..

وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَ طَاعَهُ الرَّسُولَ تَسْتَدْرِجُ الرَّحْمَهُ وَ الرَّفَاهَ، لأنها تقضى على نوازع الشر، و أسباب الخلاف و التمرد، و توجه الامه كلها باتجاه البناء، فى ظل اطمئنان و ارف يشعر الجميع بان جهودهم لن تذهب سدى.

[١٣٣] وإذا شعر الجميع بالاطمئنان، جاء دور التوجيه الى تفجير الطاقات، و التسارع الى الخيرات، و الى مغفره الله، كهدف سام لا بد لجميع أبناء الامه أن يبادروا اليه، أو حتى يتنافسوا من أجله.

وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ و المغفره من الله، تتبع إصلاح الفساد الاجتماعى و السلوكى، فلا يغفر الله لمجتمع مكب على أصنام له، أو مصر على الظلم و الاستغلال، و المنكر و الفحشاء، كما لا يغفر لفرد لم يترك المحرمات، انما يغفر لهما بعد ان يتركا الذنب، و يصلحا ما أفسده الذنب فيهما، فيعيد الظالم حقوق المظلوم اليه. و المستغل يكف عن استغلاله و يسترضى ضحاياه بالمبرات، و تارك الصلاة يقضى صلواته و هكذا..

أما الجنة فانها تأتي بالمسارعه فى الخيرات، فبعد عمليه الإصلاح تبدأ عمليه البناء بالعمل الصالح النشيط و المستمر ذى الهدف الخير. إن هذا من أبرز معالم المجتمع المسلم و من أقوى دعائمه التى يعتمد عليها فى مواجهه العدو.

كيف نفوز الجنة؟

[١٣٤] ما هى الأعمال الصالحة التى يجب التسارع فيها للوصول الى الجنة؟! انها كالاتى:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و بتعبير آخر: الصفة الاولى: هى العطاء سواء فى حالة اليسر أو العسر، و بالتالى التضحية بالمال، و الإيثار به.

الصفة الثانية: عدم الاندفاع مع شهوات الذات، و بالتالى التضحية بغرور الذات و انانيته و طغيانه و جفوته فى سبيل الله، و ذلك بكظم الغيظ و من ثم العفو عن الناس، ان كثيرا من الخلافات الاجتماعيه الحاده تنشأ فى البدء من حساسيه بسيطه بين شخصين، تشتد حتى تصبح خلافا عقائديا مزعوما. و فى المجتمع الاسلامى يجب قتل الحساسيه و هى فى المهد حتى لا تكبر و تصبح مشكله كبيره.

الصفة الثالثه: الإحسان الى الناس و خدمتهم بالمجان لأنه الرابطه القويه التى تشد المجتمع ببعضه.

[١٣٥] و الصفة الرابعه: للمتقين -وجود وازع نفسى يردهم عن ارتكاب الذنوب أو على الأقل التماذى فيها.

وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ذَنْبًا كَبِيرًا يَعُودُ ضَرَرُهُ عَلَى النَّاسِ.

أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِذُنُوبٍ بَسِيطَةٍ يَقْتَصِرُ ضَرَرُهَا عَلَى الذَّاتِ فَقَطْ.

ذَكَرُوا اللَّهَ وَ عَرَفُوا: ان الله يراقبهم و يحاسبهم و يجازيهم.

فَأَسِيءُوا تَعَفُّوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصَيِّرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ أما فى حاله الغفله و النسيان، أو طغيان الشهوه، فقد يقعون فى الذنب ثانيه،

و لكنهم يستغفرون فوراً، لأنهم لم يتعمدوا ذلك بوعى كامل.

[١٣٦] أُولَئِكَ جَزَاءُ هُم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَ جَذَاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ هذه هي صفات المجتمع الاسلامى، و الشخصيه الإيمانيه التى يعدها الإسلام نموذجاً للحياه السعيده، و قوه يحارب بها الكفار، و انك لترى ان الصفه الأساسيه فى هذا المجتمع هي تقوى الله.

ص: ٦٥٩

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَالْأَعْلُونَ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَ لِيَمْحُصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمُ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَيِّتَاتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) وَ مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَ كَأَيُّنَ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلْنَا مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَا ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكَانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَ مَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا- أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَ ثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨)

اللغة

١٣٧[سنن]:السنه الطريقه المجمعوله ليقتمدى بها و من ذلك سنه رسول الله صلى الله عليه و آله و أصل السنه الاستمرار.

[موعظه]:ما يلين القلب و يدعو الى التمسك بما فيه من الزجر عن القبيح و الدعاء الى الجميل و قيل الموعظه هو ما يدعو بالرغبه و الرهبه الى الحسنه بدلا عن السيئه.

١٣٩[تهنوا]:الوهن-الضعف.

١٤٠[قرح]:جراحات.

[نداولها]:الدوله الكره لفريق بنيل المراد.

١٤١]يمحص[:يخلص من العيب.

١٤٤]محمد[:أخذ من الحمد و التحميد فوق الحمد فمعناه المستغرق لجميع المحامد لان التحميد لا يستوجه الا المستولى على الأمر فى الكمال فأكرم الله عز اسمه نبيه و حبيبه صلى الله عليه و آله باسمين مشتقين من اسمه تعالى (محمد) و (أحمد).

ص: ٦٦١

١٤٦[استكانوا]:أصلها من الكنيه و هي الحالـه السيئـه.يقال فلان بكنيه اى بنيه سوء.

١٤٧[إسرافنا]:تجاوزنا الحق الى الباطل.

ص:٦٦٢

هدى من الآيات:

فى اطار الحديث عن المواجهه بين الأمه و الكفار، يذكرنا القرآن فى هذا الدرس بضروره التسلح بمنظار تاريخى، يكشف القوانين الاجتماعيه التى وضعها الله للحياه، ومنها ان الحق ينتصر، و ان رساله الله ما هى الا توضيحات لتلك السنن، يهتدى بها المتقون، و يتخذون منها، عبرا نافعه لأنفسهم، بينما يتركها الناس.

ان التاريخ يكشف لنا: ان الفئه المؤمنه هى المنتصره أخيرا، فعليها ألا تهن أو تحزن، و لكن دون ان يعنى ذلك انها تستطيع الغلبه بدون توضيحات، ذلك لأنها ضروريه لكشف العناصر المؤمنه حقيقه بالرساله، عن الاخرى المنافقه، و لتأديب العناصر المؤمنه، حتى ترتفع الى مستوى الشهداء (القاده)، لتطهير نفوسهم من الغل أو الريب، و لتمييز الكافرين، و تصفيتهم جسديا و فكريا.

ثم ان التوضيحات ثمن الجنه، فبدونها كيف يفضل الله قوما على قوم، فيدخل بعضهم الجنه و البعض النار.

و التضحيات هي هدف المؤمنين، لأنهم كانوا يأملون ان يقدموا لله اعلى ما عندهم، حبا له و أيمانا صادقا به، و ليس رسول الله ابنا لله حتى ينتصر اتباعه بمجرد الانتماء اليه، بل هو كسائر الرسل يحيى و يموت. و الارتباط يجب ان يكون بالرساله أكثر من الرسول، حتى يحصل الإنسان على جزائه من عند الله. و الكافرون هم الذين ينقلبون عن الرساله فور موت الرسول تفضيلا للدنيا على الآخرة.

بما ان النبي محمدا صلى الله عليه و آله رسول، فانه يتبع سيره الرسل من قبله، و هم لم يتقدموا الا بالقتال و معهم الربيون من أصحابهم، و هم (الربيون) كانوا بشرا يذنبون و يسرفون، و لكنهم كانوا مؤمنين يستغفرون ربهم، و يطلبون منه ان يثبتهم على الجهاد و لذلك انتصروا في الدنيا و الآخرة معا.

بينات من الآيات:

اشاره

[١٣٧] الحياه الاجتماعيه كالحياه الفرديه، لها انظمتها و قوانينها (و حسب التعبير القرآنى سننها) و علينا ان نكتشف هذه الانظمه، حتى نستفيد منها فى واقعنا، و لكن كيف؟! إننا حين نريد ان ندرس حياه الفرد، نخضعه للتجربه بعض الوقت، نقيس ضغط دمه، و درجه حرارته، و دقات قلبه و.و. ثم نعرف طبيعته، أما المجتمع فكيف نقيسه؟ أفضل طريقه للقياس، هو العوده الى التاريخ، ففيه دورات كامله للحياه الاجتماعيه، حضارات نشأت و سادت، ثم بادت بفعل أنظمه حتميه، و سنن إلهيه لا تتحول.

و عند ما نريد ان نقيس مدى تقدم رساله، يجب الا نقيسها بمنظار تحليلي، كأن نقول كم عدد افراد هذه الرساله؟ ما هي ميزانيتها الماليه؟ و ما هي خططهم العسكريه؟ كلا بل بمقياس تاريخي فنقول: كم هي نسبه الحقيقه فيها؟ و كم مقدار ايمان أصحابها بها؟ و ما هي نقاط الضعف فى مجتمعات اعدائها التى ستقضى عليها؟ و هكذا.

و حين نعود الى سنن الله فى التاريخ، نجد أنّ الحق ينتصر بشرط وجود مؤمنين صادقين به. لذلك يذكرنا القرآن بهذه الحقائق فيقول:

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا إِلَىٰ آثَارِ تِلْكَ الْأُمَمِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ خَلَتْ وَرَائِهَا الْعِبْرُ وَ الدروس، أهمها ان سبب انتهاؤها كان شيئا واحدا هو التكذيب بالحق فانظروا.

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ [١٣٨] و فى مجال الحديث عن سنن الله فى الحياه يأتى الحديث عن القرآن، ذلك ان دوره دور المذكر بتلك السنن، حيث يلفت انظار الناس إليها. و لكن الذى يستفيد منها المتقون فقط، حيث يهتدون الى حقيقه السنن، و يطبقون دروسها على أنفسهم (يتعضون بها).

هَذَا يَبَيِّنُ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ رَبَّهُمْ، و يستعدون للالتزام بالحق، يكتشفون الحق. اما الذين يهتمون بأنفسهم، و بأهوائهم و شهواتهم فإنهم لا يعرفون الحق. لأنهم أساسا لا يريدون الاهتداء اليه.

[١٣٩] من سنن الله فى المجتمع، ان المؤمنين ينتصرون. فعليهم الا يهنوا و يتسرب الى نفوسهم الانهزام، أو اليأس، و الضجر. كما أنّ عليهم الا يتألموا لبعض الخسارات، إذ ان ربح الانتصار سوف يغطى على الخسارات البسيطة.

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ [١٤٠] و من تلك السنن ان العلو و النصر لا يأتى بالصدقه، أو بلا شىء من

التضحيه، بل لا بد من الاستعداد للقرح، و معرفه ان الأعداء هم بدورهم يستعدون له، فلما ذا التهرب منه.

إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ان من المهم ان تعرف ان عدوك يصاب بمثل ما تصاب به، و أنه يتمايل الى الضعف و الهزيمه كما أنت، و ان النصر لمن يستمر أكثر، و يصبر على الألم، حتى يفقد عدوه صبره، و قدرته على الصمود.

ثم ان الحياه ليست ملكا لأحد، و انه إذا كان الملك الكذائى أو الرئيس أو النظام أو الطائفه الفلانيه هم الحاكمون على بلد، فلا يعنى ذلك انهم سوف يستمرون بل ان هؤلاء انما جاؤوا لتوافر العوامل القياديه فيهم، و قد تتوافر فيك أيضا فتأتى مكانهم.

من المهم جدا ان نتخلص من الاعتقاد بان الواقع يبقى، إنما نؤمن جازمين بان الحقيقه وحدها تبقى.

و تِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ

منافع الناس فى التضحيه:

ثم ان للتضحيه منافع اخرى للامه، يذكرنا القرآن فيما يلى:- الف:التضحيه تفرز المؤمنين عن المنافقين، ففى بدايه انطلاقه الرساله قد يؤمن بها جماعه طمعا فى انها سوف تنتصر سريعا. فيحصلون على مغانم مجانيه، أو انهم كانوا مستائين من الوضع فاندفعوا نحو الرساله مدفوعين بتيار الاحساس الساذج، أو كانوا يحبون قائد الرساله فانتموا إليها لذلك، أو عشرات من الأسباب الاخرى غير

فوجود هذه الطائفة فى الامه، يسبب لها الضعف و الانهيار، حيث تنتشر فيها المصلحيه، و الانانيه، و الفوضويه، و تنتهى الامه سريعا، و لا يمكن الفوز الا بتعرض الامه للتضحيات. فيعرف المؤمنون عن غيرهم.

وَ لِيُعَلِّمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بآءِ الْحَرْبِ مَدْرَسَةَ الْمُقَاتِلِينَ، تَرْبِيَهُمْ عَلَى الْجَدِيدِ وَ الطَّاعَةِ وَ التَّفَكُّرِ وَ تَقْدِيمِ مَصْلَحَةِ الْإِمَّةِ عَلَى الْمَصَالِحِ الْخَاصَةِ. وَ تَعْلَمُهُمُ الصَّرَاحَةَ وَ الْفِكْرَ الْعَقْلَانِيَّ وَ هَكَذَا.

و هذه الصفات ضروريه للامه الرساليه، التى تريد ان تقود الأمم الاخرى.

و لنفترض المجتمع الجاهلى فى الجزيره-مثلا- كيف كان يمكنه ان يقود العالم، و هو غارق الى اذنيه فى الفوضى، و الجهل، و الانانيه و.و.؟ انه كان بحاجة الى مدرسه تربويه تخرج القاده. و كانت الحرب بما فيها من تضحيات، هى المدرسه التى خرجت قاده المستقبل، و حسب التعبير القرآنى (الشهداء على الناس).

وَ يَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ وَ لَذَلِكَ فَهُوَ بِدَوْرِهِ، لَا يَظْلَمُ أَحَدًا، وَ إِذَا أُعْطِيَ النِّصْرَ وَ التَّقَدَّمَ فَبَعْدَ إِثْبَاتِ الْإِمَّةِ لَجِدَارَتِهَا، عَنْ طَرِيقِ التَّضْحِيَّاتِ السَّخِيَّةِ. وَ الْإِفْقَادُ كَانَ ظَالِمًا-حَاشَا- لِتِلْكَ الْإِمَّةِ الْمَغْلُوبَةِ.

[١٤١] جيم: ثم ان قلوب المؤمنين ليست طاهره بالكامل من الريب فى رساله، و الشك فى تعاليمها، فهى بحاجة الى نار تطهرها، و التضحيات هى تلك النار، ذلك أن الإنسان الذى ضحى من أجل شيء فسوف يتمسك به، بعكس الذى حصل عليه مجانا و بلا تضحيه، انك تجد التاجر أحرص على ماله من ابنه الذى يرثه

بغير تعب، كذلك المؤمن المضحى يكون إيمانه أقوى من غيره.

□
وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا دَال: الكفار هم المعاندون للحق، المخالفون لتقدم الامة، الذين يفضلون مصالح قومهم، أو أهواء أنفسهم على مصلحة الامة، إنهم عقبات لا- يمكن معالجتها، إنما يجب تصفيتهم بالكامل، و لكن كيف يمكن للأمة ان تتعرف على هذه العناصر، و تميزها عن العناصر المتعلقة بها، أو الخاضعة لها لضعف أو عاطفه؟ و كيف يحق للرسالة ان تقتل الناس، بدعوى انهم يشكلون عقبه للمستقبل؟ كيف يمكن تبرير ذلك للجماهير؟ اما إذا وقعت المجابهة الساخنة، و أخذت هذه العناصر تشكل تهديدا خطيرا للأمة، فان الامة تجدر المبرر الكافي للحرب و التصفيه، كما أنّ المجابهة سوف تفرز العناصر الكافرة فعلا، عن الاخرى المخدوعه بها. كما تساهم في تصفيه العناصر المعانده التي تقف عقبه في طريق تقدمها. و هذا ما يسميه القرآن بالمحق.

□
وَ يَمْحَقَ الْكَافِرِينَ

الجهاد و الأمانى الكاذبه:

[١٤٢] هاء: و من فلسفه الحرب الجهاديه: انها تعطى المؤمنين جداره الدخول فى الجنه، التى هى مأوى المجاهدين الصابرين، و إذا لم يدخل المسلم الحرب كيف يميز المجاهد الصابر، عن القاعد المنهزم.

□
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ

ص: ٦٦٨

ان البشر يمَنى نفسه بأشياء كثيره،هى بالخيال أشبه منها بالواقع،يمنى نفسه بالثروه بلا تعب،و بالسلطه بلا كفاءه،و بالشهره بلا استحقاق،و يحتاج البشر الى ان يتذوق مراره الحياه عشرات المرات،حتى يقتنع ان تلك الامنيات كانت أحلاما صيانيه،و كذلك يمنى بعض المؤمنين أنفسهم بالجنه بلا- عمل صالح و لا- تضحيه، و يحذروهم القرآن من هذه الأُمنيه الباطله،لان لها نتائج خطيره،ففى الدنيا تقعدنا عن العمل،و فى الآخره تجعلنا نواجه النار،و لا ينفعنا الندم،و لا يمكننا العوده الى الحياه للتوبه.

[١٤٣]و المؤمن الحقيقى هو الذى يشرى حياته فى الدنيا بالآخره،و يقدم كل ما عنده لله،فى مقابل الجنه،و لذلك فأُمنيه المؤمن تخالف اُمنيه الرجل العادى،فهو يريد مزيدا من التعب،مزيدا من الجهاد،و بالتالى الموت فى الله حتى يحصل على الآخره.

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَيِّتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ فَكَانَ الْأَجْدَرُ بِكُمْ أَنْ تَفْوَأَ بِعَهْدِكُمْ، وَ تَقْتَحِمُوا غَمَارَ الْمَوْتِ بِاطْمِئْنَانِ نَفْسِي، لِأَنَّهَا أَمْنِيَّتِكُمْ الَّتِي وَصَلْتُمْ إِلَيْهَا.

[١٤٤]ثم إنَّ ارتباط المؤمن برساله الله أشدَّ من ارتباطه بالرسول،و لذلك فان موت الرسول لا يؤثر فيه سلبيا،لأنه كان هناك رسل ماتوا و بقيت من بعدهم الرساله،إذا فالرساله هى الهدف لا الأشخاص،و علينا ان نضحى بأنفسنا من أجل ان تبقى الرساله و لا نفكر بان موتنا،يؤثر على الرساله،بل -بالعكس- إنَّ استشهادنا من أجل الرساله سيدعم موقفها فى المجتمع.

وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا

و لكن الصامدين الذين يربطون أنفسهم بالرساله وحدها،هم المنتصرون أخيرا، لأنهم شكروا نعمه الرساله بالايان بها و التضحيه من أجلها.

وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [١٤٥] إذا:الرساله هى الهدف،و الموت من أجلها يهون ما دامت الرساله تنتصر بهذا الموت،و الموت الهادف أفضل من الموت المحتوم،لأنه موت بثمر،بينما الآخر موت بلا ثمن.

و ما دمننا نموت بآجالنا شئنا أم أئينا،فلما ذا لا نموت لأفكارنا و من أجل رسالتنا؟ ثم من يقول:ان من يدخل المعركه سيموت،و ان من يتخلف عنها سيبقى، إنَّها سنه الله فى عبادته،متى بلغ كتاب الشخص أجله،مات فى المعركه،أو على الفراش.

وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا و الفرق بين من يموت على الفراش،و من يموت فى المعركه،ان هذا يحصل على ثمن الآخره دون ذاك.

وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا و يحصل المؤمن على جزاءين:الاول:جزاء نيته الصادقه،و عمله الصالح (الاستشهاد).و الثانى:جزاء شكره لله،اى وفائه بمسئوليه نعم الله عليه،و من أبرزها نعمه الحياه،حيث قدمها لله،و الله يجزيه على ذلك.

وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ

ص:٦٧٠

ان تكرر توجيه القرآن الى جزاء الشكر في آيتين هنا، يأتي لمواجهه صفه الجزع و الهلع التي تصيب الإنسان الساذج عند ما تقع الحرب. فيتساءل: لماذا الحرب، لماذا نقاتل. لماذا نقتل بل لماذا نقتل الناس..؟ و القرآن يزرع في قلوب المؤمنين الاطمئنان، و الشعور بالرضا بهذا الواقع مؤقتا، لحين تغييره بالأفضل، و تركيز النظر في الجوانب الايجابيه له، و ذلك بالشكر لله على نعمه، و العمل بمسئوليات تلك النعم.

كيف قاتل الربيون:

[١٤٦] و الحرب ليست بدعه في تاريخ رساله. انها كانت قديما و كان المقاتلون الرساليون هم ابرز من دخل المعارك، فما كان يصيبهم و هن نفسي (جبن - جزع - تردد)، و لا ضعف بدني، و لا كسل، انما كانوا مطمئنين قلبيا، أقوىاء بدنيا، نشطين حربيا، و صابرين على البأس، فأحبهم الله و جزاهم النصر في الدنيا، و الجنه في الآخرة.

وَ كَأَيِّنَ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ كَلِمَهُ كَأَيِّنَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكُفْرَةِ، وَ الْقِتَالِ مَعَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ نَفْسَهُ كَانَ يُقَاتِلُ، وَ الرَّبِّيُونَ هُمُ الْمُنْتَسِبُونَ إِلَى الرَّبِّ، أَيُّ مُجَاهِدُونَ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ.

فَمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ لَقَدْ كَانَتْ عَنَّا نِصْرًا مُبِينًا وَمَا كُنَّا بِمُعَذِّبِينَ لِمَنْ أَهْلَكَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ عِنْدَهُمُ الْقُوَّةُ الرُّوحِيَّةُ، وَ الْقِنَاعَةُ بِالْفِكْرِ، وَ الْإِسْتِعْدَادُ لِلتَّصْحِيحِ مِنْ أَجْلِهَا، وَ الْقُوَّةُ الْمَادِيَّةُ، وَ النَّشَاطُ، وَ الصَّبْرُ.

[١٤٧] و كانت قوه هؤلاء الروحيه، نابعه من الدعاء الذى يعتبر عمليه شحن الذات بالقوه المعنويه و ذلك عبر:

أ-القناعه بان إصلاح الذات هو طريق التقدم، لذلك كانوا يبدءون دعاءهم -و عملهم بالطبع- بإصلاح الذات، و يقولون ربنا اغفر لنا ذنوبنا.

ب-ان أهم عنصر تربوى هو منع الإسراف فى الأمر. يعنى التقييد-دائما- بالمقاييس الرساليه، فلا نوم اضافى، و لا راحه كثيره، و لا استهلاك، و لا تبذير و لا توغل فى الشهوات. انهم كانوا يستغفرون ربهم من إسرافهم، و يقولون ربنا اغفر لنا إسرافنا فى أمرنا.

ج-الثبات و عدم التردد، و بالتالى التصميم و العزم الراسخ، انه عنصر اساسى فى النصر، ذلك لان الاراده النافذه هى التى تصنع المعجزات، و(ما ضعف بدن عما قويت عليه النيه). لذلك كان هؤلاء يدعون ربهم و يقولون ربنا ثبت أقدامنا و انصرنا على القوم الكافرين.

ان هذا السلوك الرسالى لهؤلاء، دليل كل المقاتلين من أجل الله انهم لم يكونوا يسخطون، أو يترددون، أو يجزعون.

وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [١٤٨] فَاتَاهُمُ اللَّهُ
بِأَبْوَابٍ دُونِهَا وَحَسَّنَ لَهُمُ الْوُجُوهَ وَخَرَجُوا مِنَ الْآخِرَةِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

إشارة

﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِيْنَ (١٥٠) سَنُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا الرَّعْبَ بِمَا اَشْرَكُوْا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا وَمَا وَاوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوٰى الظّٰلِمِيْنَ (١٥١) وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعَدَهُ اِذْ تَحْسَبُوْنَهُمُ يٰۤاَذْنٰهُ حَتٰى اِذَا فِشَلْتُمْ وَتَنٰزَعْتُمْ فِى الْاٰمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْۢ بَعْدِ مَا اَرٰكُمْ مَا تُحِبُّوْنَ مِنْكُمْ مِّنْ يُرِيْدُ الْاَدْلٰى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلٰى الْمُؤْمِنِيْنَ (١٥٢) اِذْ تُصْعِدُوْنَ وَلَا تَلُوْنَ عَلٰى اَحَدٍ وَ الرَّسُوْلُ يَدْعُوْكُمْ فِىْ اٰخِرٰكُمْ فَاذٰۤاَبَكُمْ عَمَّاۤ اَبَكُمْ غَمًّاۢ بِغَمٍّ لَّكِيْلًا تَحٰزَنُوْا عَلٰى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا اَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ (١٥٣) ثُمَّ اَنْزَلَ عَلٰىكُمْ مِّنْۢ بَعْدِ الْغَمِّ اَمْنًا نُّعَاسًا يَغْشٰۤى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَ طَآئِفَةٌ قَدْ اَهَمَّتْهُمْ اَنْفُسُهُمْ يَظُنُوْنَ بِاللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَٰهَلِيَّةِ يَقُوْلُوْنَ هَلْ لَنَا مِنَ الْاٰمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ اِنَّ الْاٰمَرَ كُلَّهُ لِلّٰهِ يُخْفُوْنَ فِىْ اَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُوْنَ لَكَ يَقُوْلُوْنَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْاٰمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هٰهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِىْ يَبُوْتِكُمْ لَيَرَزَنَّ الَّذِيْنَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ اِلٰى مَضٰجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللّٰهُ مَا فِىْ صُدُوْرِكُمْ وَ لِيَمْحَصَ مَا فِىْ قُلُوْبِكُمْ وَ اللّٰهُ عَلِيْمٌۢ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ (١٥٤) اِنَّ الَّذِيْنَ تَوَلّٰوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقٰى الْجَمْعَانِ اِنَّمَا اسْتَزَلَّتْهُمْ الشّٰيْطٰنُ بَعْضٌۢ مَّا كَسَبُوْا وَ لَقَدْ عَفَا اللّٰهُ عَنْهُمْ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌۢ حَلِيْمٌ (١٥٥) اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَ قَالُوْا لِاٰخِاْنِهِمْ اِذَا ضَرَبُوْا فِى الْاَرْضِ اَوْ كَانُوْا غَزٰى لَوْ كَانُوْا عِنْدَنَا مَا مَاتُوْا وَ مَا قُتِلُوْا لِيَجْعَلَ اللّٰهُ ذٰلِكَ حَسْرَةً فِىْ قُلُوْبِهِمْ وَ اللّٰهُ يُحْيِىْ وَ يُمِيْتُ وَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ (١٥٦) وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رَحْمَةٌ خَيْرٌۢ مِّمَّا يَجْمَعُوْنَ (١٥٧) وَ لَئِنْ مُتُّمْ اَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلٰى اللّٰهِ تُحْشَرُوْنَ (١٥٨)

اللغة

١٥١[سلطاناً]:حجه و برهان و أصله القوة فسلطان الملك قوته و السلطان البرهان لقوته على دفع الباطل.

١٥٢[تحسونهم]:الحس القتل على وجه الاستئصال و سمي القتل حساً لأنه يبطل الحس.

١٥٣[تصعدون]:هو المسير فى مستوى من الأرض و قيل الإصعاد الابتداء فى السفر.

[لا تلوون]:لا تخرجون على أحد كما يفعل المنهزم.

ص:٦٧٤

١٥٦[ضربوا]:الضرب فى الأرض السير فيها و أصله الضرب باليد و قيل هو الإيغال فى السير.

[غزى]:جمع غاز

ص:٦٧٥

سبيل الانتصار و زكاه المجتمع

هدى من الآيات:

لا يزال السياق يبين جوانب الاعداد المعنوى للحرب مع الكفار، ففي الآيه الاولى، نجد التحذير الشديد من التفكير فى الاستسلام للكفار، الذين لا يرضون الا بإعادة الامه الى حالتها السابقه، حيث خساره لكل مكاسبهم الرساليه.

ثم تبين الآيه الثانيه ان الله مولاكم و ينصركم، و الآيه الثالثه تبين ان الكفار يشعرون بالخوف من مواجهتكم، و ان عاقبتهم الى النار.

و يضرب القرآن مثالا فى الآيات التاليه على ذلك، حيث استطاع المسلمون الحاق الهزيمه بالكفار، و لكنه لا يدعهم يسدرون فى الأحلام، بل يذكرهم بمثال الهزيمه و أسبابها، و من أبرزها ضعف الروح المعنويه، و الاختلاف، و العصيان.

و يذكرهم بأن الله مع ذلك أيدهم بنصره، حيث غشيهم الأمن و النعاس فاطمأنوا الى نصر الله.

بيد ان طائفه اخرى كانت فى المعركه هزتها الخساره، و أخذت تتشكك فى القيم الرساليه، و تقول لو كان لنا النصر، إذا ما خسرتنا قتلى، و بعد ان يبين القرآن فلسفه التضحيات، و الخسارات، يحدد الأسباب التربويه التى جعلت هذه الطائفه تنهار امام الخسارات البسيطة، فيقول انها تعود الى ما قبل المعركه، حيث ان هذه الطائفه كانت تمارس المعاصى، و لذلك لم ينم الايمان فى قلوبهم نموا كافيا لمواجهه التضحيات.

ثم يحذر القرآن المؤمنين من الاهتمام بالخساره و تضخيمها و يقول: ان القتلى كان من الممكن ان يموتوا بسبب آخر (كمرض الوباء مثلا) بينما هم الآن قتلوا من أجل احياء رساله و ذهبوا إلى رحمه الله، و سوف يجمعهم الله و كل الموتى للحساب.

بينات من الآيات:

التضحية حصن المكاسب:

[١٤٩] ان المكاسب الرساليه بحاجه إلى قوه تحافظ عليها، و من دون الاستعداد للتضحية فى سبيلها، فانها سوف تتعرض لخطر الأعداء، إذ أنهم لا يقبلون من المسلمين مجرد كف اليد عن الحرب، بل يريدون منهم العوده الى الجاهليه التى انقذهم الله منها، و فى تلك خساره لا تعوّض للامه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ اى انكم إذا عدتم الى الورا، فقد عدتم الى حيث الخساره و الضرر.

[١٥٠] انما الطاعه لله وحده و لا خوف من الكافرين لان الله سينصر من ينصره و هو خير الناصرين.

بَلِ اللّٰهِ مَوْلَاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ [١٥١] و السؤال: كيف ينصر الله عباده المؤمنين؟ الجواب:

ان الله ينصر عباده بإلقاء الرعب فى قلوب المشركين، و لسبب بسيط هو شركهم بالله، ذلك انّ الشرك يعنى تقديس قيمه ماديه من دون الله، كقيمه المال أو الجاه أو الأرض، و فى الواقع هذه القيم لا تقدر لذاتها، بل لأنها متصله بالذات البشريه.

فالرجل الذى يقدر أرضه، إنّما يقدر ذاته أولاً، ثم يقدر أقرب مكان لذاته، و هو أرضه، كذلك الذى يقدر المال، فانما يقدر ذاته، و لان المال يخدم ذاته فهو يقدره و هكذا.

فالشرك يأتى نتيجة حب عميق للذات و تمحور كامل حولها. و هذا يؤدى بالطبع الى الخوف و الجبن - اما المؤمن فهو يخلص عبادته لله.

سَلِّقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ مَا وَاهُمُ النَّارُ وَ بَسَّ مَثْوَىٰ الظَّالِمِينَ بينما المؤمنون لا يخشون شيئاً، لأنهم لا يقدمون ذاتهم و لا يخافون عليها، و لأن مصيرهم الى الجنة، و هى خير مقام للمؤمنين.

[١٥٢] و الدليل الواقعى البسيط على هذه الحقيقه، تجدونه فى حربكم مع العدو كيف نصركم الله، الى أن أخذتم تعملون السيف فى أجسادهم.

و لكن هذه الحرب كانت ذات جانب آخر، هو أن الله انما ينصر من ينصره، و اما إذا وهن المؤمنون، و انتشرت فيهم الخلافات، و عصوا قيادتهم، فإنهم لا يستحقون النصر بل الهزيمه، و الهزيمه نوع من الامتحان، فانما يعرف الابطال عند الهزيمه.

و الآن و قد انتهت الحرب (بانتصاركم أولا و هزيمتكم ثانيا) فان الله عفا عنكم لفضله العظيم.

و لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَيْثُ أَنه نصركم تصديقا لوعده لكم بان ينصركم، حتى انكم أخذتم تعملون السيف في أجسادهم، و لكنكم اغتررتم بالنصر فذب الوهن فيكم.

حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَ تَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنَ النَّصْرِ وَ الْغَلْبَةِ. ذلك ان الإنسان إذا شعر بالخطر يوحد صفوفه، و يشحذ عزيمته اما إذا زال الخطر فيشعر بالراحه و يفكر في تقسيم الغنائم، كذلك المسلمون في حرب أحد، حيث انهم لمّا رأوا أنفسهم منتصرين، ترك بعضهم الثغر الذى كان يربط فيه، فاستغل العدو الفرصه و قام بحركه التفاف حول الجيش، و فقد المسلمون توازنهم و ولوا هارين.

و الواقع ان القرآن يصور مراحل الهزيمة في الحرب، في كلمات قصيره و هى ذات المراحل في الهزيمة في السلم أيضا و هى:

١-الفرح: (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ) حيث يفقد المجتمع تطلعه الى أعلى، فيفقد الرباط القوى بين طبقاته و فئاته.

ب-انتشار الوهن في نفوس الامه، (حتى إذا فشلتم). و ذلك بفقدان العزيمة و الخلود الى الراحة.

ج: بروز الخلافات المصلحيه، و الطائفيه، و الاقليميه، و العنصريه الى السطح، بفعل فقدان الهدف و العزيمة.

د- تأثير الخلافات الاجتماعيه على مستوى الانضباط و الطاعه للقياده، بل على درجه الثقه بها، إذ يزعم كل فريق ان القياده منحازه الى جانب خصمها، فتقل ثقته فيها و طاعته لها.

و فى خضم الخلاف: تكون فئه على حق و اخرى على باطل.

مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَاَ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَ لِهَذِهِ الاسباب انهزمتم بعد انتصاركم على العدو.

ثُمَّ صَيَّرْكُمْ عَنْهُمْ لِبَيْتِلَيْكُمْ لِأَنَّ الهزيمة هى التى تكشف المؤمنين الصامدين عن غيرهم، فتعطى للامه دروسا فى نقاط ضعفها و تعطى للقياده فرصه جيده لتصحيح مسيره الامه و إصلاح تلك النقاط، أو حتى تصفيه بعض العناصر المسببه للهزيمة أو ابعادها عن مراكز المسئوليه.

و الآن- وقد انتهت الحرب، فإن الله عفى عنكم حتى تعودوا الى وحده الصف، و تبادروا فى إصلاح الذات.

وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فالعفو لا يدل على أن الله يجعل المؤمنين و الكافرين فى مستوى واحد بل ان للمؤمنين الصادقين فى الحرب فضلا على الكافرين.

عبر من الهزيمة:

[١٥٣] ما هى عبر الهزيمة و كيف نستفيد منها حتى لا تتكرر الهزيمة مره اخرى؟

ص: ٦٨٠

أ-تحدث القرآن عن ذلك،بعد ان اعطى صورته واقعيه عن الهزيمة،هى صورته الفرار عن المعركه دون نظر إلى ورائهم توغلا فى حب الذات.

إِذْ تُصِـِّعِدُونَ وَ لَا تَلُـوُونَ عَلَيَّ أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِعَمِّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَ هنا كان يعالج الرسول الهزيمة فى نفوسهم،بتذكيرهم بالآخره و ضروره التضحيه،لان أفضل علاج لحب الذات هو التذكير بالله و اليوم الآخر.

ب-ثم بين القرآن بعد إعطاء هذه الصوره عن الهزيمة،ان الهزيمة ذات اثار سلبيه تتجاوز ساحه المعركه.

[١٥٤]المؤمن بشر،يتعرض لعوامل الهزيمة و لكنه يتغلب عليها بفضل الايمان بالله الذى يعينه على ذاته،و يملأ قلبه بالاطمئنان،و من ثم يملأ جسمه بالراحه. ذلك لأن اطمئنان القلب ينعكس على سلامه الجسم،وقدرته على مواجهه المواقف الصعبه.

اما المنافق فلان ايمانه كان مجرد سراب يخادع نفسه به،و يحاول ان يخدع الناس، لذلك فان عوامل الهزيمة تؤثر فى نفسيته،و لا- يشفى منها،ولذلك فهو يتعلق بذاته و يخشى عليها و يظن بالله ظنون السوء الباطله و يقول:نحن منهزمون لا محاله و يحتج على فكرته اليائسه بعدد القتلى،و لكن الله يدحض حجته،و يذكره بان الله هو الذى يقدر المستقبل،و ليس ظن المنافق المشحون بعوامل اليأس و الخوف و الهزيمة،ثم ان القتلى هم الذين قدر الله لهم ان يستشهدوا لكى يتم اختيار الناس،و تطهير قلوب المؤمنين منهم،و لو شاء الله لمنع القتل من أى فرد من المؤمنين،و الله يقدر الموت بوسائل شتى،و حتى لو لم يكن القتال مشتغلا إذا لاستشهد طائفه من المؤمنين بأسباب اخرى،مثلا:بفعل غارات الكفار عليهم فى عقور دارهم.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نُبَّاسًا يُغَشِّي طَائِفَهُ مِنْكُمْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَحَدَّاهُمْ وَالْغَمُّ هُوَ حَالُهُ انْعِدَامُ الرَّؤْيَةِ فِي الْقَلْبِ، حَيْثُ تَظَلَّمَ النَّفْسُ بِسَبَبِ خَوْفٍ شَدِيدٍ مَنشَأَهُ حُبُّ الذَّاتِ وَخَوْفٌ عَلَيْهَا. وَالنُّعَاسُ حَالُهُ الرَّاحَةُ الْجَسَدِيَّةُ الْمُنْبَعِثَةُ مِنْ رَاحَةِ نَفْسِيَّةٍ وَاطْمَئِنَانٍ كَافٍ.

وَطَائِفُهُ قَدْ أَهَمَّتَهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِإِلَهِ غَيْرِ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ أَنَّهُمْ يَمَارِسُونَ الظَّنَّ الْبَاطِلَ الَّذِي يَشْبَهُ ظَنُونَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَقِيسُونَ أَوْضَاعَهُمْ بَعْدَ الْإِسْلَامِ بِأَوْضَاعِهِمْ قَبْلَهُ، فَيُزَعَمُونَ أَنَّ مَقْيَاسَ النَّصْرِ أَوْ الْهَزِيمَةِ، هُوَ بَضْعُهُ قَتْلَى أَوْ جِرْحَى، يَبْعَدُونَ-مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى دَوْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَرِسَالَتِهِ فِي الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَتَحْقِيقِ النَّصْرِ.

وَالظَّنُّ الَّذِي يَظُنُّونَهُ هُوَ: أَنَّهُمْ:

يَقُولُونَ هَيْلٌ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ أَنَّهُمْ يَهْتَمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَهْتِمَائِهِمْ بِالرِّسَالَةِ، وَيَرِيدُونَ الْوَصُولَ سَرِيعًا إِلَى الْمَكْاسِبِ الشَّخْصِيَّةِ، وَبِدُونِ التَّضَحِّيَّاتِ.

قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَفَكَّرُوا فِي انْتِصَارِ الرِّسَالَةِ الَّتِي يَرَعَاهَا اللَّهُ، لَا انْتِصَارِكُمْ أَنْفُسَكُمْ.

يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ أَنَّهُمْ يَخْفُونَ حُبُّ الذَّاتِ. وَخَوْفٌ شَدِيدٌ عَلَيْهَا، وَعَدَمُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَعَدَمُ الْإِهْتِمَامِ فِي تَقَدُّمِ الرِّسَالَةِ.

يَقُولُونَ لَوْ كُنَّا لَدُنَّا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا وَ كَأَنَّ مِقْيَاسَ الْإِنْتِصَارِ هُوَ الْإِنْتِصَارُ أَشْخَاصَهُمْ، لَا الْإِنْتِصَارُ الْأُمَّةَ كَامَةً، أَوْ الْإِنْتِصَارُ الرَّسَالَةَ الْإِلَهِيَّةَ.

قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ذَلِكَ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قُتِلُوا إِنَّمَا هُمْ غَيْرِكُمْ، وَيَخْتَلِفُونَ عَنْكُمْ، هَؤُلَاءِ قَوْمٌ نَادَاهُمْ رَبُّهُمْ لِلْإِسْتِشْهَادِ فَلَبُوا النِّدَاءَ، وَ حِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ أَسْرَعُوا إِلَى الشَّهَادَةِ، حَتَّى وَ لَوْ لَمْ تَكُونُوا تَبْرَزُونَ أَنْتُمْ إِلَى الْمَعْرَكَةِ.

وَ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَ رِسَالَتَهُ مِنْ دُونِ أَيِّ تَضَحِيَّاتٍ، وَ لَكِنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ أَوْ تَدْرِي لِأَيِّهِ حِكْمُهُ؟ لِأَهْمِيَّةِ التَّضَحِيَّاتِ فِي كَشْفِ الْعُنَاصِرِ الْمُنَافِقَةِ، وَ فِي تَطْهِيرِ قُلُوبِ الْعُنَاصِرِ الْمُؤْمِنَةِ.

وَ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيَمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

دور الذنوب في الهزيمة:

[١٥٥] وَ يَبْقَى أَنْ نَعْرِفَ الْأَسْبَابَ الْأَسَاسِيَّةَ وَرَاءَ هَزِيمَةِ طَائِفَةٍ وَ أَمْنِهِ طَائِفَةٍ، هَلْ هِيَ أَسْبَابٌ وَقْتِيَّةٌ تَمْلِيهَا مَوَاقِفُ الطَّرْفَيْنِ دَاخِلِ الْمَعْرَكَةِ، أَمْ تَمْتَدُّ إِلَى خَارِجِ الْمَعْرَكَةِ.

الجواب: بل هي امتداد لما قبل المعركة، و ما المعركة الا كالتار التي تكشف الذهب عن غير الذهب، ان الرجل المؤمن الذي يتحمل مسؤولياته الايمانية كامله، هو الذي يثبت في المعركة، اما الذي لا يلتزم بواجباته الايمانية و يكتسب المعاصي فانه

ينهزم في المعركة.

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا فَهَمُّ قَدْ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ فَأَصْبَحَتْ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ
مدخلا للشيطان الى قلوبهم، توسوس عليهم و أضلهم عن الاقدام فى سبيل الله.

وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ و أعطاهم مهله جديده ليمارسوا فيها اختيارهم ان خيرا أو شرا.

[١٥٦] المؤمن يرى فى الشهاده حياه جديده، اما الكافر فانه يراها نهايه ابدية للحياه و لذلك يتحسر كلما سقط شهيد من إخوانه و أقاربه، و كان الكفار من أهل الكتاب يحسبون الموت نهايه (بالرغم من عقائدهم الدينيه بخلاف ذلك)، و إذا قتل أحدهم فى المعركة فان قتله كان يدعوهم الى ترك القتال، لأنه يحسب خساره، و ينعكس فى صدورهم حسره، و لقد نهى الله المؤمنين عن هذه الحاله لأنها كفر بالله و باليوم الآخر.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ وَ هَاجَرُوا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ
ذهبوا لتحقيق مهام رساليه ثم ماتوا.

أَوْ كَانُوا غُرَى يِقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَاتُوا، كَانُوا يَقُولُونَ لَهُؤُلَاءِ.

لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

ص: ٦٨٤

ان هذه النظرة الكافره الى الموت أو الى القتل جعلتهم يتحسرون كثيرا لقتلاهم.

لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكُمْ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَضْرِبَ فِي الْأَرْضِ الْأَمْتَةَ وَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَضْرِبَ فِي الْأَرْضِ الْأَمْتَةَ وَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَضْرِبَ فِي الْأَرْضِ الْأَمْتَةَ وَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟
الحياء خاصه بمن يحتضن بيته كلاً..الله يقدر الموت و الحياه كما يشاء.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَلَا يُخْسِرُ جِزَاءً مَنْ يَسَافِرُ وَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِهِ.

[١٥٧] فإذا بقي الإنسان فإنه يتسلم جزاءه من الله غير منقوص، واما إذا مات فإنه يذهب الى رحمه الله.

وَلَيْنُ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ اننا كبشر نتعرض لضغوط الشهوات، وقد نسقط و نكتسب السيئات، فإذا أدركنا الموت فإن تلك السيئات تلاحقنا، و تتحول هناك الى عذاب شديد. اما إذا قتلنا في سبيل الله فإن الشهاده تمحى الذنوب كلها.

و طوبى لمن مات طاهرا من الذنوب انه يدخل الجنة بغير حساب.

[١٥٨] العمل لله و الموت، أو القتل، مدخل الى رحمه الله فلما ذا يخاف المؤمن الصالح منهما.

وَلَيْنُ قُتِلْتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَالِي اللَّهِ تُخْشَرُونَ

إشارة

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (۱۵۹) إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (۱۶۰) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (۱۶۱) أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَاؤَاهُ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (۱۶۲) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بِصَبْرٍ بَاطِنٍ يَوْمَ يُعْمَلُونَ (۱۶۳) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (۱۶۴)

اللغة

۱۵۹[فظا]:الغليظ الجافي القاسى القلب.

[عزمت]:العزم عقد القلب على الشىء تريد ان تفعله.

[توكل]:أى فوض الأمر الى الله وثق بحسن تدبيره.

۱۶۱[يغل]:أصل الغلول من الغلل،و هو دخول الماء فى خلل الشجر.و الغلول الخيانه و منه الغل الحقد.

١٦٢ [باء]: رجوع.

[سخط]: اراده العقاب لمستحقه.

ص: ٦٨٧

هدى من الآيات:

فى جو الهزيمة التى عاشها المسلمون-بعد واحده من معاركهم الصعبة(أحد)- تنتشر الشائعات المغرضه، و تطفو على السطح النفسيات المنافقه و المتردده، و يكون من واجب الرساله ترصد هذه النفسيات لمعالجتها، أو إبعادها عن الساحة كما يجب عليها ترقب شائعاتها الضاله، لدحضها و تبديلها بأفكار ايجابية بناءه، و القرآن إذ يعالج هذه الأمور بشىء من التفصيل يعالج-أيضا- موضوع القيادة، باعتبارها مما يتعرض للنقد و لا سيما فى ظروف الهزيمة.

ان المنافقين و الانهزاميين من المسلمين، أخذوا ينالون من كفاءه بل من أمانه قياده الرسول لهم، و كذلك تفعل الفئات المنافقه و المنهزمه مع كل قياده فى ظروف النكسه، بيد أن القرآن يدحض هذه الفكره فيما يخص رسول الله بالذات، و فيها يخص كل قياده امينه اتبعت نهج قياده الرسول بصفه عامه، ذلك النهج الذى تتحدث عنه الآيات و هو اللين و العفو و الاستغفار(محاولة إصلاح الناس بشتى

الطرق)و المشاوره و العزم و التوكل.

ثم يتحدث عن أمانه الرسول كرسول،و أمانه كل قائد رسالى ذى سوابق فى التضحية فيما يرتبط بالمهمه التى نسبت الى الرسول،و البعيد جدا عن طبيعه الامه.

ثم يختم الحديث ببيان درجه الرسول،و كرامه الله للانسانيه بأن بعثه إليها.

[١٥٩]من أبرز صفات القائد،اى قائد سعه الصدر و القدره على تحمل الناس، بما فيهم من سوء خلق،و تناقض،و جهل،و انحراف،و سعه الصدر بدورها لا تأتى للقائد إلا إذا كان هادفا،يحمل فى قلبه رساله عظيمه يستهين من أجلها بالصعوبات التى يلاقيها من قبل الناس،و لذلك ربط القرآن بين لين الرسول،و بين رحمه الله (التمثله فى رسالته).

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ خصوصاً و إنّ مجتمع أهل الجزيره العربيه- كما كل مجتمع بدائى خشن- قد تشبّع بالعنف بما فيه الكفايه، كان يحتاج الى قدر كبير من الليونه،حتى يجتمع و يفكر فى تصفيه مشاكله بالتى هى أحسن.

بينما المجتمعات المتحضره التى تعودت على الدعه،فانّ الليونه قد لا تنفيها دائما مثل قوم موسى الذى كان نبيهم موسى عليه السلام شديدا معهم،لأنّهم فقدوا إحساسهم بالكرامه.

و القائد يجب أن يربى نفسه على صفه الليونه،حتى لا- تفلت منه كلمه نابيه فيجر قومه الى شر مستطير.و الليونه تعنى الصفات التاليه:

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاورُهُمْ فِي الْأَمْرِ

ص: ٦٨٩

الناس تكون فيهم صفات سيئه، و اعمال خاطئه، و على القائد ان يصلحها و لكن بالحكمه.

ذلك ان هذه الصفه إنما هي نتيجة ظروف تربويه، و اجتماعيه، و اقتصاديه معينه، فلا يتحمل الفرد كل مسؤولياتها و بالاضافه الى ذلك، فان رؤيه الفرد الى تلك الصفات، و الأعمال، قد لا تكون مثل رؤيه القياده فعليها ان تصلح رؤيتهم، قبل إصلاح صفاتهم أو أعمالهم.

من هنا يجب أن تتعود القياده على العفو، و لكن لا- يعنى العفو السكوت الى الأبد عن الانحراف، بل يجب العمل من أجل إصلاحه. و ذلك بالاستغفار (طلب الغفران من الله)، و الدعاء بالمغفره- كأى دعاء آخر- يجب ان يقارن بعمل مناسب، و هو محاوله الإصلاح.

ثم ان القياده يجب ان تقوم برفع مستوى الناس، و ذلك عن طريق التشاور.

ذلك ان التشاور يجعل الناس يتحسسون بمسؤولياتهم، فيفكرون فى شؤونهم بجديه أكثر، و يحاولون إصلاح أنفسهم بأنفسهم، كما ان القائد يضطر من خلال التشاور الى بيان مختلف وجوه الأمر للناس، مما يعمق فيهم معرفتهم بالحياه، و يجعلهم أكثر إحساسا بواجباتهم تجاهها.

بيد ان هذه الصفات يجب الا تنزل القائد الى مستوى منسق بين الآراء، أو الإرادات فقط، بل عليه ان يحتفظ بحقه فى اتخاذ القرار الحازم. ذلك لادن الامه التى تفقد (القرار) تفقد كل شىء، لان القرار هو الذى يتجاوز الاختلافات، و يعطى دفوعات هائله للامه باتجاه تجاوز العقبات، التى تضخمها عاده الخلافات فى الرأى.

من هنا فقد قال الله:

ص: ٦٩٠

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ القائد يجب ان يكون صاحب قرار، و لكن القرار يحتاج الى قوه اراديه هائله، من أين يأتي بها القائد؟ من التوكل. ذلك ان التوكل على الله (و ليس على الناس) يجعل القائد سابقا لأمته، رائدا في مسيرتهم، يعطيهم أبدا روحا جديده، و يجعله أكثر حزما و إقداما.. و بالتالى أكثر قدره على تفجير طاقات أمته و تحريك فاعلياتها.

[١٦٠] و بمناسبة الحديث عن التوكل، يذكرنا القرآن بدور التوكل فى حياه المؤمنين و يقول:

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فليست القيادة وحدها التى ينبغى أن تتوكل على الله، بل المؤمنون أيضا، و ذلك لان النصر الحقيقى آت من الله، و من رسالته التى يتمسك بها المؤمنون، و ليس من قوه السلاح أو كثره العدد.

[١٦١] و يتابع القرآن حديثه عن القيادة، و عن الشكوك التى حامت حولها بسبب جو الهزيمه، و الشائعات المفروضه، التى بثها المنافقون و زرعوها فى النفوس الضعيفه، و يقول:

وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ وَ مَنْ يُغَلُّ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النبى الذى اختاره الله ليس ممن ينطوى قلبه على نيه سوء لأمته، و يتظاهر بغيرها، ذلك ان هذه الازدواجيه سوف تنكشف فى يوم القيامه، حيث تبلى سرائر الناس جميعا.

و الغل أنواع، أبرزها خيانه القيادة فى أموال الأمة. و الرشوه، و السرقة، و الضغينه، كلها غل، و ازدواجيه، و نفاق، يتعد عنها القائد و بالذات الرسول.

ثُمَّ تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ الَّذِينَ يَخُونُونَ أَمَانَتَهُمْ، وَ يَسْرِقُونَ أَمْوَالَ الْأُمَّةِ، إِنَّهُمْ سَوْفَ يُعْرَضُونَ لِلْحِسَابِ أَمَامَ اللَّهِ، حَيْثُ يُجَازُونَ بِعَدَالَةٍ تَامَةٍ.

[١٦٢] و الطريق الوحيد لمعالجه الغل هو تطهير نفوس القاده، و ان يكون هدفهم من مسئولياتهم المناطه بهم رضوان الله، و ليس الوجاهه عند الناس، أو الحصول على مكاسب مالىه أخرى.

أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَ بئسَ المَصِيرُ أَى ليس سواء الرجل الذى يجعل رضى الله هدفه الذى يحدد مسيرته- و الذى يتمثل فى إتباع الرسول و قيادته الامينه- بينه و بين ذلك الرجل الذى يجعل مكاسبه الشخصيه هدفه، كالمنافقين الذين يشيعون حول الرسول الأقاويل الكاذبه، ثم تكون حصيلتهم النهائيه، انهم يعودون بسخط من الله فى الدنيا، و جهنم فى الآخره.

[١٦٣] ليس المؤمنون سواء، فمنهم من يشبه فى بعض مواقفه المنافقين، و منهم من هو فى أعلى القمم، و كذلك المنافقون درجات مختلفه، و يجب إلا يساقون بعضى واحده، بل يحسب لكل فرد منهم أو فئه منهم حسابه الخاص.

ذلك ان الايمان أو النفاق ممارسه عمليه أكثر منها أقوال حديه، و الممارسه تختلف حسب الأعمال الايمانيه أو النفاقيه، و الله يعلم درجات المؤمنين و المنافقين و يحاسبهم عليها حسب أعمالهم.

هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ [١٦٤] القيادة التي يديرها رسول الله، لا تقاس أبداً بالقيادات الجاهليه التي تشيع الدعايات المغرضه، و على الامه أن تعرف واقع كلتا القيادتين، و طبيعه الاشاعات المغرضه، و إلا تنساق وراء كل قَوال لا يعرف غير صناعه الكلمه الكاذبه و القول الباطل.

على الامه ان تفكر لدى تقييمها لهذه الاشاعات (و فى ظروف الهزيمه بالذات) تفكر من هو رسول الله؟ و ما هى رسالته؟ و من هم أعداؤه؟ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنَّ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ هذا رسول الله الذى أنعم الله به على المؤمنين، حيث بعثه برسالته لكى يرببهم على التقوى، و يعلمهم دستور حياتهم الثابت، و نظام حياتهم المتغير (الكتاب و الحكمة)، و يخرجهم من ضلالتهم السابقه الى نور الهدى.

فهل من الصحيح ان تقبل فيه الاشاعات المغرضه، الصادره من القيادات الجاهليه؟ ان الناس بحاجه الى توعيه لكى يقيموا الكلام، خصوصا و إنّ الطواغيت و الظلمه فى كل عصر، يستخدمون الكلام الباطل لتبرير ظلمهم للناس، و محاربتهم لدعاه الإصلاح. و لو لا أنّ الناس يرتفعون الى مستوى التقييم السليم، فإنهم لن يتخلصوا من الطغيان و الظلم. و على الناس ان ينظروا الى الممارسات العمليه، و لا يتخدعوا بالألفاظ البراقه.

اشاره

أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مِصْرِيَّةٌ فَدَٰءَبْتُمْ بِمِثْلِهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۱۶۵) وَ لَمَّا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنَائِفِ الْجَمْعَانِ فَيَاذَنِ اللَّهُ وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۶۶) وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ زَافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا- لَا تَبْعُنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (۱۶۷) الَّذِينَ قَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ وَ قَعِدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلْ فَادْرُؤْا عَن أَنفُسِكُمْ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (۱۶۸) وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَعْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (۱۶۹) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (۱۷۰) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (۱۷۱) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَ اتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (۱۷۲) الَّذِينَ قَالُوا لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَ قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (۱۷۳) فَاانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (۱۷۴) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۱۷۵)

اللغه

۱۶۸ [فادرؤا]: اذفعوا.

ص: ۶۹۴

١٧٣ [حسبنا]: كافينا.

ص: ٦٩٥

هدى من الآيات:

لا تزال الآيات القرآنيه تبين واقع الهزيمة، و الصبر، الذى يجب ان تستفيد الامه منه، فتبدأ بالحديث أن الهزيمة فى معركة واحده لا تعنى الهزيمة أبدا، إذ أن الامه التى انهزمت الآن كانت قد ألقحت سابقا هزيمتين بأعدائها، ثم تبين ضروره الهزيمة لكشف حقيقه الجبهه الرساليه التى انقسمت على ذاتها الى مؤمنين و منافقين.

أما المؤمنون فهم الشهداء الذين استضافهم الله فى رحمته، و الصامدون الذين استجابوا للرسول من بعد ما أصابهم القرع، و أنهكتهم الحرب بجروحها و أضرارها الماديه و البشريه.

و عند الحديث عن المنافقين يقسمهم القرآن الى فئات، بعضهم نتحدث عنه فى هذا الدرس، و بعضهم فى الدروس القادمه، و هذا التقسيم نابع من أعمالهم. فكل من مارس نوعا واحدا أو أكثر من هذه الممارسات، فهو منافق ذلك أن النفاق ليس

حديثا يقال، بل هو عمل. مثل الهروب من المعركة تحت غطاء الجهل بها، و تجبين الناس و تضخيم الخساره.

و الله سبحانه ينعت هؤلاء ليس بالنفاق وحده، بل بالكفر أيضا، بالرغم من ادعاء هؤلاء أنهم مسلمون. ثم يدعوهم الى مقاومه الموت ان كانوا صادقين، ثم يتحدث عن الشهداء الذين يعتبرهم هؤلاء خساره.

[١٦٥] لماذا تخسر الامه معركه معينه؟ لسبب واحد هو عدم الاعداد الجيد لها و ذلك من الناحيه البشريه، و انعدام الروح المعنويه، أو لعدم وجود السلاح الجيد أو لتفكك الجبهه الداخليه. أو ما أشبه.

و آيه هزيمه عرفت الامه إنها من نفسها، و دأبت على استخلاص عبرها و دروسها، فهي أشبه بالنصر منها بالهزيمه، أما الهزيمه الحقيقيه، فهي التي يعتبر الإنسان عواملها خارجيه، فلا يعتبر بها أبدا.

من هنا فان القرآن ركز على أنّ الهزيمه هذه من عند الأمه نفسها، و ذلك بعد ان يبين أنّها كانت بعد انتصار الامه فى معركتين سابقتين، لتخفيف هول الهزيمه عن النفوس.

أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا ۗ أَي انكم أصبتم و أوردتم ذات المصيبه بغيركم مرتين فى السابق، ثم إنكم مع ذلك و هنتم و تساءلتم و قلتتم:

قُلْتُمْ أَي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ فَكَمَا أَنْ أَعْدَاءَكُمْ انهزموا سابقا بسبب ضعفهم المعنوى و المادى، فكذلك أنتم

انهزمتم للضعف.

إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَلَيْسَ هُوَ الَّذِي انهزم في المعركة بل أنتم.

[١٦٦] و كان الله قادرا على ان يمنع الهزيمة عنكم بقوه غيبه، و لكن لم يفعل بل ترككم و شأنكم، و اذن بذلك في هزيمتكم (اذن بمعنى سمح أى لم يمنع) و ذلك لتستفيدوا عبرا كثيره منها: تقييم عناصر جبهتكم المؤمنين و المنافقين.

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُعَلِّمَ الْمُؤْمِنِينَ [١٦٧] وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ التعبير القرآنى يستعوض عن كلمه المعركة ب(يوم التقى الجمعان) لأنه أشد وقعا فى النفوس و أقدر على تصوير حقيقه المعنى.

و المنافقون الذين كشفتهم الهزيمة، هم الذين هربوا من مسئوليہ القتال، فى حينما طلبوا للحرب أو للدفاع عن دار المسلمين.

وَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ فَلَأَنَّا لَا نَعْلَمُ وَقُوعَ الْمَعْرَكَةِ، أَوْ لَا نَعْلَمُ فَنُونَ الْقِتَالَ لَذَلِكَ فَا نَا لَا نَتَّبِعُكُمْ.

و هؤلاء لم يحسبوا أنفسهم جزءا من الأمة، بل قالوا لاتبعناكم و كان الاجدر بهم ان يبادروا بأنفسهم للقتال، لأنه مسئوليتهم، كما هى مسئوليته سائر المسلمين، و الله وضعهم حيث وضعوا أنفسهم و قال عنهم.

هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ

ص: ٦٩٨

لان الايمان ممارسه عمليه،و بالذات فى ظروف تعرض الامه للخطر،و المؤمن الذى لا ينفع عند الضروره فمتى يمكن أن ينفع،و كل التبريرات التى يتذرع بها هؤلاء باطله إذ انهم.

يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ (كذبا) إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ وَإِنَّمَا لَـ يَقَاتِلُونَ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِنُفُوسِ الْقِتَالِ وَ لَكِنَ اللّٰهُ يَفْضَحُهُمْ.

[١٦٨] و من صفات هؤلاء أَنَّهُمْ يَضْحَمُونَ خَسَارَهُ الْإِمَّةِ، وَ يَبْثُونَ الدَّعَايَا الْهَدَامَةَ، فَيَقُولُونَ عَنِ الشَّهَدَاءِ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا لِلْمَعْرَكَةِ لَمَا قَتَلُوا.

أجل و لكن ماذا كان مصيرهم؟ أم لم يكونوا يموتون بالنهايه؟! و ما دام الإنسان يقتل أو يموت، فلما ذا يعظم الموت عند نفسه؟! الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا أَى الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ: اقعدوا، و هم بدورهم قعدوا، ثم لَمَا قَتَلُوا، قَالُوا لَوْ أَنَّهُمْ أَطَاعُوا أَمْرَنَا بِالْقَعُودِ لَمَا قَتَلُوا.

قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فما دتم لا تقصدون على مواجهه الموت، لا تتكلموا عمن يقتل فى سبيل الله، أو ليس الجميع يسير نحو الفناء؟! [١٦٩] و لكن هناك فرق بين من يقتل، و من يموت لأن الشهيد حى و الميت فان.

وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ أحياء بحياه الرساله التي سقوها بدمائهم، فاذا بكل قطره دم أريقت حول شجره الرساله، تحولت الى غصن أخضر و ثمره نافعه، تحولت الى عداله تنفع ملايين البشر، و حريه و كرامه و حياه.

و هم أحياء لان ذكرهم خالد فى الناس.

و هم أحياء ربما لان الله يعطى أرواحهم الطاهره، قدره و علما فى عالم البرزخ، فاذا بهم يرزقون عند ربهم، إنما بعيديون عن أجسادهم هذه و متحررون منها.

أما الأموات فان أرواحهم قد تنتزع منها القدره و العلم و تعتقل فى زنزانه الجهل الضعف.

و لتتصور: أن رجلا- يقتل فى سبيل الله، فتتفصل روحه عن جسده، لتعيش الى يوم القيامه، فى عالم الأرواح، طليقه حره قادره و عالمه.

و رجل يموت على الفراش، فتتحول روحه الى عالم مظلم، فأيهما الأفضل؟ الموت أم الشهاده؟ [١٧٠] حياه الشهداء حياه حافله بالنعم الماديه.(يرزقون عند الله)، و المعنويه إذ أنهم لا يزالون فى فرح، و شكر، و بشاره، كلما وجدوا قتيلا فى سبيل الله، التحق بهم زادهم أنسا. و كرامه.

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ مِنْ نِعْمَةِ الشَّهَادَةِ، التي فتحت عليهم أبواب نعم الله الاخرى فى الآخره.

وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ان المؤمنين الذين لم يلحقوا بالشهداء، هم أداء البشارة للشهداء، لعلم الشهداء بأن أولئك سوف يقدمون على حياة فاضله، حياة لا خوف فيها ولا حزن، ولذلك فهم يفرحون بالمؤمنين.

[١٧١] وللشهداء عند الله سبب آخر للبشارة، هي نعمه الله التي تزيد عن القدر الذي يتصور الإنسان أنه جزاء العمل. ويستبشرون حين يجدون ثمار أعمالهم التي ما ضاعت عند الله، وكم يكون فرح الإنسان كبيرا حين يجد ثمره جهوده، فيرى إنها كاملة غير منقوصة.

يَسْتَبِشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ [١٧٢] هؤلاء فريق من المؤمنين استشهدوا في سبيل الله، أما الفريق الآخر فهم الصامدون، الذين لم ينهزموا بالرغم من إصابتهم بالقرح، فحين دعاهم الرسول لاعاده تنظيم صفوفهم، والقيام بهجوم مضاد، استجابوا للرسول وألحقوا الهزيمة بالعدو.

ان هؤلاء كانوا يتمتعون بعده صفات:

أ) إن قدره الإنسان على تحمل الصعاب كبيرة، ولكن المؤمنين فقط هم الذين يستثمرون هذه القدره، بفضل إيمانهم بالله وابتغائهم مرضاته.

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ وَالْقَرْحُ: هي الآلام الجسديه و النفسيه.

ب) ثم إنهم كانوا يضاعفون جهودهم بسبب ظروف الهزيمة.

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ ج) ويزدادون التزاما ببنود الشريعة، وانضباطا في تنفيذ الأوامر.

وَ اتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ [١٧٣] ثم إنهم يزدادون صلابه في الحق، و شجاعه في مواجهه العدو بسبب إيمانهم و إحسانهم و تقواهم.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ انهم ازدادوا إيمانا بسبب تصميمهم المسبق على مواجهه العدو في كل الظروف، فلم يزد هم التحدى إلا- صلابه- ثم و من جهه ثانيه- كان التوكل على الله، و الثقه بنصره زادا كافيا لهم في معركتهم مع العدو، و مع وسوسه الشيطان في قلوبهم.

[١٧٤] بسبب الاستجابه في ظروف الهزيمة (بالإحسان و التقوى و الشجاعه) الحق هذا الفريق من المؤمنين الهزيمة بالعدو، و انتصروا عليه، و حصلوا منه على مغانم، و لم يصبهم أذى في معركتهم الجديده. و حصلوا على أهم جائزه و هى رضوان الله.

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ إن وجود العزم الراسخ لدى هذا الفريق على مجابهه العدو، هو الذى قلل من خساراتهم فى المعركه. بل جعلهم يربحون المعركه من دون خساره، و لو أنهم جبنوا لاستطاع العدو ان يهجم عليهم كره أخرى، فيذيقهم العذاب الأليم.

[١٧٥] من أين يكتسب الإنسان الشجاعه الكافيه لمواجهه ظروف الهزيمه؟ يجيب القرآن على ذلك: بأن مصدر الهزيمه النفسيه، هو الخوف، و الخوف فطره فى البشر، و لكن على المؤمن ان يوجّه خوفه الى المصدر الحقيقى للخوف و هو الله، و ليس الى أعدائه من البشر. لان الله- و ليس البشر- هو القادر على إنزال أشد العقوبات فى الدنيا و الآخره على الإنسان فعليه أن يخشاه.

أما البشر فالخوف منهم، مجرد و سواس شيطانى، لأن كل ما يملكه البشر، يمكن أن أملكه أنا أو أملك ما يواجهه، و لكن هل بإمكانى أن أملك ما يملكه الله؟ إِنْما ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ و الايمان بالله و بأنه الضار النافع، و أنه بصير بعباده، هو الذى يجعلنا نخافه، فلا نخاف أحدا سواه. أما الايمان بالشيطان، بماله، و شهرته، و اغراءاته، فهو الذى يجعلنا نخافه، و نخاف الناس الذين يملكون المال، و السلطه، و الإغراء.. إذا: دعنا نطرد حب زينه الحياه الدنيا من قلوبنا حتى نتمتع بالشجاعه.

ص: ٧٠٣

اشاره

وَلَا يَخْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنَبَضْرُوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ
(۱۷۶) إِنَّ الَّذِينَ إِشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنَبَضْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (۱۷۷) وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ
لأنفسهم إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيُزَادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (۱۷۸) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِن تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ
عَظِيمٌ (۱۷۹) وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونَ بِمَا أَنَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ
لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (۱۸۰)

اللغه

۱۷۸ [نملی]: الاملاء إطاله المده.

ص: ۷۰۴

و المواقف الاجتماعيه

هدى من الآيات:

بعد الهزيمة انقسم المسلمون الى فريقين: فريق المؤمنين منهم و الصامدين، و فريق المنافقين، و هم-بدورهم- كانوا فئات: فئه تجبن الناس عن القتال، تحدث عنهم القرآن فى الدرس السابق، و فئه أسرع الى الكفر و انضمت عمليا الى الجبهه المضاده للرساله، و فئه كان عليهم ان يدعموا صمود الامه بأموالهم، فدخلوا بها فى ساعه العسره.

هؤلاء انما فعلوا ذلك لما رأوا ما عند الكفار من مظاهر الانتصار و العزه. و لم يعرفوا أنّ هذه المظاهر خداع و باطل، و أنّ الله يمهلهم فيها، حتى يزدادوا إثمًا، و إنّ مصيرهم الى النار.

و يكرر القرآن القول: بأنّ الهزيمة كشفت هذه الفئه المنافقه، التى أسرع فى الكفر، كما كشفت تلك الفئه التى بخلت بحقوق الله، و لم تجاهد بأموالها.

و بمناسبة الحديث عن الأغنياء البخلاء، يتحدث القرآن عن اليهود في الدرس القادم، ليبين لنا: كيف أنهم ابتلوا بغضب الله، بسبب تركهم واجب العطاء و الإنفاق.

[١٧٦] فنه من المسلمين الذين لم يترسخ الايمان في قلوبهم، أسرعوا في الكفر حين وجدوا انتصار الكفار، هؤلاء لم يضعفوا الجبهه الداخليه للمسلمين، لأنهم كانوا لا- ينفعون المسلمين أساسا، و ذلك بسبب ضعف إيمانهم، ثم إنهم لا- ينفعون الجبهه المضاده، لأنهم انهزاميون بطبيعتهم، و ضعفاء القلوب.

و لكن الخاسر الوحيد بعملهم هم أنفسهم،الذين خسروا مكاسبهم السابقه، التي ربما كانت تؤهلهم للجنه، أما الآن فليس لهم نصيب منها، بل لهم عذاب عظيم بنقضهم الميثاق و مخالفتهم أمر ربهم.

وَ لَا يَخْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِزًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَ
التعبير القرآنى يقول: فى الكفر، للدلاله على ان الكفر عمل و ليس نهايه حديه يسارعون إليها، فلم يقل إلى الكفر. كأن القرآن يقول: يسارعون فى أعمال الكفر، أو فى درجاته.

[١٧٧] هؤلاء بدّلوا الايمان بالكفر، فهل خسر الله شيئا؟ كلا، لأن الله واسع القدره، غنى عن العالمين، و تقدم الأمة الاسلاميه لا يعتمد على هذا الشخص أو ذاك، بقدر ما يعتمد على نوع الأشخاص، و مدى تفاعلهم مع الايمان.

و هؤلاء اشتروا بعملهم عذابا أليما.

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

و يبدو أنّ الفئه الاولى سارعوا فى أعمال الكفر، أمّا هؤلاء فقد أعلنوا تمردهم علنا و ربما لذلك كان عذاب الفئه الاولى عظيما (من الناحيه الكميّه)، و عذاب هؤلاء أليما (من الناحيه الكيفيه).

[١٧٨] و يعتقد هؤلاء بأن مكاسب الكفار دليل على تفوقهم فى الدنيا، أو حتى قربهم الى الله. و لا- يعرفون ان زياده الثروه، أو الانتصار، أو ما أشبهه، من مكاسب الدنيا، قد تكون طريق النهايه، إذ يسبب الطغيان، و الطغيان يسبب الانفلات و الفوضى، و بالتالى التوغل فى الذنوب، و نهايه الذنوب معروفه. إذا فقد يمكن ان يزيد الله الكفار بعض النعم، بهدف تحطيمهم و أبادتهم.

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ان النعمه سلاح ذو حدين، و ان الايمان بالله، هو الذى يمنع تحول النعمه الى سبب للخساره. فاذا فقد الإنسان الايمان، فان النعم تضره بدل ان تنفعه.

و لنتصور طفلا، أو مجنونا تعطى له قياده السياره، فكلما زاد وقود السياره و اندفاعها، كلما كانت أقرب الى الهلاك و الدمار.

و الطغيان الذى يتشعب به الكفار، نتيجته النعم يقابل عند الله، بالمهانته لأن الطغيان يدعو إلى الاستكبار.

[١٧٩] تمييز الخبيث من الناس، عن الطيب نتيجته طبيعيه للهزيمه، حيث يتعرض الجميع للضغوط فينهار المنافقون، و يصمد المؤمنون الصادقون، السؤال: لماذا لم يميز الله الخبيث من الطيب غيبيا، بأن ينزل قائمه بأسماء هؤلاء و هؤلاء؟ الجواب: ان الحياه الدنيا هى حياه المسؤوليّه. و لا يتدخل الغيب فيها إلاّ

جزئيا، فمثلا- عن طريق الأنبياء يهdy الله الى مناهج العلم، و على الناس ان يتفكروا، و ان يكتشفوا الحقائق من خلال تجارب الحياه، (مثل اكتشاف حقيقه الإفرد من خلال الهزيمه).

فعلينا إتباع الرسول فيما يشرعه لنا من مناهج، و لا ننتظر بعدئذ أن يطلعنا الله على كل صغيره و كبيره من حياتنا، الا بالطرق العاديه.

مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ هُوَ الَّذِي اخْتَارَ طَرِيقَ الْنِفَاقِ ۗ وَ الطَّيِّبُ هُوَ الَّذِي آمَنَ بِاللَّهِ إِيمَانًا صَادِقًا.

وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِن تُوْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ [١٨٠] و كما الجهاد بالنفس: يصبح الجهاد بالمال دليلا على مدى تفاعل الايمان مع النفس كما ان البخل بالمال خصوصا في ظروف الهزيمه دليل الخبث و النفاق.

و ما ذا يجنى البخيل؟ انه يكدس الثروه- التي أعطاه الله- لأى يوم؟ هل يكدسها ليوم القيامه، حيث تتحول ثرواته المغتصبه الى حزام من النار يحيط به و يأخذه الى جهنم؟ أما فى الدنيا: فانه سيموت، و يورث الله ثرواته لمن يشاء، أو ينتصر الرساليون على أخذ ثرواته شاء أم أبى، و لا- ينفعه التعليل و التبرير، لأن الله خبير بما يعمل العباد، و يجازى الناس حسب خبرته لا حسب أقوالهم و ادعائاتهم.

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ص: ٧١٠

إشارة

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ الْإِنْسَانِ الْأَخْلَاقِ نُوْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقْرَةٌ إِن تَأْكُلْهُ الذَّارِقُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّبَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ (١٨٥) لَتَبْلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبْهُمْ بِمَفَازِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨) وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩)

اللغة

١٨٤[الزبر]: جمع زبور و كل كتاب فيه حكمه فهو زبور.

هدى من الآيات:

بمناسبه الحديث عن المتقاعسين عن الجهاد بأموالهم، وختما لسوره آل عمران التي أعطتنا رؤيه متكامله عن أهل الكتاب، يحدثنا
الدرس هذا عن بعض صفات اليهود، الذين عبدوا العجل و كان أكثر خلق الله بخلا.

إنهم كانوا يتهامسون بان الله فقير لذلك نجد المؤمنين به هم الفقراء أما نحن فأغنياء و يهددهم القرآن و يقول أن كلامهم هذا
مسجل عليهم كما سجلنا سائر أعمالهم السيئه كقتل الأنبياء-ان قولهم بأن الله فقير ما هو إلا تبرير لكفرهم و بخلهم-و ذلك مثل
إنهم برروا سابقا عدم إيمانهم بالرسول، بأنه يفقد آيه الرساله التي كانت فى زعمهم قربانا تأكله النار و الدليل على ذلك أنهم
قتلوا الأنبياء الذين جاءوا بهذه الآيه ذاتها.

إنّ تكذيب اليهود للرسول ليس جديدا عليهم، بل أنّهم كذبوا الأنبياء من

قبله، بسبب تشبيهم بالماديات، تلك الزخارف التي لا بد ان يرحل عنها الإنسان في يوم، فكل بشر محكوم عليه بالموت، و انما الفائزون هم الذين يكتسبون الجنه بعد الموت.

ثم يبين القرآن الحكيم: بأنّ مواجهه اليهود- و كذلك طبقه الأغنياء البخلاء- تتطلب جهودا مضنيه، حيث لا- بد أن يسمع المسلمون من الذين أوتوا الكتاب من قبلهم، و من الذين أشركوا أذى كثيرا، و من ذلك الأذى أنهم يكذبون بالرساله، بالرغم من ميثاق الله و الرسول عليهم فى الكتاب، بان يؤيدوها و يصدقوا بها. ان طبقه الأخبار تتحد مع طبقه الأغنياء البخلاء فى محاربه الرساله الجديده و أنّ الأغنياء يحبون ان يحمدا بما لم يفعلوا.

و الله غنى عن أموالهم لان له ما فى السماوات و الأرض.

بيانات من الآيات:

[١٨١] طبقه الغنيه، قد تكون متحالفه مع أولياء الرساله، فتكون مجاهده بمالها فى سبيل انتصارها، و متعاونه مع الضعفاء من الناس، و قد تكون متحالفه مع أعداء الرساله، و هذه هى السنّه الغالبه.

و عن هذه طبقه يتحدث القرآن هنا، و لكن بالرغم من تجسدها فى أشخاص اليهود، لا يذكر القرآن اسم اليهود، لكى لا يقتصر عليهم الحديث، بل يبقى شاملا لكل الأغنياء الذين يعادون الرساله.

إنّ هؤلاء يزعمون أنّ مقياس الحق و الباطل هو الثروه، و يتهمون على المؤمنين، و يقولون ان الله فقير، و لذلك يقبل الفقراء.

و هم يعادون الرساله الى درجه حمل السلاح فى وجه الأنبياء، و اقرار جريمه

القتل بحقهم، و كل هذه الأعمال دليل على أن الشوه ليست مقياس التقرب الى الله بل أعد الله لهؤلاء عذابا يحرقهم.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَ قَتَلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ [١٨٢] عذاب الحريق الذى يصيب هؤلاء الأغنياء البخلاء ليس لأنهم أغنياء بل لأنهم بخلوا بحقوق الله.

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ [١٨٣] و من أكاذيب هؤلاء التى يبررون بها كفرهم بالإسلام، و موقفهم العدائى من الرسالة الجديدة، أنهم يقولون ان العلامة الضرورية لصدق الرسالة غير موجوده فى هذه الرسالة و هى: نزول قربان تأكله النار، و لكن الله يفند هذا القول، و يبين أن تكذيب الرسول ليس جديدا عليهم، بل هو ناشئ عن موقفهم العام من الرسل. و لذلك حين جاءهم رسل مزودون بتلك العلامة كذبوا بهم، و فوق ذلك قتلوهم.

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ حَيْثُ كَانَتْ مِنَ الْعَادَةِ: ان تنزل النار من السماء، فتأكل ما يتقرب به الى الله من الذبائح، للدلالة على تقبل الله لهذا القربان، و بالتالى للدلالة على سلامه نيه الرسول.

قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ حَيْثُ لَمْ تَكُنِ الْعَلَامَةُ الْفَارِقَةَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَ غَيْرِهِمْ، مجرد قربان، بل بينات

كثيره أخرى جاءت بها الرسل.

وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ تُبْرَرُونَ كَفَرْتُمْ بِهَذِهِ الْأَكْذَابِ، وَ هَكَذَا يَبْرُرُ طَبَقَهُ الْأَغْنِيَاءُ الْمُتَرَفِينَ، كَفَرْتُمْ بِالرَّسَالَاتِ وَ بِالْحَرَكَاتِ التَّقْدِيمِيَّةِ، بِأَكْذَابٍ بَاطِلَةٍ حَيْثُ يَلْصِقُونَ بِهَا أَبْشَعُ التَّهْمِ.

[١٨٤] و التّكذيب بالرسالة الجديدة، إنّما هو ناشئ من موقف هؤلاء المبدئي، من كل رساله و كل رسول.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتَابِ الْمُنِيرِ إِذْنًا لَدَاعِيِ الخُوفِ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ، إِذْ أَنْ رَسَالَاتِ السَّمَاءِ كُلِّهَا انْتَصَرَتْ بِالرَّغْمِ مِنْ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ لَهَا، كَمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَزَلَّزَلَ النَّاسُ مِنْ تَكْذِيبِ هَؤُلَاءِ، وَ يَشْكُونَ فِي صِدْقِ الرِّسَالَةِ، كَلَّا لِأَنَّهُمْ مُصَلِحُونَ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، وَ لَيْسَ أَى شَيْءٍ آخَرَ.

البينات: المعاجز الظاهره كعصى موسى و إحياء عيسى للموتى.

و الزبر: الكتب المنزله.

و ربما يكون الكتاب المنير: هو الآيات المحكمه من الزبر، و هى تلك التى تنير درب الضالين، و هو يساوى فى المعنى كلمه الفرقان.

[١٨٥] و علينا إلا نرّكع لهذه الطبقة، و لا نتأثر بما لديها من زينه الحياه الدنيا.

إذ أنّها ستزول، أو يزول عنها أصحابها. و إن العظمه الحقيقه ليست لمن يملك بضعه

ص: ٧١٤

دنانير أكثر، إنما لمن يستطيع أن يخلص نفسه من نار جهنم، و يدخل الجنة.

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ
الْعُرُورِ ان الحياة الدنيا سلعه تغر الإنسان، أو إنها رأسمال المعترين. أما الواعى فانه يعرف أنها حياه زائله، فلا يغتر بها، و لا يتخذها
لنفسه متاعا، و لا رأسمالا، و لا رصيда يعتمد عليه.

[١٨٦] و على الامه أن تتسلح بالصبر فى مقاومه الطبقة الغنيه، و تعرف بأن مقاومتها ليست بالهينه بل تحتاج الى التضحيه بالمال، و
النفس، و تحمّل الاشاعات الكاذبه، حتى تستطيع الرساله من الانتصار عليها، و على أمثالها من الكفار و المشركين. و سلاح الصبر
النافذ يصنعه الايمان الصادق بان الحياه الدنيا زائله و ان الدار الآخره لهى الحياه.

لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ اى أن الله يختبركم و يمتحنكم بإصابتكم فى الأموال، و الأنفس.

وَ لَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ و على
الامه إلا- تقتصر على الصبر فحسب، بل و تتسلح- أيضا- بالتقوى، و هى الالتزام بواجبات، و محرمات الدين بالضبط، و إذا فعلت
ذلك فانها استطاعت ان تمتلك أزمه الأمور بيدها، لأن عزم الأمور و لبابها يتمثل فى الصبر و التقوى، فى الصمود و الالتزام.

[١٨٧] و من مفسد أهل الكتاب التي يجب مواجهتها، دعايتهم السلبية تجاه رساله الجديده، هذه الدعايه التي تدخل في إطار ما حذر منه القرآن في الآيه السابقه، حيث أكد بأن الامه سوف تسمع من الذين كفروا أذى كثيرا.

و ان هذه الدعايه مخالفه صارخه لعهد الله معهم، و مع كل صاحب ثقافه، ذلك العهد يقضى بأنّ عليه ان يبينها للناس و لا يكتمها.
وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ وَ يُؤكّد القرآن ان وراء دعايات هؤلاء ثمننا قليلا من متاع الدنيا.

[١٨٨] و كما أنّ على من يملك العلم، ان يتحمل مسؤوليه نشره من دون خوف و لا رغبه، فكذلك على من يملك مالا أن يبذله في سبيل الله، من دون أى طمع مادي (كأن يحب أن يمدح أمام الناس) و لا حتى عجب بما أتاه في الله (بأن يفرح و كأنه قد أدى ما عليه بالكامل).

إنّ القرآن الحكيم يقصد بالآيه السابقه، طرد طبقه الأخبار عن إطار التأثير في المجتمع، حيث يقول انهم كانوا قد خانوا أمانه الله في العلم.

و هنا يريد ضرب طبقه الأغنياء البخلاء، الذين لا يبذلون مالهم إلا من أجل الإطراء، أو يزعمون بأنّ قليلا من المال يخلصهم من مسؤولياتهم الرساليه.

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّاهُمْ بِمَفَازِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [١٨٩] و الله لا يحتاج الى مال هؤلاء، لأنه مالك السماوات و الأرض، و هو قادر

على كل شيء من دون اموال هؤلاء.

وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَ الْاَرْضِ وَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ و لان الله ملك السماوات و الأرض، فانّ على أصحاب الرساله ان يتسلحوا بالتوكل على الله، في مقاومه هذه الطبقة، و الطبقة الحليفه لها، و هي طبقة تجار الدين الذين يركعون للأغنياء، لبضعه دراهم و يخونون دينهم.

ص: ٧١٩

إشارة

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ هَيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سِيحَانِكَ فَيُقْنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْرِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَمَّا كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَمَّا دَخَلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥)

اللغة

١٩٣[الأبرار]: جمع بر و هو الذي بر الله بطاعته إياه حتى أرضاه.

١٩٥ [أضیع]: أهلك.

ص: ٧٢١

إشاره

و واجبات الرساله

هدى من الآيات:

من هو المحارب الرسالي؟ وما هي العوامل الدينيه التي تدفعه الى الشهاده؟ إن القرآن لا يقف في أمره للجهد عند بعض العوامل الاجتماعيه، بل يضرب في العمق، حيث يصلح النفوس، و يهيئها لتقبل الشهاده، بل لطلبها بإصرار، و ذلك لتحقيق أهداف الإنسان الرئيسي في الحياه و يقول: إنك حين تنظر الى السماء و الأرض، فإن أول ما يملأ عينك هو: الاختلاف الواسع فيها. و أبرز اختلاف هو:

تناوب الليل و النهار، و هذا يدعوك الى التفكير لماذا الاختلاف؟ و تجد الجواب ببساطه لان لكل شيء هدفا محمدا يحققه، الليل يأتي ليحقق أهدافا معينه، ثم يعقبه النهار لاهداف أخرى، إذا لكل شيء قدر و هدف محدد.

تري أي هدف للحياه، و إذا انحرفنا عن مسيره هذا الهدف فما هو مصيرنا، أ ليس النار و الخزي، دعنا إذا نتوجه إلى الله، و هنا يهبط الوحي، ليوجه فطرتنا

الصادقه و يبين لنا: كيف نسير حتى نحقق هدف حياتنا، و المؤمنون الصادقون يهرعون الى الاستجابة للوحى، و يحاولون تحقيق مهامهم بدقه ابتغاء مرضاه الله.

و لكن الله يشترط عليهم شروطا، تبدو متعبه لنا، أما للذى وضع هدفه الأساسى خلاص نفسه من نار جهنم، فانه عمل بسيط و هو الايمان و التحدى، و تحمل الأذى فى الله و الهجره و القتال و الاستشهاد فى الله.

[١٩٠] كيف خلقت السماوات و الأرض، و هى لا تزال تخلق و تتطور حسب خطه حكيمه، و اراده مطلقه، و يد قويه. ما هذا الليل الذى يلف الكون بظلامه و سكونه؟ و ما هذا النهار الرائع الصاخب؟ و من يسلخ النهار من الليل، فيغرق الكون فى بحر من الهدوء و الظلام؟ انها حقائق تشير عقول الذين ينفذون الى لب الحياه، و ما وراء قشورها من أنظمه و أهداف.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ [١٩١] ان هؤلاء أصحاب العقول النيره، يعرفون ربهم فى أول نظره الى الحياه.

و لا يرون ظاهره فى الحياه، إلا و يذكرون ربهم، لأنهم يعبرون فوق جسر الظاهره بسرعه، و يصلون الى الحقيقه، التى تقول ان الله هو خالق هذه الظاهره، و مدبرها الآن، و الذى يطورها من حال لحال و من لحظه لأخرى.

فهم يذكرون الله قياما و قعودا، و ذكرهم آت من تفكرهم العميق فى ظواهر الحياه، و تفكرهم سليم لأنه سوف يؤدى الى معرفه الحقائق، و أبرزها معرفه ان الحياه ليست باطلا و بلا هدف، و ليست فوضى و بلا سنن، و هدف حياه الإنسان و سنتها

التي تتحرك ضمنها هو: التقوى، والالتزام بمنهج الله الذي يلتزم به ما فى السماوات و الأرض، وإلا فان نهايه الإنسان هى النار.

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي مَآءٍ وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقَتْنَا عَذَابَ النَّارِ ان تفكر هؤلاء تفكر واعظ، حيث ينقل الدروس و العبر من واقع الحياه الى واقعهم، و يجعلهم يتعرضون للحياه بما فيها من سنن و مناهج.

[١٩٢] ان هدف الإنسان فى الحياه هو اختبار إيمانه و وعيه، و مدى فاعليه إرادته فى مقاومه ضغط الشهوات، فان نجح فى الامتحان فان الجنة مأواه، أما إذا فشل فان مصيره الى النار، و هى خزى يلاحق الذين ظلموا أنفسهم و لم يظلمهم الله شيئاً، و سوف لا ينفع الظالمين شىء مما استفادوه فى الدنيا بظلمهم.

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ [١٩٣] هذه هى العبره التى يستلهمها أولو الألباب من تفكرهم فى الحياه.

و سوف تستوضح هذه العبر، عن طريق الوحي الذى يسارع هؤلاء الى التصديق به بسبب خلفتهم الفكرية السليمه.

رَبَّنَا إِنَّا إِتَيْنَاكَ سَيِّئَاتٍ مُّنَادِيًا يُدْعَىٰ لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا وَ اِكْتَشَفُوا بَعْدَ الْإِيمَانِ، ان بعضا من أعمالهم كانت مخالفه للمنهج الإلهى، فاستغفروا منها، و طلبوا من الله أن يصلح حياتهم، بعد أن أفسدتها ذنوبهم بالتوبه إليه منها و طلب الاستقامه من الله، على ان يجعلهم مستمرين فى هذا الخط حتى الموت.

رَبَّنَا فَاعْرِضْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ [١٩٤] و لأن هؤلاء اكتشفوا بتفكيرهم النافذ و البصير فى الحياه ،ان الهدف الأسمى للإنسان، هو الجنه التى وعد بها الله عباده المؤمنين بواسطه الأنبياء، فهم سألوا الله ذلك و تطلعوا اليه و قالوا:

رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ [١٩٥] و استجاب الله لهم، و لكنه فرض عليهم شروطا، و طالبهم بامتلاك عده مواصفات، أبرزها الهجره. و هى الانفصال الفكرى و العملى من الجاهليه.

و يستلزم هذا الانفصال التحدى، و الصراع، و بالتالى الخروج من بلاد الجاهليه، و تحمل أنواع الأذى من الاغتراب، و الفقر و الذل. بيد ان كل ذلك يدفعهم لتنظيم أنفسهم، و الاستعداد للعودة الى بلادهم بالقتال.

و هدف الجيش من القتال هو الانتصار، بيد ان هدف الجنود هو الشهاده، لذلك فهم مستبسلون فى ذات الله.

ان هذا هو شرط الله على المؤمنين الذى لو وفوا به أتاهم أجرهم بالكامل، و بالتساوى بين الذكر و الأنثى، و أدخلهم الجنه جزاء حسنا من عند الله.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ و ليس الدعاء وحده كاف للحصول على الثواب، بل العمل الصالح هو الذى يعطى الجزاء عليه بقدره بالذات.

مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ

أى كلكم فى الثواب سواء، لان بعضكم من بعض، و قد انحدرتم من أب واحد فلا فرق بينكم.

فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ هِجْرَهُ هِيَ الْخُرُوجُ تَلْقَائِيًا. وَ هُوَ يَخَالِفُ الْإِخْرَاجَ لِأَنَّهُ بِإِكْرَاهٍ، وَ رُبَّمَا الْهَجْرَةُ هُنَا هِيَ الْهَجْرَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ وَ الْإِخْرَاجُ هِيَ الْهَجْرَةُ الْجُغْرَافِيَّةُ.

وَ أُودُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لِأَكْفَرَنَّهُمْ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ إِنْ الشَّهِيدُ يَغْتَسِلُ بِدَمِهِ فَإِذَا بِهِ طَاهِرٌ مِنَ الذَّنُوبِ وَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

ص: ٧٢٤

إشاره

لَا يَغْرُنْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نَزِلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

اللغه

١٩٦ [يغرنك]: الغرور إيهام حال السرور فيما الأمر بخلافه فى المعلوم.

١٩٧ [متاع]: النفع الذى يتعجل به اللذه اما بوجود اللذه أو بما يكون به اللذه نحو المال الجليل و الأولاد و الاخوان.

[المهاد]: الذى يسكن فيه الإنسان و يفتشه.

[الأبرار]: جمع بر.

١٩٩ [خاشعين]: أصل الخشوع السهولة من قولهم الخشعه و هى السهولة فى الرمل و الخاشع الخاضع.

٢٠٠[رابطوا]: أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو و الربط الشد و منه قولهم ربط الله على قلبه بالصبر ثم استعمل في كل مقيم في ثغر يدفع عن وراءه ممن أرادهم بسوء.

ص: ٧٢٨

هدى من الآيات:

الذين يهاجرون فى سبيل الله لا يملكون إلاّ زاد التقوى، وقوه الايمان. فهم يعرفون ان نهايه أعدائهم قريبه، بالرغم من تمتعهم بقوى ظاهره، تملأ العين و تغر البسطاء، و بعد النهايه سوف يرمون فى جهنم و ساءت مصيرا.

أما المتقون: فان نهايتهم هى الجنه و حسنت مستقرا، و لذلك فعلى المؤمنين ان يصبروا و يشجعوا أنفسهم بالصبر، و يرابطوا فى الحدود، و يتقوا الله، حتى يفلحوا فى الدنيا و الآخره.

هذه خلاصه هذا الدرس الذى جاء متمما للحديث عن الخليفه الايمانيه للامه التى تحارب أهل الكتاب، و تصبر على أذاهم، و تقاوم ضغوط طبقه الأغنياء البخلاء، المتحالفه مع الأجرار و الرهبان الخونه.

و لكى تكمل الصوره و تكون واقعيه، بين القرآن فى الآيه ما قبل الاخير: أن

أهل الكتاب ليسوا كلهم كفارا، بل فيهم متقون حتى لا نتصور أنّ اليهود مثلا أهل النار، لأنهم يهود و كفى، و نحن نصيح أهل الجنة لأننا مسلمون و حسب، بل ان العمل هو وحده، مقياس الحق بين أهل الجنة و أهل النار.

بينات من الآيات:

[١٩٦] بالرغم من تمتع الذين كفروا بقوى ظاهره، و حريه الحركه، و التصرف فى البلاد، فان أيامهم معدوده.

لَا يَغْرُنْكَ تَلَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ [١٩٧] مَتَّعَ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ بئس المهاد [١٩٨] اما المتقون الذين يلتزمون بمنهج السماء بالكامل فهم الفائزون.

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَدَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ان المؤمنين بحاجه الى صفتين هما: الالتزام و الانضباط التام بالمنهج، و النشاط و يسمى القرآن-حسبما يبدو لى-الالتزام الإلهى بالتقوى، كما يسمى النشاط فى سبيل الخير بالبر.

و قد اوحى هذه الآيه بهاتين الصفتين معا.

[١٩٩] و لا- يكفى ان يكون المؤمن معتقدا بالله و برسوله، و ان يقول أنا مسلم فى أن يحصل على الجنة كلاً: ان الجزاء يلحق العمل، سواء كان الشخص مسلماً أو كان من أهل الكتاب.

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ

لِحَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَيبدو ان هذه هي صفات بعض علماء اليهود و النصارى حيث جاء انهم لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا.

[٢٠٠] فى مواجهه الأعداء، من الكفار و الأغنياء و الأبحار لا بد من التطلع الى مستقبل النصر، و الصبر على بعض الأذى الموجود فى الطريق، ثم بث روح الايجابيه فى الامه، حتى يشجع البعض البعض على الصبر، ثم القيام عمليا بالاستعداد الدائم للعدو. و الانضباط بالأوامر التى تصدرها القيادة ان هذه هي سبيل السعاده، سواء على مستوى الامه أو على مستوى الأفراد.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ص: ٧٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

